



الأذين

تقديم

خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود



عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة

تجربتي

مع التوائم السيامية



المناصب الحالية:

وزير الصحة - المملكة العربية السعودية.

المناصب السابقة:

المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني.

مدير جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية.

نائب المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني.

رئيس أكاديمية مدينة الملك عبد العزيز الطبية للعلوم الصحية.

رئيس كلية التمريض والعلوم الطبية المساعدة.

المدير المشارك للمجلس التنفيذي الطبي، مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث.

كبير الأطباء بالنيابة، مستشفى الملك خالد الجامعي.

مدير برنامج تدريب الأطباء، قسم الجراحة، مستشفى الملك خالد الجامعي.

المناصب العلمية والأكاديمية:

استشاري جراحة الأطفال.

عضو لجنة اختبار جائزة الملك فيصل العالمية للطب.

أستاذ زائر للعديد من الجامعات والمعاهد العالمية.

المحاضر الرئيس للعديد من المؤتمرات والندوات العالمية.

إنشاء وتطوير العديد من وحدات وبرامج جراحة الأطفال.

عضو بجان امتحانات الشهادات العليا في تخصص الجراحة وجراحة الأطفال.

المجالس الوطنية:

عضو مجلس التعليم العالي.

عضو مجلس الخدمات الصحية.

عضو مجلس الضمان الصحي.

عضو مجلس أمناء جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا.

نائب رئيس مجلس جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا.

رئيس المجلس الاستشاري العالمي لجامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية.

عضو مجلس إدارة المؤسسة العامة لستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث سابقاً.

العضويات العلمية:

عضو كلية الجراحة الفرنسية.

عضو كلية الأطباء الجراحين الكندية.

عضو جمعية جراحة الأطفال الكندية.

عضو الرابطة العربية لجراحة الأطفال.

عضو إستشاري ومحرر للعديد من المجالس العلمية الطبية المتخصصة.



ج مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الريبيعة، عبدالله بن عبد العزيز

تجربتي مع التوائم السيمامية / عبدالله بن عبد العزيز الريبيعة

ط١..، الرياض، ١٤٢٨ هـ

ص٢٥٠، ٢٨٧٢ سـ

ردمك: ٩٩٦٠-٥-٢٢٢-٨

أ- العنوان

١٤٢٨ / ١٤٦٤

١- التوائم الملتصقة - جراحة

٦١٧، ٩٨ ديوبي

رقم الإيداع: ١٢٨ / ١٤٦٤

ردمك: ٩٩٦٠-٥-٢٢٢-٨

الطبعة الأولى

م ٢٠٠٩ / هـ ١٤٣٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

التوزيع

شركة مكتبة العبيكان

الرياض- العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر

شركة العبيكان للأبحاث والتطوير

الرياض- شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

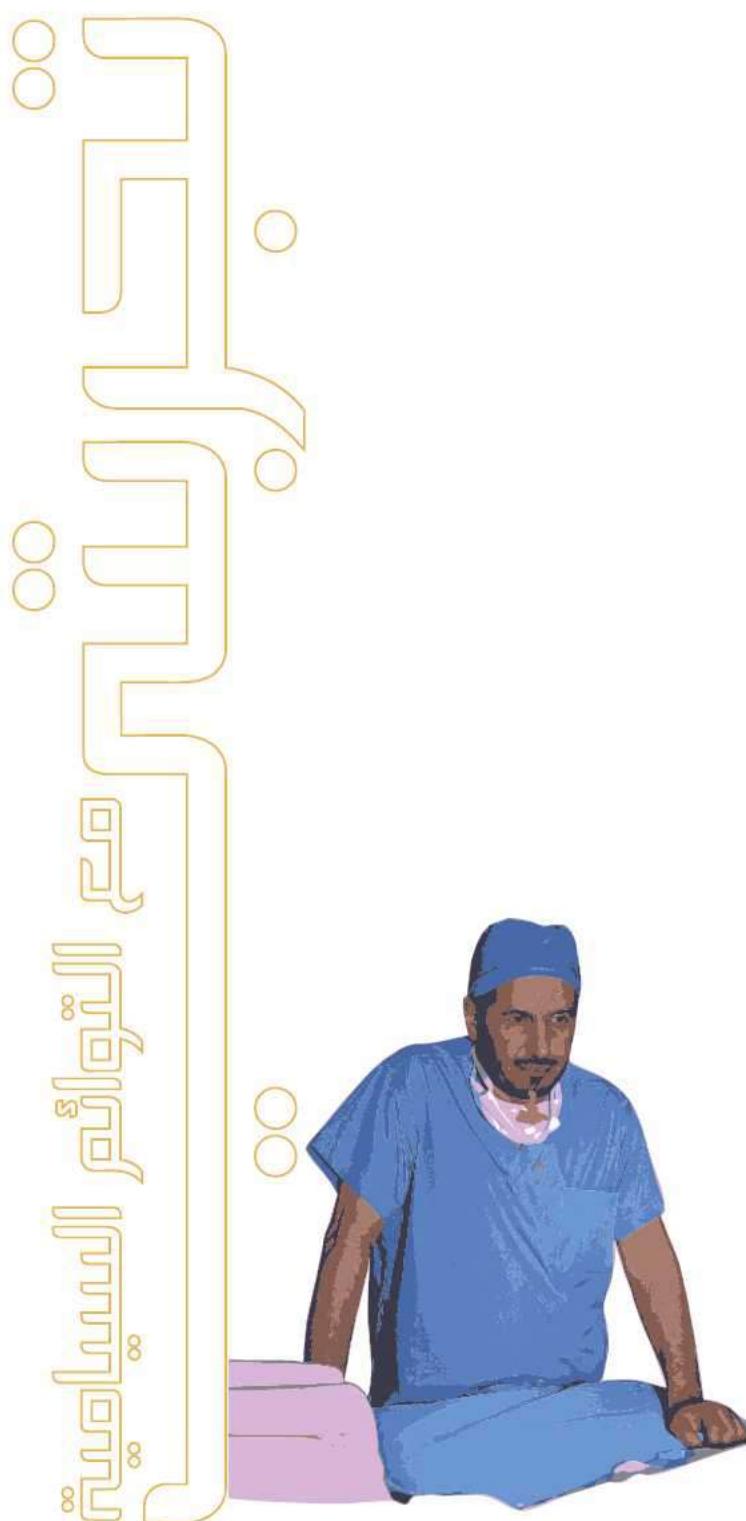
ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة، سواءً أكانت الكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ
«فotto كوفي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطى من الناشر

تقديم:

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

عبدالله بن عبدالعزيز الريبيعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

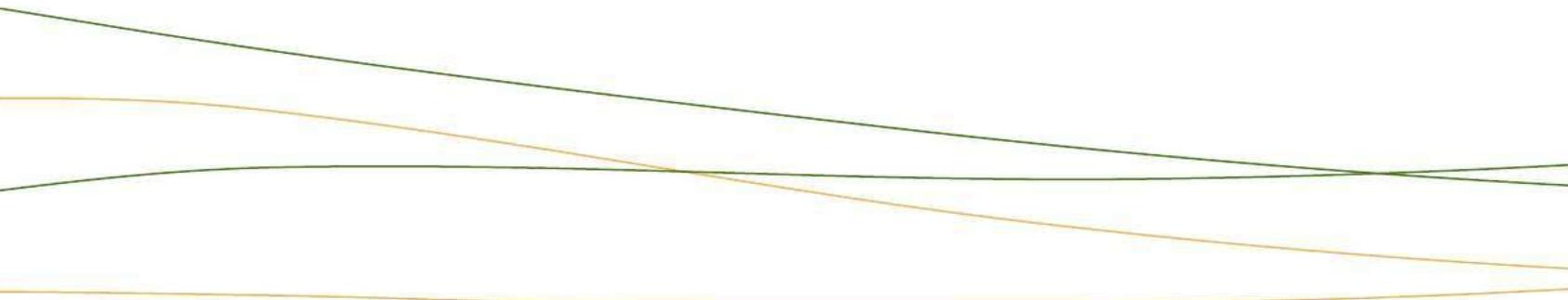
سُبْرَةِ





المحتويات:

١١.....	إهداء:
١٣.....	تقديم:
١٥.....	تمهيد:
١٩.....	الفصل الأول: التوائم التي فُصلت.
١٩٧.....	الفصل الثاني: التوائم السيامية: تعريفها، أسبابها، نسب حدوثها، أنواعها.
٢٠٥.....	الفصل الثالث: أشهر التوائم السيامية في التاريخ.
٢١٣.....	الفصل الرابع: العصر الإسلامي.. أول توثيق للظاهرة في العالم.
٢١٩.....	الفصل الخامس: بين أخلاقيات الطب ومبادئ الشريعة.
٢٢٧.....	الفصل السادس: الطب رسالة دعوية.
٢٣٧.....	الفصل السابع: شهرة سعودية عالمية في جراحة التوائم السيامية
٢٤٥.....	الفصل الثامن: خبرة سعودية بعيون دولية.
٢٥١.....	الفصل التاسع: نشر الخبرة وفلسفة التدريب.



٢٥٧.....	الفصل العاشر: دبلوماسية الطب.
٢٦٧.....	الفصل الحادي عشر: الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية.
٢٧٥.....	الفصل الثاني عشر: إنسانية قائد.
٢٨٣.....	الفصل الثالث عشر: انطباعاتهم بأقلامهم
٢٩٩.....	الفصل الرابع عشر: مدينة الملك عبدالعزيز الطبية.
٣٠٩.....	الفصل الخامس عشر: قصتي مع الجراحة.
٣١٩.....	الفصل السادس عشر: مواقف من غرفة العمليات.
٣٢٧.....	الفصل السابع عشر: طرافف من حياة السياميين.
٣٣٣.....	الفصل الثامن عشر: التوائم السيامية في عيون الشعر.
٣٤٣.....	الفصل التاسع عشر: شكر خاص.
٣٥١.....	الخاتمة:



إهداء:

أهدى هذا العمل إلى:

- مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله ورعاه.
- مقام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، حفظه الله ورعاه.
- وإلى والدي ومعلمي في الحياة متّعه الله بالصحة والعافية.
- والدتي رحمها الله وأسكنها الفردوس الأعلى.
- زوجتي هدى التي آزرته في مسیرتي العلمية والمهنية وضحت بوقتها وتحملت بصبر مقتضيات ومتطلبات المهنة بما في ذلك إعداد هذا الكتاب.
- إلى من رضوا بنفس هنية انشغالي عنهم: أبني خالد، وبيناتي: شذى وغادة وريم ونورة وسارة وهيفاء وهناء ومساهمتهم الفاعلة في هذا الكتاب.





تقديم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي سخر لهذه البلاد الطاهرة أبناء مخلصين لدينهم ثم لوطنهِم ، عملوا بجدٍ وتفانٍ لرفعهِ المملكة العربية السعودية والأمة العربية والإسلامية ، وبرهنوا للعالم أجمع أننا شعب متمسكٌ بدينه ومحبٌ للخير والعلم والسلام .

إننا إذ نفاحر بهذه الإنجازات وهي والله الحمد كثيرة لنتذكّر أن الرسالة الحمدية نبعث من هذه الأرض الطيبة ، الأرض التي قدّمت للعالم أكبر إنجاز حضاري على مرّ التاريخ ، وعليها أشرقت شمس التوحيد على يد مؤسس هذه البلاد المباركة الملك عبد العزيز طيّب الله ثراه ، ولعل أبناء وبنات الوطن يستقون من ماضيهِم ويعتبرون من حاضرهم دروساً تعكس حقيقة المواطن السعودي الشريف .

إن هذا الكتاب يوثق إنجازاً طبياً كبيراً نعتزُّ به ، كما نعتزُ بإنجازات كثيرة في هذا الوطن الغالي ، ويؤكّد عملاً إنسانياً تتشرف به المملكة العربية السعودية ، ونسأل الله من قاموا بهذا العمل التوفيق والنجاح ولهم منا الشكر والثناء .



عبدالله بن عبد العزيز آل سعود



تمهيد :



التوائم الملتصقة أو (السيامية) معجزة حار بها العالم منذ مئات السنين ، وتفاوت ردود الأفعال إزاءها بين الأم والشعوب ، وتبينت المواقف والأحساسات نحوها بين نفور وفضول ، رفض وقبول ، إشفاق وتشاؤم ، لين وقسوة ؛ بل وصل الأمر عند بعض المجتمعات إلى نبذ الظاهرة وتصنيفها نوعاً من أنواع الجنّ أو السحر كما حدث في أوروبا في القرون الوسطى .

وشَكَّلت هذه الظاهرة تحدياً كبيراً للمهتمين بالطب والجراحة منذ قديم الزمان ، وأقلقت - على ندرتها - ممارستهم المهنية ، واستنفرت جهودهم ووسعَت دائرة محاولاتهم لإيجاد حلّ لهذا النوع من الاتصال والاتصال الغريب بين المواليد ، ومن ثم فقد تنوّعت طرق وأساليب تعاملهم مع الظاهرة ، وتعدّدت أشكال العلاج عندهم بحسب موروثاتهم الثقافية والحضارية ، فمنهم من عمد إلى جراحة بدائية على غط القصابين في عمليات فصل التوائم ، ومنهم من اجتهد في تطوير أسلوبه الجراحي .. ونتجت عن ذلك سلسلة من التجارب والخبرات الجراحية المختلفة التي توجّت في عصرنا الحاضر بمستويات متقدمة فتحت آفاقاً مهنية جديدة ، وأشارت أبواب الآمال واسعة أمام الأطفال السياميين ليتأهلو إلى حياة أفضل بإذن الله سبحانه وتعالى .

ولا بد من الإشارة في هذا المنحى إلى أن التاريخ الإسلامي لم يخلُ من تجارب ومواقف مشرفة في التعامل مع هذه الظاهرة ، موافق اقترنَت بنظرة فاحصة ورؤبة مُتمعنة مستهدفة الحفاظ على حياة المواليد ، ومنطلقة من دوافع إيمانية خالصة وقاطعة بمبادئ هذا الدين الذي أعزَ الله به الإنسان؛ هذا المخلوق الذي كرَمه خالقه عزَّ وجلَ وفضلَه على كثير من العالمين . واعتماداً على هذا الإرث الثقافي وهذه القيم الإنسانية النبيلة؛ بذلت المملكة العربية السعودية جهوداً واسعة ومقدّرة في مجال الرعاية الطبية عموماً؛ والعناية بهذه الظاهرة الخلقية الصعبة والمعقدة خصوصاً، والتي أصبحت تحظى بنصيب وافر من اهتمام القيادة والجهات المختصة محلياً وعالمياً، ومن ثم فقد فُتح المجال أمام الأطفال المحتجزين من ينتمون لهذه الفتنة من دول العالم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ودياناتهم .. وحقّقت جراحات التوائم السيامية التي اتسمت بمهنية عالية بخالقاً مشهوداً وسمعة كبيرة على المستوى العالمي .



وبهذه الأريجية التي تتصف بها قيادتنا الحكيمية؛ أصبح هذا الوطن أثمن ذجاً إنسانياً فريداً تحكم معاملاته وعلاقاته قيم التوادِ والترابم والتقارب والتعاون والإخاء، وهي مناقب وحصل نابعة من أصل الإسلام، ومن عمق هذا الدين الذي جعل من المملكة منارة شامخة تهُبُّ الضياء والسلام والسلام للعالم، وأهلها إلى أن يُجسَّد عن جداره شعار: «السعودية مملكة الإنسانية». ولم يأت كلُّ هذا من فراغ؛ بل ارتكز على لِبنات وأُسسٍ لأعمالٍ جليلة قدّمتها المملكة للإنسانية وشهد بها القاصي والداني، ولا غرو أن تصبح بذلك مرجعاً عالمياً مرموقاً وخبرةً ثرةً في مجال جراحة التوائم السيمامية، وأن تكون بحمد الله تربةً خصيبةً لإحدى أكبر الخبرات الدولية الطبية باعتراف الأوساط والمحافل العلمية العالمية.

وفي إحقاق الحق؛ تلزمنا الإشارة هنا إلى صاحب الفضل بعد الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز؛ فقد كان لدعمه ورعايته حفظه الله الدورُ الأساس والقدحُ المعلى في رعاية هذه الخبرة الوليدة مما أهلَّها إلى تحقيق هذا التميز الوطني الرائد والفردي، إذ تبَّنى -أمد الله- في عمره هذا المشروع وهو غَرْسَةً طريةً لم يستعد عودها بعد، وما فتئ يتتابع مراحل نموه ونضجه عن قرب بصورة مباشرة ولصيقة تدفع وتحفز على مزيد من الإنقاذ والتغافل، والحمد لله فقد عرفت أسرع عديدة من آسيا وأفريقيا وأوروبا مذاق ثماراته. وفي الوقت نفسه لم يكن ولِيُّ عهده الأمين صاحبُ السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله بمنأى عن هذا الإنجاز الوطني؛ بل ظل يرقد ويُدْعَم مسيرته، وينحنه كثيراً من وقته وجهده ورعايته حرصاً منه على تحقيق مزيد من التميز والبروز العلمي الذي يؤكّد دور المملكة في كل المجالات؛ لاسيما الإنساني منها.



ولا يدّ لنا من التنشئة كذلك ببراعة ومهارة مجموعات منسجمة من جنود أوفياء سخّروا علومهم ومعارفهم، ووظّفوا كل طاقاتهم وأوقاتهم لوطتهم، ووهبوا له بتجرّد ومشاعر صادقة جميع نجاحاتهم حتى وصل إلى العالمية علماً وخبرة، وأعني زملائي وإخواني وأخواتي أعضاء الفريق الطبي والجراحي والكوادر المساندة.. فلهم من الجميع الشكر والعرفان.

وانطلاقاً من تجربتي في هذا المجال؛ رأيتُ أن من واجبي، ومن حقّ الوطن على توثيق ما تحقق من نجاحات وإخراجها بين دفّتي كتاب أضعه بين يدي القارئ العربي؛ بل بين أيدي القراء كافة على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم وأجناسهم وسحناتهم ومشاربهم، مؤكّداً في هذا الشأن على مقولته خادم الحرمين الشريفين عميق الإشارة والدلالة: «إن هذا هو نجاح الأمة الإسلامية والعربية، وينسب لهذه الأمة المؤمنة بدينها، والمحبة للسلم والسلام، والداعية إلى التآلف والتآخي والمحبة بين شعوب وأديان العالم أجمع»؛ محقّقين قول الله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس...» آل عمران آية (١١٠).

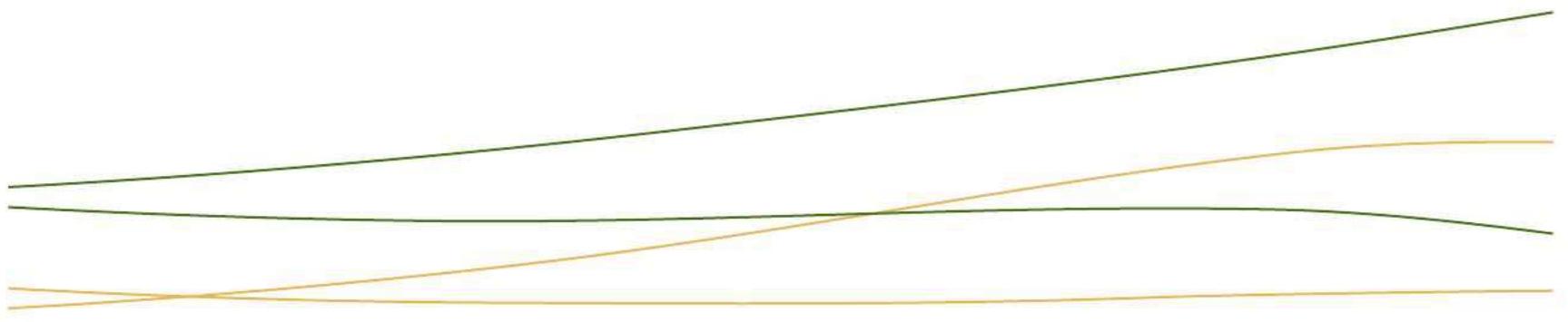
وأشكر الله عزّ وجلّ الذي أزمنني جانب التوفيق في هذا المضمار الطبي الجراحي المعقد، فمنه كنت استمدّ عزّتي، وبعونه أشحد إرادتي وهمّتي، وما هممتُ بإجراء عملية إلا وقصدتُه في بيته المحرم في رحابه الطاهر مكة المكرمة، أجاً إليه ضارعاً مُخبّتاً متوسلاً، وأدعوه دعاء المنكسر أن يُسدّد خطاي ويكتب النجاة والصحة والسعادة للتوازن سلوة وراحة لقلوب آباءهم وأمهاتهم وذويهم حتى يتمتع فلذات أكبادهم وحبّات قلوبهم بحياة طبيعية مثل أترابهم وأقرانهم.. حياة خالية من المنغصات والإعاقات، وبعيدة عن فضول الناس وتدخلاتهم.

عبدالله بن عبد العزيز الريبيعة



الفصل الأول

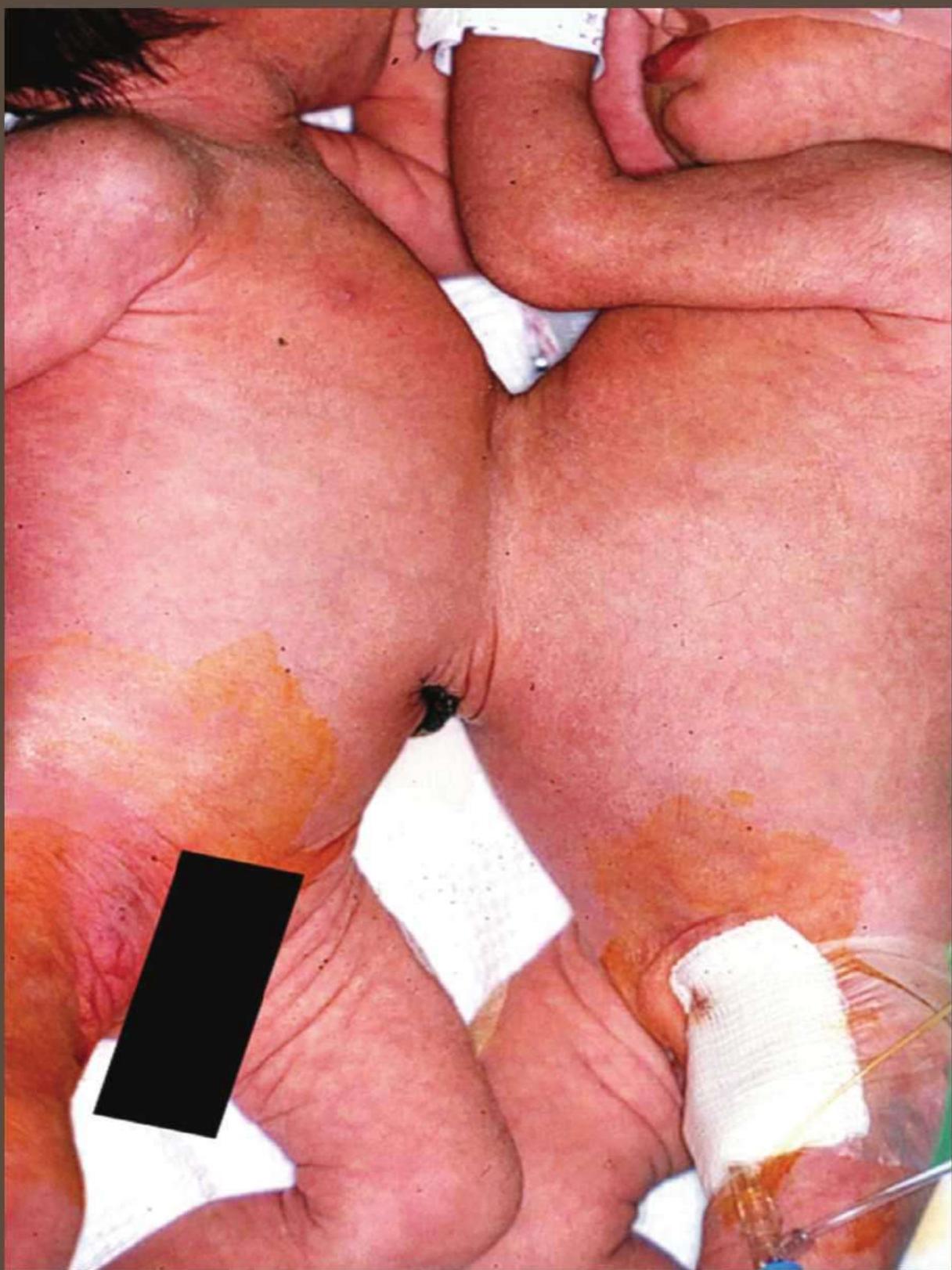
التوائم التي فُصلت





أول بنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ / ديسمبر ١٩٩٠م



أول لبنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ - ديسمبر ١٩٩٠م

باستثناء الأطفال والصغار، كان جميع أفراد أسرتي وأهلي وأقربائي مشدودين معي لتحقيق النجاح في أول تجربة لفصل توأم سيامي بالملكة والوطن العربي، وهو توأم سعودي إثاث. لم أكن مهموماً بالعملية في ذاتها؛ لأن الحالة لم تكن معقدة كما أوضحت لي قراءتي لفحوصات والتحاليل؛ بل كنت واثقاً من قدرة الفريق الطبي على إثبات ذاتيه بوضع أول لبنة في أساسات الخبرة السعودية في هذا المجال الجديد، وكانت زوجتي هدى تتمت بالدعاء عقب صلواتها وترفع أكف الضراوة بأن يكتب الله لي التوفيق في هذا المشوار.. أسفر صبح ذلك اليوم على درجة حرارة خفيفة تبع الإشراق في النفس، فخرجت إلى المسجد ملياناً نداء الله نشيطاً متوجّلاً، ثم أشرقت شمسه لتغمر الكون بضيائهما وأشعتها المتكسرة، وتهبُّ الإشراق لكل المبكرين إلى أعمالهم، ولكل العازمين على أن يهبو - بتوفيق الله - الحياة لرضاهما، ويرسموا الابتسamas على وجوه أسرهم، وأقصد الزملاء الأطباء والجراحين العاملين في مختلف المستشفيات والمراكز.

غادرت المنزل بهمة عالية وإرادة صادقة مصمّماً على كتابة أول سطر في أول صفحة من سفر طبيٍّ وعلميٍّ سعوديٍّ، مستمدًا عزيتي من ثقتي في الله جلَّ وعلا أولاً، ثم من حرص قيادة الوطن ومساندتها ومشاعرها الإنسانية العميقه ثانياً، ومستنفراً همتّي وطاقتني من تشجيع الأسرة والزملاء وجموع المصلين عمّار المسجد الذي نؤدي فيه جميع صلواتنا. تزامنت العملية مع آخر شهر من عام ١٩٩٠م الموافق لمنتصف عام ١٤١١هـ، فكان ذلك دافعاً لأنْسجَل للوطن فتحاً في آفاق جديدة مع بداية عقد جديد نُودع فيه القرن العشرين الميلادي ونستقبل الحادي والعشرين بإلهاماته العلمية والطبية والمعلوماتية المتقدمة والخارقة لحسب المستحيل ..

دخلت مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض وأنا منشرح الصدر متيسماً، وكانت هذه النفسية المرتاحة كفيلة بأن تضفي على كل فرد من أفراد الفريق الطبي نوعاً من الانبساط الذي أزال عنهم هاجس الترقب والتخوف، وزوّدهم بوقود كاف من الثقة، وأشعل فتيلة الأمل في دواخلهم لإنجاح أولى تجاربهم في هذا المضمار. جلس أفراد الفريق حول مائدة التداول لمراجعة المعلومات المتعلقة بالفحوصات وحالة التوأم، ودرجة الاستعداد لإجراء العملية ونسبة نجاحها، تركت الفرصة للزملاء في البداية مستمعاً بعناية للتخليلات والأراء، ومحاولاً استنباط مشاعر القلق والتخوف التي قد تعكسها قسمات وجوههم وطريقة كلامهم، وبعد الاطلاع على تفاصيل الحالة اتفقنا جميعاً على أنها - لحسن - الحظ عادية وبسيطة أو خارج نطاق التعقيد والصعوبة؛ إذ اقتصر اشتراك التوأم السيامي على الجلد وجزء صغير من الكبد، ولذا اتخذنا قراراً بإجراء عملية الفصل في الأسبوع الثاني من العمر.. نهضت فنهض الجميع معي متوجهين صوب باب غرفة العمليات، وقبل أن ننقل خطواتنا داخلها التفت إليهم وقلت: باسم الله، توكلنا على الله، اللهم كن معنا، وامنح الحياة للطفلين.



أثناء العملية

توجس يصاحب البداية

غرفة العمليات جاهزة تماماً من كل النواحي، أفراد الفريق خلية نحل، وإن كانت هناك علامات توجُّس تبدو على بعض الوجه، أرجعت ذلك إلى المشاعر التي تصاحب الأطباء عادة عند مواجهة أول تجربة جراحية يخوضونها، لاسيما وأن عملية فصل توأم سيامي تعد تجربة جديدة عليهم، تحدثت إليهم مؤكداً على مهنيتهم العالية وقدرتهم على النجاح، ومستحثاً على تحقيق التفوق، - كانت المسألة رغم ثقتي الكاملة وغير المحدودة في الطاقم الطبي - أشبه بتمارين الإحماء قبل ممارسة أي نشاط رياضي . بدأت العملية في صباح يوم الخميس ٢٥ جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٩٠م وأخذ كل مختص موقعه، وما أن أكمل فريق التخدير مهمته حتى بدأت المشارط والمقصات تعمل في موقع الالتصاق وكأنها في لغة وانسجام مع الجسدتين الصغيرتين، وظلت تتحرك بحذر وانتباه حسب خارطة المعلومات التي أمدتنا بها نتائج الفحوصات والتحليلات، حاولت أثناء العملية موافقة النفوس المتوجسة والمشفقة حتى ينساب عملها بالسهولة والسلامة المطلوبة، وإن كنت أعلم أن والدي الطفلين في الخارج قد يرون في ذلك مداعنة لتشتيت التركيز وإمكانية حدوث خطأ قد يفقد بنتيهما حياتهما.. لم تستمر العملية أكثر من ثلاث ساعات أكملنا فيها عملية الفصل بنجاح حقيقي، تنهَّد الجميع من الأعماق علامه على الارتياح واكمال المهمة على أحسن وجه بعنابة الله سبحانه، وصافت جدران المستشفى وأبوابها، وتجاوب معها الجمهور في كل مكان إيداعاً بارتياح آفاق جديدة في عالم الطب السعودي، وبذا واضحاً من تحركات والدة الطفلين بين مراقبتها أنها أكثر الناس سعادة بنجاح العملية، وتهلل أسرير والدهما وانطلق لسانه يهمهم وكأنه عاجز عن التعبير عمما يجيش به قلبه في تلك اللحظة من مشاعر فياضة، ولم يلمس إلا أن يرفع راحتيه بالدعاء لله جل وعلا، ثم بالشكر للفريق الطبي دون أن ينطق بكلمة واحدة ودموع الفرح تنساب على خديه لتبلل الجزء الأعلى من ثوبه، إنها فعلاً لحظات تعيش فيها الأحاسيس، مما أصدق مشاعر الأب وأحناها وأعذبها على فلذة كبد وقطعة إنسان صغرى لا تعرف أي معنى للألم، ولا تدرك سبباً لتقاربها الجسدي الذي بلغ حد الالتصاق.

بالطبع لا يملك جميعاً قدرة على قراءة المستقبل، فهذه قدرة إلهية تتتجاوز عقولنا وعلومنا، وابتهلنا إلى الله جل وعلا بعد العملية مباشرة أن يهدِّي في عمر الأخرين لعيشها حياة حافلة بالعلم والمعرفة، ولتصبحا من الرموز التي ترك بصماتها في الحياة، ورجونا أن تكون مسيرتهم زاخرة بالفعل الطيب والعطاء والإيجاز تماماً كما يحدثنا التاريخ عن بعض التوائم السيامية التي كان لها دور كبير في التاريخ البشري .

اختزال زمن الجراحة

كانت تجربة فصل التوأم السيامي السعودي الأول عظيمة وفريدة ومحفوفة بمشاعر إنسانية عميقه ومتداعية، وظلت حواس جميع العاملين في القطاع الصحي مشدودة إلى غرفة العمليات، بينما يكاد قلباً الآباء يخرجان من مكانهما، ونبضاتهما تعلو وتتسارع كأنها تستحثنا على الإسراع ، وتنستطفنا الرفق بالجسدين الرقيقين الشفيفين كجناحي فراش ، وجميناً أعضاء الفريق

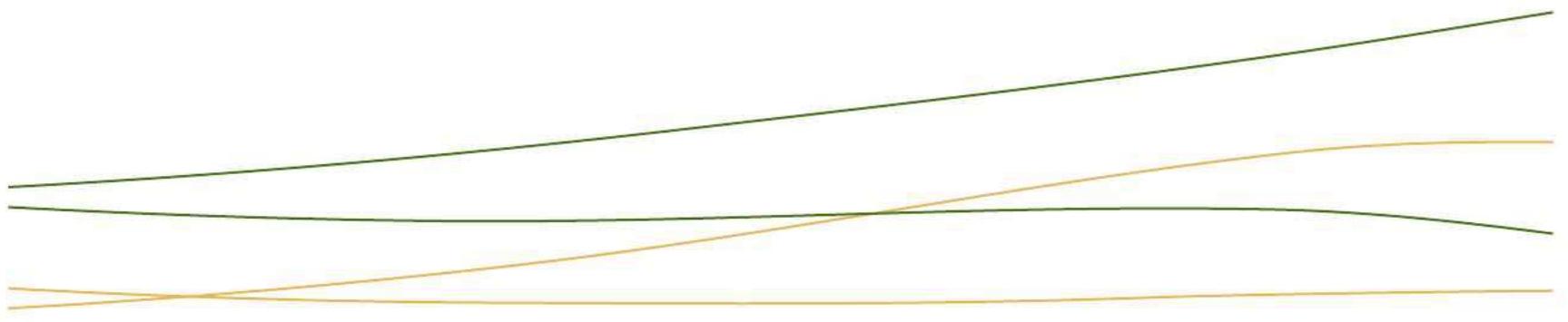


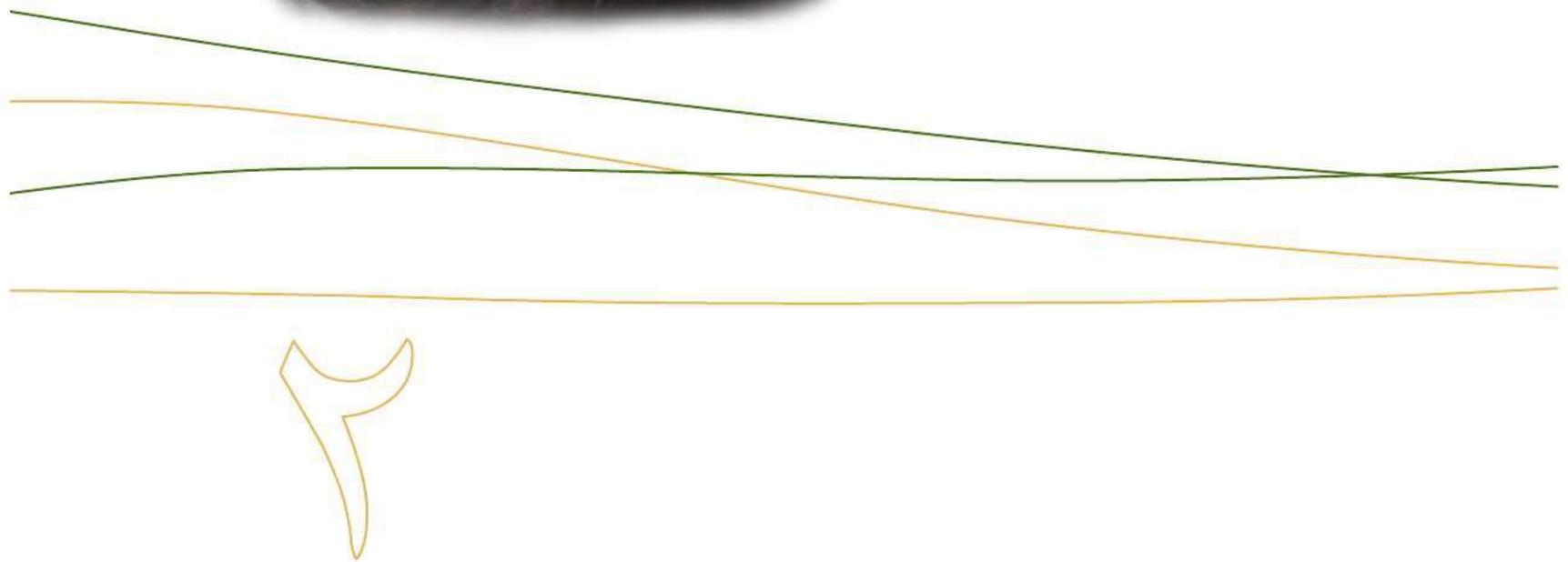
التوأم بعد الفصل

الطبي كان يستشعر هذه المراقبة والترقب لإنقاذ الطفلين وإيداع أول نجاح في سجلات إنجازات الوطن التي ستكتب بأحرف من نور، ولذلك اختزلنا زمان الجراحة في ثلاث ساعات وكأننا نستعجل إضافة هذا الإنجاز إلى تاريخنا العربي والإسلامي المجيد الذي أهدي للإنسانية اكتشافات طيبة مؤثرة.. انتهت العملية ونقلت الطفلان إلى غرفة العناية المركزية يتبعهما الأطباء المكلفو بالرعاية، هنا بعضاً بعضاً، وعند الباب كان الأب يسابق الجميع ليصافحنا مطمئناً على سلامته وصحة الصغيرتين.

وفي تلك اللحظة التفت أحد أعضاء الفريق وتساءل: أين وسائل إعلامنا المحلية والعربية من هذا الإنجاز؟! استغربنا السؤال في البداية؛ فاللحظات كانت مشحونة بوجاذنيات ومشاعر متداخلة تراجعت معها فرس التفكير المتزن؛ ولكن بعد هنفيه اتضحت لنار جاحة السؤال ومناسبة توقيته.. فعند باب الخروج من غرفة كانت مسرحاً لعمليات دقيقة وفريدة مثل هذه؛ عادة ما يصطف الصحفيون والإعلاميون الباحثون عن السبق الصحفي، المدركون لأبعاد الفعل الإنسانية والأهمية وطنياً وإقليمياً ودولياً. مد أحدهم لسانه وفتح راحتي يديه وقال متاثراً ومستهجنًا إحجام الإعلام عن هذا الحدث المهم: من المؤسف أن يتخلّف إعلامنا العربي عن تجربة غير مسبوقة كهذه، لو كان الأمر عرضاً غنائياً أو كروياً لتسابقت الفضائيات والصحف وتدافعت عليه بأجهزة تسجيلها وعدسات كاميراتها وميكروفوناتها!! قال أحدهم ساخراً: ربما لا علم للإعلام بالعملية وموعدها، وهذا حال (الإعلام الجالس) الذي تأتيه المعلومة في مكانه دون أن يسعى إليها.. غالباً يعلمون ويدركون أهمية هذه الخبرة للوطن ويكونون معنا بإذن الله.

في غرفة العناية المركزية أقبل الأب على ابنته وانكب عليها يقبلهما مقاوماً أوامر المنع من قادر التمريض والمتابعة، ولكن عاطفة الأبوة كانت أقوى من الاستجابة مثل هذا الأمر... والحمد لله الذي استجاب لدعاء الجميع، فالبنتان ما زالتا تتمتعان الآن بصحة جيدة وقد بلغتا من العمر ١٨ عاماً.





أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ / فبراير ١٩٩٢م



أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ - فبراير ١٩٩٢م

ما أذب التعامل مع الأطفال، وما أجمل الحركة في بيئه يشكلونها بابتساماتهم الصافية، أو حتى بشقاوتهم وأذينهم وصراخهم، أو بنشاطهم الذي لا يفتر وإن كانوا على أسرّة المرض. كنت أعمل بقسم جراحة الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، هذا القسم المتخصص الذي يقتصر تعامله على المواليد والرُّضع ومراحل الطفولة الأخرى حتى سن الرابعة عشر، قسم اكتسب فريقه الطبي عبر التدريب والمارسة قدرة على التعامل السلس والمرن مع هذه الفئات العمرية. واعتنى فيه على استقبال حالات صعبة ومعقدة تحول إلينا من كافة أنحاء المملكة والدول المجاورة. ولا شك أن التعامل مع الأطفال له جوانب تختلف كثيراً عن غيرها لدى البالغين؛ فالوجوه يضارء نقيتها، مكسوة بالبراءة والعقوبة والبساطة، والألسنة لا تنطق إلا صدقًا، والأمانة سلوك فطري، وصفاء السريرة هو الملمح المميز، ولذا فإن شكوكاً عادة ما تكون تابعة من القلب وتعبيرًا عن معاناة حقيقة، فالילדים لا يعرفون الكذب، ولا يراوغون ولا يبالغون في وصف ما يحسون به. وبسبب يفاعتهم وأجسادهم اللينة تكون قابلتهم للمرض سريعة، ولكن في الوقت نفسه فإن استعدادهم الفطري للشفاء بإذن الله يختزل كثيراً من فترات علاجهم إذا ما أحضروا بالعناية الالزمة.

في غرف القسم وأروقتها كان تعاملنا مع الأطفال يتسم دائمًا بالحب والحنان والملاطفة، نعاملهم باعتبارهم جزءاً منا، تماماً مثل فلذات أكبادنا، وبدأ تواسلنا معهم في السابعة صباحاً ويمتد حتى منتصف الليل وقد يتجاوز ذلك أحياناً إلى الساعات الأولى من الصباح تبعاً لمتطلبات العمل المشحونة بالمفاجآت وعناصر التحدي، ولا عجب إذن أن تسود تحت مظلة هذا النوع من التعامل الإنساني روح الأسرة بين الأطفال وأقاربهم ومعالجيهم، وذلك لإدراكنا أن الطفل يجب أن يحس بالألفة، وأن يُحاط بعطف التعامل الأبوي، ويطوق بمشاعر الحنان مع إشاعة جو المرح والمداعبة المستمرة.. فهذه الروح تدفعه إلى قبول العلاج دون رفض أو تمنع أو صراغ.

في جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ديسمبر من عام ١٩٩١م وردت إلى إدارة المستشفى تقارير طبية تخص طفلتين بريئتين من جمهورية السودان الشقيقة هما سماح وهبة، وانتهت هذه التقارير إلى مكتبي، شرعت في قراءتها عدة مرات بتأنٍ وإتقان، ودرستها بعناية دراسة وافية، كما استعرضت وطالعت بامتعان وتركيز الصور المراقبة، فاتضح لي وجود اتصال كبير بين الطفلتين. حالة نادرة وغريبة لم نتعامل مع مثلها من قبل في المملكة العربية السعودية، دفعني هذا إلى قراءة ومراجعة الأبحاث والخبرات العالمية في هذا المجال باستفاضة، وبعد عدة أيام من الدراسة المتواصلة ارتفعت مشاعري الإنسانية إلى ذروتها، وانبثت في داخلي نداء بضرورة محاولة مساعدة هذا التوأم مهما كانت صعوبة الحالة، أيقنتُ صواب قراري برغم ما انتابني حينها من قلق وخوف حين تصورت ما يمكن أن يواجه التوأم من مشكلات، ولذا كان ردّي لإدارة المستشفى بضرورة حضور التوأم ودراسة حالته عن كثب كي يتسعى لنا معرفة مدى إمكانية مساعدته.



سماح وهبة عند وصولهما

التصاق معقد

هاتان الطفلتان ولدتا بعملية قيصرية في أحد مستشفيات السودان، وفوجئ فريق الولادة بتوازن ملتصق التصاقاً معقداً فحاروا وعقدت الدهشةُ ألسنتهم في تلك اللحظة، بينما تعرّض الأبوان لصدمة كبيرة وقلق شديد؛ صدمة المشكلة وصدمة القلق من عواقب الالتصاق. تغلب عمر والد التوأم على آثار الصدمة وزال عنه الشعور بالقلق، فهذا وبداً يفكّر ويبحث عن حلٍّ في مستشفيات بلده دون جدوى؛ فالخبرة في هذا المجال غير متوافرة، والمستشفيات تفتقر إلى الأجهزة والمعدات الازمة التي تمكّناها من التعامل مع مثل هذه الحالات الصعبة، لم يأس ولم يجلس حزيناً مستسلماً؛ بل شحذ همته وتحرّك في عدة اتجاهات، اتصل ببعض الدول العربية المجاورة ولكن خاب أمله وحار في أمره، ثم أشرق في داخله شعاع من الأمل بأنّ أوروبا ربما تكون هي الملاذ. رمي بصره إلى المستشفيات الشهيرة ذات التقنية الرفيعة والتکاليف العالية في ألمانيا وبريطانيا، حاول الاتصال بها عبر جمعيات خيرية عديدة؛ ولكنه لم يوفق إلى حلٍّ. وقبل أن يتبلّسه شعور بالإحباط؛ شاء الله أن يعود الأمل إلى قلبه حين هبَّ بعض أقربائه في المملكة العربية السعودية إلى مساعدته عن طريق الاتصال بمعالي الدكتور محمد عبده يمانى الذي أطّلع على التقارير ووعد برفعها إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله. وبالفعل وجه طيب الله ثراه بإحضار التوأم من السودان إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي. اكتملت دائرة الأمل في قلب عمر وزوجته حين علموا بهذا التوجيه الكريم.

بعد أسبوع قليل استقبلنا التوأم برفقة والديه في جناح جراحة الأطفال (أ2) بالدور الثاني من المستشفى واخترت له غرفة مجاورة لكونه التمريض لمساعدتهم في سرعة الوصول إلى التوأم الذي بلغ عمره في ذلك الوقت ١٥ شهراً.. وشرعوا على الفور في إجراء فحوصات كاملة و شاملة، وطلبت بعض الفحوصات الأساسية، ثم جلستُ مع والدي الطفلين لسماع القصة منها والتعرف على طبيعة تعاملهما معهما. أخبراني بكل صراحة وشفافية أنهم يعانيان مشكلة كبيرة في التعامل مع توأم ملتصق بالجسد، ويجدان صعوبة في حمله خاصة بعد أن وصل عمره إلى ١٤ شهراً وازداد وزنه، وهذا عدا فضول أبناء المجتمع وأسئلتهم الكثيرة وتدخلهم في شؤون الأسرة؛ مما جعلها تلزم البيت اتقاءً لهذا الفضول. وبعد الإمام بتفاصيل القصة أكدت لهم أن التوأم سيحظى بعناية كاملة من الفريق الطبي مع المحافظة على خصوصيته وسرية، ولذلك منعنا زيارته حفاظاً على مشاعرهم. ثم أطلعهما على خطواتنا القادمة التي ستقتربن بشفافية كاملة في التعامل بيننا وبينهم ..

حالة فريدة

بدأت بتشكيل أول فريق طبي وجراحي للتعامل مع التوأم ضم الزملاء في التخصصات المختلفة، والتقيّتُ بهم جميعاً في غرفة الاجتماعات بالجناح (أ2) وشرح لهم وضع التوأم، مع عرض بعض الصور وما توصلتُ إليه من اطلاعي على الخبرات العالمية، وزوّدتُ عليهم بعض الأبحاث، ثم تناقشتُنا وقررنا إجراء الفحوصات الأساسية، وأخرى بالأشعة العادية والأشعة الملونة للجهاز الهضمي وأشعة صوتية للقلب ومقطعيّة ومتناطيسية وغيرها من الأشعات والفحوصات الدقيقة. ثم طرح بعض الزملاء تساؤلاً حول إمكانية التضحية بتوازن على حساب الآخر؟ مُعللاً وجهة نظره بأن إحداهما ذات جسد هزيل وتبدو ضعيفة



سماح وهبة أثناء العملية



سماح وهبة مرحلة التعقيم

مقارنة بأختها، بجانب وجود فراغ كبير في الجسد تصعب تغطيته!! غير أن هذا التساؤل المقبول من الناحية الطبية قد لا يوجد له مخرجاً فقهياً أو شرعاً يجيزه. أخضتنا الموضوع لمناقشات مستفيضة في المجتمعات مطلة شابتها بعض الاختلافات بيننا، وكانت نبرة النقاش ترتفع أحياناً وتحتد بين موافق ينطلق من وجهة نظر طيبة محضة، وعارض يُقدم الرأي الفقهي على الطبي، غير أن الغالبية كانت تعارض ذلك، وفي النهاية اقتربت عليهم الاستنساب بالرأي الشرعي والاتصال بسمامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فربما يزورنا بحكم شرعى قاطع يكون فاصلاً في هذا الشأن. واتفق الجميع على تكليفي بهذه المهمة.. وعقب الاجتماع طلبنا الفحوصات التي اتفق عليها الزملاء. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم كانت فريدة من نوعها، حَرَّكت في دواخلنا - كفريق طبي - نوازع إنسانية، وطرحت أمامنا تساؤلات واستفهامات طبية كان لا بد من الحصول على إجابات حاسمة عليها، ووضعتنا أمام تلك الملابسات الفقهية التي لمَنَا بحثها. ولأول مرة تحول مائدة طبية بحثة إلى قاعة مناقشات تسعى إلى استطلاع الرأي الفقهي والشرعي، وتحاول استدعاء الْبُعْدُ الْأَخْلَاقِيُّ الإنساني الذي لا يفصّم عرى الارتباط والتداخل بين مهنية الجراح وإنسانيته، كان الحوار متاعداً وشائقاً بالفعل؛ وإن تصور بعض الناس أن ثقافة الجراحين لا تتعدي دقة التشخيص وحركة الأنامل والمشارت والمقصات.. لقد استطاع الأطباء فعلاً ربط المهنة بالفقه، والاحتکام فيما يتعلق بمتطلباتها وضروراتها إلى الشّرع، وحين يُقرّر الفقة أو يُصدر الشرع حكمه؛ يتوقف المشرط ويتحول المقص آلة حروناً.

حوار مع الشيخ ابن باز

في اليوم التالي اتصلت عبر الهاتف بالشيخ ابن باز رحمه الله، ومن المعلوم أن هاتف سماحته مشغول طوال الوقت، يتلقى اتصالات من كافة أنحاء المملكة العربية السعودية وخارجها. وبعد عدة محاولات سُنحت لي فرصة الحديث إليه، وكان وهو يحدّثني لطيفاً سمحاً، ولما عرفه بي مني؛ حيّاني أطيب تحيّة ورحب بي ترحبياً حاراً ينمُ عن أريحيته المعهودة ودار بيننا حوار ممتاز شرحت له خلاله المشكلة التي نحن بصددها، وعرفته بأبعادها، وكانت هذه أول حالة يسمع بها وتقللت استفسارات فضيلته والاجابات عليها فيما يلى:

• ما هي التوائم السيامية؟

- إنها ظاهرة خلقيّة طبيعية نادرة الحدوث، وهي ناتجة عن بويضة ومشيمة واحدة، ويولد التوأم قبل اكتمال انفصاله، فيخرج الطفلان ملتصقين ومتشاربين ومتطابقين، ويطلق على الظاهرة مسمى (التوائم السيامية) نسبة لسيام الاسم القديم لتايلاند، وهناك أنواع عديدة للالتصاق، فإما أن يكون في منطقة واحدة أو أكثر من الجسد أو الرأس.

• وما رأي الفريق الطبي في الحالة الماثلة أمامه الآن؟ وما هو الراوح عند غالبيتهم؟

- معظمهم لا يرون التضحية بتوأم على حساب الآخر طالما توافر أعضاء الحياة لدى كل منهما.
أظهرت هذه الأسئلة حرصاً من سماحته على الإمام بتفاصيل الظاهرة والرأي العلمي حولها وامكانية جراحتها وغير ذلك من المعلومات التي تُمكّنه من بناء حكم فقهي سليم.



هبة بعد العملية مباشرة



سماح وهبة أثناء العملية

وبعد أن ألم بكل التفاصيل شأنه شأن العلماء الذين يؤثرون الاستماع أكثر من الحديث طلب مني الاتصال بعد يومين ليجد متسعًا من الوقت لدراسة الحالة ومشاورة أهل الفقه، وبالطبع فإن الآناء والدرة والترى ومناقشة الفقهاء من أهم سمات العلماء، وهذا ما زاد من إعجابي بسماحته رحمة الله.

وبعد يومين اتصلت به؛ فأكذب لي بثقة العالم الفقيه أن الرأي الشرعي يتفق مع الرأي العلمي بضرورة المحافظة على حياة الإنسان وعدم التضحية ب طفل على حساب الآخر، واتفاق رأي أهل الفقه مع رأي العلماء من أهل الطب يؤكد لا تعارض بين الدين الإسلامي والعلم؛ بل على العكس فإن الفقه يؤيد العلم، وهناك تواصُلٌ بين العلم والشرع .. أعتبرت لسماحته عن شكري وأمتناني، فشكريني بدوره وهو يدعو للفريق الطبي بالتوافق والتتواءم بالصحة والسلامة. وضعفت سماعة الهاتف وخرجت بعد هذه المحادثة بانطباط عن أهمية التزام الفتوى بأسلوب المعاصرة، وأقصد رجوع الفقهاء إلى المختصين في مختلف فروع العلم والمعرفة حتى يخرج الحكم سليمًا غير متعارض مع العلم أو الفقه، ومراعيًّا لواقع العلم ومستجداته.. دعوت الزملاء لاجتماع عاجل وأطلعتهم على الرأي الشرعي ورأي الفقه كما أفاد به سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله، فاتفق الجميع على عدم التضحية بتتواءم على حساب الآخر، وعلى ألا يكون الطبيب أو الجراح أدلة للقتل؛ بل وسيلة للإبقاء على حياة الإنسان وكرامته بإذن الله.

دراسة الحال

وبعد اكتمال الفحوصات عقدنا لقاءً آخر بمشاركة الزملاء من قسم الأشعة، وراجعنا ودرسنا بعنابة طوال ساعتين الوضع السريري للتتواءم والصور والفحوصات المخبرية وصور الأشعة، واتضح لنا وجود اتصال كبير بين التتواءم يشمل الصدر والبطن والحوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحد لكل منها وثالث مشترك ومشوه ولا يفيده أيًّا من التوأمين. كما تبين وجود اشتراك في الأعضاء الداخلية: الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والجهازين البولي والتنتالي السفليين. وبعد استعراض هذه الفحوصات ثار بینتنا تساؤل آخر حول إمكانية الاستفادة من الطرف الثالث لأيًّ منهما؟ فأشرت على الزملاء بوجوب اعتماد قرارنا على دراسة متأنية ومتعمقة مصحوبة بمراجعة الأبحاث التي تناولت حالات شبيهة أو مماثلة، ثم معرفة ما اكتسبه المختصون من خبرة في هذا المجال على مستوى العالم، وفي ضوء هذه الدراسة والاطلاع على تجارب الآخرين؛ اتفقنا على الاستفادة من الطرف الثالث المشوه في تغطية الفراغ بالجلد بعد الفصل، وثبت لنا أن إمكانية الفصل واردة مع المحافظة بإذن الله على حياة البتين. استغرقت دراسة الحالة وقتًا ليس بالقصير، وحدَّدنا أسبوعين للاجتماع التالي لتكميل خاللهما مراجعة الأبحاث والخبرة العالمية كي يتتسنى لنا اتخاذ القرار النهائي، وفي هذا الاجتماع ناقشنا كل تفاصيل الحالة من جديد، واستعرضنا الأبحاث العلمية العالمية، ووضعتنا تصوًراً نهائياً لعملية الفصل التي حدَّدنا لها يوم السبت ٤ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٨ / فبراير / ١٩٩٢م، على أن تسبقها ثلاثة أيام عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ٥ فبراير ١٩٩٢م. وطلبتُ وضع خطة لشخص كل فريق تتضمن متطلباته من أجهزة ومعدات، وبعد أسبوعين التقينا لمراجعة هذه الخطة، ثم جمعتُ كل تلك التفاصيل في خطة واحدة كاملة للعملية الجراحية.. وكانت حريصاً على الالتقاء بوالدي التتواءم عقب كل اجتماع لأشرح لهما



فرحة الخروج من المستشفى



صورة الفريق الطبي

تفاصيل ما ناقشناه ولعرض ما توصلنا إليه من فحوصات، وإطلاعهما على رأي الفريق الطبي والمضاعفات والصعوبات التي ستواجه التوأم، وأوضحت لهما في النهاية أن إمكانية الفصل واردة، غير أن نسبة خطورتها على التوأم تبلغ ٤٠٪ وربما تصل إلى الوفاة أو الإعاقة، وبعد التشاور معهما وافقا على إجراء العملية وكانت لديهما ثقة عالية في الفريق الطبي وفي نجاح العملية. وفي اليوم المحدد للعملية حضر كافة أعضاء الفريق الجراحي، وأطلعتهم على الخطة الجراحية الكاملة التي وضعها لتنفيذ على عشر مراحل، وبناءً عليها توقيناً أن تستغرق مدة العملية عشرين ساعة كاملة. درسنا الخطة وأحضرنا التوأم وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات وجاهزية الفريق الجراحي، وحدّدنا أماكن الجراح. روجعت الخطة عدة مرات بحضور والد التوأم، شرحنا له التفاصيل بدقة، وفي النهاية دعّت الزملاء بابتسامة وطلبت منهم الخلوود إلى الراحة والابتعاد عن السهر ومبسببات الإزعاج ليلة العملية، واتفقنا على الاجتماع في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بغرفة العمليات.

بداية تحدي حقيقي

سماح وهبة شكلتا بداية التحدي الحقيقي للطب الجراحي السعودي لتجاوز تعقيدات الالتصاق، فالخبرة ما زالت في بداياتها كطفل لم يكمل عامه الأول ويحاول التفوق على نفسه ليقف على قدميه، بل ليمشي وينطلق خارج المساحة المحدودة التي يحبون داخليها.. التوأم قادم من خارج المملكة، من دولة عربية إفريقية شقيقة، إذن خبرتنا الآن تحت المجهر عربياً وإفريقياً، وهذا يعني قدرًا من التسامي والتجرد عن أي توجُّس أو إحساس باحتمالات الإخفاق أو الفشل، سمعة الجراحة السعودية على المحك عبر تجربتها الثانية بعد فصل التوأم السعودي الأول قبل ذلك بعام ونصف.. قيلنا المهمة رغم صعوبتها ودرجة المخاطرة الكبيرة فيها، ولكن الدوافع الوطنية وتطور الإمكانيات والتجهيزات الطبية في بلادنا، وما تتمتع به كواطننا من مهنية عالية ومشاعر إنسانية دافقة؛ كانت كلها كفيلة بأن تُحفِّزنا مجتمعة، وتُضاعف إصرارنا على تثبيت خطانا في هذا المجال العلمي الإنساني، وقبل كل ذلك كانت الاستعنة بالله ملائنا ووقونا، ومصباح الضياء في رحلة لقه الصعاب وهزيمة التحديات.. لا مساومة في قدرتنا على إثبات ذاتيتنا وإضافة خبرة جديدة إلى سمعة الطب في بلادنا، هذه السمعة المجيدة التي بُنيت في فترة وجيزة لا تكاد تتعدى عقدين من الزمان، ورفعتنا إلى أعلى عتبات الريادة.

في ليلة العملية أخلص الجميع - والدي وزوجتي وابني وبنتي وأهلي - الدعاء إلى الله جل وعلا أن يوفقنا، كان الكل يفكر في هذه العملية ونتائجها، فشعرت وكأن جو العملية انتقل من المستشفى إلى المنزل، وأن هناك فريقاً طيباً آخر من الأهل يتبع هذه العملية.. تناولتُ عشاءً خفيفاً وحاولت الخلوود إلى النوم، ولكن انتابني بعض الأرق، وشغلني التفكير في العملية وتفاصيلها قسطاً كبيراً من الليل، وإذاء ذلك لم أجد بدأً من تناول قرص دواء يساعدني على النوم، وبالفعل ثمت حتى وقت صلاة الفجر، ثم ذهبت إلى المسجد وصلت ركعتين سألتُ الله بعدهما أن يعيننا في هذه التجربة، رجعت إلى المنزل وأخذت إفطاراً خفيفاً، ثم دعّت أسرتي واتجهت إلى المستشفى، كان منزلني قريباً منه أو داخل رحابه، ولذلك انطلقتُ مشياً على الأقدام مع أنفاس الصباح بخطوات بطيئة متئدة متأنلاً لحظة شروق الشمس، وأربط إشرافها بإشراق الحياة في جسدي الصغيرتين إن



سماح وهبة مع التوأم المصري تاليا وتالين



سماح وهبة أثناء التمارين

شاء الله تعالى، أُوحى إلى الشروق بنجاح هذه العملية التي لم يفارقني التفكير فيها طوال الطريق، وربما لم أكن متخيلاً لمن قابلني أو حياني. وصلت إلى باب غرفة العمليات والتقيت بالزملاء وجلست لإجراء مراجعة نهائية للخطة الجراحية، ولوضع اللمسات الأخيرة على بداية مهمة صعبة للغاية.

وبعد أن تهيأنا لإجراء الجراحة استدعيتُ والد التوأم (عمر) بغرض إطلاعه على ملابساتها وصعوبتها ونسبة نجاحها.. اضطررت قليلاً، وتفصّد جيبيه عرقاً رغم انخفاض درجة الحرارة في الغرفة المكيفة، وبلغ منه التأثير مبلغه، وقال بنبرة حزن وعيناه تبرقان بالأمل، وجوارحه متذبذبة وكأنها في حالة من الضراعة والخشوع: امضوا على بركة الله، وما شاء جل وعلا سيكون، وتتابع: لقد تضاءل في نفوسنا الأمل ونحن ننتقل من مستشفى إلى آخر، وأرسلنا تقارير عن هذه الحالة إلى المملكة المتحدة وألمانيا.. ولكن حين جاءنا الرد سريعاً من المملكة العربية السعودية استبشرنا خيراً، وبسبقه مبشرات عن نجاح بدايتكم، والله سيكون معنا ومعكم، ونسأله جل وعلا لكم التوفيق والسداد. ثم خرج من الغرفة وخلي إلى أن السكينة تنزل على قلبه العامر بالإيمان. شدَّت كلماته عزّماتي، وزاد صبرُه من مقدار ثقتي في إمكانية نجاح العملية، وقلت في نفسي: سترعر غرسة أخرى في تربة جراحات التوائم السيامية ببلادنا بإذن الله.

تصفيق حاد

في غرفة العمليات شرع أطباء التخدير في مهمتهم التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة، أعقبها تعقيم التوأم وتغطيته ثم تحديد مكان الفصل، حملت المشرط وابتدرت العمل باسم الله في أول جرح بين الطفلتين بلغ طوله حوالي ٣٥ سم، ربما كانت هذه بداية حياة جديدة لهما بهذا المشرط، وبعدها بدأنا في فصل الأصلع السفلية وعظمة القص، لنكتشف بعد إكمالها اشتراكات داخلية في الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة، كانت الخطوة الأولى أو التحدي الأول هو فصل الكبد باستخدام أجهزة حديثة لمنع التزييف واستغرقت مدة زهاء الساعتين، ولحظة اكتماله علا تصفيق حاد من زملائي في غرفة العمليات باعتبار أنه يمثل أولى خطوات النجاح، وبعد ذلك بدأنا بفصل الأمعاء حيث كان هناك اشتراك كبير في الأمعاء الغليظة وكذلك في أوعية وشرايين أخرى صغيرة تتطلب متابعتها ومعرفة بداياتها ونهائياتها وقتاً طويلاً، وبعد تحديد ذلك تمكنا من فصل الأمعاء الدقيقة والغليظة في ساعتين ونصف الساعة، وشكل ذلك نجاحاً آخر والله الحمد، وبعد ذلك انتقلنا إلى فصل الجهاز السفلي للمثانة البولية بنجاح خلال ساعة ونصف الساعة، وتلا ذلك فصل الحوض من الأمام. ثم وجدنا أنفسنا أمام مرحلة حساسة ودقيقة تمثلت في قلب التوأم بجعل أعلى أسلنه وهي المرحلة التي يتطلب العمل فيها ضمان المحافظة على أجهزة وأنابيب التنفس الصناعي، وعلى تعقيم منطقة العمليات، ولكننا نجحنا في ذلك رغم قلقنا وخوفنا الشديد من المضاعفات. وبعد قلب التوأم أجزنا مرحلة فصل العضلات والجلد للطرف الثالث المشوه وإزالة العظم والاستفادة من الجلد والعضلات في تغطية الفراغ بعد الفصل، وكانت المرحلة الأخيرة هي فصل العضلات والأصلع من الخلف، ولم تبق إلا خمس سنتيمترات لفصل التوأم. كانت هذه المرحلة مشحونة بالمشاعر وبقدر كبير من التفاؤل، تجهز كل أعضاء الفريق الطبي في غرفة العمليات لتصوير هذه المرحلة بدقة، وبدأ



سماح وهبة مع الأسرة



سماح وهبة في الثانوية

العد التنازلي من العشرة إلى الصفر، ومع الرقم صفر اكتمل فصل جسد سماح عن هبة بتصنيف شديد وفرح عارم بعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة من الجراحة. ونُقلت الطفلتان إلى طاولتين متقابلتين، وتشكل من بيننا فريقان أحدهما للعمل على سماح والأخر على هبة، وخصصنا الساعات الأربع التالية لإعادة تأهيل الأعضاء الداخلية، وإعادة وضعها وزرعها في المكان المناسب، ثم قمنا بتغطية البطن والخوض بما توفر من جلد وعضلات، ونجحنا في ذلك بتوفيق الله عز وجل.

إنجاز وطني

ثماني عشر ساعة ونصف الساعة والفريق يواصل عمله بروح عالية وعزائم صادقة، فقط كانت هناك لحظات قصيرة لراحة بعض الزملاء بغية أداء الصلوات واسترداد النشاط. اكتملت كل مراحل العملية.. نجحت، بدأت ملامح التجهم والجدية تزول والأسارير تنفرج، والابتسamas تجد طريقها إلى الشفاء، توفيق من الله وإضافة إنجاز وطني جديد في بناء الخبرة السعودية. أكملنا تغطية مكان العملية بالشاشة العمق، ثم اصططفنا لانتقاط صورة جماعية بابتسamas صافية رغم التعب والإرهاق والجهد والقلق لأنها استمرت وتوقّت لهذا النجاح. وعند باب غرفة العمليات قابلني عمر والد التوأم واحتضنني بشدة وهو يقبلني ويشكر الفريق الطبي على هذا الجهد والنجاح، ورأيت أعين الوالدين تترقرقان بالدموع فرحاً وسعادة لبداية حياة جديدة لتوأمهم، نقلنا الطفلين إلى العناية المركزية التي أدى فريقها المخصص دوراً كبيراً في المحافظة بعد الله على حياتهما، مكثت الطفلتان قرابة الشهر في العناية المركزية، ثم رفعت الأجهزة عنهما وبدأت تغذيتهما ورفع الأوردة، أو القساطر الوريدية. وبعد استقرار حالتهما وعوده الأعضاء إلى وظائفها الطبيعية نقلتا إلى جناح الأطفال (٢٠)، إلى غرفتهما الأولى التي دخلتاها في البداية، ثم خضعتا لعملية التأهيل التي استغرقت حوالي الشهرين غادرتا في نهايتها المستشفى، وقرر الفريق الطبي وإدارة المستشفى إقامة حفل مصغر لوداعهما لأنهما أصبحتا جزءاً من الجنان، وكان وداعاً حاراً، ورأيت في وجوه كادر التمريض ابتسamas مختلفة بدموع الفراق لابنتين من بناتهن، ومع هذا النجاح عاشت سماح وهبة حياة غير معقدة، وقرر والدهما العيش في المملكة العربية السعودية بعد أن وافق خادم الحرمين الشريفين علىبقاء الأسرة حفاظاً على حياة الطفلتين وضمان سلامتهما وتأهيلهما، وبعد ستة أشهر أصبحتا لتركيب طرف صناعي لكل منهما، ومكثتا أيام اتصالاتي معهما كل ستة أشهر اطمئناناً على تقدم صحتيهما، وأصبحتا تسيران بطرف صناعي وأخر طبيعي دون عكازة، وكانت أتعامل معهما وكأنهما ابنتين من بناتي، وهم الآن تعيشان في مدينة المجمعة بمنطقة سدير، وتعاملان مع المجتمع بشكل طبيعي، ووصلتا عند إعداد مادة هذا الكتاب إلى الصف الثالث الثانوي، وحسب علمي فإنهما متميزتان في دراستهما ومتفائقتان بالالتحاق بالدراسة الجامعية إن شاء الله.

وهكذا كانت تجربتنا الثانية في جراحة التوائم السيمائية بملابساتها وتبعاتها وتداعياتها واقتران الرأي الطبي بالفقهي فيها، وربما كانت هذه أول مرة يتواافقان فيها بصورة كاملة، وكان هذا التحدي الذي تجاوزناه بنجاح مُرتكزاً لاقتحام هذا المجال الغريب، ومنطلقاً لمزيد من التجارب في التجارب اللاحقة التي أهلتنا لإثبات هوينا العلمية والجرافية.



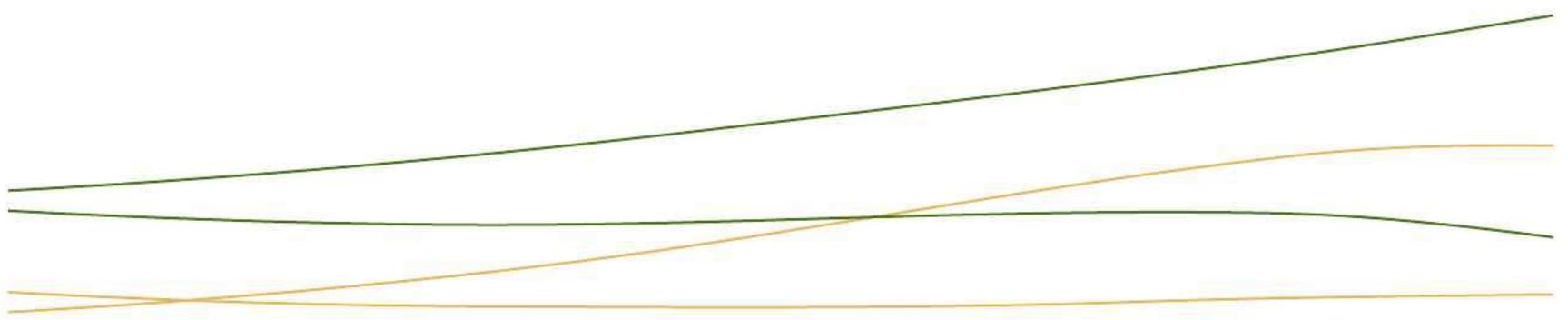
سماح و وهبة بعد إثنين عشر عاماً

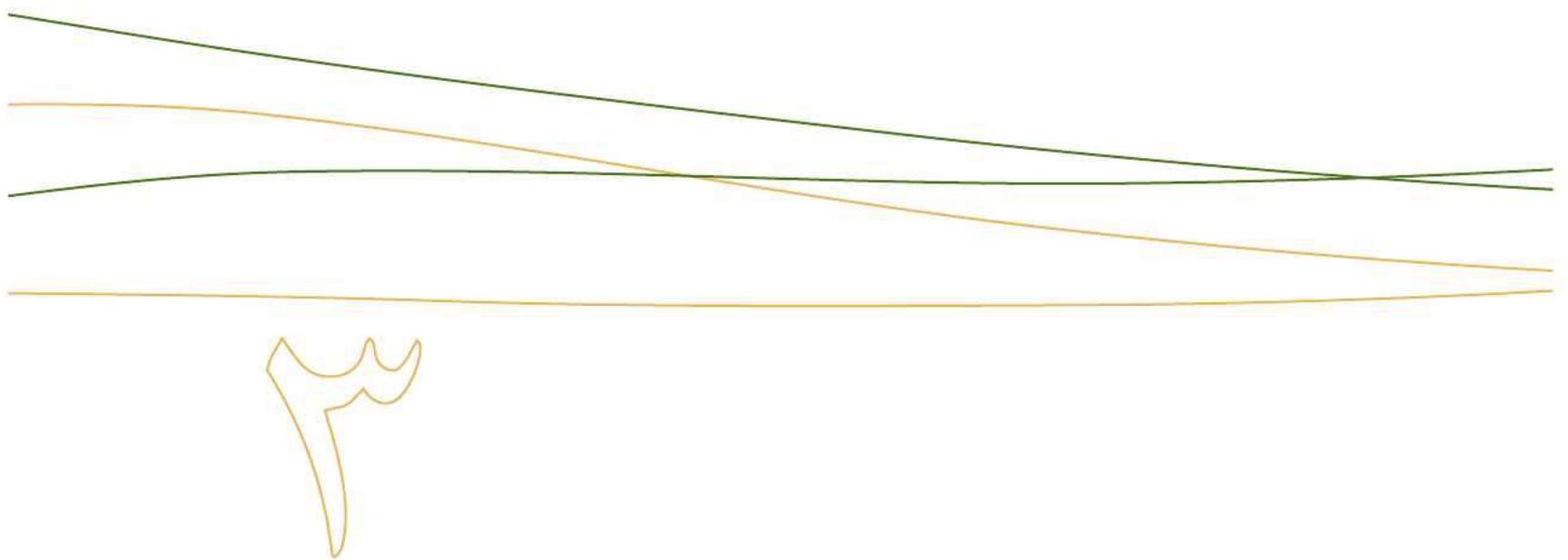
التراث التي فصلت

٣٦ | تجربتي مع التعلم السباعي



سماح وهبة بعد ستة عشر عاماً





توأم في بطني

م ١٩٩٤ / هـ ١٤١٤



توأم في بطني

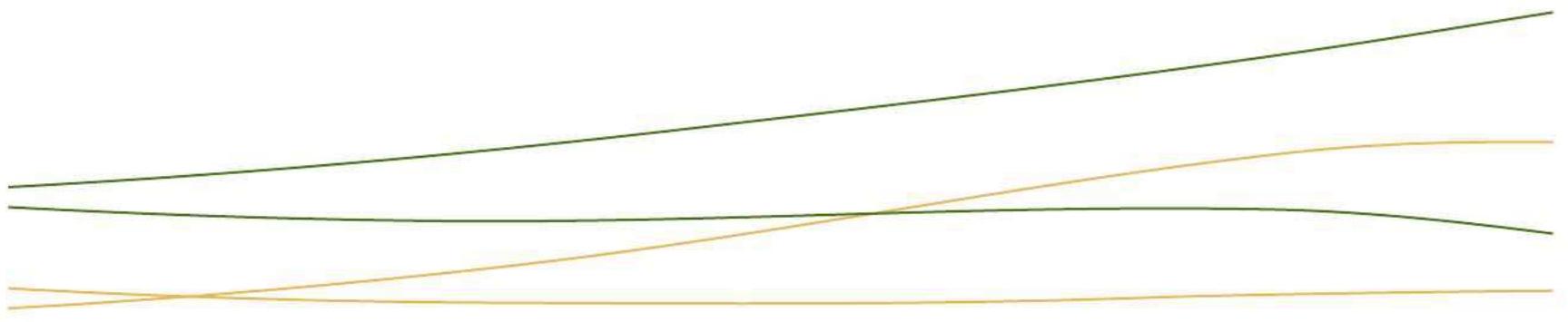
١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م

في تجربة حملها الثالث لم تحس تلك السيدة السعودية بشيء غريب أو خارج عن المألوف، فقد كان كل شيء يسير هيئاً دون مشكلات تذكر، عدا أن حجم بطنهما كان أكبر من المعتاد، ولم يكن ثمة ما يُقلق الأسرة ولا الأطباء الذين تولوا الإشراف على مراحل حملها ومتابعتها. وحين وصل الحمل إلى نهايته وبدأت تغشاها نوبات المخاض؛ لم يساورها قلق، ولم تُعرب عن أي شكوى سوى معاناتها من ألم شديد ظل ملازمًا لها حتى لحظة الولادة.

خرج الجنين إلى الوجود؛ ولكنه كان طفلاً مختلفاًً أدهش الأطباء، واستحوذت عليهم المفاجأة في حينها، وبعد برهة من الوقت؛ حملوه على عجل وهرعوا به لإسعافه وفحصه دون علم أنه التي شغلتها آلام الوضع عن رؤية ولیدها، وبعد أن خفت حدة الألم قليلاً انتبهت وبدأت تسأل عن المولود وجنسه وزنه وصحته؟ فأخبرتها القابلة بأنها وضعت طفلاً وهو بخير إن شاء الله.

استقررت حالة المولود وأتضح للأطباء أنه توأم طفيلي، أحدهما ذكر مكتمل الأعضاء والآخر غير مكتمل وملتصق بجدار البطن غير المكتمل أيضاً، وكان لا بدّ من إخبار الأم بحقيقة مولودها، ولماً عرفت ذلك؛ أصيبت بصدمة لأنها كانت تتوقع طفلاً سليماً معافى؛ إذ لم تُبيّن متابعتها العادية أثناء الحمل أو تكشف شيئاً غريباً.. فما كان منها إلا أن استسلمت لنوبة بكاء طويلة، فواسها زوجها وبذل معها جهداً كبيراً من أجل تخفيف وقع هذه الفاجعة عليها.

نقل التوأم إليها، وبعد إجراء الفحوصات الطبية؛ أتضح أنه توأم طفيلي ملتصق بجدار البطن، ويطلب ذلك إجراء عملية ليست معقدة لاستئصال التوأم غير المكتمل وإصلاح جدار البطن، وبالفعل خضع التوأم بعد أيام قليلة لجراحة متوسطة لم تستغرق وقتاً طويلاً، وتکللت بنجاح والله الحمد دون أي مضاعفات جراحية.





أنا وإبنته عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ / أبريل ١٩٩٥م



التوأم السعودي الثاني قبل العملية

أنا وابنة عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م

حرفة من الأحلام والأمنيات

عندما قرر الزواج لم يرم بصره خارج نطاق العشيرة، اختار ابنة عمه لتكون له سكناً ورفقة درب في الحياة، صغيراً سن تزوجاً لتوهما، وامتلأت ساحة بيت الأسرة الصغيرة بمشاعر المودة والرحمة، كانا متحابين تلتقي مiolهم، وتتحدد رغباتهما وأمنياتهما، ويشتراكان في أحلامهما التي رسماها لوحة على جدران البيت السعيد، وما برح انتاجيان في رحلتهما غير آفاق هذه الأحلام بأن يرزقهما الله طفلاً يغمر البيت فرحاً ومرحاً وحيوية، تصورا طفلهما القادم وقد بلغ عمره عاماً أو عامين وهما يلاعبانه ويمازحانه ويُقبلانه.. كانوا يدركان أن براءة الأطفال وابتسامتهم الصافية العذبة عذوبة الماء الزلال ستجعل من المنزل نبعاً متدفقاً من السعادة.. أو هكذا تجلّت لهما لوحة أحلامهما المعبرة.

بعد بضعة أسابيع لاحظ الزوج علامات إرهاق وتعب على زوجته، وشحوباً يكسو وجهها؛ وإحساساً بالفتور يتتابعاً بين حين وآخر، بل وتبعد كسوة في حركتها رغم ما عهده فيها من نشاط وحيوية طاغية، فنقل إليها هذه الملاحظات، فأخبرته بأن هذه العلامات مقترنة بنوبات غثيان وفقدان شهية مع رغبة شديدة في أصناف معينة من الطعام.. ورغم قلة خبرته إلا أنهما رجحا أنها مؤشرات على وجود حمل، إذن هذا هو (الوحم) المعروف بين النساء في أشهر الحمل الأولى، سرت في دواخلهما مشاعر فرحة، تداعت الوجدانيات، واتسعت مساحة الحلم، ما أذب ابتسامت الأطفال وضحكتهم، بل إن صراخهم الذي يمنع النوم في جوف الليل له طعم خاص أيضاً..

أعراض حمل طبيعية جداً، لم يصاحبها أي عرض يختلف عن المعتاد أو المتعارف عليه؛ ولكن مع توالي الأيام وتتابع الأشهر بدأت الأعراض تختلف قليلاً، تکور البطن وتتضخم وزداد الثقل على الأم، تضاعف إحسانها بالتعب، توصلت نوبات غثيانها مفترضة بنفور وفقدان شهية لكثير من الأطعمة، مع رغبة عارمة في الاسترخاء وعدم الحركة.. قلقت، همست لنفسها: ليست هذه أعراض الحمل التي تصفها قريباً وصديقاتها المتزوجات !! دفعتها الهواجس إلى سؤال طبيتها عن هذه الاختلافات غير المطمئنة، وما إذا كان حملها غير طبيعي؟! لم تجد منها إجابة شافية؛ إذ لم تلاحظ هذه الطبيبة ولا زملاؤها علامات مقلقة حتى الشهر السابع من الحمل، وحتى لا تزداد هواجسها وتجتاحها الهموم والغموم؛ تقرر إخضاعها للتصوير بالأشعة الصوتية كي يستبين الأمر وتطمئن على حملها.. أوضحت نتائج الصور والفحوصات أنها تحمل توأم، وعندما أخبرتها الطبيبة بذلك فرحت فرحاً شديداً، تناست قلقها وانزعاجها وتصورت نفسها تناجي طفلتها وتلاطفهما، هرعت إلى زوجها تنقل إليه هذه البشرى السارة.. غمرته الفرحة أيضاً، أطلق لنفسهما عنان الخيال ومتينا أن يرزقهما الله ولداً وبنتاً يضيئان جنبات البيت ببراءتهما ومرحهما وشقاوتهما المحببة، ومع هذا الخبر قاومت الأم مشكلات الحمل وغالبت أحاسيس التعب، تحملت انفاس البطن وثقل وزن التوأم داخل الرحم.



تحديد مكان الفصل



التوأم في الشهر الثاني من العمر

حيرة على وجوه الأطباء

في الشهر الثامن وضمن الفحوصات الدورية العادية راود الطبيبة شُكُّ في إمكانية وجود التصاق للتوأم، فقررت الاستئنارة باراء مختصين في مستشفى آخر، ازداد الشك لديها؛ ولكنها لم تجرب على إخبار الأم التي لم يغب عن فطنتها وملحوظتها حركة الأطباء وعلامات الحيرة البدنية على وجوههم، ألقفها اهتمامهم بحالها وأحاديثهم الهامسة وكثرة مداولاتهم والتشاور فيما بينهم. دفعها خوفها إلى طرح أسئلة كثيرة؛ بل اتخذت استفساراتها طابعاً دقيقاً، ولكنها لم تلقي أي إجابة مقنعة تشفى غليلها وتهدي؟ من رووها. وأخيراً قررت الطبيبة تحويل الحالة إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث للاستئنارة برأي المختصين، وبالفعل استقبل المستشفى هذه الزوجة في نهاية حملها حيث أجريت لها الأشعاعات والفحوصات الازمة بواسطة فريق أطباء النساء والولادة، فتبين لهم من نتائجها أنها تحمل توأم ملتصقاً أو سيمياً.. طُلِّبَ حينها للاستشارة، فعقدت على الفور اجتماعاً مع أطباء القسم المعنى وتشاورنا، وبعد دراسة الحالة والاطلاع على الفحوصات والأشعاعات، استقر رأيانا على ضرورة إجراء عملية قيصرية عاجلة حفاظاً على سلامه الأم وتوكهما، لا سيما وأنها كانت تمثل المخرج الوحيد لولادة التوأم السعودي الثاني (سمر و سحر) الذي لم تكن حالته بأفضل من التوأم السوداني.

وبعد أن استوثقنا من الحالة التقينا بالزوجين لإبلاغهما بحقيقة الأمر، فوق الخبر عليهما وقع الصاعقة، أحسا بصدمة كبيرة كادا يُصابان بدوار على إثرها، ساورهما قلق شديد، ودفعتهم الصدمة إلى عدم تصديق نتائج التشخيص بل والتشكيك في دقته. حاول الزوج وهو أسير لهذا التصور إقناع الأطباء بأن تشخيص الحالة ربما شابه بعض التداخل غير المقصود، أو أحاطه التباس جعله يخرج بنتيجة غير مضبوطة، وحاول التأكيد على أن هذه الفحوصات لا تُبرّز واقع الحمل الحقيقي بصورة دقيقة، ولعل الفريق الطبي يعيد إجراءها مرة أخرى فربما يحصل على نتائج تؤكّد أن التوأم غير ملتصق !! الأطباء عادة لا يتضايقون ولا يتذمرون من أسئلة ذوي المرضى واستفساراتهم التي تنم عن قلق وخوف، فهم يتقبلونها بنفس راضية تقديرًا للحالة أو الصدمة التي يتعرض لها ذوي المرضي جراء نتائج الفحوصات والتحاليل. ونزولاً على رغبة الوالد، وإرضاء له، ولإزالته شكّه؛ قررنا إعادة الأشعة الصوتية التي أكدت لنا دقة التشخيص، واقتنعنا بأن ليس ثمة أي مجال للشك، تكرّرت جلساتنا مع الوالد ومناشته، وبعد يومين اختفت الظلال السالبة عن عينيه وبدأ يتقبّل حقيقة الأمر الواقع ، وأتبع ذلك بسيلٍ من الأسئلة عن الأطفال السيميين والتصاق الأجنة محاولاً الإمام بكل التفاصيل والتعرف على أبعاد المشكلة ومضاعفاتها، كما سأّل عن نسبة بقاء التوأم على قيد الحياة وما إلى ذلك.

وبحكم التخصص فإننا نتفهم مثل هذه الأسئلة وندرك أبعاد علامات الاستفهام الحائرة التي ترسم في أذهان الآباء والأمهات حول العيوب الخلقية التي يولد بها الأطفال، أو تحدث لهم في أولى مراحل حياتهم كالإعاقات الجسدية والعقلية وما يتربّط عليها من مشكلات وتبعات داخل الأسرة أو المجتمع ، وهذه العيوب عادة ما تسبّب صدمات كبيرة؛ خاصة عندما يكون الزوجان في سنٌ صغيرة، وقد يواجهان إزاءها بعض التحدّي، وقد تُنكرها أو تستهجنها بعض الأسر، وربما يُشكّك آخرون في واقع التشخيص ودقة نتائجه .. ونجد بعض الأسر تحاول أحياناً نقل المشكلة إلى الأب والأم، مما قد يؤدي إلى خلافات، أو يحدث أثراً سالباً على



أثناء العملية



الطاقم الطبي في غرفة العمليات

صفاء الحياة الزوجية.. وفي حالتنا تلك؛ فقد شرحتُ لوالدي التوأم الملتصق ملابسات الحالة عدة مرات.. وبعد زوال أثر الصدمة عادا إلى طبيعتهما راضيَن بقضاء الله وقدره، ومستسلمينٌ لمشيئته جل وعلا، وأعربا عن قبولهما لما كتبه لهما سبحانه وتعالى.. وبعد موافقتهما؛ تقرر إجراء العملية القيصرية في الأسبوع التالي.

حالة مختلفة

جُهزت غرفة العمليات وأجريت عملية الولادة بسلام، و كنت على أبهة الاستعداد لاستقبال التوأم الذي نُقل بعد الولادة مباشرة إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وتوليتُ مع طبيب الأطفال عمليه فحصه بدقة، فكشفت لنا الأشعة الصوتية وجود اتصال كبير في منطقة الصدر والبطن والخوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل توأم والثالث مشترك بينهما. وما يجعل هذا التوأم مختلفاً عن غيره عدم وجود فتحة شرج، واستدعي ذلك إجراء عملية مستعجلة للتتوأم خلال أول يومين في حياته لعمل فتحة براز مؤقتة كي لا يتعرض لانفجار في الأمعاء أو مشكلات تعيق حياته. وكشف الفحص السريري أيضاً وجود مشكلات في القلب تتطلب إجراء أشعة وتشخيصاً دقيقاً. بعد ذلك طلبتُ الفحوصات الأساسية ثم شرعتُ في تشكيل الفريق الطبي والجراحي الذي سيتعامل مع هذه الحالة، وضم الفريق تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير، والعناية المركزة، وجراحة المسالك البولية، وجراحة العظام، وجراحة التجميل، والتأهيل الطبي، والفنين ومبرضات غرفة العمليات، وفي أول اجتماع لنا شرحت لهم حالة التوأم ووضعه الصحي الحرج المتمثل في انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلُّق فتحة الشرج، وبينت لهم حاجته إلى إجراءات مستعجلة وتحطيط للمستقبل، وبعد دراسة الفحوصات الأولية اتضحت لنا وجود اشتراك في الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وانسداد فتحة الشرج كما أشرنا، مع اشتراك في المسالك البولية والجهاز التناسلي، إضافة إلى طرف سفلي واحد لكل توأم وثالث مشترك ومشوه وصغير لا يكفي لتغطية الفراغ في الجسم. وقداناً انسداد الأمعاء إلى اتخاذ قرار جماعي بضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتح في البطن وإيجاد فتحة مؤقتة للفضلات.

شرحت كل ذلك لوالد التوأم، وبعد اطلاعه على كل أبعاد المشكلة وتعقيداتها؛ سألني: لماذا لا تُجرى عملية الفصل متزامنة مع العملية المستعجلة وقاية للتتوأم من الخضوع لعمليتين منفصلتين أو أكثر؟ وهو سؤال مقبول ومعقول بالطبع ، فوجدتُ لزاماً عليَّ أن أشرح له عدم إمكانية ذلك من الناحية الجراحية، لأن العملية المستعجلة محاطة بمشكلات كثيرة، ونسبة نجاحها ضئيلة جداً؛ خصوصاً وأن عمر التوأم صغير وكذلك وزنه، ثم بينت له المخاطر والمشكلات المصاحبة لذلك، ورغم هذا فقد ألحَّ عليَّ كثيراً في بحث ودراسة إمكانية الفصل متلازمه مع العملية المستعجلة، ولكن بعد استيعابه لما أبدينا له من المخاطر المصاحبة التي قد تؤدي بحياة التوأم. وتم الإنفاق مع الفريق الطبي على عملية فتح البطن وعملية الفتح الأخرى لتفریغ الأمعاء. وقد أجريت العملية المستعجلة خلال ساعة واحدة، وعاد التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، حيث خضع لنظام تغذية عن طريق الفم والأنبوب. وعقب ذلك شرعنا في وضع خطة للمستقبل استهلت باجتماع ناقشنا فيه هذه الحالة وتفاصيلها، وإمكانية الفصل، وقررنا إجراء فحوصات عديدة. ولكن كانت هناك قضية تشغelnَا واستغرق نقاشها زمناً طويلاً، وهي عدم



بعد العملية مباشرةً



أثناء العملية

وجود جلد كاف لتغطية فراغ البطن، وخلصنا إلى اقتراح بتركيب بالونات تحت الجلد لتمديده على أن تنفس يومياً لعدة أسبوع لعل الجلد يرتخي ويساعد على الاستفادة منه في تغطية الفراغ المشار إليه بعد الفصل. اتفقنا على ذلك، ورأينا إجراء مزيد من الفحوصات، ثم النظر في إجراء العملية بعد عدة أسبوع.. وبالفعل اكتمل تركيب المددات (البالونات) غير أن موقعها في الجسم تعرضت لالتهابات أُجبرتنا على إزالتها، وشكل ذلك تحدياً آخر لنا نظراً لعدم وجود جلد وعضلات كافية، إضافة إلى المشكلات التي تواجه التوأم بسبب وجود عيوب خلقية في القلب وقصور في الأمعاء الغليظة..

٦٠% نسبـة النجاح

توالت اجتماعاتنا لمزيد من الدراسة للحالات والتي كشفت لنا إمكانية الفصل بنسبة نجاح لا تتعدي ٦٠٪، وأن التوأم يحتاج إلى عملية تأهيل وتغذية ليصل وزنهما سوياً إلى حوالي ٨ كيلوغرامات، استغرقت عمليتنا التأهيل والتغذية حوالي خمسة أشهر، وهذه المدة لم تخل تماماً من مشكلات والتهابات في المسالك البولية مما اضطررنا إلى استخدام بعض الأدوية والمضادات الحيوية لعلاج التوأم الذي عانى كذلك من مشكلات في الجهاز التنفسى والأمعاء، وبالطبع كان فريق العناية المركزية متميزاً في علاجها. وبما أن العناية كانت فائقة؛ فقد حالفنا التوفيق والله الحمد للوصول بالتوأم إلى الوزن المناسب، وعلى إثر ذلك عقدنا اجتماعاً للتشاور حول إجراء العملية خلال أسبوعين، أي في يوم السبت ٢٢ ذو القعده ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م رغم التحدي الذي أشرنا إليه بعدم وجود جلد وعضلات كافية، كما أثار أطباء التخدير مشكلة عيوب القلب التي تحتاج إلى دقة وعناية حتى لا يفقد التوأم حياته أثناء العملية الطويلة. أعددنا خطة جراحية محكمة مع التركيز على توفير الأجهزة والمعدات المطلوبة كافة بعد أن اكتسبنا خبرة من العمليات السابقة.. وقررنا تطبيق الخطة الجراحية على عشر مراحل، وتوقعنا أن تستغرق مدتھا حوالي ثمانی عشرة ساعة، واتفقنا كذلك على إجراء عملية وهيمنة تجريبية قبل العملية الأساسية بيومین أي بتاريخ ٢٠ ذو القعده ١٤١٥هـ الموافق ٢٠ أبريل ١٩٩٥م.. وبدأتنا في الساعة الرابعة عصراً باسم الله، بحضور جميع أعضاء الفريق الجراحي وناقشنا الخطة الجراحية المكتوبة، وأحضرنا التوأم الإناث، وراجعنا مكان الفصل، وناقشنا مراحل التخدير، وعقب ذلك استدعاينا والد التوأم وشرحنا له مasicب بالتفصيل وحصلنا على موافقته.. كان قلقاً ومضطرباً، وهذه أحاسيس طبيعية تلازم أي والد أو أم لا سيما مع اقتراب موعد العملية، وقد حاول حجبها وإخفاءها بتقديم الشكر للفريق الجراحي وتتجدد ثقته فيه، ثم أعلن موافقته على كافة الإجراءات وأتبعها بالتوقيع على إجراء العملية. حاولنا تخفيف الضغط عليه من خلال المداعبة، إذ قال له أحد أعضاء الفريق لماذا لا تشاركتنا ونجري العملية بدلاً منا، فابتسم وردد: (فيكم الخير والبركة).

أحلام في المنام حول العملية

قرر إجراء العملية في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم السبت ٢٢ ذو القعده ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م، وفي الليلة السابقة لها عاودني القلق، رغم أن جميع أفراد أسرتي كانت تغمرهم الثقة في إمكانية نجاحنا، أعدت لي زوجتي عشاءً خفيفاً



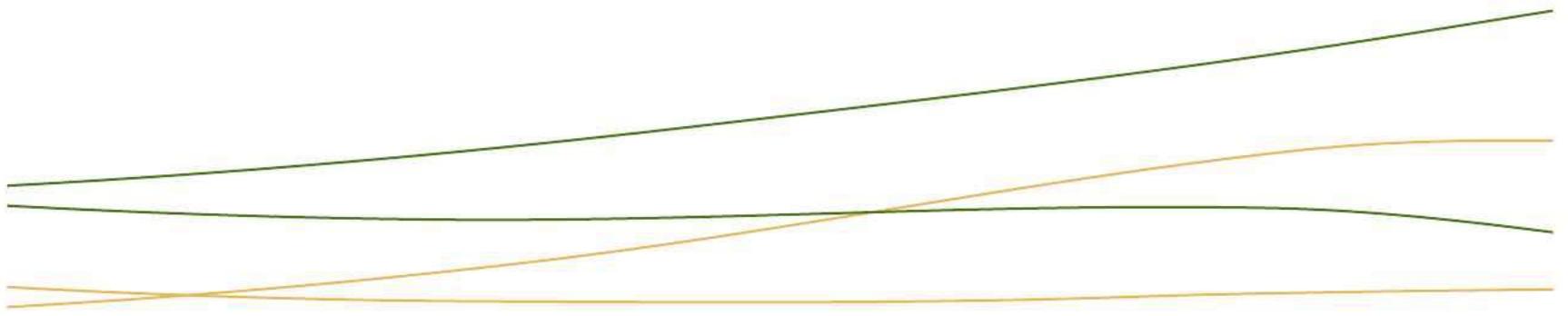
سمير وسحر مع التوأم السوداني سماح وهبة

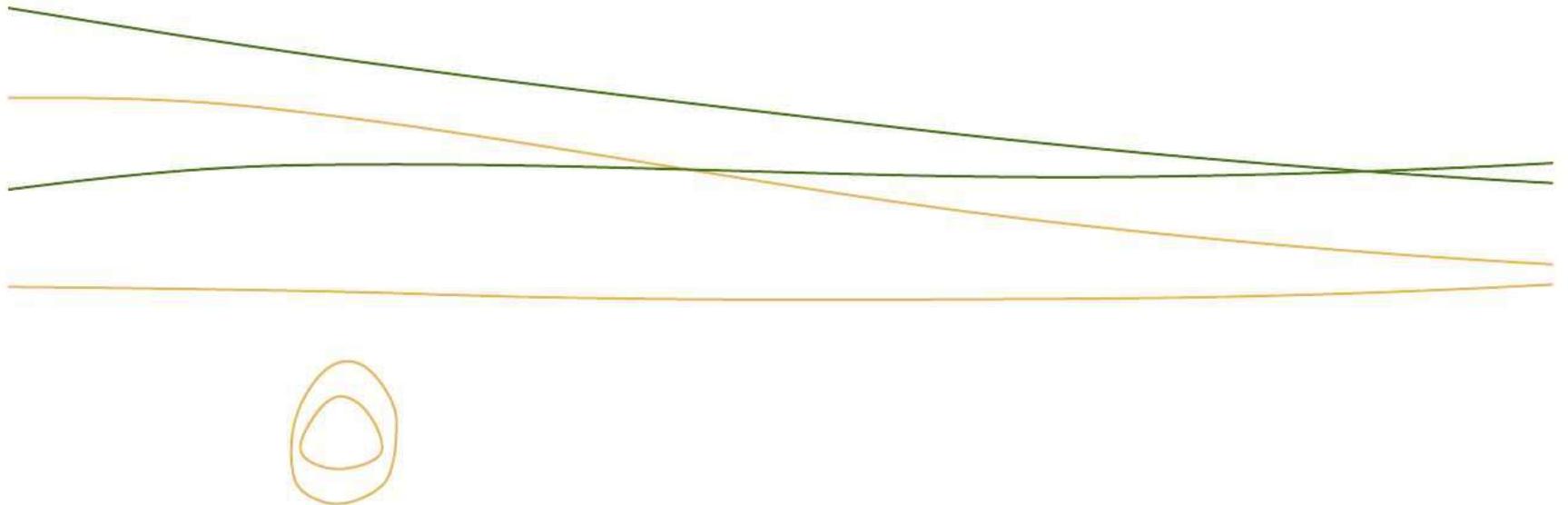


التوأم عند خروجهما من المستشفى

تناولته في جلسة مع الأسرة، وتخللت جلساتنا الأسرية تلك بعض الدعابات اللطيفة ونحن نتحدث عن العملية ومؤشرات نجاحها، واحتمالات مخاطر نتائجها، غادرت مجلس الأسرة إلى غرفة النوم لعل النعاس يُداعب أحفاني وأحظى بقسط من النوم؛ ولكنه استعصى عليّ، وأبى، وقمعَ؛ لأنني كنت دائم التفكير في العملية باعتبارها من العمليات الكبيرة، وماجت مخيلتي بتفاصيلها حتى الدقيقة منها، وبالطبع كان هذا الانشغال سبباً في انتقال العملية إلى اللاشعور، إلى أحلامي في المنام التي صاحبتها حركة فعلية وكأنني أجري العملية حيةً وأتحدث إلى أعضاء الفريق الطبي، وكان هذا كفياً بإيقاظ نوم زوجتي وإزعاجها. وبعد عراك مع النوم تمكنَت من اقتناصه، فخلدتُ حتى أذان الفجر، ثم نهضتْ وتوضأتْ وصلحتِ ركعتين اتجهتْ بعدهما إلى المسجد لأداء الفريضة، عدتُ إلى المنزل وتناولتُ إفطاراً خفيفاً ثم غادرته مع إشراقة الشمس متوجهًا إلى المستشفى سيراً على الأقدام، وطوال المشوار كنتُ أستعرض وأراجع مراحل العملية، وفي الساعة السابعة كنت عند باب غرفة العمليات حيث وجدت زملائي أعضاء فريق التخدير وكادر التمريض، ثم توالي وصول أعضاء الفريق الطبي إلى أن اكتمل عقدنا داخل غرفة الأطباء بجناح العمليات. وفي الساعة السابعة والربع صباحاً نقل التوأم إلى غرفة التجهيز، وعلى مدخلها استقبلتُ والدي التوأم واستطعلتهم للمرة الأخيرة مؤكداً لهم استعدادنا لاستقبال أي ملحوظات أو استفسارات حول العملية التي ستبدأ مراحلها بعد لحظات، لم ينبعسا بكلمة؛ بل تحدّرت دموعهما غزيرة على محجريهما وهمما يفكفكانها بصعوبة، وبعد حوالي دقائق خمس أكباً على التوأم يبتئلها قبلات حارة ومتتابعة قبل نقلهما إلى غرفة العمليات.

بدأت مراحل العملية وفق الخطة الموضوعة بتحدير كل طفلة على حدة، وتلت ذلك مرحلة إدخال القساطر والتعقيم، وبعد نحو ثلث ساعات شرعننا في العملية، فواجهتنا بعض المشكلات المتعلقة بتعطية فراغ الجلد مما اضطرنا إلى شدّه شدّاً متوسعاً، مع استخدام بعض العضلات من الأطراف السفلية للغرض نفسه. واكتملت مراحل العملية بعد حوالي سبع ساعات ونصف الساعة بنجاح والله الحمد، وبعد التقاط الصور الجماعية للفريق الجراحي، خرجنا لنجد الأب والأم عند باب غرفة العمليات يستقبلوننا بعناق حار وابتسamas، ولم يستطعوا مداراة دموعهما المنسكبة بغزاره، فاصطحبناهما مع بنتيهما إلى غرفة العناية المركزية حيث سيمكّان بها حوالي ستة أسابيع، واجهتا أثناءها التهابات في الجرح بالصدر، وأمكن التغلب على هذه المصاعب بتوفيق الله سبحانه وتعالى وبخبرة الفريق الطبي إلى أن غادرتا العناية المركزية إلى جناح الأطفال (٢١)، وبعد حوالي أربعة أشهر استقرت حالتهما فخرجتا من المستشفى بصحّة وعافية والله الحمد.





رأسان في جسد واحد

م ١٤١٧ / هـ ١٩٩٧



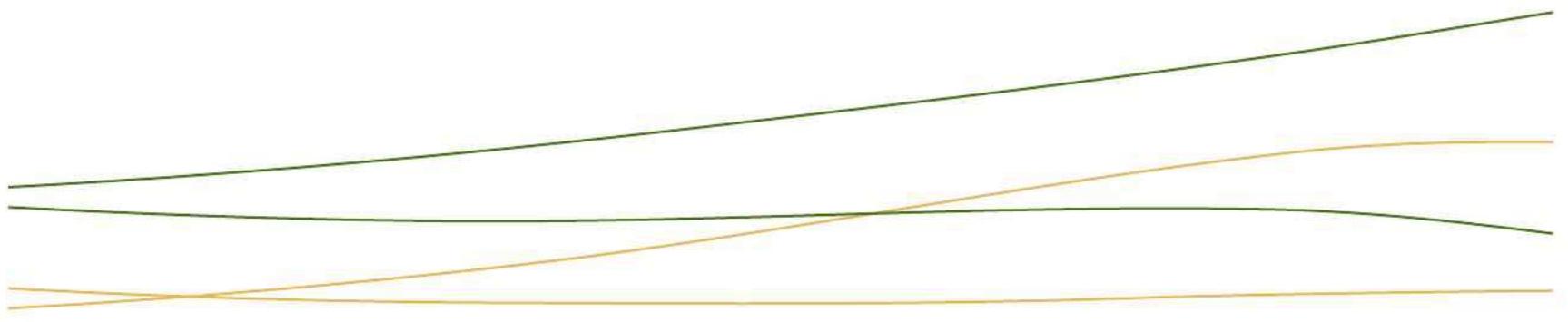
رأasan في جسد واحد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

بدأت أحداث هذه القصة في مكة المكرمة حيث كانت المفاجأة الكبرى أثناء ولادة متغيرة فرضت على الفريق الطبي إجراء عملية قيصرية سريعة تتج عندها ما لم يتوقعه الجميع ، شعر الأطباء بصدمة لما رأوا طفلًا غريبًا بجسد واحد ورأسين ووجهين بحواسهما كافية.

أذهلت المفاجأة أعضاء الفريق الطبي، ربما لأنها الحالة الأولى التي يرونها طوال تجربتهم المهنية ولم يسمعوا بثلها، كان هذا حال الأطباء بعد الولادة، فكيف بالوالدين المتلهفين إلى ولادة سعيدة ومولود يفرحهما.

وبعد أن أفاقت الأم واطمأن الأطباء على صحتها، بادروا إلى إحاطتها وزوجها بهذا الخبر المفاجئ، مما أدى إلى شحوب وجه الأب وبكاء الأم بصورة متصلة.. ومن حينها بدأ الفريق الطبي في البحث عن مركز له رصيد من الخبرة وقدرة على التعامل مع هذه الحالة النادرة جداً، وبالفعل تمنى لهم الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض، وتشرفَت الأسرة بتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد آنذاك) -حفظه الله- بقبول الحالة وسرعة نقلها عن طريق الإخلاء الطبي الجوي، وتشكلَّ على الفور فريق طبي من جراحة الأعصاب وجراحة الأطفال والتخدير والتمريض وغيرهم من المختصين، وبعد دراسة مستفيضة للحالة؛ أَتَّضح أنها نادرة جداً وصعبة جداً، والاشتراك يشمل أغشية وأوردة المخ، وأن نسبة نجاح العملية بسيطة ولكن لا بد من إجرائها.. وبالفعل أجريت العملية الجراحية، وتبيَّن أنثاء العملية أن الفصل غير ممكن جراحياً، ولذا لم يعش التوأم حسب القرار الطبي الجماعي.





٧

رحلة معاناة وألم

شعبان ١٤١٩هـ / نوفمبر ١٩٩٨م



رحلة معاناة وألم

شعبان ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م

طفل بدلاً من المشيمة

حياة هانئة وسعيدة عاشها عبد الله وزوجته في مدينة الليث التي تطل على البحر الأحمر بالجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية حيث كانا يعملان في سلك التعليم، والليث من المدن الصغيرة الجميلة التي تشتهر بثرواتها السمكية، لذلك فإن كثيراً من سكانها يحترفون صيد الأسماك. كان عبد الله مدرساً مؤمناً برسالته التربوية والتعليمية، مجدًا في عمله، مخلصاً للتلاميذه، متعاوناً مع زملائه، صادقاً مع إدارته، وبجانب كل ذلك كان محباً لزوجته ومتقانياً في خدمة بيته. وتتركز آماله وطموحاته على تحقيق مساهمة فاعلة في بناء جيل واعد لخدمة وطنه ودينه. وكثيراً ما ابتهل إلى الله وأخلص الدعاء إليه سبحانه وتعالى أن ينحه ولدًا يحمل اسمه ويشكل امتداداً له في المستقبل ولصحت أسرته كلها، حملت زوجته وفرح فرحاً شديداً، ونقل البشري لواليه اللذين سرّهما وأسعدهما الخبر، وكان يعدُّ الساعات بالليل والنهار ويستعجل الزمِن للحظات الولادة، ويُشدُّ أحياناً مُحلاًقاً مع أحلامه متخيلاً الرضيع بين يديه يلاعبه ويناغيه، ملأت الفرحة جوانح الأم بطفلها القادم الذي سوف يضيف سعادة جديدة إلى سعادتها مع زوجها، لم تتضاءل مساحة هذه الأحساس مع مرور الأيام رغم مصاعب الحمل والوحش والتعب، وكلما ازداد فرحتها ازداد أنها معه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل ارتفعت معاناتها بسبب افتقار المركز الطبي الذي تراجع فيه لإمكانات التشخيص الدقيق، وبالفعل كانت الأسابيع الخمسة الأخيرة من الحمل مؤلمة جداً، وتشوبها نوبات من التعب والإرهاق الشديد مما اضطرها إلى البقاء في السرير معظم أوقاتها والخلود إلى الراحة، لم يتعد عنها زوجها أو يتعارف عنها، بل ظل قريباً منها يراعي مشاعرها ويُخفّف عنها، لأنَّه كان متفهماً مثل هذه الأعراض وتباعتها، واضطررتها مشكلات الحمل إلى الانقطاع عن عملها عدة أيام، لم يخطر ببالها على الإطلاق أن ترزق بتوأم، فضلاً عن أن يكون سيماماً. وبعد أن غشيتها نوبات المخاض، نقلها عبد الله إلى المستشفى الصغير بمدينة الليث، وظهرت عليها علامات ولادة طبيعية بإشراف إحدى الطبيبات، وبالفعل خرج الطفل الأول بعد مخاض مؤلم وكان ولدًا إلا أنَّ الدهشة الكبيرة التي ألمت الفريق الطبي بخروج رجل ثالثة بدلاً من المشيمة، مع وجود صعوبة في خروج بقية الجسم نظراً لقلة الخبرة الطبية في هذا المستشفى، واصل الفريق الطبي عملية سحب الطفل متصرورين أنَّ هذه هي المشيمة، ومع استمرار السحب وازدياد قوته فوجئوا بعد هنีهة بخروج طفل آخر ملتصق مع تمزق في المجرى التناسلي، وبتعرض الأم لنزيف شديد، وازدادت دهشة الفريق الطبي، ووجد نفسه أمام أمرٍ كلاهـماـر، أولهما العناية بتوأم في حالة حرجة، وثانيهما العناية بالأم التي سبب لها دفق النزيف هبوطاً في الضغط. صرخت الطبيبة وأطلقت صيحة استغاثة تستنفر بها أطباء الأطفال لمساعدتها، وبالفعل انضم إليها أحدهم وركز جهوده على الاهتمام بالتتوأم؛ بينما انشغلت هي بتعويض الأم عمّا فقدته من دم جراء النزيف قبل أن يستفحـلـ وضعها وترتفـعـ درجةـ الحـطـورةـ عليهاـ.



حسن وحسين قبل العملية



حسن وحسين بعد الولادة

عبد الله أسيير لقلق كبير

كل ذلك وعبد الله يتنتظر في الخارج وأذنه على باب غرفة الولادة لالتقاط أولى صرخات ولدته، ويترقب إطلالة المرضية لتبشره وتهنئه، ولكن طال الوقوف وكاد الانتظار يقتله، هواجس وظنون سالبة تغاليه، نفسه تخده بتوقع الأسوأ، دب القلق في جوانحه، وسرى في داخله إحساس رهيب بالخوف من القادم، وأصبح يسأل كل من تقع عليه عيناه من لابسي الزي الأبيض دون أن يتلقى أي إجابة. ثم لاحظ وجود حركة سريعة من وإلى غرفة الولادة، وأيادي تحمل كميات من قوارير الدم.. تندد القلق في داخله وسيطر عليه تماماً، توالت أسئلته وتتابعت؛ ولكن لا أحد يأنبه له، الجميع مشغولون عنه بمشكلة أكبر!! خرج طبيب الأطفال فأسرع نحوه مستفهمًا، فطلب منه أن يستريح ويهدأ، ولكن لم يهدأ روعه ولم يسترح؛ بل تناثرت النداءات من فمه وهو يكاد يصرخ: أخبرني، أخبرني، أخبرني كيف حال زوجتي؟ فأجابه: إنها بخير إن شاء الله.. ثم أردد سؤاله بسؤال آخر: وماذا عن الحمل والولادة؟ فطلب منه الطبيب أن يرخي أعصابه ويستريح، غير أن هذا الطلب بدا له غريباً وضاعف من ضربات قلبه، ورفع وتيرة حيرته وانزعاجه، بدون أن يشعر ذرفت عيناه دمعات حرّى سالت على خديه لتبلل أعلى طرف ثوبه، ولما أخبره الطبيب بأنه رزق بتوأم تخللت دموعه ابتسامة ارتسمت على ثغره؛ غير أنها لم تتسع ولم يتعمق أثراها حين أكمل الطبيب بقية الجملة: ولكن للأسف فإن هذا التوأم سيامي !! لم يصب بالوجوم أو الدهشة لأول وهلة؛ لأنه كان يجهل معنى كلمة (سيامي)! فسأل الطبيب على الفور: ماذا تقصد بسيامي؟ فبيّن له مدلول المفردة، وقال له إن التوأم متличص في الجسم! لم يصدق عبد الله رواية الطبيب لأنه لم يسمع بمثل ذلك من قبل، ولم تمر عليه حالة شبيهة لهذه حتى في قصص الخيال.. وبعد ذلك حاول الإمام بتفاصيل الحالة واستيعاب مدلولاتها، فقال له الطبيب ستبدو لك الصورة جلية حين ترى الأطفال بعد قليل. ثم سأله عن زوجته فأكمل له معاناتها من تزييف مستمر بسبب حجم التوأم ومشكلة الولادة، فاستبد به القلق، تبَدَّ حلمه، الطفل الذي كان يترقبه وتوق نفسه إليه ليملأ منزله سعادة؛ رزق به متلقياً مع أخيه !! لم يتمالك نفسه، وحين عجز عن السيطرة على عواطفه أجهش بالبكاء..

تداعيات وجدانية

كم هي صعبة وعصية دموع الرجال إلا في مثل هذه المواقف الوجدانية الشفيفة. تقاطرت دموعه بغزاره، حاول الطبيب التخفيف عنه، فقال له عبد الله: دعني.. فأنا مشدود الآن إلى زوجتي وأطفالى، وما أدرى ما قد يحدث بعد الآن، فالطفلان يحتاجان بعد الله إلى عناية كبيرة، ودماء زوجتي تتدقق خارج جسدها وأخشى أن أفقدها وأنزلن أقوى على فراصها.. أرجوك، أرجوك أن تساعدها، وأن تطلب من جميع الأطباء بذل كل ما في وسعهم لإنقاذها وإنقاذ طفلها. وبعد نصف ساعة صحبه الطبيب ليلى توأمها، وما أن رآهما حتى استأنفت عيناه إدراز الدمع من جديد، موقف صعب وحالة صعبة، الأطفال تحت الأوكسجين والمراقبة الشديدة، فهناك التصاق في أسفل الجسد والبطن والخوض، وهناك طرف لكل طفل وطرف ثالث مشترك ومشوه، ظل عبد الله واجماً وصامتاً للحظة، واكتفي بمسح الدموع من على جبينه، ثم جلس على أقرب مقعد له واضعاً رأسه بين يديه يستعرض ملابسات هذه المحنة، ويفكر في هذه المعضلة وكيفية حلها وتجاوزها. وقبل أن تلفه الأحزان برداتها الأسود؛ ألممه



مرحلة التعميم



بداية التخدير

إيمانه التحلّي بالصبر والثبات وعدم الجزع ، والاستسلام لمشيئة الله جل وعلا ، وفي تلك اللحظة غشيه إحساس بالطمأنينة ، فكان الرضا بما أراد الله سبحانه وتعالى سلوته في ذلك الموقف المشحون بالانفعالات .. وقال لنفسه ربما كان هذا التوأم سبباً في سعادة آتية لا يعلمها إلا الخالق تبارك وتعالى .

لا شك أن من الصعب على أي إنسان تخيل مثل هذا الموقف المؤلم وأبعاد المشكلة التي يعاني منها والد التوأم ، مضت نصف ساعة وهو على تلك الحال من الألم والبكاء والتفكير ، وبقي أسير موقف حائر ومربك ، فالزوجة لم تبرح منطقة الخطورة وكذلك التوأم . ارتسمت مجموعة من علامات الاستفهام في مخيله بينما كان خاطره موزعاً وملقاً بين الزوجة والطفلين : هل يبادر إلى إنقاذ ابنيه ؟ أم يبقى مع زوجته حتى تجتاز الحالة التي تعاني منها الآن ؟ وعندما نظر إلى عيني ابنيه (حسن وحسين) استجاشت في داخله عاطفة الأبوة لأول مرة تُحفِّزه على بذل أقصى ما في وسعه لإنقاذهما ، ولذلك طلب أن يصاحبهما في سيارة الإسعاف التي ستنقلهما إلى أي مستشفى في مدينة أخرى يكون أكثر خبرة وإمكانات ، وقبل أن يخرج استأذن لزوجة زوجته ، وكان لقاء هما حاراً ورقيقاً ، دمعت عيناهما سوياً ، وطمأنها بآلا تخفف ولا تقلق طالما كانت القلوب عامرة باليقين ومستيقنة معية الله جل وعلا .. وكان قلب الأم رغم معاناتها وحالتها الحرجة معلقاً بطفليهما ، فألحَّت عليه بالرجاء أن يصاحبهما في رحلتهما ولا ينشغل بها لأنها ستكون في حفظ الله جل وعلا ، كما هي الآن محل رعاية الأطباء وعياتهم ، أثرت ابنيها على نفسها غير آبهة بنزيف الدم الذي يُنهك قواها وجسدها .. فاضت دموعهما معاً وهو يودعها لصحبة التوأم .

هواجس في سيارة الإسعاف

تحدث عبد الله بلسانه عن رحلة (المعاناة والألم) ، رواها بنفسه وبتفاصيلها كاملة ، لم أقاطعه وهو مسترسل في قصته ، وما كنت أملك غير ذلك ، فقد كان يهمني كثيراً الوقوف على الحقيقة منطلقة مباشرة من لسان صاحبها ، فهذا بحكم المهنة مدخل مهم للتشخيص . أطرق قليلاً ثم صرف بصره عني وأرسله عبر النافذة وكأنه يستمد تفاصيل معاناته رحلته من الخارج ، ثم تابع إكمال الوصف الدقيق لهذه الرحلة المضنية يقول عبد الله: اتخذت مقعدي في الإسعاف بصحبة مرضية ، والطفلان تحت الأوكسجين الخارجي ، ولا يطرق سمعي طوال الرحلة سوى بكاء الطفلين الذي يشعرني بأنهما ما زالا على قيد الحياة ، وصوت الأوكسجين الذي يطمئنني بأن الأسطوانة ما زالت توادي مهمتها في تزويد التوأم بالأوكسجين ، وكانت المرضية تراقب هذه العملية وتهتم بالغذى الذي أُودع جسدهما عبر أحد أوردة كل منهما ، لم تكن الرحلة سهلة في سيارة الإسعاف التي كانت تطوي الطريق بسرعة فائقة ، ومع ذلك كنت أستزيد قائلها وأستتحثه على مزيد من السرعة ؛ إلا أنه كان مُقيداً بحدٍّ نهائياً ما كان من الممكن تجاوزه .. لم يغب حال زوجتي عن خاطري طوال الرحلة ، وتروادي بين هنئها وأخرى هواجس واستفسارات حول حالتها هل ازدادت سوءاً ، أم خفت حدّ معاناتها ؟ وهل هي منشغلة بالتفكير في طفلتها غير آبهة بوضعها الخطير ؟ وتتابعت الهواجمس .. من يعترني بالأبناء إذا قدر الله لها ما لا نرجوه ؟ من يعوضني عمّا كانت تحوطني به من حنان ومودة وسعادة ؟ ومن أحاديث ومناجاة



أثناء العملية



مرحلة التخدير

ومواساة عند الألم والمشقة؟ ثم عاد إلى التفكير في مستقبل ابني، وماذا يخبئ لهما الغد؟ وهل يكتب الله لهما الحياة، وإذا أمدَّ سبحانه وتعالى في عمريهما؛ هل تلازمهما إعاقة دائمة؟ وتتابعت الأسئلة الخائرة كدفق المطر، ولم يوقفها إلا انحدار الدموع التي تتدفق بعد كل لحظة وأخرى.

وصلنا إلى مدينة كبيرة، وطرقنا باب أول مستشفى، فلما اطْلَعَ الأطباءُ على الحالة أبدوا اعتذارهم بأن إمكانات المستشفى دون القدرة على استقبالها وعلاجها نظراً لأنها صعبة ومعقدة وبالتالي لا يمكن تقديم الخدمة المتغيرة.. أفقدني رُدُّهم الأمل، ولم أجد تعبيراً عن استيائي وضيقتي سوى مجاملتهم بعبارات شكر مقتضبة، ثم غادرنا إلى مستشفى آخر، وفي الطريق لاحظت ثمة قلق وشحوب على وجه المريضة، فسألتها عن أسباب انزعاجها؟ فأجبت بعد تردد بأن أسطوانة الأوكسجين على وشك النفاد، ولا بد من الحصول على أخرى بديلة على عجل؛ وإلا فإن التوأم سي unanim بعض المشكلات التي قد تؤدي إلى الوفاة، تضاعف الهم، وخاطب قائد الإسعاف لضاغطة السرعة وكأنه في سباق مع الزمن، ظروف عصبية وموافق مريرة، طفلاني الآن على حد فاصل بين الحياة والموت إن لم نصل إلى مستشفى يزودهما بالأوكسجين، وزوجتي تقاسي آلامًا مبرحة ولا أعلم ما يحلُّ بها الآن..!! عبرنا بباب الطوارئ في مستشفى آخر أكبر؛ ولكن لم يكن الاستقبال بأفضل من سابقه، وكان الاعتذار والتبريرات نفسها وكان أطفالنا من كوكب آخر، أو أشباحاً مخيفة ومرعبة لا يمكن التعامل معها!! توسلت إلى مسؤولي الطوارئ لتغيير أسطوانة الأوكسجين، ترددوا كثيراً مشيرين إلى أن نظام العهدة يتطلب توقيع المعامل مع الأجهزة الطبية على إقرار مسؤوليته عن إعادتها، وبعد محاولات مستمرة مع عدة أشخاص اتبى أحد أصحاب النحو وأعلن تحمل مسؤولية ذلك، فوعدهم بإرجاعها فور إعلان أي مستشفى عدم ممانعته في استقبال ابني. طرق أبواب مستشفى ثالث في هذه المدينة ولكن لم يكن بأفضل من سابقه، غير أنني صادفت مريضة من جنسية غير عربية تتمتع بنحو وهمَّة عالية فأرشدتني إلى مستشفى في مدينة أخرى قريبة قد يتوافر فيها حلُّ مشكلة الطفلين.. لم تكتف بذلك؛ بل اتصلت هاتفياً على الفور بأحد الأطباء هناك نشرح له الحالة وتطلب منه مساعدتنا.

أسئلة بلا إجابات

استقبلنا لحظة وصولنا إلى المستشفى المعنى الطبيب الذي تحدثت إليه المريضة، وأعرب عن موافقة المستشفى على التعامل مع الحالة مؤقتاً، استبشرت باستقبالنا في مستشفى بكرة المكرمة.. هذه المدينة الطاهرة، وغمري الأملاك بأنها ستكون بداية الخير لحسن وحسين. أخضع الطبيب التوأم إلى الفحص وهمَا داخل سيارة الإسعاف، ثم نقلهما في حضانة إلى قسم الحضانة بالمستشفى.. كنت مهتماً لحظة استدارة سيارة الإسعاف استعداداً للمغادرة وفيها أسطوانة الأوكسجين العهدة، فطلبت من قائدتها أن يردها إلى أصحابها، ثم ودعَّته والمريضة المرافقة قبل أن ينطلقوا في طريق عودتهما إلى مدينة الليث.. وما أن نُلِّي التوأم إلى قسم الحضانة حتى شعرتُ ببعض الراحة لأن العناية كانت أفضل والاهتمام أكبر.. ومن ثم بدأت أطرح على الطبيب مجموعة من الأسئلة؛ ولكن لم تكن لديه أي إجابات، فهو طبيب أطفال ولكنه غير مختص، وليس لديه علم بمثل هذه الحالات.. وبعد مدة ساعدين في الاطمئنان على صحة زوجتي بمستشفى مدينة الليث بعد أن تحدثت إلى الأطباء هناك وأكَّدوا له استقرار الحالة بتوقف التزيف



الفريق الجراحي أثناء العملية



إغلاق الجرح

وهي في العناية المركزية.. تنفسَتُ الصعداء واتجهت إلى مصلى المستشفى لأداء ركعتي شكر لله جل وعلا، ثم دعوه سبحانه وتعالى أن يفرج كربة حسن وحسين. تعاطف الطبيب مع الحالة وبدأ ببحث عن وسيلة لمساعدة الطفلين، قادته جهوده إلى الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وتحدث مع الدكتور عبدالله الريبيعة شارحاً ملابسات الحالة، فلما علم بتفاصيلها طلب منه إرسال تقارير وصور عنها، فأرسلت بالفعل على وجه السرعة.. وتوجَّت هذه الرحلة بعد مدة وجيزة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان ولِيًّا للعهد آنذاك بنقل التوأم بطائرة الإخلاء الطبي إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية حيث الإمكانيات والخبرة الطبية الالزمة والقادرة على التعامل مع هذه الحالة. وقع هذا الخبر على نفسي برقاً وسلاماً، إنها بشري عظيمة حمدت الله سبحانه وتعالى عليها، وأغرورقت عيناي بدمعة الفرح، ثم شكرتُ الله عز وجل على كرمه ومنه، وسألته ثوابَ كلٍّ من ساعديني في هذا المشوار المحفوف بالقلق والخوف والهم، وأخافت الدعاء خادم الحرمين الشريفين على هذه اللفتة الإنسانية الكريمة وعلى اهتمامه بالطفلين. وبعد ذلك نُقل التوأم بواسطة طائرة الإخلاء الطبي، وفي اليوم التالي استقبلنا بالمطار فريق طبيٌّ من مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بسيارة إسعاف مجهزة بالكامل نقلتنا إلى المستشفى، وكانت تلك بداية مرحلة جديدة.. إلى هنا تكمل قصة الأخ عبد الله كمارواها بسانده، لم أمل إسهابه فيها بكل تفاصيلها وتفريعاتها؛ بل أُنصلتُ إليه بكل حواسِي، فأنا طبيب يدرك أهمية معرفة الحالة وتاريخها وتداعياتها وانعكاساتها..

التوأم حسين.. حالة حرجة

حرصتُ على استقبال التوأم بقسم العناية المركزية للأطفال الحدْج، وتمثلت أولى خطواتي في فحصه فحصاً دقيقاً بالاشتراك مع أحد الاستشاريين، وأتبعنا ذلك بعمل بعض الفحوصات الأساسية.. ومع اكتمال الفحوصات صحبَّتْ والد التوأم إلى غرفة مستقلة حيث تحدثنا إليه وأطلعناه على نتائج الفحوصات التي أكدت أن حسن وحسين طفلان سيميان ملتصقان في منطقة البطن والخوض، مع وجود طرف سفلي واحد لكل منهما، وطرف ثالث مشترك بينهما، وأن حالة حسين حرجة نظراً لمعاناته من مشكلات في القلب سنعمل على تشخيصها، وذلك بالإضافة إلى انسداد في فتحة الشرج تتطلب تدخلًا جراحياً، ثم أخبرته بأننا نحتاج إلى فحوصات طبية أخرى مستعجلة وربما يستدعي الأمر إجراء جراحة لفك انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلق فتحة الشرج، كما تتطلب مشكلات القلب لدى حسين تشخيصاً دقيقاً لتحديد وضع كل منهما. كان عبد الله متقدماً وموثقاً بما يشاء الله، فقال يخاطبنا متوكلاً عليه سبحانه وتعالى إن الطفلين من أبنائكم وأنتم أهلهما فافعلوا ما ترون مناسبًا لحياتهم.. ثم سأله عن زوجته فأخبرني بوضعها، فبادرت إلى الاتصال بالمستشفى المعنى ليتيح له فرصة الحديث معها، وبالفعل تحدث إليها وأطمأن على استقرار حالتها، وإمكانية مغادرتها الغرفة العناية المركزية وللمستشفى خلال يوم أو يومين، دمعت عيناه من الفرح، وشكر الله سبحانه وتعالى ثم استأذنتها في استعجال توقيعه على العملية المستعجلة حتى يتمكن من السفر لإحضار زوجته إلى الرياض، وافقت على ذلك وطلبت منه العودة بسرعة حتى نتمكن من إطلاعه على نتائج الفحوصات، ومن ثم فقد تولى قسم الخدمة الاجتماعية وعلاقات المرضى مساعدته فيما يتعلق بتسهيل إجراءات رحلته.



حسين



بعد الإفادة

كانت كل تلك الخدمات من الواجبات التي وُجّه بها المستشفى للتعامل مع الحالة، وفي اليوم التالي مباشرة لاستقبال التوأم عمدنا إلى تشكيل الفريق الطبي لدراسة الحالة ولمراجعة الفحوصات السريعة التي أجريت، وضم الفريق أطباء من العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة والتخدير وجراحة الأطفال وجراحة المسالك البولية والتجميل وال الطعام والتمريض وفنيي التخدير والتمريض من غرفة العمليات. ووضح للجتماع الذي عقده الفريق أن التوأم مشترك في أسفل البطن والخوض، ولكن منها طرف سفلي واحد، ويشتراك في طرف ثالث مشوه إضافة إلى انسداد في فتحة الشرج، وكشفت الفحوصات الداخلية وجود اشتراك بسيط في الكبد، واشتراك في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي، ومن النتائج التي أفلقت الفريق الطبي كثيراً معاناة التوأم حسين من مشكلة كبيرة في القلب تمثل في وجود عيوب خلقية صعبة جداً تعيق الحياة وقد تتطلب زراعة قلب كي يعيش مستقبلاً، وخلصت مناقشاتنا إلى ضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة شرج مؤقتة كي يتمكن الأطفال من تناول الطعام مما يساعدهما في زيادة وزنهم لتحمل العملية الأساسية. بعد تجهيز التوأم في اليوم التالي نُقل إلى غرفة العمليات، وأجريت لهما عملية فتحة مؤقتة لتصريف الفضلات في جدار البطن استغرقت مدتها ساعة واحدة، وحدّدت هذه العملية بالاتفاق حتى لا تؤثر على العملية المستقبلية، وبعد نقلها إلى غرفة العناية المركزة لحديثي الولادة متابعة حالتهم. اجتمع الفريق الطبي مرة أخرى بمشاركة الزملاء من قسم القلب للأطفال وتناقش الجميع طويلاً حول وضع قلب حسين وعدم قدرته على تحمل العملية بوضعه الحالي، وبناءً على ذلك اقترح بعض أطباء القلب إجراء عملية إسعافية لتوصيل الشريان الرئوي لحسين بالشريان المتوجه إلى اليد اليسرى لكي يخفف الضغط على القلب، ويفحص كذلك مشكلة نقص الأوكسجين لديه. كما تناقشنا حول سلامة وأمن عملية الفصل، فذهب بعضنا إلى عدم إجراء عملية الفصل مستقبلاً، بينما رأى آخرون ضرورة إجرائها لإنقاذ التوأم لأنهما لن يستطيعا الحياة مع وجود مشكلات كبيرة في قلب حسين، ثم استقر الرأي على إجراء عملية تحويل للدم الرئوي لحسين على أن يعقب ذلك اجتماع آخر إذا تحقق النجاح للعملية.

يبكيان وأنا أشرح

وصل عبد الله مع زوجته، واستقبلتهما في مكتبي وشرحت لهما المصاعب التي يعاني منها حسين، وتعقيدات الاتصال، ثم أطلعتهما على مجمل ما توصل إليه الفريق الطبي، وبينما أنا مستمر في الشرح لم تستطع الأم مقاومة دموعها المنهممة بغزاره والتي أثارت بدورها دموع الزوج. بذلك جهدي في تقليل حدة القلق والخوف لديهما، فطلبا مني مضاعفة الجهد من أجل إنقاذ حياة التوأم، وأطلعتهما على مشكلة قلب حسين التي ربما تعيق حياته، وأخبرتهما بما ذهب إليه أطباء القلب من أنه ربما يحتاج إلى زراعة قلب وهذه غير واردة في التوائم السيمامية، وأعلمهما بأن هناك عملية تخفيفية أو تلطيفية ستجرى خلال الأسبوعين القادمين، فأعلننا موافقتهم عليها. وقبل أن يغادرا مكتبي طلبت من قسم علاقات المرضى والخدمة الاجتماعية تأمين سكن لهما وتوفير ما يحتاجان إليه. وبعد أسبوعين أجري الفريق الجراحي عملية تحويل للدم رئوي ومساره عبر توصيله مؤقتة استغرقت مدتها حوالي الساعة ونصف الساعة ونجحت بحمد الله في تخفيف مشكلات الهبوط الكبير في القلب لدى حسين، ومن ثم



الفريق الجراحي



حسن

فقد استقرت حالة التوأم إلى حد ما، وببدأ فريق الأطفال في الاهتمام بالتغذية لمقابلة ضرورات رفع الوزن إلى ما يقارب ثمانية كيلوجرامات أو تسعه بما يمكن من إجراء العملية. أجرى الفريق الطبي عدة اجتماعات لاتخاذ قرار بشأن إمكانية الفصل، وبعد عدة أشهر تحقق الوزن المطلوب لعملية الفصل، وفي الاجتماع السادس اتفق أعضاء الفريق على أن إمكانية الفصل واردة، وأن نسبة الخطأ فيها قد تصل إلى ٥٪ تقريباً مع وجود مخاطر على حسين بالذات لأنّه قد لا يستطيع تحمل عملية الفصل، وبعد نقاش طويل استقر الرأي على إجراء العملية على الأقل من أجل إنقاذ حياة حسن.. شرحنا كل هذه الملابسات إلى والدي التوأم بوضوح، فوافقاً على ذلك رغم مرارة القرار وصعوبته عليهم؛ إذ ليس أمامها سوى ذلك.

قرر الفريق الطبي إجراء العملية يوم السبت ١٤١٩هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٩٨م، وكان من المتوقع أن تستغرق زهاء عشرين ساعة على أن تسيقهها عملية تجريبية وهمية قبل هذا الموعد بيومين بحضور والد التوأم، وتقرر لها الساعة الرابعة من بعد عصر يوم ١٩ نوفمبر ١٩٩٨م، ونقل التوأم إلى غرفة العمليات وكانت خطة العملية جاهزة ومكتملة لدى واشتتملت على ثمانى مراحل، وعكفنا على مراجعتها والتتأكد من كل احتياجات الفريق الطبي، فأصبح كل شيء جاهزاً تماماً، وتأكدنا أن مراحل العملية ستكتفى جميعها وفق ما هو مخطط لها، ثم دُعي والد التوأم إلى غرفة العمليات واطمأن على جاهزيتها. وقبل أن ينصرف أعضاء الفريق الطبي ذكر لهم على سبيل الدعاية بأهمية تجنب تناول الدسم من الأطعمة، مع الابتعاد عن الإرهاق والخلود إلى النوم المبكر وذلك بهدف رفع درجة استعدادهم للعملية. وكان موعدنا للقاء الأخير هو الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الحادي والعشرين من نوفمبر قبل موعد بدء العملية.

أسرتي تشدُّ عضدي

وكالعادة فإن الليلة التي تسبق يوم العملية تُعد من الليالي التي أحسب لها ألف حساب كثيراً، وقبل الموعد بيوم زرت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إبان ولايته للعهد، وشرحت له تفاصيل العملية رغم أنه كان متبعاً لكل هذه التفاصيل وعلى علم بكل ملابسات الحال؛ إلا أنني أطلعته على ما يقلق الفريق الطبي، فقال لي بالحرف الواحد (إنكم عملتم ما عليكم واجتهدم، ويجب عليكم أن تولوهما عنابة تامة، ولن يخيب الله سبحانه وتعالى رجاءكم، واتكلوا على الله وسوف يوفّقكم بإذنه تعالى) كان هذا الحديث مشجعاً لي وحافزاً لي على بذل كل ما بوسعي من أجل إنقاذ هذين الطفلين البرئين. وفي ذات الليلة، وبعد عشاء خفيف، ومؤازرة من زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونورة وسارة اتجهت إلى السرير بعد أن تناولت قرصاً دوائياً ساعدني على النوم، استيقظت قبل الفجر بنصف ساعة، فصلّيت ركعات دعوت الله فيها أن يوفّقني في إكمال كل مراحل العملية بنجاح، وبعد صلاة الفجر تناولت إفطاراً خفيفاً ثم اتجهت بسيارتي مع إشراقة الشمس إلى المستشفى الذي يقع بمنأى عن موقع بيتي، ويستغرق قطع المسافة إليه حوالي ٢٠ دقيقة، كان الشروق أمامي مباشرة وأنالاحظ الشمس تعلو قليلاً في الأفق، وكلما ازداد ضياؤها ارتفعت نبرات صوتي بالدعاء إلى الله بال توفيق، فكان ذلك الإشراق الباهر يملأ جوانحي بالأمل والبشرى، ويقوى دوافي إلى النجاح، وكنت أشاهد من بعيد مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني، هذه



حسن مع بقية التوائم



حسن وحسين بعد العملية

المدينة التي كان موقعها صحراء قاحلة تحولت إلى مدينة شامخة عاصمة؛ بل إلى أحد المراكز والمراجع الطبية المرموقة في المنطقة يشار إليها بالبنان، وكما كان نجاح هذه المدينة ؛ فإننا نستوثق معية الله لنا وتوفيقه في خطوتنا القادمة لرفع سمعة وطني الحبيب. ووصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحاً حيث سبقني زملائي أعضاء فريق التخدير، وبعد ربع ساعة أحضرنا التوأم، ثم وصل بقية أعضاء الفريق من التخصصات الأخرى، وكان والدا التوأم برفقته، وفي غرفة تجهيز العمليات تحدثت مع عبد الله، فطلب مني الاهتمام فيما قائلًا هما طفلاك وأنت مكانى في درجة الاهتمام بهما، تأثرت بكلامه، أما هو وزوجته فقد اكتفيا بإرسال دموعهما وهما ينحنيان على توأمها حضناً وتقبلاً، ووقفا عند باب غرفة العمليات.

توقف لمدة نصف ساعة

استغرقت عملية التخدير ثلاثة ساعات، تلتها مرحلة التعقيم، ثم مرحلة المشرط التي بدأتها بفتح الجلد باسم الله وعلى بركة الله مستذكرةً توجيه الملك عبد الله حفظه الله (ولي العهد آنذاك) وهو يشد عزمي قبل العملية، ثم توالت المراحل الثمانية، وبعد سبع ساعات واجهتْ حسين بعض المشكلات في نبضه، وانخفض ضغطه قليلاً، وبدأت أنظر بقلق إلى فريق التخدير الذي طلب منا التوقف قليلاً أثناء العملية لإعطاء أدوية تساعد القلب على الضخ أكثر، وبعد توقف لمدة نصف ساعة استأنفنا العمل مرة أخرى، وبعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة حالفنا التوفيق في إكمال فصل التوأم بموقف مؤثر في النفس حيث كان العد التنازلي من خمسة إلى صفر، فكان التصفيق والفرحة تطغى على كل الوجوه لأن الهاجم المخيف كان فقدان التوأم حسين، إلا أن الله سبحانه وتعالى وفقنا بأن يظل حسين على قيد الحياة، استغرقت بقية المراحل أربع ساعات، واكتملت جميعها والله الحمد بعد ثمانية عشرة ساعة ونصف الساعة، واختتمت بإغلاق الجراح وتغطيتها ونقل حسين وحسين بعد التقاط الصور التذكارية إلى غرفة العناية المركزية، وعند باب غرفة العمليات أقبل علىَ عبد الله والد التوأم يعانقني عنانقاً حاراً اختلطت فيه دموعه بعبارات الشكر والدعاء، فلم أستطع أن أتمالك نفسي أو أمنع دموعي من أن تنساب على خدي لتشاركه فرحته العارمة، وتقاسمه إحساسه في ذلك الموقف المؤثر، ولاحظت أن والدة التوأم تسكب أيضاً دمعها وهي ترى طفلتها في سريرين منفصلين. ومن المواقف التي لا يمكن إغفال ذكرها أو نسيانها ذلك الاتصال التي تلقيتها من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) قبل مغادرتي لغرفة العمليات ليطمئن على حالة التوأم، وليهنىء الفريق الطبي على نجاح العملية، والتي طلب فيه مني نقل التهنئة إلى والدي التوأم. نُقل الطفلان إلى غرفة العناية المركزية حيث مكثاً فيها ما يقارب الشهرين لأن حالة حسين كانت لا تزال مضطربة، وتطبّلت قدرًا كبيرًا من عناية أطباء العناية المركزية وأطباء القلب، ذلك أن وضع القلب لديه لم يكن مستقرًا مما استدعى تزويديه ببعض من الأدوية التي تساعده على تخفيه هذه المرحلة الحرجة، علاوة على المتابعة الدقيقة إلى أن استقرت حالتهما معاً وعادت وظائف أعضاؤها إلى طبيعتها، واستطاعا تناول الطعام بشكل طبيعي، ثم نقلًا إلى جناح الأطفال رقم (٧) الذي عُرف بجناح التوائم السينامية، وبعد شهرين من عملية التأهيل كان القرار بإخراجهما من المستشفى، فطلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) لقاءهما مع والديهما؛ فنقالا إلى مكتبه حفظه

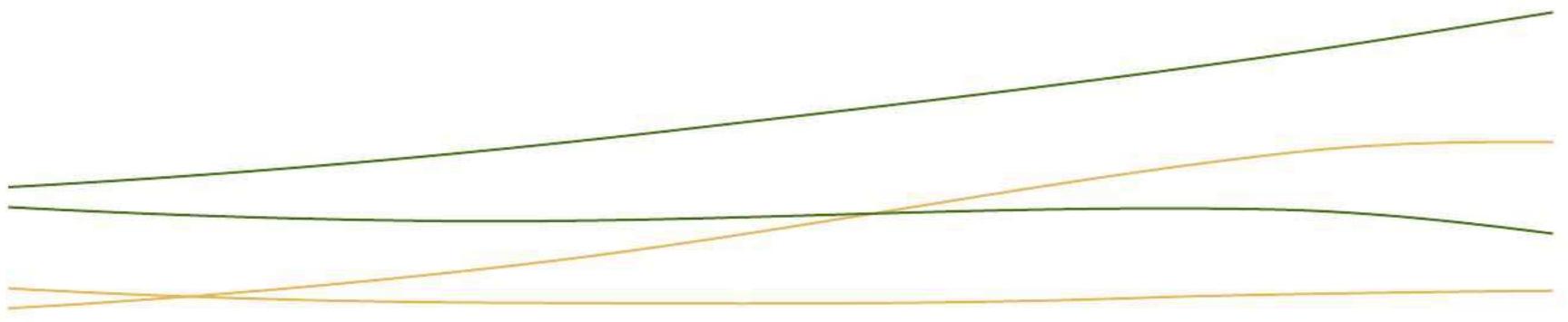


حسن مع بقية التوائم في (اليوم المفتوح للتوائم)

الله بالحرس الوطني، فاستقبلهما استقبلاً أبوياً وهنأهما على نجاح العملية، كما التقى بالفريق الطبي وهنأه أيضاً على هذا النجاح الكبير. وبعد شهر من مغادرة المستشفى أعيد التوأم حسين مرة أخرى نظراً لوجود ضمور كبير في الجهة اليسرى للقلب وهبوط حادٌ فيه، واحتلال في مخارات شرائينه، مع فتحات كبيرة بين البطينين والأذينين، وكان ضغط القلب ضعيفاً جداً.. فمكث في المستشفى قرابة الشهرين، ورأى الأطباء أن حالته لا تسمح بالخروج مالم تُجر له عملية زراعة قلب. وإزاء ذلك أخبر أطباء القلب والده بعدم إمكانية ذلك، وأن فرصة بقائه على قيد الحياة ضئيلة جداً. وبعد ستة أشهر أصبح حسين بالتهاب حاد في الرئة وهبوط حاد في القلب أدى إلى وفاته مما سبب أمراً كبيراً لوالديه، ولكن هذه النهاية كانت متوقعة منذ البداية. أما التوأم حسن فقد عاش حياة سعيدة، وهو الآن بالمدرسة ومن التميزين في دراسته، وحسب إفاده والديه فإنه أصبح سباحاً ماهراً ومنافساً أساسياً في سباقات السباحة. وعندما بلغ عمره عشر سنوات أتيحت له فرصة لقاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مزرعته وهنأ بهذا العمر المديد، وألقى حسن قصيدة مؤثرة في حضرته حفظه الله.



حسن في صورة حديثة له





حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ / يناير ٢٠٠٢م



حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م

خارج توقعات الأطباء!!

من الطبيعي أن يرزق المرأة توأماً، أو ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة توائم؛ غير أن الحالة التي سنتحدث عنها تعد نادرة جداً، ليس فقط على مستوى خبرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني؛ وإنما على مستوى المؤسسات المتخصصة في العالم، وهي حالة تخص أسرة بسيطة من جمهورية السودان الشقيقة. فقد كان الأستاذ هاشم يضرع إلى الله عز وجل أن يرزقه طفلًا يضفي على حياة الأسرة سعادة ويغمر ساحة البيت فرحةً ومرحًا ومحبة، وبالفعل شعرت الزوجة بأعراض الحمل وأخبرت زوجها ففرح واستبشر.. وأخذَا يتبدلان التوقعات حول نوعية المولود القادم، ذكر هو أم أنثى؟ أريده ولدًا، لا.. أتمنى أن تكون زهرة حلوة.. سلسلة طويلة من أسماء البنات والأولاد مُذكرة لاختيار أحدها بعد الولادة، كان الحمل طبيعًاً عدا أن حجم الرحم كان أكبر، وعناء الأم أكثر، وشكواها متكررة من كثرة (الحوامض) وفقدان الشهية وعزوفها عن بعض الأطعمة والمشروبات، وعدا ذلك فلا شيء آخر كان يزعجها، وعند متوسط شهر الحمل أخبر الطبيب الأم أنها تحمل توأمًا، ففرح الأب فرحةً شديدةً وكانت سعادته كبيرة، طفلان في حمل واحد، يالها من سعادة!! وتساءل الزوجان ما إذا كان التوأم ولدين أم بنتين؟ أم من الجنسين معاً ذكر وأنثى؟ استيقن الزوج أن هبة الله آياً كانت تحظى بالقبول والرضا، فهو جل وعلا يهب لمن يشاء إنساناً ويهب لمن يشاء الذكور، وتركز جهده في مضاعفة الاهتمام بزوجته حفاظًا على صحتها وصحة أطفالها.. ومع اقتراب نهاية الحمل أجرت الطبيبة المشرفة أشعة صوتية للأم بنت نتائجها أنها تحمل ثلاثة توائم، دهشت الأم ونقلت الخبر إلى زوجها مشيرة إلى أن الحالة تبدو صعبة جداً، وفي ضوء ذلك استغرق الأب في التفكير حول كيفية التعامل مع ثلاثة أطفال من حيث الاستعداد والتجهيز والتغذية والرعاية والعناية وما إلى ذلك، رأى نفسه ينوه بحمل كبير يفوق طاقته، فكيف يوفق بين سعيه في طلب العيش ومساعدة زوجته في رعاية التوائم الثلاثة.

دخلت الأسرة في حيرة كبيرة حين علمت أن الولادة تستلزم إجراء عملية قيصرية نظرًا النوع الحمل وصعوبته، وبالفعل نقلت الأم إلى مستشفى الولادة والأطفال بجدة حيث أجريت لها هذه العملية، وكم كانت دهشة الأطباء والأم كبيرة حين وجدوا أنفسهم أمام حالة نادرة جداً على مستوى العالم، وهي حالة لم يتوقعها الأهل ولا الأطباء ولا حتى المختصون.. إذ خرجت طفلة أنثى مكتملة وسليمة، والطفلتان الآخريات ملتصقتين، لقد كان الحمل ثلاثيًّا لإبنة، إحداهن طبيعية والاثنتان ملتصقات في منطقة البطن وأسفل الصدر، نقل التوأم إلى غرفة الإنعاش ليتم التعامل معه من حيث العناية والرعاية والتغذية، بدأت الطفلة المنفصلة عن التوأم تعامل طبيعًا، أما التوأم الملتصق فكان يحتاج إلى بعض الأوكسجين والعناية المكافحة.



بعد الفصل مباشرةً



نجلاء ونسمة قبل العمليات مع التوأم الثالث فاطمة

أسئلة هستيرية

كان الأب في الخارج يتضرر على آخر من الجمر ويفكر في أطفاله الثلاثة، وفي كيفية مساعدة زوجته على رعايتهم والعناية بهم؛ لا سيما أن وضعه المالي لا يساعد على الاستعانة بخادمة أو مرضية، وبينما هو غارق في تفكيره ومستسلم لخياله؛ خرجت إليه الطبيبة فتلقاها هاشماً تحركه لهفة الشفقة وعاطفة الأبوة، فأخبرته بانتهاء العملية وتبشره بسلامة زوجته، فسألها عن الأطفال؟ فطمأنته أنهما بخير إن شاء الله، فتساءل ما إذا كانوا ذكوراً أو إناثاً؟ فأجبت: رزقك الله ثلاث بنات ولكن... ففقطها متسائلاً: ولكن ماذا؟! وبدأ يطرح أسئلة بصورة هستيرية: هل مات أحدهم؟ هل ماتوا جميعاً؟ هل لديهم مشكلات وصعوبات خلقية؟ هل هم معوقون؟ ذكرت له الطبيبة بأن اثنين منها ملتصقتان، أي سيميلتان! لم يستوعب الزوج معنى المفردة، ولم يسمع بمثل هذه الحالة من قبل في حياته، ولم يقرأ عنها، فشرحت له الطبيبة وضع توائمه، فغَرَّاه واعتراه الذهول لحظة سماعه للخبر، كاد يستسلم لحيرته، ولكنه انتبه بعد فترة وأخذ يسأل عن الحالة؟ وما هي الاتصال؟ وعن معنى كلمة سيمامي؟ فأعلمه بأن ابنته ملتصقتان في منطقة الصدر والبطن، ويطلب ذلك رعاية خاصة وخبرة كبيرة للتعامل مع مثل هذه الحالات. ثم أكد له أن مثل هذه الحالة نادرة جداً. عاد إلى الإغراء في التفكير، وأخذ يحدث نفسه ويناجي ربه ودموعه تسيل على خديه: ويدعوه بياخلاص ليعينه على تجاوز هذه المعضلة، ويقول بخشوع: رزقتنى يا ربى وأن أراض وقائع بما رزقت، فأصرع إليك يا إلهي أن تفرج كربتي وتزيل همي وغمى، وأسألك أن تساعدني لأصبح قادراً على مساعدة بناتي.. ناجي ربه مناجاة الضعيف المنكسر، ودعا دعوة المضطرب الذي يرجو عونه جل وعلا، دعوة صادقة نابعة من القلب، استمر هاشم في البكاء، انكسار حقيقى أن يبكي الرجل، فدموع الرجال عزيزة، ولكن كيف لا يبكي من يناجي ربه ضارعاً خائفًا منكسرًا، لا يلام هاشم على دموعه المنسكبة بحرارة، ولا على حديثه مع نفسه؛ لأن المصاب جلل والمشكلة كبيرة. وبعد أن تحرر من هواجسه ذهب إلى زوجته؛ فوجدها غارقة في دموعها، بكى معها ولكنه تمالك نفسه، وحاول التخفيف عنها بتذكيرها بأن الله لا يغفل عن عبده المسكين، وأن نعمه علينا كثيرة وكبيرة، ويجب علينا الرضا التام بما اختاره لنا، فمشيئته غالبة وله في خلقه شؤون، ويجب أن تمتلىء قلوبنا بالإيمان والتقاول والأمل فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً، فسبحانه وتعالى هو الخالق والرازق.. سُرِّي عنها قليلاً، وما أن شعر بعلامات الرضا على وجهها حتى استأنها في أن يذهب للبحث عن وسيلة للمساعدة على حل هذه المشكلة.

موافقة خلال نصف ساعة

غادر هاشم غرفة الولادة، وقابله لحظة خروجه أحد الأطباء فواساه وتحدث إليه وأخبره بأن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض من المراكز المشهورة التي لديها خبرة في مثل هذه الحالات، وأعرب له في الوقت نفسه عن استعداده لمساعدته بالاتصال بأحد الأطباء المختصين، وبالفعل تلقى اتصالاً في مكتبي من هذا الطبيب، فأطلعني على الحالة وبين ملابساتها، وظروف الأسرة المعنية، ثم زودني برقم هاتف جوال فاتصلت فكان على الطرف الآخر رجل يتحدث لهجة سودانية، بدا مضطرباً



نجلاء ونسمة بعد العملية



نجلاء ونسمة أثناء الرضاعة

ومرتبكاً وهو يحذثني ويتوسل إلي أن أساعده لأن أوضاعه المادية تجعله عاجزاً عن فعل أي شيء، أخبرته أن في إمكانه أن يرفع برقية إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، ولكن واثقاً بأنه حفظه الله لن يرد طلبه ولن يخيب رجاءه. وبعد إرسال البرقية كانت المفاجأة كبيرة جداً بالقدر الذي تجاوز توقعات الأستاذ هاشم وقدرته على التصديق، فقد جاءته الموافقة بعد نصف ساعة فقط، مقرنة بتوجيهه لنقل التوأم إلى هذه المدينة الطبية العاشرة والعنيدة به.. كان يتوقع أن تطول فترة انتظار الموافقة أسبوعاً أو شهراً أو ربما سنة كاملة، لم يدر بخلده على الإطلاق أن يأتيه الفرج خلال هذه المدة الوجيزة التي لا تتجاوز ثلاثين دقيقة، هذا فوق الخيال.. كلفت أنا شخصياً بإيصاله بالموافقة، وفعلاً اتصلت به، فظن في البداية أنني أود استطلاعه عن الحالة وتزويدني بمعلومات إضافية، ففاجأته بأن الملك عبد الله (ولي العهد) يقرئك السلام، ويقول إن توأمك في عنابة الله سبحانه وتعالى، ثم عنابة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وقد وجه يحفظه الله بنقل التوأم إلى هذه المدينة بأسرع وقت، بكى كثيراً وكانت أسمع نشيجه وتهداه عبر الهاتف، وغلبه البكاء فلم يستطع الرد على إلا بكلمتين: جزاك الله خيراً وأنقل شكري إلى خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد آنذاك) حفظه الله. وبعد أن ودعه شرعاً على الفور في عمل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم.

دخل هاشم مسرعاً على زوجته وابتسامة عريضة وسعيدة ترسم على وجهه، وهو يصبح: البشري، البشري ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز وجه بنقل ابنتهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض المتخصصة في علاج مثل هذه الحالات، تملّكت الأم فرحة عارمة، وذرفت دموعها وهي تمسك يد زوجها قبلها وتحمد الله تعالى على هذه النعمة وتنجي عليه، وتدعوه لولي العهد. قال لها هاشم إن الله سبحانه وتعالى وعد من رفع إليه أكف الضراعة بالاستجابة لدعائه؛ لا سيما وهو قريب منها، وقد دعوه دعاء المنكسر الخاشع أن يفرج همَّ الطفلين، وهو هو يستجيب جل في عله. اكتملت كل ترتيبات النقل، وخلال أربعة أيام نُقل الوالدان والتوائم الثلاثة فاطمة الطفلة السليمية، ونسمية ونجلاء السيمياتان. وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية، واستقبلت التوأم في غرفة العناية المركزية للأطفال حديثي الولادة، وأخضع التوأم على الفور إلى بعض الفحوصات الدقيقة وال شاملة بمشاركة أحد الزملاء من استشاري العناية المركزية، ثم طلبنا بعض الفحوصات الأساسية، كما فحصنا الطفلة فاطمة فتبين لنا أنها سليمية جداً ولا تحتاج إلى دخول المستشفى، وبعد ذلك تحدثنا مع والدي التوأم وأطلعناهما بالتفصيل على وضع التوأم، وأخبرناهما بأن هذه الحالات تدخل ضمن ما يسمى بالتوائم السيمائية، وهي نادرة، وحالة توأمها نادرة بصورة أكبر وغريبة على المستوى العالمي، أوضحت لهما أن هناك التصاقاً في منطقة الصدر والبطن، وطمأنتهما بأن إمكانية المساعدة كبيرة بعون الله عز وجل؛ غير أننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء فحوصات إضافية حتى نتمكن من إيضاح الحالة وشرح تعقيداتها لكم. كان هاشم كما سبق أن ذكرت رجلاً مؤمناً بالله، وبعد أن أكملت حديثي، تمت بعبارات كثيرة يشكر فيها الله جل وعلا ويحمده، ثم أتبعها بالشكر على المساعدة التي حصل عليها بشكل سريع، ثم عبر عن ثقته الكاملة بالأطباء والمستشفى، وأكد لنا أنه هو وزوجته يقبلان عن رضا تام كل ما يصدر من قرارات عن الفريق الطبي، وهمما ينتظران قرارهم النهائي.



الفريق الطبي لعملية نجاة ونسيبة



نجاة، ونسيبة بعد العملية مع التوأم الثالث

نسبة نجاح عالية

وبعد ذلك بدأت في تشكيل الفريق الطبي والجراحي لتابعة التوأم وقررتنا الاجتماع في اليوم التالي لوضع الخطة الأولية، وبالفعل اجتمع الفريق الذي ضم متخصصين في: جراحة الأطفال، التخدير، العناية المركزة لحديثي الولادة، جراحة التجميل، الأطفال، التمريض، التأهيل، قلب الأطفال، الفنيين. وفي هذا الاجتماع شرحت لزملائي وضع التوأم وعرضت عليهم بعض الصور الخاصة بحالتهم وبيّنت لهم وجود اشتراك في أسفل الصدر والبطن، وأن الفحوصات الأولية كشفت عن وجود مشكلة في القلب لدى التوأم، ولذلك قررنا إجراء فحوصات دقيقة للقلب، وصور أشعة للبطن، وأخرى مقطعة وأشعات ملونة للأمعاء، ثم تولى زملائي في العناية المركزة رعاية حالة التوأم عند دخوله إلى العناية المركزة وكذلك الفحوصات التي أجريت حتى ذلك الوقت، واتفقنا على الاجتماع مرة أخرى بعد مرور أسبوعين.

عقدنا الاجتماع في الوقت الذي سبق أن حدّدناه، وحضره الزملاء من قسم الأشعة الذين قدموا عرضاً وشرحوا لنتائج الفحوصات، كما شرح الزملاء من قسم القلب النتائج التي توصلوا إليها من خلال فحص القلب.. وأظهرت هذه الفحوصات عيوباً خلقية في القلب لدى التوأم، ووجود ثقب بين البطينين، مع اشتراك في أغشية القلب، وفي الكبد، واشتباه بوجود اشتراك في الأمعاء.. وخلصت المناقشات إلى إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٨٠٪ إن شاء الله، وقررنا الانتظار إلى أن يصل وزن التوأم إلى ثمانية كيلوجرامات، وتطلب ذلك وضع نظام غذائي للتتوأم، وتولى المختصون بقسم تغذية الأطفال مسؤولية ذلك، فتجاوיבت الطفلتان بصورة سريعة جداً مع برنامج التغذية المحدد، وخلال أربعة أشهر من ولادتهما وصلتا إلى الوزن المطلوب، إذ بلغ الوزن مجتمعاً ثمانية كيلوجرام ونصف، وعلى إثر ذلك عقد الفريق الطبي اجتماعه الأخير واستعرض وضع التوأم وجميع الفحوصات التي أجريت له، والتي في ضوئها تقرر إجراء عملية الفصل في الاثنين ٧ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢ م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهامة بحضور والد التوأم، فاستعدّيه وشرحت له كل نتائج الفحوصات والتقارير بالتفصيل، فوافق على إجراء العملية، وأعلن قبوله لكل ما تمخض عنه من نتائج. وفي الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم ١٩ يناير ٢٠٠٢ م أحضر التوأم إلى غرفة العمليات لإجراء العملية الوهمية التجريبية. وبعدها وضعت خطة جراحية لعملية الفصل مجزأة على سبع مراحل تكمل جميعها حسب المتوقع في عشر ساعات، راجعنا هذه الخطة وتأكدنا من جاهزيتها وكذلك اكتمال الفحوصات وجاهزية غرفة العمليات والأجهزة. وبالفعل نجحت العملية الوهمية، وتلاها التجهيز لعملية الفصل الأساسية. شرحت كل مراحلها لوالد التوأم الذي أعرب عن تفاؤله وثقته في أعضاء الفريق الطبي.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى خادم الحرمين الشرفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل الحالة وما توصلنا إليه، فبارك خطواتنا ودعا لنا بالتوفيق بمشيئة الله، وذكرنا بالتوكل عليه جل وعلا في كل مراحل العملية.



نجلاء ونسمة مع أختهما التوأم فاطمة

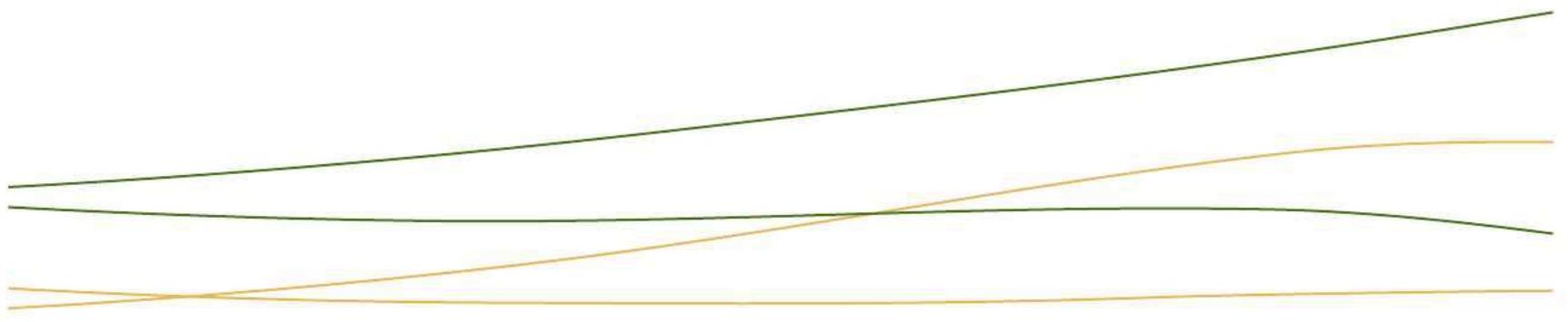


نجلاء ونسمة وفاطمة مع الجد والخال

عملية على الإنترنت

في الساعة السابعة من صباح يوم ٢١ يناير من عام ٢٠٠٢ م توجهت إلى المستشفى حيث التقيت بالزملاء أعضاء الفريق الطبي، وبعد ربع ساعة نقل التوأم إلى غرفة العمليات وكان والداهما برفقتهم حتى مدخل الغرفة، وطلبت من الأستاذ هاشم أن يطرح ما لديه من أسئلة واستفسارات؛ إلا أنه اكتفى بالتعبير عن ثقته في الأطباء، ووافق على كل مجريات العملية، ثم ودع هو وزوجته طفليهما بالدموع والقبلات. الجديد في هذه العملية عن سابقتها أنها قمنا بنقلها على شبكة الإنترنت لإطلاع المختصين عليها، وكان هناك تواصل بيننا وبين والدي التوأم في غرفة العمليات لإتاحة الفرصة لطرح أي أسئلة تطرأ لهم عن حالة طفليهما أولاً بأول.

وبحسب الخطة كان التخدير هو البداية وتلاه التعقيم ثم بدأنا العملية بعد تغطية التوأم بقص الجلد، وباسم الله تعالى بدأت أولى مراحل العملية بعد فتح البطن والصدر بفصل قلبي الطفلين عن بعضهما، وتم فتح الأغشية وإبعاد قلب نجلاء عن قلب نسمة وإيقاف أغشية القلب، وأثناء ذلك طرح والد التوأم بعض الأسئلة والاستفسارات، وشاركه بعض الإعلاميين في طرح الأسئلة، فتولينا الرد عليهم ونحن نواصل عملنا الجراحي، وكانت هذه أول مرة تشهد تعاملاً حياً مع والدي توأم سيامي والتواصل مع الإعلاميين من داخل غرفة العمليات. وبعد ذلك تمكنا من فصل الكبد، وكان هاشم وزوجته يسألان بعض الأسئلة ويتابعان العملية عن طريق شبكة التلفزيون الداخلية، تلا ذلك فصل العضلات وأغشية الأصلع وعظمة القص، واكتمل الفصل بعد حوالي عشر ساعات، ونقلنا إلى طاولتين مستقلتين، ولزمتنا ساعتين إضافية لإيقاف البطن والصدر، واكتملت العملية بنجاح في اثنى عشرة ساعة، وبعد إغفال الجراح وتغطية الجلد اصطفينا لالتقط صورة جماعية توثيقاً للخبرة، وعلت الابتسamas على الوجوه علامة على النجاح بفضل الله وتوفيقه. وبعد مغادرة غرفة العمليات التقى السيد هاشم الذي تهياً لاستقباله عند الباب، فاحتضنني ولسان حاله يلهج بالثناء لله سبحانه وتعالى ثم بالشكر لأعضاء الفريق الطبي؛ بينما سارعت زوجته ودموع الفرح تسقبها إلى ابنتهما لرؤيتها وهما في طريقهما إلى غرفة العناية المركزية للأطفال حيث مكثتا عشرة أيام إلى أن شفيت الجراح وعادت الأعضاء الحيوية إلى وضعها الطبيعي، وببدأ الأطفال تناولان الطعام، ونقلنا بعد ذلك إلى جناح الأطفال استعداداً لعملية التأهيل التي استغرقت أربعة أسابيع غادرتا بعدها المستشفى بصحة كاملة وأصبحتا تتابعان العلاج خارجياً، وبعد سنة تقريباً أدخلت نسمة إلى المستشفى لإجراء عملية إصلاح لثقب القلب التي اكتملت بنجاح. وبعد أن وصل عمر التوأم إلى ست سنوات عادتا من السودان إلى المملكة العربية السعودية بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي استقبلهما في مزرعته، وسلم على التوأم الثلاثة، وهنأ والديهما وأخذ حفظه الله صورة جماعية معهم.





٢٠٠٢ / سبتمبر / ١٤٢٣ رجب

٢٠٠٢ / سبتمبر / ١٤٢٣ رجب



خادم الحرمين الشريفين يصافح التوأم الماليزي ويستقبل الفريق الطبي

تحد آخر.. !!

رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م

نقطة تحول ونقلة نوعية

لم يكن التوأم الماليزي (أحمد ومحمد) مجرد توأم سيامي فحسب؛ بل نقطة تحول ونقلة نوعية في جراحات التوائم في المملكة العربية السعودية، فقد شكل هذا التوأم تحدياً كبيراً لخبرتنا في هذا المجال؛ لأن المهمة كانت ضخمة باعتبار أن هذه الحالة هي الأولى من خارج العالم العربي، والنجاح في جراحتها يحقق بعده إسلامياً وأسيوياً ورعا عالمياً، وقبول الحاله يضعنا أمام تحد حقيقي، ذلك أن هذا التوأم يختلف عن بقية التوائم الأخرى التي تعاملنا معها.

بدأت القصة مع ولادة التوأم أحمد ومحمد في إحدى قرى ماليزيا ذلك البلد الإسلامي الذي يقع في أقصى شرق آسيا، ولدا لأسرة فقيرة وبسيطة جداً لا حول لها ولا قوة، ولا تملك إلا اليقين في الله سبحانه وتعالى الذي لا يُخيب رجاء من جل إليه وتوكل عليه حق التوكل. جاء التوأم إلى الوجود بعد عملية قيصرية صعبة عانت منها الأم وكانت صدمة كبيرة للأسرة التي تعوزها إمكانات الحياة اليومية فضلاً عن أن تكون قادرة على التعامل مع توأم سيامي ملتصق التصاقاً كبيراً جداً، وبعد زوال آثار الصدمة بحث الأب عن إمكانية تساعدته على فصل ابنيه وفك الالتصاق والالتحام بينهما حتى تقرّ عين الأسرة وترتاح من فضول جميع أهل القرية وأسئلتهم، تنقل بين المستشفيات حتى وصل مع طفليه بمساعدة الأهل والأقرباء والأصدقاء إلى أحد المستشفيات الكبيرة في عاصمة بلاده حيث أجريت لهما فحوصات عديدة وكثيرة، وعندما وصل عمرهما إلى حوالي العام ونصف العام خضعا لمحاولة جراحية للفصل إلا أنها لم تكتمل نظراً لصعوبة الحالة وتعقيداتها مما أُجبر الفريق الطبي على التوقف وإغلاق الجراح، فشعرت أسرة الطفلين بخيبة أمل كبيرة، وكاد يلفها اليأس والقنوط بعد أن أشرق الأمل في جوانحها بتجاوز هذه المشكلة، وبعد أن غمرتها الفرحة بما توافر لها من مساعدات مؤهلة إلى نهاية سعيدة تفصل أحمد ومحمد عن بعضهما. صدم والدا الطفل وانفجر في نوبة بكاء محمومة عندما أخبرهما الطبيب بأن المشكلة كبيرة ومعقدة، وأن الاتصال يشمل منطقة الصدر والبطن والحوض، وبالتالي فإن إمكانات المستشفى ليست في المستوى الذي يقود إلى إكمال العملية، وأن الاستمرار في إجرائها يشكل خطراً على حياة التوأم، تصوراً هذا التقرير الطبي جداراً أسود ينتصب أمامهما، وعليهما أن يذعنوا للأمر الواقع، ويقبلوا الواقع ويعاملوا مع توأمها الملتصق طوال حياته، وتتصوراً صعوبة هذا التعامل مستقبلاً مع تواضع حالتهما المادية والمعيشية. بعد هذه الجراحة غير المكتملة عادا إلى بيتهما الصغير المتواضع الذي يتكون من غرفة واحدة وصالة صغيرة. ومع مرور الأيام ثما الطفلان على وضعهما، والأب لا يكف عن الدعاء والابتهال إلى الله، وحين بلغا حوالي الخامسة من العمر ارتفع وزنهما سوياً إلى ما يقارب خمس عشرة كيلوجراماً، ولذلك تعدد حملهما وأصبح في غاية الصعوبة والإجهاد، إضافة إلى أن فضول المجتمع لا يسمح بخروجهما من المنزل، وكان هم الأسرة يزداد وحيرتها تتسع كلما كبر الطفلان، وكان الوالدان يفكران في كيفية التعامل معهما عندما يبلغان سن الدراسة؟ كيف يدرسان وهما ملتصقان؟ وكيف يتتجنبان أعين الفضوليين؟ ويتفاديان سخرية الساخرين؟ أسئلة كثيرة ليس لها إجابة إلا الدموع والتعلق بحبل الله والصبر والدعاء إلى أن يأذن جل وعلا في التغلب على هذه المعضلة.



تحديد مكان الجرح



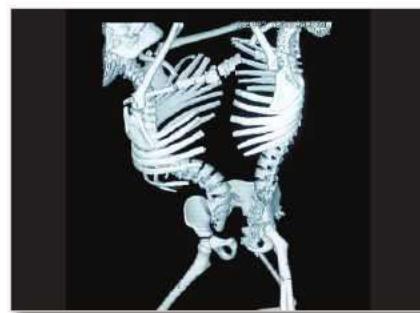
أحمد و محمد بعد الوصول

خيبة أمل في بريطانيا

وفي سن الخامسة والنصف، ومع استمرار الدعاء والتضرع استقبلت قريتهم جمعية خيرية بريطانية، وأعلنت هذه الجمعية عن إمكانية المساعدة على حل مشكلة التوأم؛ ومدّت يد العون إلى هذه الأسرة البسيطة، وبعد التشاور بين الأب والأم قررا عدم إضاعة أي فرصة تلوح في الأفق، وتأهّلت الأسرة بالفعل للسفر إلى بريطانيا بمساعدة هذه الجمعية. الأبوان لا يتكلمان اللغة الإنجليزية، ولا يعرّفان سوى الماليزية، وهذا الحاجز اللغوي يجعل من الصعب عليهما التعامل حتى في المدن الكبيرة ببلدهما فكيف ببريطانيا التي لا يعرّفان عنها غير اسمها، وبعد اكتمال ترتيبات السفر للأسرة صدر جواز واحد للتتوأم، وبالفعل سافرت الأسرة إلى بريطانيا، وطوال الرحلة كان الأبوان يدعوان ودموعهما تنسكب على خدوذهما.. وفي عاصمة الضياب لندن كان الجو بارداً والسماء ملبدة بالغيوم والأمطار، وتحملا هذا الجو الغائم والأمطار الغزيرة من أجل تواهمها. وبعد أن وصلوا إلى المستشفى أشّرق الأمل من جديد في دوّاخل الأب عبد الرحيم، وكان يسيطر عليه اعتقاد جازم بأن بريطانيا هي نهاية المطاف وفقاً لسمعتها الكبيرة بوصفها معلّماً للعلم والمعرفة والجراحات الطبية المعقدة؛ خاصة بالنسبة مثل هذه الحالات.. شكر الله على هذه الفرصة التي كان ينتظرها على آخر من الجمر؛ ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وبعد اكتمال الفحوصات اصطدمت الأسرة بصعوبة تحقّيق حلمها حين أعلن المستشفى عدم موافقته على إجراء العملية بسبب وجود مشكلات كبيرة تعيقها.. كما أصّبّت الجمعية الخيرية أيضاً بخيبة أمل ماثلة لما أصاب الأسرة، وأحس عبد الرحيم بأن جميع الأبواب موصدة أمامه، ولا نهاية لهذه الجدران السميكة العالية التي تفصله عن تحقيق حلمه، ثم همس لنفسه، ماذا بعد بريطانيا، إذا استحال الأمر في لندن التي يقصدها أصحاب الأمراض المستعصية من جميع أنحاء العالم للعلاج؛ فلا أمل في غيرها على الإطلاق، يبدو أن هذه هي نهاية المطاف. وبينما كان الزوجان في خضم هذه الصدمة الكبيرة تحوّطهما أمواج الكآبة، وتعلوّهما سحائب الغم؛ علم أحد الإعلاميين العاملين في قناة (mbc) العربية بهذه الحالة، وهي قناة لها اهتمامات مثل هذه الحالات، فبادر إلى تضمين نشرة الأخبار قصة إخبارية عن مشكلة التوأم السيامي الماليزي أحمد و محمد ومعاناة أسرته بين ماليزيا وبريطانيا، كان مجرد خبر ضمن مجموعة كبيرة من الأخبار في نشرة يومية عادية، من يسمع هذا الخبر؟ من يتبّه له وسط هذا الكم من الأخبار؟ ولكن العالم لا يخلو من العظام وأصحاب القلوب الإنسانية الرحيمة الذين يهتمون بقضاء حوائج الناس.

الخبرة السعودية في خدمة التوأم الماليزي

بتوفيق الله، وعلى غير ما توقعت الأسرة كان هناك رجل ذو قلب كبير يتبع الحالات الإنسانية، ودائماً الوقوف على أحوال الحالات الإنسانية التي تحتاج إلى المساعدة في جميع أنحاء العالم.. إنه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، سمع حفظه الله هذه القصة المؤثرة، وكان يعلم مدى خبرة بلاده في هذا المضمار، ويُثقل ثقة تامة في الكفاءات الوطنية، ويعلم أن الوطن يزخر بقدرات تستطيع قبول التحديات، فما كان منه بعد سماع الخبر إلا أن اتصل بي مستفسراً عن حال التوأم، فأجبته أنا نحتاج إلى بعض الوقت للتعرف على الحالة والإلام بتفاصيلها وملابساتها، بعد ذلك يمكننا تزويدك



صورة الهيكل العظمي



صورة بالأأشعة

بالمعلومات الكافية عنها، ونجيبي على ما طرحته من أسئلة دقيقة، فوجئني حفظه الله بأن أسعى إلى الحصول على المعلومات بأسرع ما يمكن، وبالفعل تمكنت خلال يومين من الحصول على التقارير المطلوبة من القناة المعنية، واتصلت كذلك بأسرة التوأم في بريطانيا، ثم درست مع زملائي كافة التقارير المتعلقة بالحالة، وفي صورتها أبلغت خادم الحرمين الشريفين أن إمكانية المساعدة واردة، وهذا يقتضي نقلهم إلى المملكة دراسة الحالة عن قرب، فأصدر حفظه الله على وجه السرعة توجيهها بقبول الحال، وأبلغت قناة (mbc) بذلك والتي بدورها أبلغت الأسرة بالموافقة الكريمة، فرحت الأسرة فرحاً شديداً، وقال الأب لم أكن أعلم أن المملكة العربية السعودية لديها خبرة في هذا المجال، وكنت أعتقد أن بريطانيا هي الملاذ الأخير فيما يتعلق بالجراحات الطبية، ونهاية المطاف في الطب للعالم، وإذا لم نوفق فيها فلا حيلة لنا ولا جهة نتتجى إليها بعد ذلك. وأردف قائلاً سعدت حين علمت أن بلدًا إسلامياً؛ بل منبع الإسلام والحضارة وقبلة المسلمين سوف يحتضن أحmedاً ومحمدًا، وأنني سأصل بلاد الحرمين الشريفين وأعيش بين أهلي وإخواني المسلمين. لم يطر المطاف بهذه الأسرة بعد أن تكفل خادم الحرمين الشريفين بحفظه الله بكلفة مصاريف وتكليف السفر والنقل إلى المملكة العربية السعودية، وحين وصلوا إلى الرياض كان في استقبالهم بالمطار فريق طبي وسيارة إسعاف مجهرة نقلتهم إلى المستشفى حيث كنت في استقبالهم عند المدخل الرئيسي، وبعد التحية والسلام عليهم اصطحبتهم إلى جناح الأطفال رقم (٧) حيث خصصت للتتوأم غرفة قربة من مركز التمريض، وبعد ذلك أخضعته لفحص دقيق بمشاركة زملائي في قسم الأطفال. وفور انتهاء الفحوصات والإطلاع على بعض التقارير الأساسية؛ جلست مع الأب والأم وشرحت لهما بمساعدة مترجمة تفاصيل الحالة، ومن حسن الحظ فإن المستشفى يضم مرضات من ماليزيا مما سهل عملية التخاطب كثيراً، وأخبرتهما بتعقيدات الحالة؛ إذ يوجد اشتراك في منطقة الصدر والبطن والحووض، مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل منهما والثالث مشترك بينهما، ولذا فأننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات، ويطلب الأمر من أسبوعين إلى ثلاثة وبعدها يمكننا اتخاذ القرار المناسب في هذا الشأن.

خلافات وشجار بين التوأم

وفي هذه الأثناء تم تشكيل الفريق الطبي الذي ضم تخصصات: جراحة الأطفال، تخدير الأطفال، أمراض الأطفال، جراحة التجميل، جراحة العظام، جراحة المسالك البولية، إضافة إلى كوادر التمريض والطب النفسي والتأهيل علاوة على تخصصات أخرى للعناية بالتتوأم، ولذلك تجاوز عدد أعضاء الفريق الطبي ثمانين شخصاً بين رجل وامرأة نظراً لحجم الحاله وصعوباتها وتعقيباتها وما تشكله من تحدي كبير لمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وعقدنا أول اجتماع بعد وصول التتوأم بيومين استعرضنا خلاله صور التوأم، وتولى الزملاء في قسم الأطفال تقديم شرح متكملاً للحالة، وعكفنا بعد ذلك على مراجعة الفحوصات الأساسية، وطلبنا فحوصات إضافية أخرى عديدة شملت أشعة مقطعة ومتناطيسية وملونة وعادية بجانب فحوصات عديدة للمسالك البولية والجهاز الهضمي، واستكمل قسم الأشعة جميع هذه الفحوصات خلال عشرة أيام.



أثناء العملية



نقل التوأم

وعقدنا اجتماعاً آخر ناقشنا خلاله هذه الفحوصات والأشعة بتفاصيلها التي كشفت لنا وجود اشتراك في أواسط الصدر والبطن مكتملاً والحوض، ولكل توأم طرف سفلي واحد وطرف ثالث مشترك ومشوه، كما يوجد اشتراك في أصل الصدر من الأمام والخلف، واشتراك في كل من الكبد والأمعاء والمسالك البولية والجهاز التناسلي فضلاً عن تليف كبير في البطن نتج عن محاولة إجراء العملية الأولى في ماليزيا. شكلت كل هذه التعقيدات تحدياً كبيراً للأطباء والجراحين. وطلب الزملاء في المسالك البولية وجراحة التجميل بعض الفحوصات الإضافية التي أجريت سريعاً، ثم اجتمعنا بعد أسبوع من ذلك لمراجعة الفحوصات التي تخضت في اتفاق الجميع على إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٦٥٪، وبرزت أثناء ذلك تساؤلات حول مدى الحاجة إلى مددات للجلد لتغطية الفراغ؟ أم يكتفي الفريق بالجلد الموجود؟ ولكن صرف النظر عنها بسبب ما ينبع عنها من مشكلات وما تتطلبه من عمليات إضافية للتتوأم، والاكتفاء بالطرف السفلي الثالث لتغطية البطن. وبينما الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم أحمد كانت أصعب من محمد لأن جسمه كان هزيلاً، ويحتاج إلى عناية أكثر من أخيه. منشاً الغرابة في هذه الحالة يكمن في عمر التوأم الذي بلغ خمس سنوات ونصف السنة، وكثيراً ما تنشب بينهما خلافات عديدة تتطور إلى شجار يتحول أحياناً إلى ضرب بالأيدي، وتفادياً لهذه الخلافات طلبنا من فريق الطب النفسي التعامل مع التوأم؛ خصوصاً وأننا كنا نتوقع وجود صدمة نفسية بعد الفصل نظراً لأنهما كانا ملتصقين طوال فترة الحمل ولمدة خمس سنوات ونصف السنة بعد الولادة.

حضور إعلامي كثيف

وأخيراً اتفقنا على إجراء عملية الفصل وحددنا يوم الثلاثاء ١٠ رجب ١٤٢٣ هـ الموافق ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢م، وكنا نتوقع أن تستغرق مدتتها قرابة اثنين وعشرين ساعة لعلمنا بصعوبتها وما تثله من تحدٍ كبير لنا. مشكلات كثيرة واجهت الفريق الطبي، بجانب عوامل أخرى أفققتها كالعملية السابقة التي لم يكتب لها النجاح في ماليزيا، وسفر التوأم إلى بريطانيا ثم عودته إلى المملكة العربية السعودية، وفوق هذا فقد كان الإعلام الماليزي والبريطاني يتبع هذه الحالة عن كثب، وصاحب التوأم فريق إعلامي بريطاني من قناة (سكاي) ومن قنوات أخرى من ماليزيا، جاؤوا لمتابعة سير العملية، والتحقق من مدى إمكانية نجاح الخبرة السعودية في إجرائها. كان الاعتقاد أن الخبرة السعودية لن تستطيع التعامل مع حالة معقدة كهذه طالما عجزت عنها الخبرة البريطانية. أسئلة كثيرة دارت في أذهان أعضاء الفريق الطبي، ولكن هذا الفريق كان طموحاً ومتطلعاً إلى مواجهة التحديات مهما كانت صعوباتها وتعقيداتها، ويضع سمعة الوطن وسمعة الأمة العربية والإسلامية نصب عينيه. قررنا كذلك إجراء عملية وهمية تجريبية قبل العملية الأساسية بيومين أي في يوم ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢م. وعقب هذا الاجتماع شرحت لوالدي التوأم بالتفصيل كل ما يتعلق بالعملية وصعوباتها المحتملة، وطرحا بعد ذلك كثيرة تبيّنت من خلالها الخوف الشديد الذي يتملك قلب عبد الرحيم لأنّه تعرض للصدمة مرتين ويخشى أن يتعرض لثالثة، وعبرَ عن ذلك بصرامة، فطمأنته بأننا نعتمد على الله سبحانه وتعالى ولن يُخيب رجاءنا بشيئته جل وعلا، ومن ثم وافق على قبول قرار الفريق الطبي رغم أنني قرأت في عينيه الخوف والقلق وربما عدم الثقة؛ نظراً لأنه واجه مثل ذلك في الماضي وهو معدور في إحساسه هذا. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مقام خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد



لقطة بعد الفصل مباشرةً ويوضح حجم العملية



فصل الأمعاء

آنذاك) وأبلغته بالتفاصيل وشرحـت صعوبـة الحالـة ومدى خطـورـتها، ونقلـت له خلاصـه ما توصلـ إلـيـه الفـريق الطـبـيـ، وـكان حـفـظهـ اللهـ مـتفـاـئـلـاـ دائمـاـ، وـثـقـهـ فيـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتعـالـيـ كـبـيرـةـ، وـأـوـصـانـيـ كـعـادـتـهـ بـالـاعـتمـادـ عـلـىـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتعـالـيـ وـتـوـكـلـ عـلـيـهـ. كـانـتـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ دـافـعـاـ لـلـسـيرـ قـدـماـ، وـحـافـزـاـ عـلـىـ الإـصـرـارـ وـشـحـذـ الـهـمـ منـ أـجـلـ إـنجـاحـ هـذـهـ الـمـهـمـ بـتـوـقـيـ اللهـ جـلـ وـعـلاـ.

فيـ السـاعـةـ الـرـابـعـةـ وـالـنـصـفـ منـ عـصـرـ يـوـمـ ١٥ـ سـبـتمـبرـ ٢٠٠٢ـ عـقـدـنـاـ اـجـتمـاعـاـ فـيـ غـرـفـةـ الـعـمـلـيـاتـ، وـكـانـ هـنـاكـ حـضـورـ إـعلامـيـ مـلـحوـظـ عـلـىـ غـيرـ العـادـةـ لـتـابـعـةـ الـعـمـلـيـةـ الـوـهـمـيـةـ التـجـريـيـةـ، وـحـاـولـتـ الـقـنـوـاتـ الـمـالـيـزـيـةـ وـالـغـرـيـةـ التـأـكـدـ مـدـىـ جـاهـزـيـةـ غـرـفـةـ الـعـمـلـيـاتـ. وـأـخـضـرـ التـوـأمـ بـرـفـقـةـ وـالـدـيـهـمـاـ، ثـمـ أـدـخـلـاـ إـلـىـ غـرـفـةـ الـعـمـلـيـاتـ لـإـجـرـاءـ الـعـمـلـيـةـ التـيـ سـبـقـتـ وـضـعـتـ لـهـاـ خـطـةـ مـتـكـامـلـةـ تـضـمـنـ عـشـرـ مـراـحلـ، ثـمـ رـاجـعـنـاـ تـجـهـيزـ غـرـفـةـ الـعـمـلـيـاتـ وـكـلـ مـاـ تـحـتـاجـهـ التـخـصـصـاتـ الـمـخـلـفـةـ مـنـ أـجـهـزةـ، كـمـ رـاجـعـنـاـ الـخـطـةـ مـرـتـيـنـ وـشـرـحـنـاـهـاـ لـوـالـدـيـ التـوـأمـ، وـأـخـنـاـ لـلـلـأـبـ فـرـصـةـ طـرـحـ أـسـئـلـةـ عـلـىـ أـعـضـاءـ الـفـرـيقـ الـجـراـحيـ؛ وـلـكـنـهـ اـكـتـفـيـ بـالـاعـرـابـ عـنـ أـمـلـهـ فـيـ اللهـ وـعـنـ ثـقـهـ فـيـ الـفـرـيقـ الـطـبـيـ، وـكـنـاـ نـعـلـمـ أـنـ مـتـرـدـ وـيـخـفـيـ دـاخـلـهـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ.. وـبـدـورـهـ أـثـارـ إـلـاعـامـيـونـ أـسـئـلـةـ كـثـيرـةـ مـغـلـفـةـ بـعـلـامـاتـ اـسـتـهـامـ عـدـيـدةـ. وـبـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـعـمـلـيـةـ الـوـهـمـيـةـ لـاحـظـنـاـ أـنـ مـذـيـعـةـ قـنـاـةـ سـكـايـ وـفـرـيقـهـ التـصـوـرـيـ يـوـجـهـنـ عـدـسـاتـ كـامـيـرـاتـهـ نـحـوـ مـسـجـدـ الـمـسـتـشـفـيـ لـتـصـوـرـهـ، حـاـولـتـ الـشـرـطـةـ إـعـاقـتـهـ وـمـنـعـهـمـ عـنـ ذـلـكـ، غـيرـ أـنـيـ وـجـهـتـ الـشـرـطـةـ بـالـسـمـاحـ لـهـمـ، ثـمـ سـأـلـتـ المـذـيـعـ:

- ما جدو تصوير المسجد؟

- أـجـابـتـ: أـوـدـ تصـوـيرـ الـمـسـجـدـ؛ لـأـنـ بـحـاجـكـمـ فـيـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ دـلـيلـ قـويـ سـوـفـ يـؤـكـدـ لـلـعـالـمـ أـجـمـعـ أـنـ هـذـهـ الـمـسـجـدـ لـاـ يـصـدرـ إـرـهـابـيـيـنـ؛ بـلـ يـصـدـرـ عـلـمـاءـ يـخـدـمـونـ الـإـنـسـانـيـةـ. وـبـعـدـ ذـلـكـ تـابـعـتـ إـكـمـالـ مـهـمـتـهاـ التـصـوـرـيـةـ دـوـنـ إـعـاقـةـ.

لـمـ أـحـظـ بـقـسـطـ وـافـرـ مـنـ الـرـاحـةـ طـوـالـ الـأـيـامـ التـيـ سـبـقـتـ الـعـمـلـيـةـ، وـانتـابـنـيـ إـحـسـاسـ بـالـقـلـقـ لـقـنـاعـتـيـ بـأـنـ وـضـعـ التـوـأمـ حـرـجـ، وـالـتـحـديـ كـبـيرـ، وـالـمـسـؤـولـيـةـ التـيـ حـمـلـنـيـ إـيـاـهـاـ خـادـمـ الـحـرـمـينـ (وليـ الـعـهـدـ سابـقاـ) ضـخـمةـ، كـمـ أـنـ وـجـودـ إـلـاعـامـ الدـاخـلـيـ وـالـخـارـجـيـ؛ وـخـاصـةـ مـتـابـعـةـ قـنـاـةـ (سـكـايـ) التـيـ يـشـاهـدـهـاـ الـمـلـاـيـنـ عـلـىـ اـمـتدـادـ الـعـالـمـ كـلـهـ، وـالـمـقـابـلـاتـ الـكـثـيرـةـ التـيـ أـجـرـيـتـ، كـلـ ذـلـكـ كـانـ كـافـيـاـ لـيـدـفـعـنـاـ إـلـىـ رـسـمـ صـورـةـ مـشـرـقـةـ وـمـشـرـفـةـ لـلـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ؛ خـصـوصـاـ أـنـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ تـجـرـىـ بـعـدـ دـوـنـ أـشـهـرـ مـنـ أـحـدـاثـ الـحـادـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ سـبـتمـبرـ التـيـ صـورـتـ إـلـاسـلامـ وـالـمـسـلـمـينـ بـصـورـةـ سـوـدـاءـ قـائـةـ هـمـاـ مـنـهـاـ بـرـاءـ، وـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ تـعـدـيلـ الـصـورـةـ مـنـ جـدـيدـ لـنـبـيـنـ لـلـعـالـمـ أـنـ إـلـاسـلامـ دـيـنـ مـحـبـةـ وـمـوـدـةـ وـإـخـاءـ وـعـطـاءـ.

أـحـمـدـ يـطـلـبـ رـؤـيـةـ السـكـينـ

حاـولـتـ فـيـ الـيـوـمـ السـابـقـ لـلـعـمـلـيـةـ الخـرـوجـ مـعـ أـفـرـادـ أـسـرـتـيـ فـيـ نـزـهـةـ قـصـيرـةـ، مـحاـوـلـاـ عـزلـ مـخـيـلـتـيـ عـنـ جـوـ الـعـمـلـيـةـ أوـ التـفـكـيرـ فـيـهـاـ؛ إـلـاـ أـنـ جـمـيعـ هـذـهـ الـمـحاـوـلـاتـ بـاءـتـ بـالـفـشـلـ. وـبـعـدـ تـناـولـ عـشـاءـ خـفـيفـ لـمـ اـسـتـطـعـ النـومـ فـاسـتـعـنـتـ عـلـيـهـ بـأـقـرـاصـ مـسـاعـدـةـ، وـبـالـفـعـلـ تـمـكـنـتـ مـنـ النـومـ لـسـاعـاتـ قـلـيـلةـ ثـمـ نـهـضـتـ قـبـيلـ الـفـجـرـ وـصـلـيـتـ رـكـعـاتـ اـبـتـهـلـتـ فـيـهـاـ إـلـىـ اللهـ أـنـ يـوـقـنـاـ فـيـ تـجـاـوزـ هـذـهـ التـحـديـ، وـبـعـدـ أـنـ أـدـيـتـ صـلـةـ الـفـجـرـ اـجـهـتـ بـسـيـارـتـيـ إـلـىـ الـمـسـتـشـفـيـ مـعـ إـشـرـاقـةـ الـشـمـسـ عـلـىـ الـطـرـيقـ السـرـيعـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ مـكـنـطـاـ.



الفريق الطبي لعملية أحمد ومحمد



التوأم الماليزي بعد انتهاء العملية

حركة السيارات في تلك الساعة المبكرة، وكلما ارتفعت الشمس من خلف الجبال التي تغطي منطقة خشم العان أخاطب نفسي بالقول لعل هذا الإشراق يكون إشراق نجاح إن شاء الله، دخلت المستشفى والتقيت بزملاطي في غرفة العمليات في الساعة السابعة والربع صباحاً، وفي غرفة ما قبل العمليات التقيت كذلك بوالد التوأم فانطلق يسأل عن مدة العملية وطولها وعن تفاصيل التخدير، وما يمكن أن يتبع عن العملية من مضاعفات، ورغم أن أسئلته كانت مقلقة إلا أنني أجابته عليها بمنتهى الهدوء حتى لا أثير شكه وازعاجه، وعادة ما تكون الأسئلة التي تطرح قبل العملية مقلقة كثيراً بالنسبة لأي جراح في بعض الأحيان.. كان الإعلام يتبع تحركاتنا خطوة بخطوة تسجيلاً وتصويراً. ثم ودع الوالدان طفليها بالقبلات والدموع ، وفي هذه اللحظة سألني الطفل أحمد صاحب الجسد الناحل والذكاء الملحوظ سؤالاً صعباً هو: هل يمكنني رؤية السكين التي ستستخدمها في فصلنا؟ أثر هذا السؤال في نفسي كثيراً وكادت تطفر من عيني دمعة، لكنني قاومتها وأجبته بأننا لا نستخدم سكيناً وإنما مشرطاً صغيراً، وأنك لن تمحس بأي ألم لأنك ستكون تحت التخدير الكامل، فسألني مستوثقاً: أمتأكد أنت من ذلك؟ وأنني سأنم وأصحو منفصلاً عن أخي؟ قلت له: إن شاء الله. ثم نظر إلى نظرة حادة قرأ فيها بعض الشك وعدم تصديق ما قلته له. لزمست الصمت بعد ذلك، وألقيت على نفسي ألا أتكلم خوفاً من أن تفضحني مشاعري، ثم دخلت مع الأطفال إلى غرفة العمليات بعد توديع والديهما.

شائعة تسرى داخل المستشفى

في غرفة العمليات بدأت أولى المراحل بالتخدير واستغرقت مدتها ما يقارب الساعتين ونصف الساعة، وأعقبت ذلك مرحلة التعقيم التي استغرقت وقتاً طويلاً؛ لأن موقع الاشتراك كما ذكرت كانت كبيرة، ثم أجرى الزملاء من قسم المسالك عملية منظار لمنطقة المسالك البولية، وبعد تغطية التوأم شرعت مع الزملاء في جراحة التجميل بفتح الجلد بعد التأكد من أن التوأم تحت التخدير الكامل، وبدأنا بسم الله وعلى بركة الله في فتح الجراح التي سبق أن فتحت. كانت العملية صعبة بسبب وجود التصاقات كبيرة في البطن استغرق فكها ثلاثة ساعات، وكانت ناتجة عن العملية السابقة التي أجريت في ماليزيا، ثم أكملنا عملية فصل عظام الصدر من الأمام وفصل الكبد، وبعد مرور ست ساعات واجه التوأم أحمد مشكلة كبيرة إذ بدأ ضغطه يقل بينما تزداد نبضات قلبه، وحرارته ترتفع ، فطلب مني طبيب التخدير التوقف.. كانت وسائل الإعلام تتبع تفاصيل عملنا بدقة، مع وجود اتصال مباشر بيني وبين والدي التوأم في غرفة العمليات، وكانت العملية منقولة على شبكة الإنترنت. وبناءً على طلب التخدير قمنا بتغطية الجراح، وتساءل الكل: ماذا حدث؟ ووجد مروجو الشائعات مادة خصبة مع هذا التوقف، وانطلقت شائعة في المستشفى بأن التوأم فقد حياته، وسادت حالة من القلق، فما كان مني إلا أن اتصلت بوالد التوأم عبر المايكروفون وطمأنته بأن المسألة لا تعود أن تكون مجرد ارتفاع في الضغط والوضع غير مقلق البتة، فقط يلزم منا بعض الوقت لحفظه وتعديله وعليه ألا ينزعج، وحاولت كذلك شرح هذه المشكلة لوسائل الإعلام؛ ولكن من يصدق الفريق الطبي خصوصاً أن مساحة الشكوك متعددة في دوائر الإعلام الغربية عن قدرة العالم العربي والإسلامي في كل المجالات لاسيما الطبي منها. ولا أخفى أن نبضات قلبي أخذت في الارتفاع ، وظهرت سمات القلق واضحة على وجوه أعضاء الفريق الطبي، وكان يلزم مني والحالة هذه أن أبادر



أحمد ومحمد بالزي السعودي



لمسة حنان

إلى طمأنthem وإزالة مشاعر القلق لديهم؛ برغم أن حالي لم يكن بأفضل منهم.. وكان الجميع يراقبون نبض وضغط التوأم تحت العملية؛ ولكن لا أحد فكرَ أو طاف بخاطره قياس نبض وضغط الأطباء والجراحين داخل غرفة العمليات، ولو فعل أحد ذلك لتبيّن له أن وضعنا الصحي حينها لا يقل صعوبة عن التوأم بسبب موجة القلق الكبيرة التي اجتاحتنا، استمر توقفنا لمدة ساعة ونصف الساعة تقريباً، وتطلب الأمر أن يباشر فريق التخدير عملية تزويد التوأم بجرعات عديدة من الأدوية بجانب المضادات الحيوية والسوائل إلى أن تعدل الوضع واستقرت حالة أحمد، وكانت أفكر أثناء ذلك في السؤال الذي طرحته أحمد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات، وتساءلت ما إذا كان هناك رابط بين سؤاله والحالة النفسية التي أمر بها الآن، وقلت لنفسي إنه ربما كان يقرأ المجهول، وكدت أصدق أن قرأت في ملامحه من شكوكه، ولكن كان فضل الله سبحانه وتعالى علينا علينا علينا كبيراً إذ استقرت الحالة، ورفعنا الغطاء عن الجراح، وواصلنا إكمال مراحل العملية، وتقينا من فصل الأمعاء والمسالك البولية والجهاز التناسلي الذي واجهتنا فيه مشكلة كبيرة مثلت في أنه جهاز واحد فلم يُعطِ أو يخصص !! وكان لا بد من متابعة الشرائين بدقة، ولما كانت هناك خصيتان فقد خصصنا واحدة لكل منها، وخصوصاً محمد بالعضو التناسلي نظراً لأن الشرائين آتية من جسده؛ بينما خصص العضو الضامر لأحمد. ثم تكنا بعد ذلك من فصل الحوض وفصل الطرف الثالث برفع العظام واستخدام العضلات والجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل. وكانت المرحلة التالية في قلب التوأم، وإكمال عمليات الفصل من الخلف، ولم يتبق من الجلد سوى خمس سنتيمترات لفصل أحمد عن محمد بعد مرور ما يقارب العشرين ساعة من العمل الجاد المتواصل دون توقف.. وفي هذه اللحظة وفي ظل متابعة وسائل الإعلام وتغطيتها بذاتها جميعاً في العد التنازلي ، وبعد إكمال عملية الفصل الكامل علا التصفيق في غرفة العمليات وكذلك سمعنا من خلال مكبر الصوت تصفيقاً حاداً في الخارج وهتاف والدي التوأم. كانت لحظة حساسة وسعيدة في الوقت نفسه، لم يصدق عبد الرحيم والد التوأم وزوجته عينيهما وهما يربان طفليهما منفصلين عن بعضهما في طاولتين مختلفتين، وغضبهما لهنئه حالة من الوجوم وكأنهما في حلم لا في واقع ماثل أمامها.. وفي النهاية أكملنا عملية تغطية الجراح، ونقل كل منهما على طاولة مستقلة لأول مرة في حياتهما، وشكلنا فريقين جراحين يختص أحدهما بأحمد والآخر بمحمد لإكمال تغطية الجراح وإعادة تركيب الأعضاء، واستغرق ذلك حوالي ثلث ساعات ونصف الساعة.

وبعد عمل جاد ومتواصل ودؤوب وضغط نفسي كبير طوال ما يقارب أربع وعشرين ساعة اكتملت كل مراحل العملية بإغلاق الجراح، وفي هذه الأثناء اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) ليطمئن على وضع التوأم، فأخبرته بنتائج العملية ونجاحها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم وجهني بأن أنقل التهنة إلى الفريق الطبي كل على حدة، وأن أهنئ كذلك والدي التوأم.. ثم وقفنا جميعاً لالتقط صورة جماعية توقيفية تعلو وجوهنا ابتسamas النجاح والفرح رغم ما نعيشه من آثار التعب والإرهاق والإجهاد؛ لأن نجاحنا نجاح للأمة العربية والإسلامية. مثّلت هذه العملية نقلة كبيرة؛ لأن ما لم يتم تتحقق في ماليزيا وبريطانيا تتحقق في بلاد الحرمين الشريفين منبع حضارة الإسلام ونور الهدى للعالم.



السفير الماليزي مع والدي التوأم



زيارة وزير الصحة السعودي

أبعدوني حتى لا نلتصلق ثانية

على باب غرفة العمليات كانت وسائل الإعلام المحلي والماليزي والبريطاني تشكل حضوراً واضحاً، ولكن سبقهم جميعاً والدا التوأم، إذ أحاطني عبد الرحيم بذراعيه وعانقني بحرارة شديدة بينما كانت دموعه تناسب على رقبتي، وكان يتمتم بكلمات كثيرة باللغة الماليزية، ولذلك لم أدرك حجم تداعيات وجدانه ومدى تعبيه عن إحساسه وفرحه، ولكن من الواضح أنها تعbirات عن شكر وامتنان، بينما احتضنت زوجته سرير محمد الذي خرج أولاً من غرفة العمليات وهي تبكي باستمرار، ثم تحولت إلى سرير أحمد ولم تستطع مقاومة دموع الفرح، شبكت يدي مع يد عبد الرحيم في طريقنا إلى غرفة العناية المركزة تصحبنا وسائل الإعلام والصحفيون.. وكان والدا التوأم يواصلان الحديث والتعبير عن شكرهما لخادم الحرمين (ولي العهد آنذاك) ولكل أعضاء الفريق الطبي، ويحمدان الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق وعلى تحقيق حلم كان عزيزاً ويعيد المنال.. وفي العناية المركزة بدأت مرحلة جديدة في حياة التوأم، وهي مرحلة صعبة وحاسمة لأن العناية بالتوأم تحتاج إلى تركيز وعناية وخبرة كبيرة من الفريق الطبي، ولكن أمكن التعامل معها بعناية كاملة ودقة كبيرة، واستغرقت إفاقتهما حوالي ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع، وبعدها عادت الوظائف الحيوية إلى طبيعتها. وعندما صحا أحمد من المخدر وأفاق بعد عدة أيام من العملية كان أول سؤال له عن أخيه محمد، ولم يصدق أنه في سرير مختلف، وتأثر نفسياً، وكان هذا متوقعاً وفق ما يسمى بصدمة الفصل، عقب ذلك عمدنا إلى تقريب سريريهما، فمدد كل منهما يده للآخر وقبلها، ثم شبكاهما مع بعضهما بشدة.. كانت هذه اللحظات مؤثرة في نفوسنا إلى حدٍ كبير.. وفي هذه الأثناء طلبنا فريق الطب النفسي ليتولى التعامل معهما، فقرر المختصون تقريب سريريهما ولصقاهما مع بعضهما حتى يتحدثا إلى بعضهما كلما استيقظا من نومهما. وبعد ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع غادرتا غرفة العناية المركزة في طريقهما إلى جناح الأطفال ليباشر فريق التأهيل مهماته لتأهيلهما، وكانت عملية التأهيل في الجناح رقم (٧)، وهكذا عادا إلى نفس الغرفة الواقعة بالقرب من مركز التمريض. وطوال فترة بقائهما بالجناح كانوا فرحين ومحبوبين من الجميع، وظل أحمد يردد ببراءة الأطفال وغافوريتهم: أبعدوني عن أخي محمد حتى لا نلتصلق مرة أخرى.. وبالطبع لا يلامان من خوف عودة الالتصاق بينهما لأن معاناة الالتصاق قاسية والحركة صعبة وفضول المجتمع أصعب. وبالفعل نجحت عملية التأهيل خلال شهرين ونصف الشهر، وخلال شهر آخر تم تركيب الطرف السفلي الصناعي، وبعد اكتمال هذه المرحلة تقرر خروجهما من المستشفى، وبعد الخروج استقبلهما خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) في منزله بصحبة والديهما، ورحب بالتوأم ترحيباً حاراً وقبلهما ثم هنا الآبوين بنجاح العملية وقدم للطفلين هدايا تذكرهما بهذا الموقف والتقط معهم صورة جماعية، كما استقبل أعضاء الفريق الطبي وهنأهم على هذا النجاح ثم توسلُّ لهم لالتقاط صورة جماعية معهما، وكان ذلك موقفاً إنسانياً ذو مشاعر جياشة سيبقى في الذاكرة طوال الحياة.



زيارة السفير الماليزي

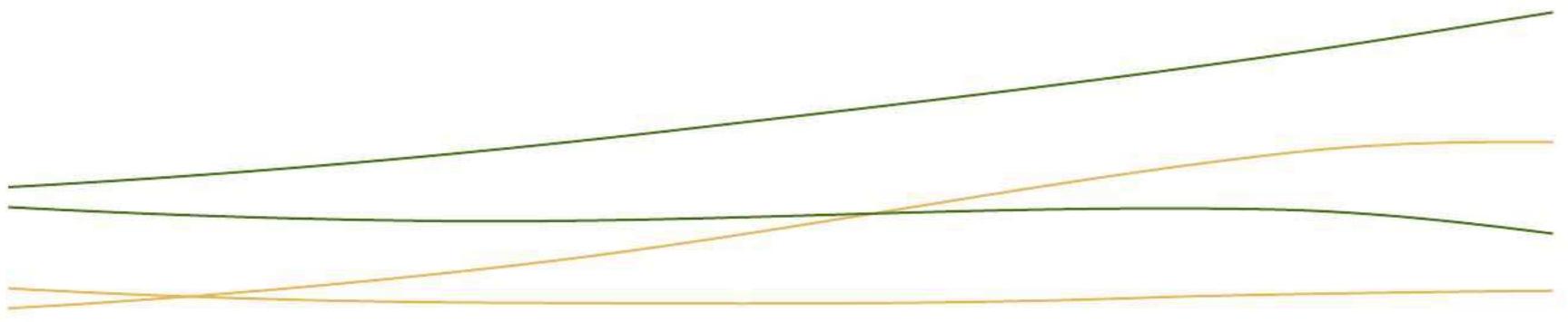


زيارة ممثل الأمم المتحدة

عاد التوأم إلى ماليزيا، ويبلغ سن العاشرة في هذا العام الذي نُوثق فيه عبر هذا الكتاب الخبرة والتجربة السعوديتين في مجال جراحة الأطفال السيمانين، وهما الآن في المدرسة ومن المتميزين بين أقرانهما على مقاعد الدراسة، وفي هذا السن عاداً مرة أخرى إلى المملكة العربية السعودية واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته واطمأن على صحتهما، والتقطت لهما معه يحفظه الله صورة تذكارية.



زيارة رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد للتوأم الماليزي





٩

من أرض الكناة إلى عاصمة الإنسانية

شعبان ١٤٢٤هـ / أكتوبر ٢٠٠٣م



من أرض الكنانة إلى عاصمة الإنسانية

شعبان ١٤٢٤ هـ - أكتوبر ٢٠٠٣ م

حماته تواسيه وتحفظ عنه

لم يدر بخلد السيد أحمد وزوجته اللذين يعيشان في مدينة القاهرة أن يرزقا بتوأم؛ بل كان حلمهما وأملهما أن يرزقا بطفل يضيق على حياتهما الزوجية طعمًا من السعادة ينعش بيتهما ببراءته وابتساماته العذبة، ولو علما بالتوأم لتضاعفت سعادتها. كانت الزوجة (ريما) تأمل في أن يرزقها الله بطفلة تداعبها وتسلّلها أثناء سفر زوجها الذي يعمل خارج مصر، وبالفعل حملت وظهرت عليها علامات الحمل وبدأت آثاره من وحم وتعب وإرهاق تزداد عليهما، وكانت تتبع مراحل حملها مع طيبة مختصة لم يتبن لها أثناء الحمل وجود توأم، كانت الأم دائمًا القلق، وتشور علامات الاستفهام في ذهنها عن موعد الولادة، متى وأين؟ وكان حديثها مع زوجها يتركز على اختيار الاسم المناسب، وهي لا تعلم ما بداخل رحمها، وفي نهاية أشهر الحمل قرر الأطباء إجراء عملية قيصرية نظرًا لتعسر إمكانية الولادة بصورة طبيعية، وبالفعل أجريت العملية في أحد المستشفيات بينما كان الزوج يجلس خارج غرفة الولادة متلهفًا للخبر السار بقدم مولوده البكر، وبعد ساعات من الانتظار خرج الطبيب ليخبره بولادة توأم، فرح أحمد واستبشر، غير أن الطبيب أردف هذه البشرى بكلمة: لكن.. والتي أكملها بعبارة: المولود توأم ملتصق!! كانت هذه المعلومة مثل وقع الصاعقة عليه، وتساءل ماذا تعني بتوأم ملتصق؟ شرح له الطبيب معنى الالتصاق وتفاصيل التوأم وأخبره أنهما بتنا ملتصقان في منطقة الصدر والبطن، وجم أحمد ولم يتبس بكلمة؛ بل ظل ساهماً شارد الذهن لا يعي ما يتحدث به الطبيب.. واستحوذ عليه التفكير في الغد، وفي كيفية إطلاع زوجته على هذا الخبر المزعج بعد إفاقتها من المخدر. وكانت بصحة أحمد والدة الزوجة التي أرسلت دموعها غزيرة حين طرق أذنيها خبر التصاق حفيدتيها، ومع ذلك جلست بجواره تحاول التخفيف عنه، ولكن دموعهما المنهمرة لم تتح لهما مجالًا لصفاء الذهن والتفكير السليم. وبعد فترة صمت طويلة ممتدّة تحركت شفتا الجدة بالحمد لله والشكر له على عطائه، وخطّبت زوج ابنته تذكره بأن لكل كربة مخرجاً، وتدعوه إلى التماسك حتى يدخل إلى زوجته رابط الجأش، وقلبه متليء بالثقة وبالرجاء في الله سبحانه وتعالى. وما أن أفاقت ريمًا حتى أبصرت زوجها والدتها أمامها يهنتانها بالسلامة، فكان أول سؤال طرحته عليهما: ولد أم بنت؟ تلعن احمد وانعقد لسانه، وتولت والدتها إخبارها بأنها وضعت توأمًا بنتين، ففرحت فرحاً شديداً وحمدت الله على هذه الهبة العظيمة، وقالت علينا الآن اختيار اسمين لهما، وسردت قائمة من الأسماء المرشحة لاختيار اثنين من بينهما؛ إلا أن زوجها قاطعها بأن التوأم لديه مشكلة بسيطة، علت الدهشة وجهها وصرخت متسائلة: ما هي المشكلة؟! أخبرني، أُفدي؟ ومع استفهمامتها المتلاحقة لم يتمالك أحمد نفسه فبكى أمامها، أوشك هذا الموقف أن يدفعها إلى انهيار كامل، وكانت تتلهف بشدة إلى إجابة شافية تزيل حيرتها، أمسكت والدتها بيدها بحنان، ثم أخبرتها أن التوأم ملتصق.. فصاحت تنادي الممرضة وتسأّلها ما معنى ملتصق؟ فيبيت لها أن جسدهما ملتصق من الأمام، ومثل هذه المشكلة نادرة جداً، لم تشبع هذه الإجابة نهماها بشكل يحقق اطمئنانها على بنتيها،



تاليا وتالين عند الوصول

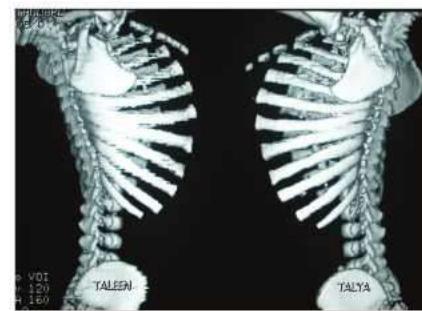
فانهارت وازدادت حدة انفعالاتها وصرخها، فطلبت الممرضة من والدتها وزوجها مغادرة الغرفة ريثما تهدأ وترتاح و تستقر حالتها النفسية، ثم أعطتها جرعة من الأقراص المهدئة لتحقيق ذلك.

ريما تستغيث بأبيها !!

أفاقت الزوجة من نومها بعد عدة ساعات، وعلى الفور طلبت استدعاء الطبيب المناوب ولكنه ضاعف من همها وغمها حين لم تجد عنده إجابة شافية ومقنعة؛ ولم تصدق ما ذكره لها من أن هذا الالتصاق يعُد أحد العيوب الخلقية، وقد تنفصل البنتان عن بعضهما ذاتياً دون جراحة، وتيقنت بأنه يحاول تهدئتها وطمأنتها تخفيقاً لما أصابها من صدمة وقلق وانزعاج، ثم طلبت استدعاء طبيب آخر قال لها بدوره إن مثل هذه الحالة نادرة وتحتاج إلى مركز متخصص للتعامل معها. نسيت ريمًا قائمة الأسماء التي أعدتها، ولم تعد تفكّر في اختيار اسمين من بينها لطفليها، ثم نادت على زوجها وأمها وما أن رأتهم حتى انفجرت باكية بكاءً مريباً، بذلك أنها جهداً كبيراً في تهدئتها وإعادتها إلى حالتها الطبيعية، وخطبتهما تذكرها بضرورة الاعتماد الكامل على الله جل وعلا وتفويض الأمر إليه، وأن لكل مصيبة مخرجاً ولكل هم فرجاً، وأنه سبحانه وتعالى سيفوننا في حل مشكلة التوأم، ولذا يجب أن تتفقى مع زوجك على اسميهما لكي يتمكن من تسجيلهما واستخراج وثائق الولادة. خرجت الجدة وبداً أحمس يخفف عن زوجته أثر الصدمة، ثم شرعاً في اختيار اسمين لهم، وأخيراً استقر اختيار ريمًا على اسم (تاليا وتالين). وبعد ذلك بدأت رحلة البحث عن حل للتتوأم، وتمثلت أولى الخطوات في اتصال ريمًا بأبيها الذي يعمل في المملكة العربية السعودية وأخبرته بولادتها بتوأم ملتصق، تحدثت إليه والعبرة تكاد تخنقها وتنعها عن الكلام، تأثر والدها كثيراً وشاركتها بكاءها وانفعالاتها، ثم طمأنها وطلب منها ألا تقلل أو تنزعج، وواعدها بأن يسعى ويبذل جهداً كبيراً في إيجاد حلًّ لهذه المشكلة؛ لا سيما وأنه سبق أن سمع عن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض وخبرتها في مجال الأطفال السيمائية، وعن عمليات الفصل التي أجريت فيها، ولذلك طلب على عجل تزويده بالتقارير اللازمة عن الولادة والتتوأم من المستشفى الذي استقبل الحالة بالقاهرة وأشرف على عملية الولادة القيسارية. وبعجرد أن تسلم التقارير المطلوبة أجرى عدة اتصالات بالمستشفى، كان آخرها الاتصال على مكتبي طالباً الموافقة على مقابلتي. وبعد حصول عبد الكريم والد الزوجة وجد التوأم على الموافقة جاء إلى مكتبي في أحد أيام الشتاء الباردة، وطلب لقائي منفرداً، لا أعرف الرجل ولم يسبق أن تعرفت عليه. أذنت له بالدخول فلمารأني حيانٍ بحرارة، وقال قصدتك طالباً المساعدة في مشكلة ابنتي التي رزقت بتتوأم إناث ملتصق في أحد مستشفيات القاهرة، ثم عرض مجموعة التقارير المتعلقة بالحالة، فطلبت منه التريث حتى أتمكن من الاطلاع على التقارير ومراجعة، وبعد قراءتها كاملة أوضحت له أن هذه الحالة هي حالة توأم سيمامي، وإمكانية مساعدة تاليا وتالين ممكنة في هذه المدينة والخبرة متواافرة؛ ولكنني سأعرض الأمر على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) للحصول على توجيه باستقبال التوأم. طلبت منه تزويدي برقم هاتفه ووعدته بالاتصال به في وقت قريب إن شاء الله، وفي مساء اليوم نفسه استقبلني خادم الحرمين (ولي العهد آنذاك)، فأوضحت له الحالة واطلعت حفظه الله على صور التوأم، ثم وجه على الفور بإحضار التوأم وإحاطته بكل الرعاية



منطقة الاتصال



صورة الهيكل العظمي

وتقديم العلاج المناسب له، وبعد خروجي من القصر مباشرة اتصلت بجد التوأم ونقلت له الخبر السار بالموافقة الكريمة، فحمد الله كثيراً وقال سوف اتصل الان بابنتي وزوجها لأنقل لها هذه البشرى السعيدة، وطلبت منه التوجه إلى قسم العلاقات العامة ليشرع في التنسيق مع أسرة التوأم حول إجراءات انتقالها من مصر إلى المملكة العربية السعودية حسب توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك).

مشكلة في قلب تالين

بعد أسبوعين وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلت مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وكانت في استقبالها، وعلى الفور نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) الذي اشتهر بالتعامل مع الحالات السيمائية، وخصصت الغرفة رقم (٧) أيضاً لاستقبال هذه الحالات، ومن ثم أجرينا فحصاً كاملاً للتتوأم، وطلبنا بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها قابلتُ والدي التوأم وجدهم وجدهم وأوضحت لهم أن حالة تالياً وتالين ليست معقدة، وإمكانية الفصل واردة، ولكن هناك فقط مشكلة في قلب تالين أظهرها الفحص الأولي مما يستدعي إجراء فحوصات إضافية، وقد تحتاج كذلك إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات.

ضم الفريق الطبي الذي شكل للتعامل مع هذه الحالة: قسم الأطفال، جراحة الأطفال، العناية المركزة للأطفال، التخدير، التجميل، التمريض والفنين المختصين ومرضيات غرفة العمليات والتأهيل الطبي، وعقدنا أول اجتماع لنا بعد وصول التوأم بيومين شرحت فيه لأعضاء الفريق حالة التوأم وعرضت عليهم بعض الصور المتعلقة بها ونتائج الفحوصات الأولية، وبعد استعراض كل ذلك اتضح وجود اشتراك في منطقة أسفل الصدر والبطن، كما أوضح فحص القلب وجود عيوب خلقية في قلب تالين وهي عبارة عن ثقب بين البطينين مع هبوط بسيط في القلب. طلبنا بعض الفحوصات الدقيقة واتفقنا على الاجتماع بعد أسبوع. وفي الاجتماع الثاني استعرضنا بمشاركة الزملاء في قسم الأشعة الفحوصات والأشعة التي أجريت بناء على طلبنا، ثم راجعنا حالة التوأم بتفصيل، وتبين لنا بعد المراجعة وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد واشتراك آخر بسيط في الأمعاء، واتفق كافة أعضاء الفريق على إمكانية الفصل بنسبة ٨٠٪ بميشنة الله، وفي ضوء كل ذلك قررنا إجراء عملية الفصل بعد أسبوعين من ذلك، وحدد لها يوم السبت ٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ٤ إكتوبر ٢٠٠٣م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ١ إكتوبر ٢٠٠٣م، وصل وزن التوأم مجتمعاً إلى الوزن المثالي وهو حوالي ٩ كيلوجرامات. وفي الساعة الرابعة من عصر يوم العملية الوهمية حضر الفريق الجراحي في غرفة العمليات وأعدنا خطة جراحية مكتوبة كاملة وشاملة لكل تفاصيل العملية تجري على سبع مراحل، وراجعنا كل هذه المراحل وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات، واتفقنا على اللقاء في الساعة السابعة من صباح يوم العملية الأساسية، لنبدأ عملنا في السابعة والنصف. شرحنا تفاصيل الحالة لوالدي التوأم وكان على قناعة تامة بكل المجريات، واتفقنا على اللقاء معهما مرة أخرى قبل العملية بنصف ساعة. وفي اليوم السابق لموعد العملية اتصلت بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل



عملية فصل الكبد



جدة تاليا وتالين ودموعه وداع قبل دخول غرفة العمليات

الحالة، وأكدت له إمكانية نجاح العملية، وأنها ستُجرى في الغد إن شاء الله، وكعادته حفظه الله أو صاني وزملائي بالاعتماد على الله سبحانه وتعالي والتوكل عليه في كل خطواتنا وأن نطمئن بأن النجاح سيكون حليفنا بمشيتة جل وعلا، ثم دعا لنا بالتوفيق ، فودعه عبر الهاتف بكل شكر وتقدير.

نقل حي على الهواء

وفي ليلة العملية ذهبت إلى النوم مبكراً كالعادة وصحوت مبكراً، ووصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحاً، والتقيت بزملاي ثم بوالدي التوأم مع توأمهما بغرفة التجهيز قبل العملية بربع ساعة كي أتيح لهما فرصة طرح أي سؤال يخطر ببالهما في تلك اللحظة، وليطلبوا أي معلومات قد يحتاجان إليها.. وأخبرت جميع أفراد الأسرة الأب والأم ووالدها ووالدتها بأن العملية ستكون منقوله لأول مرة حية على الهواء عن طريق التلفزيون لأن الإعلام بدأ يهتم بمثل هذه الحالات بعد أن أصبحت تمثل واجهة للعالم العربي والإسلامي ، وطلبت منهم الحضور في قاعة الاجتماعات حتى تنسى لهم مشاهدة العملية مباشرة والاتصال للحصول على أي معلومات مني أو من زملائي مباشرة. حانت مني التفاتة إلى أعين والد التوأم ووالدته فرأيت الدموع تتحدر منها بغزارة، وانهمرت القبلات من أفراد الأسرة على البنتين، وهم بدورهما ودعاهما برفع الأيدي والتلويع بها.

دخلنا غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحاً، وشرع فريق التخدير فوراً في مهماته، وتلا ذلك عمليات التعقيم حسب الخطة.. وبعدها مباشرة بدأنا عملية الفتح باسم الله وعلى بركة الله تعالى ، وتمثلت المرحلة التالية في فتح عظام وعضلات الصدر وعظمة القص، ثم وجدنا اتصالاً في أغشية القلب وتمكننا من فصلها، وإبعاد قلب تالية عن قلب تالين ، وإغلاق الأغشية مرة أخرى ، وبعدها تم فصل الكبد وفصل الاتصال البسيط في الأمعاء، وأخيراً بدأ العد التنازلي لإكمال عملية الفصل وشارك فيه البث الحي عن طريق التلفاز ، واتكملت كل مراحل العملية كما خطط لها بفصل الطفلتين عن بعضهما وكانت الفرحة عارمة مصحوبة بتصفيق حار شاركتنا فيه والدا التوأم ، ولأول مرة انتقلت تالية إلى سرير منفصل عن تالين في غرفة العمليات، وأعقب ذلك تغطية الفراغ بعد الفصل ، واستغرقت مدة العملية حوالي تسع ساعات. ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزية للأطفال حيث قابلتنا جميع أفراد الأسرة عند باب العمليات وكان العناق حاراً، ودموع الفرح تنساب على الخدود، وصحبوا جميعهم التوأم إلى غرفة العناية المركزية للأطفال حيث مكتناماً لمدة أسبوع نقلتا في نهايته إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل التي استغرقت مدتها حوالي ٤ أسابيع ، ثم خرجتا من المستشفى لتلقائهما أياً عطوفة وحنونه إذ طلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) استقبال التوأم وأسرته في مكتبه الخاص بالحرس الوطني ، وبالفعل انتقلت كامل الأسرة بصحبة الفريق الطبي إلى مكتبه حفظه الله حيث استقبل التوأم استقبلاً حاراً، وهنا الأسرة على نجاح فصل الطفلتين وشفائهما، كما هنا الفريق الطبي على نجاحه و توفيقه، والتقطت له يحفظه الله صورة تذكارية مع التوأم والأطباء، وقدم هدايا للأطفال، ثم قلد الأطباء أوسمة تقديرًا لجهودهم، وكان هذا هو الدعم الإنساني الكبير من هذا الإنسان الكريم



زيارة عالي الدكتور عصمت عبدالمجيد

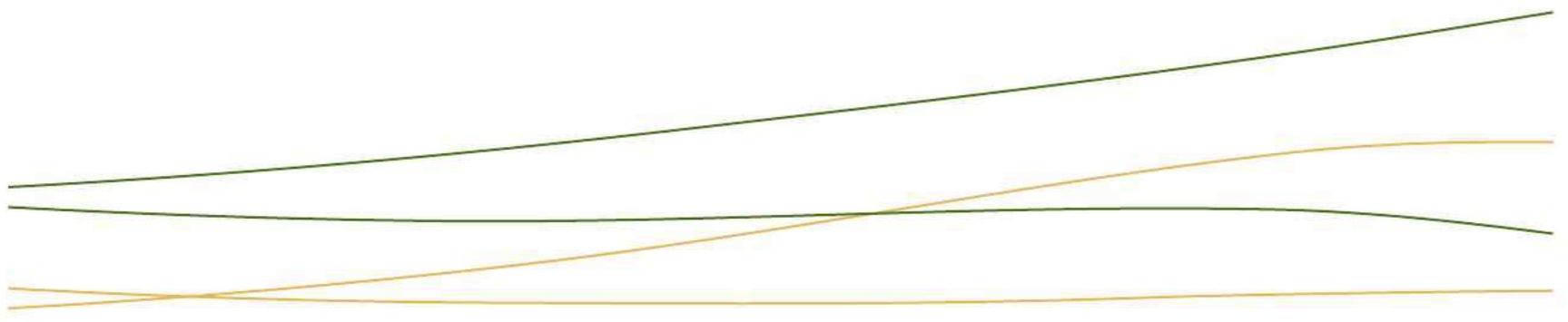


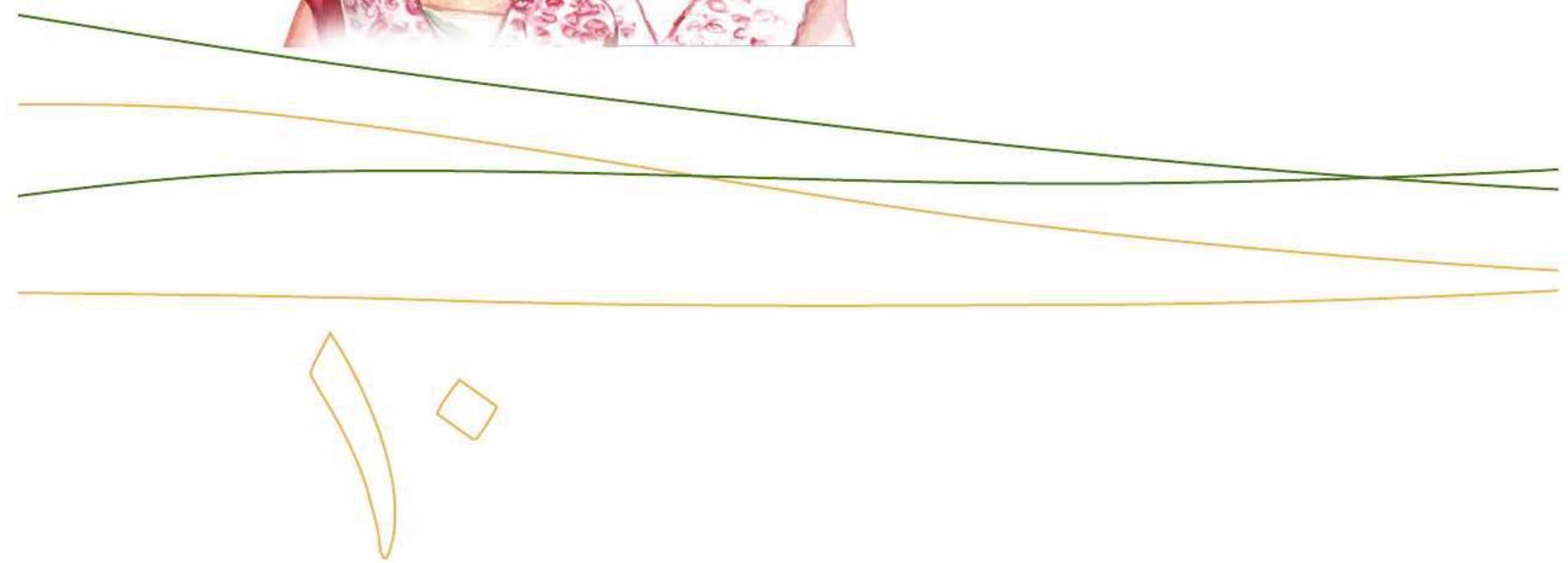
الفريق الطبي

للفريق وللأطفال. بعد ذلك غادر التوائم إلى جمهورية مصر العربية، ثم عاد التوأم بعد عام إلى الرياض للمتابعة، وأجريت عملية تصحيح لقلب تالين نجحت بمحبت باهراً والله الحمد والمنة ثم عادتا إلى بليهما. وعندما بلغ عمرهما الخامسة عادتا مرة أخرى إلى الرياض للفحص والمتابعة، واتضح أنهما في حالة صحة جيدة، واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته مع بقية التوائم في حشد رائع وبهيج والتقطت له صورة جماعية مع كل التوائم والديهم.



تاليا وتالين عند الخروج من المستشفى





بعد عاليٍ

محرم ١٤٢٥هـ / مارس ٢٠٠٤م



بُعد عالمي

محرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م

السعودية على ألسنة الملايين

تماماً كما أعطى التوأم الماليزي بُعداً إسلامياً لهذه الخبرة العالمية الإنسانية؛ هنا نحن نستقبل توأمًا من أقصى شرق آسيا، من دولة الفلبين ليوفر بُعداً عالياً وزخماً إعلامياً دولياً جعل أسم المملكة العربية السعودية أهزة وجة لطيفة على ألسنة مئات الملايين من البشر، حمدنا الله سبحانه على تنامي هذه الخبرة وبلغها إلى العالمية، الخبرة السعودية التي عزّزت قيم الدين الإسلامي، وأكَدت رحابة مبادئه ومفاهيمه وإنسانيته التي تسع كل الشعوب، وأعطت أنموذجاً حياً ومتميّزاً على سماحته مع مختلف أهل الديانات والمذاهب والمشارب، فالوطن الذي أعطانا ورعاانا وأهَلَنَا؛ جدير ببلوغ هذه الشهرة الطيبة العالمية. أسرة التوأم الفلبيني تعشق الديانة المسيحية، وقد شملتها أرياحية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وأظهرت هذه الموافقة بُعد النظرة والحكمة في قراره حفظه الله، فقد نقلت وسائل الإعلام الفلبينية أن الديانة الإسلامية بدأت تلامس قلوب كثير من غير معتنقها في الفلبين، ذلك أن الدين الذي لا يُفرّق بين بني البشر، وملك الاستعداد لاستيعاب كل جراحات الإنسان؛ لا شك أنه دين عالمي.

كانت هذه الأسرة فقيرة تعيش على الكفاف في قلب قرية تبعد عن العاصمة مانيلا مسافة ليست بالقليلة، وكانت تتأهّب وتستعد لاستقبال طفل جديد رغم العوز والفقر الشديدين الذين يجوسان داخل منزلها الصغير الذي لا تزيد مكوناته عن غرفة واحدة وصالة صغيرة، منزل يكشف مظهراً واضحاً من التواضع والبساطة. فالآب يعمل بأجر زهيد لا يكاد يكفي قوله لأيام قليلة، وليس له أي دخل آخر يعينه على مؤونة عيشه. ما كان الآباء يدرّيان ما يخبئه لهم القدر، وفي نهاية مراحل الحمل جاءهما الخبر بأن الزوجة تحمل توأمًا.. فقرْ مدقعْ وإمكانات محدودة، وظروف مالية صعبة لا تؤهلهما لاستقبال طفل واحد فضلاً عن توأم، وما زاد الأمر سوءاً أن ولادة التوأم تتطلب إجراء عملية قيصرية بسبب تعسر الولادة العادية، ازداد لهم على والد التوأم الذي اضطر إلى استدانة مبالغ كبيرة لمقابلة تكاليف العملية القيصرية، شعر أن العباء النفسي والمالي يزداد ثقلاً وصعوبة. ذهب إلى المستشفى، وظل ينتظر لحظة الولادة وهو شارد ساهم يتوزع تفكيره بين المخاطر التي تهدّد حياة زوجته وطفليه، والديون التي أرهقت كاهله ولا يدرى كيف السبيل إلى سدادها!! وتجول في خاطره أحياناً أسئلة كثيرة حول التوأم القادم، كيف يتمكن من رعايته وهو يكبح ويتعبر طوال يومه من أجل لقمة العيش؟ أين الإمكانيات التي تساعده في تحقيق متطلباته من تغذية ومالكل وملابس ومشرب؟ كيف تعامل الأم مع التوأم؟ ومن أين له الوقت لمساعدتها؟ هل يقوى على رعايتها حتى يكبرا؟ وإن مرض أحدهما أو كلاهما فمن أين له بمصاروفات العلاج؟ مشكلات كثيرة في انتظاره. دارت في مخيلته وزادت حيرته وهمومه!! وبينما كان في غمرة شروده وتفكيره؛ انتبه على صوت الطبيب وهو يخبره باكمال عملية الولادة، وقبل أن ترتسם الابتسامة على وجهه؛ أردف الطبيب بأن التوأم ملتصق (سيامي)، لم يستوعب معنى كلمة (سيامي)، وما أن شرح له الطبيب معنى المفردة حتى شعر وكأن صاعقة تضربه فوقع على الأرض كالمحشي عليه، تأثر وبكي كثيراً، حاول أن يتمالك نفسه ولكن الصدمة كانت كبيرة



صورة لخُرُوض آن وماي



آن وماي قبل العملية

وأثارها عميقة، وأدرك أن هذه الحالة غير عادية وصعبة ومعقدة، ويطلب علاجها تكاليف باهظة، ولا بد من البحث عن دولة أو مراكز متخصصة توافر فيها الخبرة الكافية لعلاج مثل هذه الحالات، اتصالات وسفر وتكاليف إقامة وفحوصات وعلاج... عبء لا يقوى عليه جسده الناول ودخله المتواضع، وإذا عجز عن علاج طفلته؛ فهل تستطيع الأسرة التعامل مع الحالة؟ وهل تحمل تطفل الفضوليين من أهل القرية؟

استجابة غير متوقعة

نهض الأب من على الأرض وقصد غرفة زوجته مهموماً تزلزل المحلة كيانه، ولما التقت أعينهما انفجراباكين بكاءً مريضاً كاد يizzق أصلعهما، حاولت الزوجة رغم انكسارها التخفيف عن زوجها إلا أن عواطفها وأشجانها غلبتها؛ فاكتفت بيارسال الدموع تجري على خديها. وبعد أيام خفت حدة الهموم، وتضاءلت آثار الصدمة، وببدأ التفكير في البحث عن حل لهذه المشكلة، المشوار طويل وصعب، وعدم توافر المعلومات وعدم معرفة الجهة التي يمكنها معالجة هذه المشكلة شكلاً عائدين أساسين أمام تحرك الأب الذي أحس أن الدنيا تدور به وتسود أكثر فأكثر أمام ناظريه، لا حيلة ولا سند، أقرباؤه في قريته لا يعلكون غير نظرات الإشراق، مساعداتهم لا تتعذر عبارات الموساة، أحس وهو يتمعن في عيون أهل قريته متواصلاً ومستعطفاً أن معظمهم لا يلتفتون إليه ولا يأبهون لحالته، ويمضون وكأن الأمر لا يعنيهم. بعضهم فضوليون، وآخرون يصرفون وجههم بعيداً ويتفاًغون، أكد له بعض أصدقائه أن مثل هذه الحالة يمكن علاجها خارج الفلبين.. تأوه وزفر بعمق والحزن يكاد يفطر قلبه ويزلزل كيانه، تحدّرت دمعات حرّى على وجنتيه وهو يتساءل؛ ما السبيل إلى تجاوز هذه المحلة؟ أنا عاجز عن التحرك داخل بدني؛ فكيف بي خارجها..؟! تملّكته الأحزان والآلام، ترك نفسه فريسة للهموم تطحنه طحن الرّحى؛ وبينما هو في هذه الحالة الكثيبة التي تعطل فيها تفكيره وخارت قواه، وأصبح كالمشلول؛ نصحه أحد جيرانه بعدم الاستسلام للكابة واليأس، واقتصر عليه مخاطبة فرع إحدى الجمعيات البريطانية الخيرية العاملة في مانيلا لعله يجد عندها مخرجاً يفتح له أبواب الأمل، حزم أمره واستعلن بالتصريحات التي استداناها من أحد أقربائه في السفر إلى العاصمة حيث الجمعية المشار إليها، وب بواسطتها بعث رسالة استغاثة عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية، كانت رسالة استعطاف واسترحام للعالم، كان يحلم ويتططلع إلى إحدى الدول الغربية الغنية التي توفر فيها الإمكانيات الطبية والتقنية، والقادرة على التعامل مع هذه الحالة؛ ولكن خاب أمله حين لم تتجاوب أي دولة غربية مع استغاثته التي أطلقها.. ولم يكن يتصور، بل لم يدر بخلده أن تصل هذه الرسالة إلى رجل برّ حريم، والد وإنسان عظيم في بلاد الحرمين الشريفين، إلى الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك)، وبينما كان ينتظر ويومن في أن تتكرم دولة غربية باستقبال طفلته؛ لامست الرسالة قلب الإنسان والوالد العطوف الملك عبد الله، فما أن أطّلع حفظه الله عليها حتى أصدر على الفور توجيهًا بنقل التوأم وأسرته إلى الرياض وعلاجه على نفقته يحفظه الله بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. سمع الأب الفقير والأم المسكينة بالخبر ففرحاً شديداً وتأثراً كثيراً لأنهما ما كانوا يتصوران أن تأتيهما الاستغاثة من دولة مسلمة؛ ولم تسفعهما تجربتهما المحدودة في أن يجدا المساعدة من قائد مسلم؛ بل كانوا يتوقعانها من دولة غربية، أو أن تتحمّل حكومة بلددهما



الفريق الطبي لعملية آن وماي



فصل الجهاز البولي

تكليف العلاج. ولكن أتاهما المخرج من القائد الإنسان الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك) .. وأدرك أن هذا عطاء إنساني يفوق تصوراتهم، ويتجاوز اعتقاداتهم التي تحصر أعمال الخير في المنظمات الخيرية الغربية، كانت المفاجأة كبيرة لم تحتملها عواطفهما؛ فانهمرت دموعهما من شدة الفرح .

استبدلت الحيرة بوالد التوأم؛ هل يسافر مع زوجته أم يبقى؟ فقره يتحمّل في قراره، فإن غلبة عاطفة الآبوة وسافر مع أسرته؛ سيخسر وظيفته ويصبح عاطلاً عن العمل، وإن آخر البقاء فلن يقوى على تحمل هموم الابتعاد عن أسرته وهي في شدتها ومحنتها وحاجتها إليه، القرار صعب؛ غير أن مرارة العيش أشد قسوة وألمًا، وأجرته صعوبة الحياة إلى قبول أخف الأمرين: البقاء رغم ما يمكن أن يعانيه من هواجس وخوف وقلق. طلب من شقيقة زوجته مرافقتها بدلاً منه، وهكذا كان القرار .

آن وماي في الرياض

وصل التوأم إلى أرض السلام بلاد الإنسانية ومنها إلى مدينة الرياض، وكانت الأم الصعبة حائرة وقلقة ومتعبة من وجودها في دولة تحبّل لغتها وعاداتها، ولكن كان هُمها مركزاً على توأمها وإمكانية علاجه، وما خفف عليها وأزال هواجسها وأبعد عنها الخوف ووجود الفريق الطبي وإحدى المرضات الفلبينيات في استقبالها بالمطار، ونقل التوأم برفقة الأم وأختها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للدرس الوطني حيث كنت في استقبالهم مع زملائي عند مدخل المستشفى، ثم نقلنا الطفلين إلى الغرفة رقم (٧) في جناح الأطفال رقم (٧) وأخذناهما إلى فحص دقيق تضمن بعض الفحوصات الأولية، وبعد ذلك تحدثت مع والدتهما وشرحت لها عن طريق مترجمة تفاصيل الحالة، وأخبرتها باشتراك الطفلين في البطن والوحوض، وأن الحالة معقدة وتستدعي إجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة كي نخرج بقرار إيجابي، وبينت لها أن هذه الفحوصات ضرورية رغم تفاؤلنا بنجاح فصل التوأم. وبعد ذلك شكلت الفريق الطبي الذي ضم حوالي ستين شخصاً من التخصصات المعنية، واجتمعنا بعد وصول التوأم بيومين، وواصلنا دراسة الحالة، واستعرضنا الصور الخاصة بها، وطلبنا إجراء فحوصات شاملة ودقيقة، ثم قررنا عقد اجتماع آخر بعد أسبوعين، وبالفعل أجريت الفحوصات المطلوبة التي شملت أشعة مقطعة وмагناطيسية وأشعة ملونة للجهاز البولي والتناسلي والجهاز الهضمي. وعقب إكمال الفحوصات الازمة ترأست اجتماعاً استعرضنا فيه حالة التوأم، ثم عرض الزملاء في قسم الأشعة تفاصيل الحالة واتضح لنا وجود اشتراك - كما ذكرت - في البطن والوحوض، علاوة على اشتراك في الجهاز الهضمي والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج، واشتراك في الجهاز التناسلي والجهاز البولي. كما اتضح لنا أن هذه الحالة تتسم بالغرابة والندرة حتى على مستوى العالم؛ فقد كان للفعلة (آن) عيب خلقي عبارة عن تكيس بالفص الأوسط للرئة من الجهة اليمنى مما شكل معضلة كبيرة للفريق الطبي؛ بل ويمكن أن يُعدَّ تهديداً لعملية الفصل؛ ولكن بعد مناقشات طويلة بين الفريق الجراحي وفريق التخدير، ثارت تساؤلات: هل نجري عملية لاستئصال ذلك الفص لأنه يؤثر على التنفس، ثم نجري عملية الفصل بعد أسبوع من ذلك؟ أو ندمج العمليتين معًا؟ وبعد دراسة علمية مستفيضة للحالة؛ قررنا جميعاً دمج العاملتين، أي إجراء عملية استئصال ذلك الفص المعيب بالرئة، ثم الاستمرار في عملية الفصل تحت تأثير نفس المخدر حفاظاً على حياة التوأم، لقد كانت تلك حالة



زيارة وزير الصحة الأمريكي للتوأم الفلبيني



دمع لتأسف قبل العملية

نادرة، وربما كانت الأولى من نوعها على هذا المستوى، ولكن قرارنا كان صائباً بالفعل. اتفق الفريق الطبي على إجراء العملية يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤ م بعد أن وصل التوأم إلى الوزن المثالي وتهيأت الظروف المناسبة، على أن تسبقها بيومنين عملية تجريبية وهمية. توليت شرح هذه التفاصيل لوالدة التوأم التي أعربت عن تفاؤلها، وابتسمت وفرحت وتلهفت إلى فصل ابنتيها (آن وماي)، وأتحنا لها مع اختها حضور العملية التجريبية الوهمية، ووافقت على إجراء العملية.. ثم راجعنا خطوات العملية التي كانت تتكون من عشر مراحل وفق التصور الذي حددها مسبقاً، واتفقنا على اللقاء في اليوم المحدد للعملية.

إنجاز علمي جديد

شكلت هذه العملية نقلة وبُعداً عالمياً، فقد صحبتها اهتمام واضح من وسائل الإعلام. وبعد العملية التجريبية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل العملية، وكعادته حفظه الله يحرص على رفع درجة الثقة لدى أعضاء الفريق الطبي، فأمرنا بالاعتماد على الله، وأن تكون متفائلين، ثم استأذنته في الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، وأنا أسأل الله التوفيق، وبالفعل اصطحبت زوجتي إلى مكة يوم الخميس حيث أدينا مناسك العمرة، ودعونا الله كثيراً أن يوفقنا في هذه العملية وغيرها خدمة لبلدنا المملكة العربية السعودية وللأمة العربية والإسلامية، ولبنين للعالم أجمع الوجه الصحيح لسمحة الدين الإسلامي. غادرت مكة المكرمة بعد صلاة الجمعة، وفي المساء خلدت إلى الراحة مبكراً واستيقظت مع أذان الفجر، وبعد أداء الصلاة تناولت إفطاراً خفيفاً ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت مع أطباء قسم التخدير في الساعة السابعة صباحاً، وبعد اكتمال بقية الزملاء عقدنا اجتماعاً في الساعة السابعة والربع، وفي هذه الأثناء تم إحضار التوأم إلى غرفة العمليات بصحبة الأم وأختها، وقدمت لهما شرحاً عن تفاصيل العملية مرة أخرى، ثم أقبلت الأم تقبل طفلتها وعيناها تدمعن بغزارة، فاحتضنتها بعض الممرضات الفلبينيات واصطحبنها إلى غرفة الاجتماعات حيث تعرض العملية على شبكة التليفزيون الداخلية. بدأت العملية بالتخدير ثم عملنا على فتح صدر التوأم (آن) واستأصلنا الفص المتكيّس خلال ما يقارب الساعة ونصف الساعة، وتمثلت المرحلة التالية في تعقيم التوأم وإجراء منظار للمسالك البولية، وبعد تغطية التوأم بدأت العملية بقص الجلد بين الطفلتين وأكملنا مراحل العملية جميعها دون أن تواجه الفريق الطبي أي صعوبات، واستغرقت مدة العملية حوالي ثمانية عشرة ساعة ونصف .. ونجح الفريق الطبي في هذه العملية المعقدة مسجلاً إنجازاً علمياً جديداً للوطن وللعالم العربي والإسلامي، وفي النهاية وقفنا لالتقط صورة جماعية توثيقية .. واستقبلت والدة التوأم طفلتها عند باب غرفة العمليات في طريقهما إلى العناية المركزة بدموغ الفرج والقبلات، وكانت وسائل الإعلام حاضرة تصور وتسجل المشهد، وتستطيع انطباعات الفريق الطبي، وتتعرف على مشاعر الأم في تلك اللحظات المشحونة بالعواطف والوجدانيات .. شاركت أسرتي في هذه العملية بإرسال كعكة خاصة للفريق الطبي تهنئه بنجاح العملية. وكعادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) اتصل بالفريق الطبي مهنئاً بهذا النجاح الكبير الذي تحقق بعون الله وتوفيقه، كما استقبل



فرحة الخروج



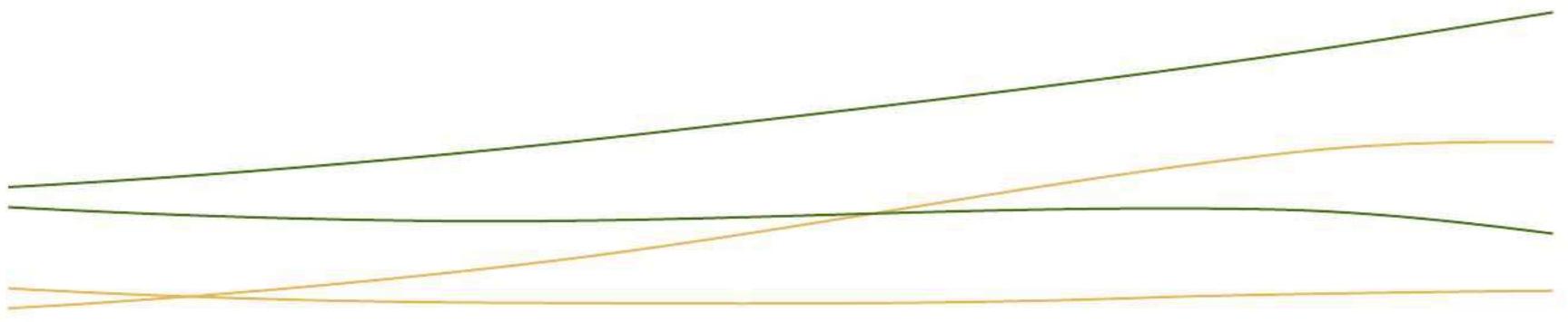
زيارة صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله

الفريق تهنئة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، ونقلت هذه التهاني إلى والدة التوأم أيضاً. مكث التوأم في العناية المركزة حوالي عشرة أيام ثم نقل إلى جناح الأطفال حيث بدأت عملية التأهيل التي استمرت لمدة خمسة أسابيع تخللتها مفاجأة سارة للفريق الطبي تمثلت في زيارة خادم الحرمين الشريفين للطفلين للاطمئنان على صحتهما، وكان يسأل أعضاء الفريق الطبي عن حالتهما وضعهما مما أكد إنسانية هذا الرجل، ومدى حبه للأطفال. غادرت الطفلتان إلى القلبين وعندما بلغ عمرهما الرابعة عادتا إلى المملكة العربية السعودية للمتابعة، ولا زال وضعهما مطمئناً والله الحمد، كما استقبلتا بعد ذلك مع بقية التوائم في مزرعة خادم الحرمين الشريفين ...

وهكذا شكّلت هذه التجربة الناجحة تجسيداً صادقاً لسماحة الدين الإسلامي الذي لا يفرق بين جنس أو شكل أو لون أو طبقة أو مذهب .. هذا الدين الذي يعطف على الإنسان أيّاً كان وأينما وُجد.



آن وماي بعد ثلاث سنوات مع والدتهن وخالتهم





أطباء بولندا يشكون !!

ذو القعدة ١٤٢٥ هـ / يناير ٢٠٠٥ م

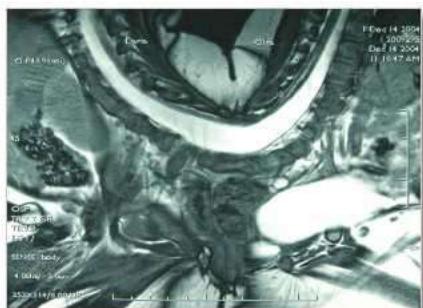


أطباء بولندا يشكّون !!

ذو القعدة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥م

وافد غريب في ضيافة كراكوف

(كراكوف) بلدة صغيرة في بولندا لا يتجاوز عدد سكانها عشرة آلاف نسمة، لم تسمع في تاريخها العريق باسم (التوائم السيمامية)، ولا تعلم شيئاً عن التصاق الأجنة، حياة سكانها هادئة وادعة دوماً، من بينهم سيدة تنتهي إلى أسرة فقيرة، شعرت هذه السيدة خلال الأشهر الأولى من زواجهما بأعراض الحمل، وكان العمل بالنسبة لها تجربة جديدة تعايشها لأول مرة، حلت بأن ترزق بطفل يملأ حياتها ويُسعد أسرتها البسيطة، وتتصور نفسها تناهيه وتلاؤبه.. . ومع تقدم أشهر الحمل، وعند أواسطه ظهرت عليها بوادر غرابة غير تلك التي عرفتها من قريباتها وصديقاتها المتزوجات، أحسست أن أعراضه مختلفة، ومشكلاته في ازدياد، ارتفاع في الضغط، ضخامة في حجم البطن، ولذلك سارعت إلى إجراء فحوصات في أحد المستشفيات الصغيرة أثارت تلك الفحوصات الشك في أنها تحمل توأمًا من الإناث، قلقت، وداخلها هم حول كيفية التعامل مع طفلتين رضيعتين في وقت واحد، وكيف توفق بين رعايتها واحتياجاتهما والتزاماتها الأسرية الأخرى، استمرت في مراجعتها للمستشفى، وأحسست الطبيعية أن هذا الحمل غير واضح، وتنامي لديها نوع من الشك بأن في الأمر شيئاً غير عادي، كأن تكون في التوأم عيوب خلقية، ودفعها هذا الشك إلى أن تطلب من هذه السيدة مراجعة مركز متخصص لتشخيص الحالة في مدينة (يانكوفو) القريبة من كراكوف، وبالفعل أخذت السيدة لفحوصات وصور عديدة تبين على ضؤوها حملها بتوأم سيمامي. صُعقت الأم وهالها الخبر وبكت كثيراً كما لم تبك من قبل، ودفعها الخوف والقلق إلى طرح مجموعة من الأسئلة والاستفهامات على المختصين، أين مكان التصاق؟ ما هو حجمه؟ التصاق كامل أم جزئي؟ هل سيعيش التوأم أم لا؟ ولكنها لم تلتقي أي إجابة شافية من الأطباء المشرفين عليها. وإذا هذه الحقيقة تحرك تفكيرها للبحث لإيجاد مخرج، وماذا تفعل إذا لم يتيسر لها وجود حل لهذه المشكلة؟ علمت أن التعامل مع حالات التوائم المتخصصة قاصر على مراكز متخصصة لها خبرات وتجارب في هذا المجال، ويحتاج إلى أموال طائلة ونفقات عالية، وقد يتطلب الأمر السفر إلى خارج البلاد وما يصاحب ذلك من تكاليف تفوق طاقة الأسرة وقدرتها المالية، أحسنت أن عيناً ثقيلاً يجثم على صدرها. ولما حان وقت الولادة اتجهت إلى المستشفى، باشر الأطباء المتخصصون حالتها، أجروا لها عملية قيصرية، وبعد الولادة أخبرها الأطباء أن القادم توأم من الإناث متخصص في منطقة الورك والخوض، وأفرغوها وأقلقوها مضعجها حين أكدوا لها أن عملية فصل التوأم معقدة وشديدة الصعوبة، ولا تجرى إلا في المراكز المتخصصة. لم يغمض لها جفن منذ أن شُفيت من جراح العملية القيصرية، وانشغلت بالتوأم، وسيطر عليها التفكير في وسيلة تعينها على البحث عن ملاد. أدخل هذا الوافد الجديد والغريب الأم في حيرة كبيرة ممتدة، ظروف الأسرة في غاية التواضع ولا تتيح إلا أحداً أدنى من العناية بنفسها؛ فكيف بتوأم سيمامي يقتضي رعاية خاصة وعناء طبية فائقة، ومراجعة لمراكز طبية متخصصة، ومبالغ طائلة للسفر، واحتياجات أخرى مرئية وغير مرئية لا يقبل لها بها. حمل ثقيل جسم على كاهليها كاد يسلّمها إلى الهلاك. وما أن بدأت الأسرة في التردد المتكرر على عدة مراكز طبية في بولندا؛ حتى ازدادت معاناتها وأضحت أكثر حدة وقسوة، مراجعات مخيبة



صور للإلتضاق في العمود الفقري



أولغا وزاريا عند وصولهما

وقاتلة للأمال، فما الأمر؟ أجمع الأطباء على صعوبة الحالة وتعذر إجراء أي نوع من العمليات لعلاجها!! وأكمل لها الأطباء ان نسبة نجاح فصل طفتيها ضئيلة جداً، ومثل هذه العمليات لا تجرى إلا في مركز متخصص بالولايات المتحدة الأمريكية.. يأس يتراكم على يأس، وهم يزول بهم كالشوك يُنزع بالابر.

طلع إلى أمريكا وإغاثة من السعودية

إذن لابد للأسرة والحلة هذه من أن ترمي بصرها خارج حدود بلدها لعلها تحظى باستجابة إنسانية، أو تحزن عليها أيادٍ كريمة، تطلعت العيون وهفت القلوب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعيش أحد أقربائها هناك، اتصل شقيق الأم به ليشاركهُم البحث عن مساعدة في منظمة تطوعية أو هيئة خيرية، ثم نصحها بأن تودع صيحة استغاثة على شبكة الإنترنت لعل وعسى أن تطرق آذان العالم أجمع .. فآمال المحتاج لا تخبو وإن شابتها بعض مشاعر اليأس .. وبالفعل وضعت الأم استغاثتها على الشبكة شارحة حالتها بكل تفاصيلها، بينما أجرى قريباًها اتصالات متعددة ببعض المراكز الأمريكية المتخصصة، ولكن لم تفلح اتصالاته ولم تحظ بأي استجابة، فاتسعت مساحة خيبة الأمل في قلب الأم، وخفت جذوة طموحاتها .. وفي غمرة استسلامها لهذه الحالة اليائسة؛ لم تكن تدرِّي أنها ستجد من يساعدُها. وذات يوم ، وبينما كانت جالسة على شرفة منزلها غارقة في التفكير ، ودموعها منسكبة على خديها؛ سمعت زين هاتفها فهرعت إليه، فكان على الطرف الآخر قريباًها الذي يعيش في أمريكا ليخبرها بأن الاستجابة جاءتها من دولة لم يسبق أن خطَّرت على بالها طوال حياتها على الإطلاق، من المملكة العربية السعودية.

نعم، لقد وصلت صيحة الإغاثة إلى القائد الإنسان، الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك)؛ فلم يتردد في إغاثة هذه الأسرة، إذ وجَّه حفظه الله بسرعة نقلهم من بولندا بلد العراقة والتاريخ إلى المملكة العربية السعودية مهد الدينية التي غمرت العالم بالنور والضياء، وأشارت قيم المحبة والسماحة والإخاء.. كانت هذه الدوافع إنسانية بحتة تُبَيَّن مدى كرم وعطاف هذا الإنسان، وتستبطن نهجاً دعوياً وإعلامياً ووطنياً يعيد الملامي والأهداف وبالغ الدلالة.

تلقت الأسرة البولندية هذه الدعوة والمبادرة الكريمة عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية بوارسو، لم تستوعب الخبر، تفاجأت، ذُهلت وكادت تصاب بالدوار، تسأله: أيعقل أن يأتي التجاوب من بلد خارج منظومة العالم الغربي؟ لم يكن ذلك وارداً حتى في الخيال، فالعالم الغربي في عُرف أهله هو وحده المعنى بصيانة مشاعر الإنسان، ووحده الذي يُجسّد القيم الإنسانية نهجاً وسلوكاً، ثم أن العلم والطب والجراحة وتقنياتها وأجهزتها جميعها صناعات غربية لم تستوردها دول المشرق العربي والعالم النامي حتى الآن!! لم يخطر ببال الأسرة أن تكون للمملكة العربية السعودية رياضة في مجال جراحة فصل التوائم السيمائية، وكانت دهشتها أعظم حين تبيَّنت وعرفت سرعة التجاوب، وأن الملك عبد الله تكفل بكل تكاليف السفر والإقامة والعلاج. ورغم ابتسامة الفرح التي أطلت على وجه الأم؛ إلا أنها بكت وذرفت الدموع غزيراً، وتساءلت، وتساءل معها أفراد هذه الأسرة البسيطة: كيف يهتم رئيس دولة كبرى، وملك المملكة العربية السعودية بأسرة بسيطة تعيش في أواسط بولندا تلك الدولة التي لا تتسمi إلى نفس الديانة، ولا تتكلّم نفس اللغة، وليس لها علاقات قوية مع دولته؟! وربما تزامنت هذه المبادرة مع هجمة يشنها



بداية العملية



عند التخدير

الإعلام الغربي على المملكة العربية السعودية، وعلى العالم العربي والإسلامي، ولكن مبادئ المسلمين وقيمهم قائمة على التسامح والغفور، وتدعوا إلى الحوار التي هي أحسن، وجميع المبادرات التي تخرج عن العالم الإسلامي تستهدف الخير والمنفعة، وتدعوا إلى المحبة والتعاون بين بني البشر، ذلك أن الإسلام دين عالمي يخاطب جميع شعوب الأرض.. ولا شك أن في هذا الموقف الإنساني العظيم مذكرة للتغيير المفاهيم، وإعادة النظر في التصورات والقناعات المبنية على معلومات أو عرف متواتر !!

تردد في قبول الدعوة

بلغت الفرحة مداها في قلب الأم، وطغت على محياتها سمات السعادة؛ ولكن مع ذلك فهناك ثمة مشاعر خوف وقلق غامضة تكتنفها، خوفٌ من غربة، ومن اختلاف لغة وتبان عادات وتقاليد، وعلاوة على كل ذلك الحيرة التي كادت تُضعف فرحتها وتدفعها إلى التردد في قبول الدعوة بسبب الشكوك التي أثارها الإعلام الغربي حول الخبرة السعودية في فصل التوأم السينامية.. ولكن رغم ذلك شرعت الأسرة في الاستعداد للسفر والتأهب لمغادرة بولندا، وتوجهت الأم إلى المستشفيات التي تعاملت مع حالتها للحصول على التقارير والمعلومات المطلوبة؛ ولكن الأطباء البولنديين حاولوا تثبيتها، وأطلقوا أستتهم بالتطاول والتشكيك في كفاءة الطب والجراحة السعودية، واجهتها في نفي إمكانية فصل التوأم (داريا وأولغا)!! إلا أن وسائل الإعلام السعودية أو في أي دولة غير غربية، بل ذهب بعضهم إلى استحالة إمكانية فصل التوأم (داريا وأولغا)!!

البولندية والغربية تناقلت الخبر بتركيز شديد حتى أصبح أمر السفر محور الأخبار في نشرات الفضائيات، والعناوين الرئيسية التي ظهرت بالبطن العريض في الصفحات الأولى للصحف البولندية وبعض الدول الغربية، واستمرت تتناوله بالتحليل والتقييم اعتماداً على البعد الإنساني والتقييم الذي أظهرته المبادرة السعودية الكريمة.

أكملت سفارة المملكة العربية السعودية كل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم من مدينة كراكوف إلى العاصمة وارسو، ثم إلى الرياض مباشرة. وصلت الأم وتوأمها وطبيبة بولندية متدرية لمساعدتها في الترجمة إلى مطار الملك خالد حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وكانت في استقبالهم عند مدخل المستشفى بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والخارجية، كما حضر لاستقبالهم سفير بولندا بالمملكة العربية السعودية، ثم نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧)، وباشرت على الفور مع زملائي إجراءفحوصات دقيقة للتتوأم، ثم طلبتنا بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها جلسَتْ مع والدة التوأم ومعي أحد زملائي وبينتْ لها بواسطة الطبيبة المرافقه أن الطفلتين متلاصقتين في آخر العمود أو الحبل الشوكي والخوض والورك، وتتطلب الحالة إجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة التي قد تستغرق عدة أسابيع نستطيع بعدها اتخاذ قرارنا النهائي بالفصل. وبعد ذلك تشكل فريق طبي وجراحي بلغ عدد أعضائه خمسة وستين عضواً بين رجل وامرأة لتتابعة حالة التوأم، وكان يضم تخصصات: جراحة الأطفال، الأطفال، تخدير الأطفال، جراحة العظام، جراحة الأعصاب، المسالك البولية، التمريض، تخصصات العناية المركزية وغيرها من التخصصات المساعدة والتأهيل.



فصل الجسد أثناء العملية



أولغا وداريا أثناء العملية

شلل في انتظار التوأم..!!

وفي اليوم التالي ترأستُ اجتماعاً راجعنا خلاله حالة التوأم، ورأينا إجراء فحوصات متعددة ودقيقة وصور أشعة مقطعة، وأشعة مغناطيسية، وقياس قوة العضلات والأعصاب، وأشعة ملونة للأمعاء والمسالك البولية، وبعد عشرة أيام التقينا مرة أخرى في غرفة الاجتماعات بجوار مكتبي، وخضعت الحالة لنقاش مكثف تبينَ بعده وجود اشتراك في مؤخرة الحبل الشوكي مع تداخل في الأعصاب بين الطفلين، واشترك في الأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والتصاق وتقارب في الجهاز التناسلي، واشترك في عظمة الحوض والورك. كانت هذه الحالة معقدة، وتركز نقاشنا حول مشكلة التوأم من ناحية الأعصاب، وبشكل أكبر حول مخاطر فصل مؤخرة العمود الفقري والحبل الشوكي نظراً للقلق الكبير الذي كان يعترينا من إمكانية حدوث شلل للتتوأم بسبب التداخل الكبير فيها. وبعد ذلك اتفق الجميع على إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح قد تصل إلى ٧٠٪ مع احتمال حدوث ضعف أو شلل في الأطراف السفلية وعدم تحكم في فتحة الشرج، وإثر هذه المعلومات جلست مع والدة التوأم والطبيبة المرافقة وشرحت لها تفاصيل الحالة بدقة، وإمكانية النجاح ودرجة المخاوف.. وبعد كل ذلك اقتنعت ووافقت على إجراء العملية وقلبها يكاد ينخلع من مكانه شفقة وخوفاً على حياة صغيرتيها؛ ولكن لا بد مما ليس منه بد، فنسبة النجاح كبيرة ولا تستدعي هذا القدر من الخوف والوجل والقلق. وفي هذه الأثناء ومن باب المصادفة صرخ أحد الأطباء البولنديين بأن التوأم سيصاب بالشلل !! وتناقلت وسائل الإعلام البولندية هذا التصريح، وبالطبع شكل ذلك صدمة للفريق الطبي الذي يتطلع إلى التشجيع وإلى شحنه بالثقة بدلاً من محاولات الإحباط والتثبيط التي ستتعكس سلباً على الأم وتجعلها تششك في قدرات الفريق؛ ولكنها لم تعبأ بهذا التشكيك، وأعربت عن ثقتها في الفريق بمواقفها الكاملة على إجراء العملية.

قرر الفريق إجراء العملية يوم الاثنين ٢٢ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٣ يناير ٢٠٠٥ م، وخطط إلى استكمال جميع مراحلها في مدة تستغرق حوالي ثانية عشرة ساعة، واتفقنا على أن تسبقها عملية تجريبية وهامة يوم ١ يناير ٢٠٠٥ م، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن وسائل الإعلام المحلية والعربية أبدت اهتماماً شديداً بالعملية لأنها أول حالة من دولة غريبة تقصد الاستفادة من الخبرة السعودية، كما اهتمت بها وسائل الإعلام الغربية التي لم تكف عن التشكيك في قدرة المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك ذهبت لمقابلة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل هذه الحالة، وما يصاحبها من ضغط وتشكيك إعلامي غربي، فطمأنني كعادته وأن الله سبحانه وتعالى سيوفق الفريق الطبي مادام معتمداً عليه، ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة بصحبة زوجتي، وبالفعل توجهت إلى مكة المكرمة قبل موعد العملية بيومين، وأدّيتُ مناسك العمرة ليلة العملية وابتهلت إلى الله جل وعلا أن يوفقاً، وأن يحقق بهذه التوفيق رفعة للإسلام والمسلمين، ويجعل منه خطوة في طريق الأمة العربية والإسلامية الساعية إلى استعادة مكانتها الحضارية، وأن يكون نجاحنا بمثابة ردٌ على كل من يقدح في قدرات العالم العربي والإسلامي ويشكك فيها، أو في أن الإسلام دين سلام ومحبة وإخاء. غادرت الرحاب الطاهرة بعد صلاة الجمعة، وما أن وصلت الرياض حتى قصدت المستشفى للاطمئنان على التوأم، وتأكدت من الاستعدادات والترتيبات لإجراء العملية التي اتخذنا لها شعاراً



صورة الفريق الطبي للتوأم البولندي



حوار الأم والسفير عن العملية

يثل الإسلام والمحبة والإخاء هو: (السعودية مملكة الإنسانية) نظراً لما تحمله مبادرة الملك عبد الله من معان إنسانية وما تثله من دلالات للسلام والسلام.

قلق ليلة العملية

لا أخفى أنني كنت قلقاً ليلة العملية، فاستعنت على التوأم بتناول قرص دوائي، واستيقظت قبيل الفجر، وبعد الصلة سألت الله التوفيق، ثم عدت إلى البيت وتناولت إفطاراً خفيفاً مع زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونوره وهيفاء وهناء، وكانت هذه الجلسة الأسرية اللطيفة في الصباح الباكر شارحة للصدر؛ إذ التفت الجميع حولي يشجعني، ويضرعن إلى الله أن تكتمل جميع مراحل العملية بنجاح تام. اتجهت إلى المستشفى ولم يفارقني التفكير في العملية طوال الطريق لأن نجاحها يُعدُّ نصراً للخبرات والقدرات المسلمة. وصلت المستشفى في الساعة السابعة صباحاً، واكتمل عقد الزملاء جميعهم، وفي الساعة السابعة والربع وصل التوأم إلى باب غرفة العمليات، وقبل أن تودعه الأم نظرت إلى نظرة عميقه مشفوعة بنوبة من البكاء، ثم مسحت دموعها حين طلبت منها طرح أي سؤال يعن لها حول العملية، لم تنطق واكتفت بإرسال مزيد من الدموع ثم انكبت على ابنتيها تقبلاهما بحرارة. وفي غرفة العمليات بدأت المرحلة الأولى بالتخدير، ثم التعقيم وغطية التوأم لنشرع في عملية الجراح باسم الله وبالتوكل عليه، وكانت العملية منقوله على التلفاز وشبكة الإنترن特، وكان هناك تواصل مع والدة التوأم والإعلاميين حياً على الهواء في غرفة الاجتماعات، وتتابعت مراحل الجراحة بفتح البطن ومنطقة الحوض، وبعد كل ساعة أو ساعتين نتواصل مع الإعلاميين أثناء العملية، وتتابعت مراحل الجراحة حسب الخطة المعدة سلفاً، وبعد خمس عشرة ساعة ونصف الساعة فصلت داريا عن أولغا بفرحة كبيرة وعارمة وتصفيق حاد في غرفة العمليات وقاعة الاجتماعات. واكتملت مراحل العملية بإعادة تأهيل الأعضاء وإيقاف الجراح واستغرقت كل مراحلها ١٨ ساعة ونصف الساعة متواصلة، وتلا ذلك التقاط صورة توقيفية تذكارية للفريق الطبي، ثم خرجنا بصحة التوأم، وكانت الأم أول المستقبلين بجانب فريق من الإعلاميين. وقبل خروجنا من غرفة العمليات اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظهما الله لتهنئة الفريق الطبي وأسرة التوأم بهذا النجاح الباهر الذي تحقق في المملكة العربية السعودية والذي يُحسب أيضاً للإسلام والمسلمين. نقلنا الطفلين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا حوالي ١٢ يوماً، وبعد يومين أفاقا من البنج وكانت صحوتهما تامة، وفي اليوم الثالث وبعد رفع الأجهزة تشرف التوأم بزيارة كريمة من ولي العهد الأمين الأمير عبدالله بن عبد العزيز مع تواجد إعلامي عربي ومحللي، وتزامنت هذه الزيارة مع بداية أول رضعة للتوأم بعد هذه العملية المعقدة. وتلخص تصريحه حفظه الله لوسائل الإعلام في أن المملكة العربية السعودية تُسخر إمكاناتها لخدمة الإسلام والمسلمين. وبعد أسبوعين نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل. وعلى عكس ما توقع الأطباء البولنديون نجحت العملية نجاحاً باهراً ولم يصب التوأم بشلل والله الحمد، وبعد اكتمال عملية التأهيل خلال



صورة مع التوأم والدتهما



التوأم مع رئيس بولندا السابق (ليخ فاليسا)

شهرین غادرت الطفلتان المستشفى عائدتين إلى بلد़هما بصحَّة وعافية حيث استقبلتهما وسائل الإعلام البولندية التي كتبت كثيراً عن هذا النجاح الذي يمثل نجاحاً للإسلام والمسلمين. وبعد العملية بعامين عاد التوأم إلى المملكة العربية السعودية لإجراء الفحوصات والاطمئنان عليهما، وتبيَّن أن حالتهما ممتازة، واعتمادتا على المشي والركض دون أي مشكلات مما يؤكِّد سلامتهما وعدم وجود أي إعاقة لديهما، ثم استقبلهما الملك عبد الله في مزرعته والتقط معهما صورة تذكارية توثيقية.

أبلغ رد على المشككين

وكما ذكرنا فقد تابع العالم أجمع وبترقب شديد مراحل هذه العملية عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية.. وكانت وقائع هذا النقل الحي أفضل رد على المشككين، وأبلغ دليل على قدرة هذا الوطن وتطور خبرته في مثل هذه الجراحات النادرة، وعكس ذلك صورة زاهية عن المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي لدى الملايين ببولندا وأوروبا، وأحدث قدرًا كبيرًا من التغيير في الذهنية الغربية تجلَّى بوضوح في ارتفاع أصوات عديدة تنادي بعدم التعامل على الدول الإسلامية، وتقول إذا كان هذا ما يفعله المسلمون تجاهنا؛ فلا شك أن إعلامنا متحامل وغير منصف، وربطهم بالإرهاب فريدة وبهتان، وأنهم محبون للسلام وأهل مبادرات وكرم. كما أقيمت احتفالات كثيرة للثناء على الملك عبد الله والإشادة بخدماته الإنسانية الجليلة وتقديره بالعديد من الأوسمة، وأنشئت مراكز باسمه حفظه الله.

وإذاء هذا النجاح أصبح الملايين من البولنديين يتتحدثون عن المملكة العربية السعودية في المناسبات والمنتديات ويكتبون عنها في صحفهم باعتبارها تمثل وجهًا مشرقاً للإسلام؛ بل تولَّدت لدى كثير منهم الرغبة في دراسة الإسلام والتعرف على مبادئه وقيمته وتعاليمه وخطابه وإمكانية استيعابه للآخر.. وفتح ذلك آفاقاً جديدة للعلاقات السياسية والتجارية والثقافية والعلمية اكتمل بناؤها وتشكلت أطراها أثناء زيارة خادم الحرمين الشريفين إلى بولندا في شهر يونيو ٢٠٠٧م.



حنان الأم



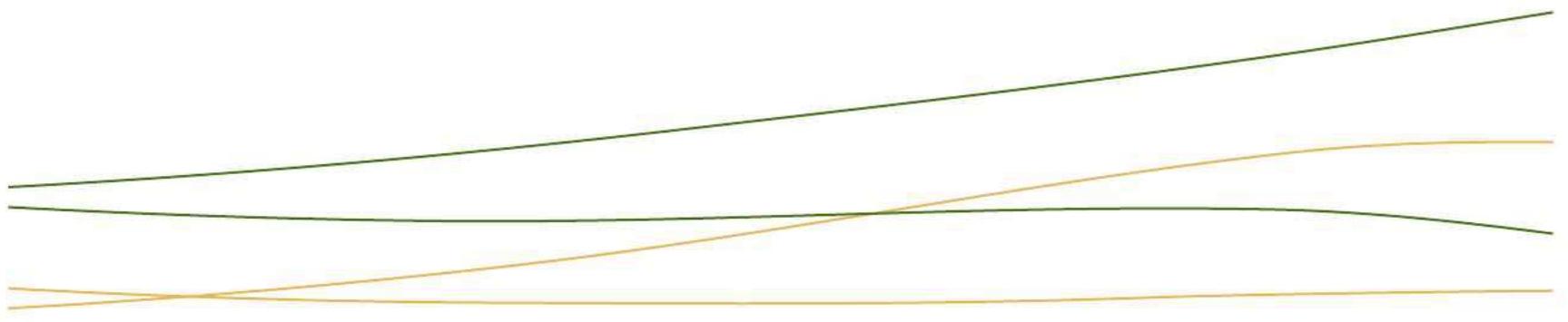
كلمة في احتفال سفارة بولندا بالمملكة

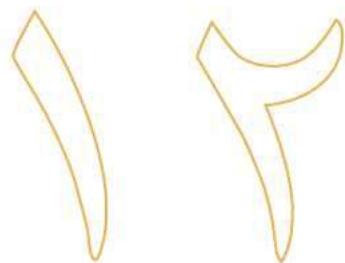


التوأم البولندي ولحظة مرح



صورة مع أولغا وداريا مع والذئما





مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / يونيو ٢٠٠٥م



مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - يونيو ٢٠٠٥م

حمل وتكليف علاجية باهظة

قدم من جمهورية مصر العربية إلى المملكة العربية السعودية طلباً للعيش، عمل في متجر صغير متدوياً للمبيعات، حرص على الدخار كل ما يكسبه لمقابلة مصروفات أسرته البسيطة التي تعيش في وطنها، ظل يكد ويتعب ويعمل ليل نهار من أجل تهيئة مسكن لإحضار زوجته التي تاقت نفسه إلى استقدامها للعيش معه في المدينة التي يعمل بها؛ لا سيما وأنه يعود بعد العمل مجدهاً ومنهكًا، كانت إمكاناته محدودة، ويبذل جهداً كبيراً في خدمة المتجر لمساعدة مالكه الذي كان كريماً وعطوفاً ونبيلاً معه، وبالفعل ساعد صاحب المتجر في مهمته، وقدمت الزوجة، وفرح كثيراً بالثامن شمل الأسرة في المسكن الصغير الذي استأجره بأحد الأحياء القريبة من مكان عمله. وبعد الاستقرار حلم الزوجان بأن يرزقا طفلاً يؤنسهما ويملاً منزلهما فرحاً ومرحاً. وشاء الله أن تحمل الزوجة، وكان الحمل في بدايته طبيعياً، ولكن ما لبثت الزوجة مع تقدم أشهر الحمل أن شعرت بمشكلات مصاحبة له، وبأعراض غير تلك التي عرفتها من محيطها، بدأت تشعر بنوبات متتابعة من التعب والإرهاق، لاحظت الارتفاع المستمر في حجم البطن حتى الأشهر الأخيرة. وأثناء الفحص تبين أنها حامل بتوازن فرح الزوجان فرحاً شديداً بالطفليين القادمين وهم يأملان أن يغيروا نمط حياتهما ويفضيان روح البهجة والسعادة في مساحة غرف بيتهما الصغير، ولكن تولدت لدى الطبيبة بعض الشكوك في نوعية الحمل فطلبت إجراء فحوصات إضافية أكثر دقة، وكشفت الفحوصات التي اكتملت خلال أسبوعين أن الأم حامل بتوازن سلامي، ولا بد من جراحة قصيرة عند الولادة. ثم أخبرت الطبيبة الزوج وزوجته بأن هذا النوع من الحمل يُصنف ضمن الحالات الصعبة جداً التي يتطلب علاجها مصروفات عالية وتكليف باهظة، ويحتاج إلى مركز متخصص بتقنيات رفيعة وخبرة كبيرة. انشغل الأب بالمشكلة وأخذ يبحث ويستفسر هنا وهناك عن مكان يمكن أن تيسّر فيه المساعدة لزوجته وطفليه، وأثر هذا البحث عن معلومات قدمها له أحد أصدقائه حول مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها مكان الخبرة العربية العالمية في هذا النوع من الجراحات. وعلى عجل اتصل بكتبي، وحددت له موعداً لزيارتي، وفي المقابلة أطلعني على التقارير الخاصة بزوجته، فطلبت منه العودة بعد يومين ريثما أحصل على موافقة لعلاج التوأم، وبالفعل ذهبت في اليوم التالي إلى خادم الحرمين الشريفين وأطلعته على تفاصيل الحالة وصعوبتها بالنسبة للأسرة المعنية القادمة من جمهورية مصر العربية الشقيقة، وقبل إكمال بقية حديثي وجّه حفظه الله بدخول الزوجة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض لإجراء عملية الولادة، ثم التعامل مع حالة توأمها الملتصق على أن يتحمل حفظه الله تكاليف العلاج كافة. وبعد أسبوع أدخلت المرأة إلى المستشفى، وعلى الفور تشكّل فريق من طب النساء والولادة الذي تولى إخضاع الحالة لفحوصات دقيقة كشفت نتائجها عن وجود اشتراك كبير واتصال بين التوأم في منطقة أسفل الصدر والبطن وبداية الحوض، ثم التقيّت بوالدي التوأم وأخبرتهما بأن هناك اشتراكاً كبيراً واضحاً ومؤكداً، مع شك في وجود مشكلات في القلب بين التوأم، وطلبت منها لا ينزعجا طالما أن إمكانية المساعدة متاحة بصورة كبيرة، وأن يستيقنوا أن الأمل في الله سبحانه وتعالى متحقق بإذنه جل وعلا، ظهرت



الفريق الطبي يقوم بفحص القلوب للتوأم



آباء وولاء عند وصولهما

عليهما علامات القلق والخيرة والخوف وأنا أتحدث إليهما، لم تتمالك الأم نفسها فبكت، وحاولت مسح دموعها عدة مرات، ثم قالت سيفرج الله كربتنا إن شاء الله، أما الزوج فقد أظهر قدرة وجلاً في السيطرة على أعصابه، وأعرب عن ثقته الكبيرة في الفريق الطبي، وقال إن من يعتمد على الله ويتوكل عليه؛ فلن يُخيب رجاءه بمشيئته جلٌ وعلا.

هبوط في قلب التوأم

وبعد عشرة أيام من ذلك اللقاء أجرينا العملية القيصرية، ونُقل التوأم إلى غرفة العناية المركزية لحديثي الولادة حيث خضع لعمليات الإنعاش والتقويم. وتلا ذلك تشكيل فريق طبي من تخصصات: أمراض الأطفال، جراحة الأطفال، التخدير، التجميل، القلب، التمريض والفنين والتأهيل وغيرها من التخصصات الأخرى المساندة. أما الأم فقد غشيتها موجة من الكآبة بعد الولادة؛ خصوصاً عندما رأت ابنتيها وتأثرت تأثراً شديداً؛ ولكنها عادت إلى طبيعتها بساند زوجها وهذا روعها إلى أن شفيت وغادرت المستشفى وهي في صحة وعافية. وقرر الزوجان بعد مشاورات ومداولات عديدة تسمية الطفلين (آباء وولاء). عقد الفريق اجتماعاً اتفق فيه على إجراء فحوصات دقيقة للقلب والبطن والجهاز الهضمي والجهاز البولي والتناسلي وأشعة مقطعيه وأخرى مغناطيسية وغيرها من الفحوصات. ثم أخذضنا التوأم لنظام تغذية لزيادة وزنه إلى مستوى مناسب، كما شكلنا فريقاً من اختصاصيات التغذية لمتابعة الطفلين يوماً بيوم ضمناً لحصولهما على سعرات حرارية كافية للنمو، وكان وزنهما عند الولادة ثلاثة كيلو و٩٠٠ جرام ويطلب تأهيلهما للعملية ارتفاع الوزن إلى ٨ كيلوجرامات. وبعد أسبوعين من الفحوصات الدقيقة ترأست اجتماعاً للفريق الطبي حددنا فيه المشكلات التي تواجه التوأم، وشاركت في الاجتماع أطباء القلب وأطباء الأشعة، وأوضحت الفحوصات وجود عيوب خلقية كبيرة في القلب لدى التوأم أدت إلى هبوط بالقلب واستدعت استخدام أدوية منشطة لمنع هذا الهبوط، واتضح أيضاً وجود فتحات في البطينين والأذينين وضمور في عضلات القلب خصوصاً للطفلة ولاء، وتناقشتا كثيراً عن مشكلات القلب ومدى تأثير التوأم من إجراء العملية، وكان النقاش حول مدى الإسراع في إجراء العملية لمنع هبوط القلب، أو تجربى عملية قلب تصحيحية ثم تعقبها عملية الفصل، ورأينا أيضاً الاستمرار في متابعة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه للأدوية القلب ثم اتخاذ القرار المناسب بعد ذلك. لم يكن النقاش سهلاً ولا القرار يسيرًا نظرًا لبروز اختلافات في الرأي، وأخيراً اتفقنا بالإجماع على مراقبة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه مع الأدوية. كما أوضحت الفحوصات وجود اشتراك في الكبد واشتباه اشتراك في الأمعاء، وفي أغشية القلب وعظام الصدر وعظمة الفص. وكانت المشكلة الرئيسة للتوأم هي مشكلة القلب.

وبناءً على المناقشات المستفيضة ونتائج الفحوصات بدأ الفريق الطبي لأمراض القلب في استخدام أدوية منشطة للقلب مع التركيز على مراقبة التوأم مراقبة دقيقة ولصيقة، ومتابعة مشكلات القلب ومدى التجاوب مع العلاج، مع ملاحظة تدرج الوزن بصورة يومية، وكان التجاوب يختلف بين يوم وآخر، تحسّن طوراً واضطراب في طور لاحق. وكان رأينا موزعاً بين قرار إجراء عملية للقلب أو الانتظار. اجتمعنا مرة أخرى وتناقشنا طويلاً حول مدى إمكانية الفصل، أو إجراء عملية القلب، فرجح الجميع قرار الاستمرار في الأدوية المنشطة بعد تعديل الجرعات، مع المراقبة الدقيقة التي أظهرت بعد حين وجود تجاوب بطيء



بداية العملية لفصل التوأم



مرحلة التعقيم

وتحسن في الوزن إلى أن وصل إلى المعدل المناسب والمطلوب بعد ثلاثة أشهر من ولادتهما وهو حوالي ثمانية كيلوجرامات. عقد الفريق الطبي اجتماعاً ناقش فيه مدى إمكانية الفصل شارك فيه أطباء القلب والأطفال والعناية المركزة والتخدير وجراحة الأطفال والتجميل والتمريض وفنيو غرفة العمليات وغيرهم من أطباء التخصصات المساعدة، ورأوا جميعاً أن من الأفضل استعجال عملية الفصل ثم متابعة التوأم بعد ذلك، وإرجاء العملية التصحيحية للقلب إلى وقت لاحق.

أطباء التخدير قلقون؟

تقرر أن يكون يوم السبت ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٤ يونيو ٢٠٠٥م، موعداً للعملية على أن تسبقه عملية وهمية تجريبية في الساعة الرابعة من عصر يوم الأربعاء ١ يونيو ٢٠٠٥م. كان أعضاء الفريق الطبي قلقين وخاصة أطباء التخدير نظراً للمشكلات التي تعرّض القلب، ومدى تحمل التوأم لعملية من المتوقع أن تستغرق مدتها حوالي ١٢ ساعة متواصلة. وفي اليوم المحدد للعملية التجريبية الوهمية اجتمع أعضاء الفريق بغرفة العمليات، وتمت مراجعة الخطة الجراحية المكتوبة والمجزأة على ثمانى مراحل بدقة، وبعد أن تأكّدنا من كافة التجهيزات التي يحتاج إليها الفريق الطبي قررنا إجراء العملية، ثم شرحنا مدى خطورتها لوالدي التوأم وأوضحنا لها أن نسبة الخطأ تصل إلى ٤٠٪ بسبب مشكلات القلب، فلم يترددوا في الموافقة توّكلاً على الله سبحانه وتعالى ورجاءً كاملاً في عونه وتوفيقه.

وبعد هذا تشرفت في نفس اليوم بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في مزرعته، وبعد التحية والسلام أجلسني إلى جواره، فأخبرته باتفاقنا على إجراء العملية، وأوضحت له ما يعانيه التوأم من مشكلات في القلب ومدى خطورتها. وكعادته في صدق إيمانه وثقته الكاملة بربه؛ أمرني بالاعتماد على الله واستحضار معينه جل وعلا في مشوارنا ولن يُخيب جهتنا.. وفي نهاية الزيارة استأذنته في التوجه إلى الرحاب الطاهرة لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد أداء المناسب ابتهلنا إلى الله عز وجل والتضرع إليه أن يُلْزمنا جانب التوفيق، وأن يكتب للتتوأم الشفاء والصحة والعافية. غادرت بيت الله الحرام بعد صلاة الجمعة عائداً إلى الرياض، وبعد وصولي مباشرة قمت بزيارة للتتوأم من أجل التأكد من جاهزيته وجاهزية غرفة العمليات. ثم توجهت إلى البيت وتناولت عشاء خفيفاً بين أفراد أسرتي، ثم خلدت إلى النوم لاستيقظ في الصباح الباكر قبيل أذان الفجر، وبعد الصلاة أعدت لي زوجتي إفطاراً خفيفاً تناولته وأنا منشغل بالبال والخطر بالعملية وملابساتها نظراً لما يكتنفها من مخاطر بسبب مشكلات قلب التوأم. وفي الطريق إلى المستشفى لاحظ السائق استغرaciي الكامل في التفكير وما أنتبه من عبارات، وظل صامتاً طوال المشوار كعادته عندما يراني في مثل هذه الحالة التي تسبق العمليات الحرجة. دخلت المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة التجهيز، وهناك التقى بزمالي، واستقبلت التوأم والديه، ولاحظت أن الأم تتجه إلى ابنتيها تلشم أيديهما بحرارة وعيناها ممتلئتان بالدموع، وهي لا تلام على ذلك طلماً أن العملية كبيرة ومعقدة ودرجة مخاطرها كبيرة، بينما أظهر الأب قدرًا من التمسك ورباطة الجأش، ولكن ما أن دفعنا التوأم نحو باب غرفة العمليات حتى ارتوى خداه بدموعه المنسوبة بغزاره دون أن يتقوّه بكلمة واحدة، فطلبت من الزملاء



الفريق الطبي المشارك في عملية فصل التوأم آلا ولاء



آلة ولاء أثناء العملية

في العلاقات العامة وعلاقات المرضى والخدمة الاجتماعية اصطحابه إلى الصالة العامة حيث يمكنه متابعة العملية والحدث معنا عن طريق الجهاز الصوتي المباشر بغرفة العمليات.

أعصاب مشدودة

استهل فريق التخدير أولى مراحل العملية بحذر شديد لمراقبة مشكلات القلب، وبعد التخدير وتوصيل جهاز التنفس الصناعي طوال ساعتين، انتقل بعدها أطباء التخدير إلى العمل في إدخال قساطر لمراقبة ضغط الأوردة المركزية، وكذلك إدخال قساطر أخرى في الشرائين لمراقبة ضغط الدم والتتأكد من استقرار التوأم ومتابعته آلا بأول. استغرقت هذه المرحلة حوالي ساعتين ونصف الساعة، تلتها عملية تعقيم التوأم من الأمام والخلف، ثم استخدام أغطية معقمة لتغطيته، وأعقب ذلك تعقيم الفريق الطبي الأول الذي يبدأ العملية، وبذلت أنا وزملائي من جراحة التجميل بتحديد منطقة الفصل، تناولت مشرطي الصغير بعد التتأكد من أطباء التخدير أن التوأم في حالة مستقرة، وبضغط خفيف على الجلد حرّكته باسم الله وبعونه وهو ينساب رويداً رويداً بين جسدي آلة ولاء على مسافة 15 سم، وبعد ذلك تناولت جهاز الكي الكهربائي الذي تشابه مقدمته رأس الدبوس لمنع النزيف بإذن الله، واستخدمته لقص الأغشية تحت الجلد إلى أن وصلت إلى عظمة القص والأضلع ففصلتها بالكي الكهربائي والمشرط الصغير، فانفتح الصدر إثر ذلك ليوضح وجود اشتراك في أغشية القلب، ونظرًا لرق غشاء القلب فلا بد من فتحه بدقة وحرص وعناية، وتمكننا بالفعل من ذلك بمشاركة زملائي من جراحة القلب، وبنهاية هذه الخطوة اكتمل إبعاد قلب آلة عن ولاه رغم أن أعصابنا كانت مشدودة وكنا قلقين خوفاً من أن يتآثر قلباً الطفلين، وظللنا نراقب جهاز الضغط، ونتحدث إلى الزملاء في قسم التخدير، ولكن والحمد لله فقد مرّت هذه المرحلة بسلام. وأعقب ذلك رتق أغشية قلبي التوأم بصورة منفصلة، وهذه أول مرة ينفصل فيها القلبان بسلام وأمان، وشكلت هذه أولى مراحل الفصل تحدثنا بعدها إلى والد التوأم، وبعد ذلك غادرنا الزملاء من جراحة القلب وجراحة التجميل، وبقي في مشاركتي الزملاء من جراحة الأطفال وتابعنا فتح البطن وأغشيتها كاملة لنجد اشتراكاً في الكبد. وكانت تتبعنا مفاجأة كبيرة جداً ثُمّلت في اشتراك كامل في الإثنى عشر، وكذلك بداية الأمعاء الدقيقة لمسافة حوالي ٤٠ سم.. اشتراك في الأمعاء والتصاق في الشرائين، واشتراك في البنكرياس وفي قنوات المرارة.. وبهذا الاشتراك المتعدد تدخل هذه الحالة ضمن تصنيف الحالات النادرة جداً على مستوى العالم. لم تساعدنا أجهزة التشخيص في البداية على اكتشاف هذا الاشتراك نظرًا الصعوبة تحديد مكانه، انتظرنا قليلاً ريثما نتيح لأنفسنا فرصة للتفكير في كيفية تجاوز هذه المعضلة المفاجئة، ثم اخذنا قراراً بفصل البنكرياس والقنوات بعد فصل الكبد.

مرحلة حساسة وحرجة

استخدمنا لفصل الكبد مشرط الأشعة الصوتية والكي بالليزر والكي الكهربائي مع استخدام الدبابيس لرتق الشرائين والأوردة والقنوات، وكانت هذه مرحلة حساسة وحرجة تطلب درجة عالية من الدقة. أكملنا فصل الكبد بسلام خلال ساعتين دون أن يصاحب ذلك حدوث نزيف كبير والله الحمد، وبعد فصل الكبد والقلبين دون نقل دم للتوأم، وبنزيف لا يتعدى سنتيمترات مكعبية قليلة إنحازاً كبيراً في حد ذاته. وفي هذا تأكيد واضح على أن الفريق الطبي اكتسب خبرة كبيرة



التوأم مع والديهما والسفير المصري



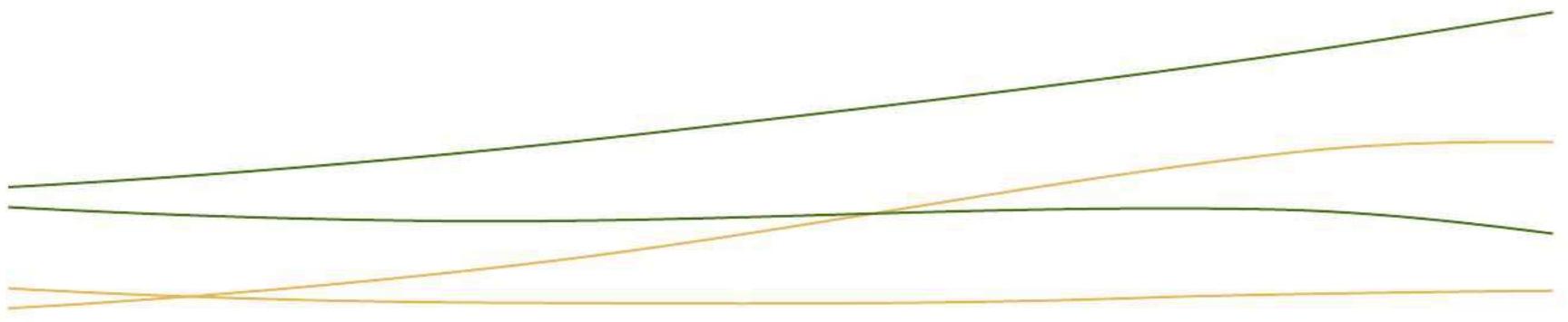
عنق حار بعد اكتمال العملية

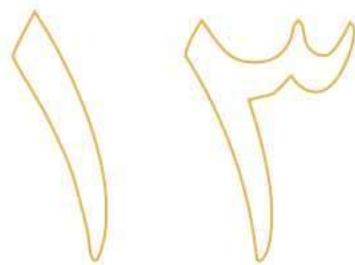
بتوفيق الله. بعد ذلك فصلنا البنكرياس والإثناعشر وهي أيضاً من المراحل الدقيقة والحساسة واستغرقت مدتها ثلاثة ساعات إضافية لم تكن مضمونة في خطة العملية، وتطلب العمل في فصل القنوات حرصاً ودقة متناهية. وانتقلنا إلى المرحلة التالية التي تمثلت في فصل الأضلع وأغشية البطن وجلد البطن من الخلف. وبعد ١١ ساعة من بداية العملية كانت المرحلة الخامسة لفصل آلة عن ولاه التي تابعها الأبوان عن طريق الشبكة الصوتية الداخلية، وكذلك بعض الزملاء الأطباء ومجموعة من الإعلاميين بغرفة العمليات.. وفي النهاية بدأ العد التناظري ليكتمل مع الصفر فصل جسدي الطفلتين عن بعضهما بنجاح كبير دون أي مشكلات لهما أو نزيف يتطلب نقل دم إضافي. نُقلت الطفلتان إلى طاولتين مستقلتين عن بعضهما لأول مرة، ثم انقسم الفريق الجراحي إلى فريقين ليتولى كل منهما العناية بإحدى الطفلتين. ووظفت الساعات المتبقية من مراحل الخطوة في إعادة تركيب الأمعاء وقنوات الكبد وقنوات البنكرياس. وهكذا مع نهاية ١٥ ساعة من العمل المتواصل اكتمل فصل التوأم، وأعقب ذلك تغطية الجراح ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزية، وعلى بابها أسرع إلى والد التوأم ليحتضنني ويقبلني تعبيراً عن فرحته العارمة، ولسانه يلهج بشكر الله وحمده. أما الأم فقد اتجهت إلى سرير طفلتيهما تحضنهما وتقول هذه أول مرة أراهما في سريرين منفصلين، ثم تبعتهما إلى غرفة العناية المركزية حيث مكثتا مدة أسبوعين تحت أجهزة التنفس الصناعي. ثم رفعت هذه الأجهزة مع استقرار الحالة بعد أربعة أيام وتلا ذلك إدخال الطعام. وفي اليوم الخامس بعد نجاح العملية تشرف التوأم بزيارة أبوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين جسّدت لفتة إنسانية قبل خلالها الطفلتين، وهنأ والديهما على هذا النجاح. ولم يغب الإعلام العربي والغربي عن هذه اللحظات، وأجرت وسائل الإعلام المصرية لقاءً مع خادم الحرمين الشريفين أكد فيه أمد الله في عمره أن هذا العمل واجب تمله مصلحة الأمة العربية والإسلامية، وبهذه المواقف والمبادرات يثبت الملك عبد الله أنه ملك للإنسانية.

غادرت الطفلتان العناية المركزية إلى جناح الأطفال حيث مكثتا حوالي الشهرين، وفي نهايتهما غادرتا المستشفى بصحبة وعافية، واستمرت متابعتهما في العيادة الخارجية للمستشفى. وبعد عام أجريت لهما عمليات قلب بنجاح دون مشكلات، وبعد إجراء العملية بعامين زارت خادم الحرمين الشريفين في مزرعته، واطمأن عليهم والتقط صورة تذكارية معهما والديهما.



قبلة من جسد واحد





حجر الأساس والتوأم المغربي

صفر ١٤٢٧هـ / مارس ٢٠٠٦م



حجر الأساس والتوازن المغربي

صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦م

وضعت زوجتك تؤاماً.. ولكن!!

في قرية مغربية صغيرة تتوسط منطقة زراعية بين العاصمة الرباط والدار البيضاء تعيش أسرة فقيرة جداً على فلاحة قطعة زراعية محدودة المساحة، وتقع القرية بمنأى عن المستشفيات ومراكز الخدمات الصحية، سكن الأسرة متواضع كثيرة من مساكن صغار الفلاحين، وهو يتكون من غرفتين مسقوفتين بماء محلية بسيطة ودورة مياه بلدية، وتستعين الأسرة على متطلبات حياتها بتربية الدواجن داخل باحة البيت للاستفادة من لحومها وبيع منتجاتها من البيض وصغار الكتاكيت، ويكدد الأب ويكدح طوال نهاره في مزرعته الصغيرة التي تدر عليه دخلاً لا يكاد يكفيه مؤونة شهره، كما تتأدب الأم في خدمة زوجها وأطفالها، وليس للأسرة ما تدخره لغدتها.

شاء الله أن تحس الأم بأعراض حملها الرابع الذي كان طبيعياً في بداياته، ولم تلحظ أي أعراض مغايرة لما اعتادته من قبل، ولكن بعد مرور عدة أسابيع تأكّد لها أن الأعراض تختلف عن سابقاتها، بدأ بطنها يكبر تدريجياً على غير العادة، وحسب عرف القرية وواقعها وموقعها الثاني عن المراكز الحضرية، وتعذر وسائل النقل؛ لم تعتد النساء الحصول على مراجعة المستشفيات، وهكذا كانت هذه الأم. ولكن مع تقدم أشهر الحمل، واختلاف الأعراض التي أفلقتها، وشعورها بالتعب والإرهاق مع أقل مجهود؛ طلبت من زوجها إجراءفحوصات، غير أنه كان يكتفي بطمأنتها باستمرار، لإدراكه أن إمكاناته محدودة ولا تسمح له برحلة إلى الدار البيضاء أو الرباط. وبما أن جلة المرأة وفطرتها التي فطرها الله عليها دليلاً، فإن استنتاجاتها في أمور النساء لا تخيب، ومن ثم فقد لازم الأم شعور بالخوف من أعراض حمل تختلف كثيراً عن سابقاتها، كان حدسها يدفعها إلى تغليب اعتقادها والجزم بأنها حامل بتوأم أو ثلث، فحجم بطنها أكبر بكثير مما اعتادته، ولذلك أشركت والديها وجيرانها وصديقاتها في همومنها وهواجسها لعلها تحظى لديهم بما يطمئنها، تتبع عليها نوبات التعب والإرهاق وتزايد إحساسها بشق ما تحمله في رحمها، ولازمتها حالة من الكسل والخمول، وميل شديد إلى الراحة والاسترخاء؛ غير أن ضرورات الحياة اليومية، وإدارة الشؤون المنزلية المنوطة بها، ومتطلبات رعاية أبنائها، والظروف الصعبة التي يعيشونها؛ كلها كانت كفيلة بإيجارها على الحركة، ومقاومة كل الأعراض، والقيام بواجباتها على أكمل وجه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل أدرك الأبوان أن مخاطر الحمل تزداد، ولا يمكن إجراء الولادة بصورة طبيعية على يد قابلة القرية كما هي العادة في الحمل الطبيعي، بل بحسب الأسرة إلى جiranه طلباً للعون والمساعدة؛ خاصة ملاك السيارات لعل أحدهم يتكرم بنقله إلى المدينة المجاورة، وبالفعل نُقلت الأم بعد أن اقترب مخاضها. ويعجرد دخولها إلى المستشفى أجريت لها فحوصات عاجلة أكدت للأطباء أن الولادة تتطلب عملية قيصرية عاجلة، وبالفعل أدخلت مباشرة إلى غرفة العمليات بينما بقي الزوج في الخارج قلقاً ومهماً ومتلهفاً لخروج الأطباء أو المرضات. ولكن تأخر الخبر وطالت فترة العملية وهو يتنتظر على آخر من الجمر، وما برح يزرع الممر أمام غرفة العمليات جيئة وذهاباً، وما أن أطل الطبيب الذي باشر عملية الولادة حتى أقبل عليه وسمات الانزعاج بادية على وجهه، أخبره الطبيب باكتمال عملية الولادة وسلامة زوجته، أحس



والد إيمان وحفيدة ونورة الوداع قبل العملية



إيمان وحفيدة عند وصولهما

لحظتها بالسعادة واستبشر وتبدلت علامات القلق على وجهه وتحولت إلى فرح ، وطقق يسأل الطبيب ما إذا كان التوأم ذكوراً أم إناثاً؟ فأجابه الطبيب بأنه لا يعلم، استغرب الأب ودهش وعاودته مشاعر الحيرة والقلق، وأمسك يد الطبيب وتشبث بها وهو يستفهم بنبرة الأب المشفق: كيف لا تعلم وأنت خارج لتوك من غرفة العمليات؟ استجمع الطبيب جائه وأخبره بأنها ولدت بنتين؛ ولكن..!! ثم صمت الطبيب برهة ولم يكمل !! فاستعجله الأب والحقيقة تكاد تمحى بصره: ولكن ماذا ياهذا؟ لم يكن أمام الطبيب من بد في إظهار الحقيقة مهما كان وقع الخبر وتأثيراته، فقال: إنهم ملتصقان!! فتساءل الأب بعفوية أهل الريف: لماذا لا تبعدان عن بعضهما؟ فأوضح له الطبيب بأن هذا عيب خلقي أي أنهما توأم سيامي، فتابع الأب بسليقته وبساطته: ماذا تعني بتوأم سيامي؟ الرجل لا يعرف معنى للمفردة كأهل قريته الذين لا يزيد عددهم عن ٢٠٠ شخص، ولادة التوائم عندهم نادرة جداً فكيف بتوأم سيامي !!

بكاء ومناجاة

أصيب الأب بصدمة كبيرة بعد أن **تبين** طبيعة الحالة وصعوبتها، وارتجف بعد أن **ألم** بتفاصيلها ويتذرّع علاجها، فما كان منه إلا أن **أمسك** رأسه بكلتا يديه وضغط به على الجدار؛ ولكنه استعاد رشه واستجمع جائه وأخذ يسترجع ويستغفر الله جل وعلا ويسأله الثبات على الإيمان وكان يتمتم ويقول: يا إلهي ماذا أفعل، رب أعني على حل هذه المشكلة فأنت تعلم بحالى ولا معين إلا أنت.. بكى وهو ينادي ربه وهو يستعرض شريط ظروفه وواقع الأسرة المريض.. كفأك دموعه ثم سأله الطبيب: وماذا أعمل إزاء هذا التوأم؟ أكد له الطبيب أن المسألة ليست سهلة، وأن الحالة صعبة جداً ويطلب علاجها من مراكز متخصصة وتتكليف مالية عالية، لأن مثل هذه المراكز لا توجد في المغرب، بل محصورة في عدد من الدول الغربية.. أظلمت الدنيا أمامة، لم يحدث أن سافر إلى إحدى المدن الكبرى في بلاده، ولم ير حتى العاصمة طوال حياته، فكيف يسافر إلى أمريكا أو أي دولة أوروبية؟ إنها محنة حقيقة لا يقوى عليها تكوينه القروي. وبعد أن هدأ روعه قليلاً قصد غرفة زوجته ووجدها قد أفاقت لتوها من المخدر، فما أن رأته حتى بادرته بالسؤال: ماذا رزقنا الله جل وعلا؟ ذكوراً أم إناثاً؟ أم ولداً وبنتاً؟ أجابها مطمئناً بأنه توأم من الإناث، علت الابتسامة شفتيها وفرحت ثم حمدت الله وشكرته على هذه النعمة، ولكنها لاحظت وجومه والدموع المنحدرة على عينيه فاعتبرها إحساس بالقلق، فسألته ماذا بك؟ هل ولدتا ميتتين، هل فقدت إحداهما حياتها؟ وخشية على مضاعفة قلقها؛ جل إلى تبسيط الأمر، فقال: إنهمما بخير ولكن لديهما مشكلة بسيطة! لم يطأوها إحساسها بقبول هذا التبسيط فأمسكت يد زوجها بقوه تشده إليها وهي تحاول استخراج الحقيقة من بين شفتيه متناسية جراحها وتأثيرات العملية.. وسألته: أخبرني ماذا حل بابنتي؟ فقال لها إن المشكلة بسيطة ولا ترقى إلى درجة اتز عاجلك هذا، وعليك أن ترتاحي حتى تلتئم جراحك.. إزاء هذا الوضع المبهم أصرت على رؤية توأمها، ولما تيقن إصرارها وخوفه من مغادرة سريرها وهي على تلك الحالة؛ وجد نفسه مضطراً إلى إخبارها بحقيقة الأمر، وشرح لها تفاصيل الحالة وما تطلبه من إمكانات لعلاجها في الخارج، شهقت وبكت كما لم تبك من قبل حتى خاف عليها، ثم تسأله: ماذا نعمل وكيف نعمل؟ أود أن أرى بنتي، ونزلواً على إلحاچها طلب من الطبيب نقلها لرؤيتها توأمها، رافق زوجته



انتهاء الفصل قبل نقلهما



صور من العملية

إلى غرفة العناية المركزية، ولما وقع بصرهما عليهما انتحبا وذرفا دموعاً غزيرة كادت تبلل غطاء الطفلتين وهمما يقبلانهما لو لا أن طلبت منها الممرضة الابتعاد ومخادرة الغرفة.

بشيرى عبر تلفاز الجيران

بدأ الأب رحلة البحث إلى المجهول رغم جهله بأولى خطوات هذه الرحلة المضنية، ولا يعرف إلى أين يتوجه به المركب !! سأل الأقارب والجيران والأصدقاء، ومعارف الجيران بالمدن وفي الخارج فمن يحاول البحث عن إبرة في كثبان متعددة من الرمال، وبعد يومين طلب منه الطبيب اختيار اسمين لابنته لتسجيلهما وتوثيق الولادة واستخراج الشهادات، فاتفق مع زوجته على تسميتهم حفصة وإلهام، وبعد أسبوع من الولادة، وبينما كانت همومه تتزايد وتتكاد تأكله كالنار المحرقة، ذكر له أحد أهل الحي أنه سمع ذات مرة في التلفزيون أن علاج مثل هذه الحالات متاح في المملكة العربية السعودية التي تملك خبرة في هذا المجال، أعاد الاتصال مع المعرف والأصدقاء لعلهم يدللونه على وسيلة تتحقق له الاتصال مع الجهات المعنية هناك، فنصحوه برفع استغاثة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله.. وتلقى حفظه الله رسالة الاستغاثة هذه أثناء حفل أقيم بمناسبة وضع أحجار الأساس لسبعة مشاريع حيوية بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بجدة، وبينما كان حفظه الله في طريقه إلى موقع الاحتفال (لوضع حجر الأساس) سمع هذه الاستغاثة، وما وصل إلى الموقع وقبل بداية مراسم الحفل وببداية البرنامج أبلغني بتوجيهه الكريم لقبول هذه الحالة مباشرة ضمن كلمتي التي أقيمتا ضمن فعاليات الحفل الذي كانت تنقله الفضائيات حياً على الهواء كي تصل إلى مسامع والدي التوأم، وكانت كلمتي في البداية بعد قراءة القرآن الكريم، وفي نهايتها أعلنت توجيه خادم الحرمين الشريفين بسرعة نقل التوأم من مسقط رأسه في المغرب الشقيق. كان الأب يتبع فعاليات الحفل في منزل أحد جيرانه لأنه لا يملك أي جهاز من أجهزة استقبال البث الهوائي حتى الراديو يخلو منه البيت. وبينما كان الجميع يتبعون نشرة الأخبار جاءتهم البشرى بتوجيه خادم الحرمين الشريفين ملك الإنسانية، فأقبل عليه الجيران يهتمون بهذه اللحظة الكريمة بينما كان هو يبكي ويشهد من شدة الفرح، فخرج يركض من بيت الجيران في الطريق إلى منزله وإحساس طاغ بالفرح يكاد يدفعه إلى الطيران والتحليق، حيث وجد زوجته وسط جميع أفراد الأسرة وأبلغهم بهذه المكرمة السارة، فانطلقت ألسنتهم تلهج بالدعاة والثناء لله سبحانه وتعالى. وبدأت الهموم والغموم التي وقعا أسيرين لهما زماناً طويلاً في الانفراج والله الحمد والمنة.



إغلاق الجرح والتجميل



لحظة الفصل

حصة تبتعد عن إلهام

وبسرعة اتصلت سفارة المملكة العربية السعودية في المغرب بالأسرة، وبدأت معها ترتيبات نقلها من قريتها إلى الدار البيضاء ومنها إلى الرياض حيث كان في استقبالها بمطار الملك خالد الدولي فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم جميعاً إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، استقبلت التوأم مع زملائي على بوابة المستشفى ونقلناهما إلى الغرفة رقم (٧) بجناح الأطفال (٧)، وأجريت على الفور الفحوصات الطبية الالزامية، وتلا ذلك تشكيل فريق طبي متخصص لدراسة الحالة ضم جراحة الأطفال، أمراض الأطفال، التخدير، العظام، جراحة المسالك البولية، القلب، التجميل، التأهيل، التمريض والفنين علاوة على التخصصات الأخرى المساندة. اجتمع الفريق وقرر إجراء فحوصات عديدة ومتخصصة خلال أسبوعين، ثم عقد اجتماعاً آخر بعدها استعرض فيه كل تفاصيل الحالة، فتبين له وجود اشتراك في منطقة البطن والوحوض مع وجود أطراف سفلية سليمة لكل منهما، واشترك في الجهاز الهضمي وبالذات في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي وفي أسفل العمود الفقري، ولذلك أشركنا فريق جراحة الأعصاب. وعلى إثر ذلك قرر الفريق إجراء مزيد من الفحوصات الأخرى الدقيقة للعمود الفقري. وبعد أن وصل التوأم إلى الوزن المناسب اجتمعنا وقررنا إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح تصل إلى ٧٠٪ وحددنا يوم السبت ٤ صفر ١٤٢٧ هـ الموافق ٤ مارس ٢٠٠٦م لإجرائهما، وسبقتها يومين عملية وهمية تجريبية راجعنا فيها الخطوات العشر للعملية، وتأكدنا من جاهزية العملية. وكعادتنا قبل كل عملية شرحتنا تفاصيلها لوالدي التوأم، فأعلنا موافقتهما على كافة مجرياتها، وأعربا عن قناعتهما بقرار الفريق وثقتهما فيه. وفي اليوم المحدد للعملية اكتمل حضور كل أعضاء الفريق الطبي في الساعة السابعة صباحاً، وألقى والدا التوأم تحية وداع مفرونة بكثير من القبلات على ابنتهما قبل إدخالهما إلى غرفة العمليات، وبدأت مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير تلتها عملية منظار لمسالك البولية ثم مرحلة التعقيم وتعطية التوأم، وبعد ثلات ساعات بدأت العملية الكبرى باسم الله واعتماداً عليه، ثم تابعت المراحل واحدة تلو الأخرى إلى أن توجت بفضل حصة عن إلهام والله الحمد بمنتابعة والد التوأم الذي كان يتواصل معنا عن طريق المايكروفون وشبكة التلفزيون الداخلية واعتراه إحساس طاغ بالفرح عندما شاهد لحظة فصل الجسدين الصغيرين عن بعضهما بعد حوالي ١٥ ساعة من العمل المتواصل، ثم قسمنا الفريق الطبي إلى فريقين لاستكمال بقية العملية التي استغرقت ١٨ ساعة متواصلة واصطفنا في نهاية العملية لأخذ الصورة التوثيقية التذكارية، وعند خروجنا من باب المركزة حيث مكثتا حوالي ثلاثة أسابيع أفاقتا بعدها تماماً وعادتا إلى وضعهما الطبيعي، وبعد ذلك نقلنا إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل، وبعد ثلاثة أشهر غادرتا المستشفى إلى مسقط رأسهما في المغرب الشقيق لتعوداً بعد هذه العملية إلى المملكة العربية السعودية لمتابعة الفحوصات الدورية التي أوضحت أنهما بخير وصحة، جيدة.



الفريق الطبي



عنان حار



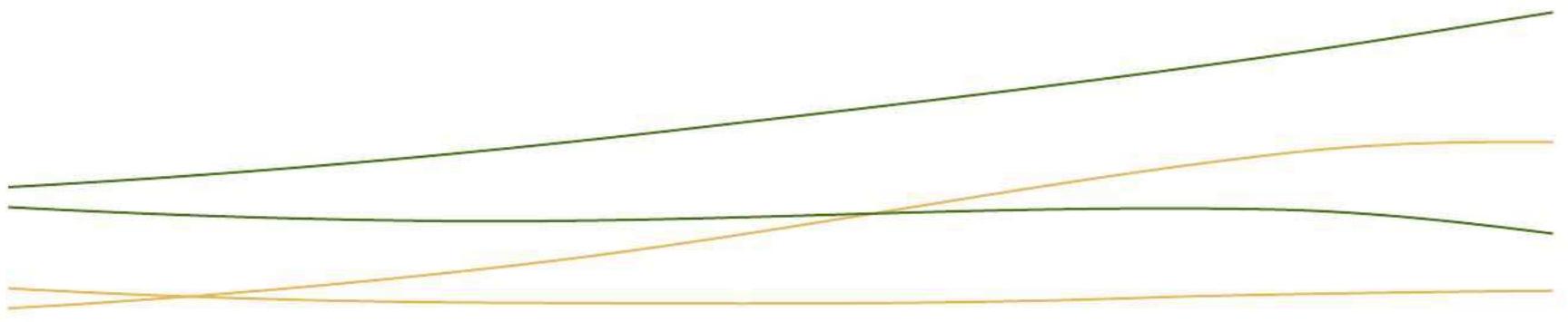
إلهام وحنصة بعد العملية

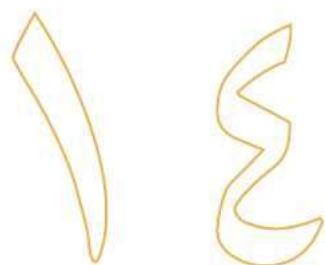


حنصة



إلهام





توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧هـ / ديسمبر ٢٠٠٦م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي

توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧ - ديسمبر ٢٠٠٦م

حمل تحت الرصاص ودوي المدافع

أبوان صغيران، وفقر يكاد يطفئ البريق في الأحداق، وحرب ضروس تدور في شوارع وطرق وأحياء مختلف مدن العراق لاسيما العاصمة بغداد التي تمزقها تفاعلات تلك الحرب، يقع منزل الأسرة في منطقة النجف التي لا تبعد كثيراً عن بغداد، كانت المنطقة وادعة قبل أن يمزق دوي المدافع والراجمات وأزيز المجنزرات وأصوات الطائرات المقاتلة سكونها وهدوءها وينع النوم عن عيون بناتها..

في هذه الضاحية وفي خضم هذه الأوضاع الحربية الصعبة القائمة أحسست الزوجة بأعراض حمل جديد، وكان هذا الحمل بداية رحلة يجهلان مجريها ومرساها.. بدأ الحمل في ظروف أمنية ملتهبة، وقاتل لا يهدأ أبداً، هدم وقتل وحرق ونهب، وسيارات مفخخة وهجمات انتشارية، واقع مرعب من يصبح فيه لا يُسي، ومن ينام لا يأمن أن يصحو.. داخل نفق هذه المخاوف والماسي، وقلة الموارد وصعوبة العيش تتبع أشهر الحمل، والألم تجهل ما يتحرك في طيات رحمها، كانت تأمل مع زوجها أن يرزقهما الله بولود أو مولودة تضفي على حياتهما المحفوفة بالمخاطر سعادة ولو اسمية، وتداعب فراغ الأم وتنسيها بعض مآسي الحرب وويلاتها؛ ولكن مشيئة الله جل وعلا أرادت غير ذلك، فكان حمل الأم مختلفاً والألم أشد، وثقله أكبر، بطنها يتکور ويتفتح يوماً بعد يوم بصورة لم تعهد لها من قبل، إحساس بالتعب لا يفارقها، ولكن لم يكن أمامها سوى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى مع الأخذ بالوسائل، فقصدت مستشفى القرية المتواضع الذي لم يضف جديداً إلى ما كانت تعلمه؛ بل كان تشخيصهم مجرد توقعات لا تستند إلى أدلة تشخيصية ملموسة، شك كادر التمريض في وجود توأم، وغلب بعضهم احتمال طفل واحد، بينما رجح آخرون وجود سوائل زائدة في الرحم أدت إلى انتفاخ البطن، ولم تكن زيارتها لهذا المستشفى ذات جدوى؛ بل ضاعفت همومها وقلقها. مررت الأيام والليالي بين ظلمات وألم وخوف وجوع حتى اقترب موعد الولادة، ولما جاءها المخاض نقلها زوجها إلى ذلك المستشفى المتهالك ذي الإمكانيات الفقيرة، فقرر أطباؤه إجراء عملية قيصرية لها، فكانت ولادتها مختلفة ومتعرجة وغير طبيعية. توالت الساعات الطوال والأب صغير السن ينتظر خارج غرفة الولادة على آخر من الجمر، متلهفاً لسماع خبر يسعده ويُنزل الطمأنينة والسكينة على قلبه، ولما طال انتظاره شعر بالقلق والحزينة والارتباك إلى أن أطلت المرضعة فانطلق نحوها يرقب شفتيها لعلهما تتحرّك بالبشرى، وعوضاً عن ذلك قذفت إليه بالخبر الذي صدمه وزلزل كيانه، أخبرته بأنه رُزق تواماً؛ ولكنه ليس كمثل بقية التوائم العادي، إنه توأم ملتصق بوزن أقل من الطبيعي. خرج هذا التوأم في ظروف أشد حلاوة وظماء، فلا إمكانات متوفرة، ولا وسائل أمان أو أجهزة لعلاج مثل هذه الحالات، علاوة على ما يعيشه المستشفى وغيره من ندرة واضحة في أدوات التعقيم، بل ولا وجود لأي ملمع للرحمة أو الاكتئاث بمثل هذه الحالة في ظل الظروف القاسية التي تتنفس من وطأتها بلاد الرافدين. في هذا الجو المشحون بالموت لا تستطع الأسر مذاقاً لحلوى، ولا تخس بأوراق تنفس من حولها، أو بورود تتفتح أو أزهار تفتح معلنـة ميلاد حياة جديدة، ولا تتوقع هدنة تتيح للنفس لحظة اطمئنان وادعة تأمل فيها مقاومة الطبيعة من حولها جور



شرح تفاصيل العملية



فاطمة والزهراء عند وصولهما

الإنسان وإفساده للحياة وتدميره لقوماتها.. كل شيء ذابل وبلا نكهة؛ وجوه البشر، أوراق الشجر، ألوان الزهر، رذاذ المطر وحتى صلابة الحجر.. لا شيء يُنهج القلوب ويُضحك الوجوه. تلقى الأب المسكون خبر التوأم السامي بمشاعر الخوف ودموع الحزن، ذهل وتملّكه الحيرة، وبقي أخيراً لآثار الصدمة فترة طويلة، وبكي بكاءً مريضاً، وأحس وكأن عينيه تذردان دماً لا دموعاً. جلس يقاوم هذه الأحزان والألام بعد أن استعاد قليلاً من رباطة جأشه، رفع كفيه يدعوا الله سبحانه وتعالى أن يُفرج كربته.. هدأت نفسه قليلاً وإن ظل وجهه مكسوباً بمسحة من الكآبة، وعاوده القلق والهم حين نقل خطواته في الاتجاه إلى غرفة زوجته، كيف يخبرها وهي ما زالت تحت تأثير جراح الولادة القيصرية والألم؟ وكيف يكون وقع هذا الخبر عليها؟

ابتسامة لم تكتمل

بعد أن أفاقت الأم من آثار المخدر؛ تاقت نفسها إلى معرفة جنس مولودها: ولد هو أم بنت؟ وما أن أبصرت زوجها يدخل عليها في غرفتها حتى بادرته بالسؤال: ما عساي أنجبت؟ صمت برهة واستعصت عليه الإجابة، انعقد لسانه لأول وهله، ثم تمالك نفسه وأجابها وهو يتمتم حزيناً مرتباً: لقد رزقنا الله طفلتين، علت شفاتها ابتسامة عريضة أنستها ألام الولادة، غير أن هذه الابتسامة غارت على فمها حين أكمل زوجها عبارته: ولكنهما غير سليمتين !! فصرخت متتسائلة: ماذا تقصد؟ ما بالهما؟ هل هما على قيد الحياة؟ فأكمل لها أنهما بخير ولكنها تحت العناية المركزية، وهي عناء ليس لها من مدلولاتها إلا اسمها، فهي تفتقر إلى أساسيات وضروريات الأجهزة والمعدات. ثم ذكر لها أن الطفلتين ملتصقتان، لم تستوعب معنى الاصطلاح؛ وحين تبيّن لها معناه لم تتمالك نفسها، وزفرت زفراً حاراً وذرفت دموعاً مريدة كأنها مختلطة ب قطرات دم ساخن، انكمشت في فراشها و تكونَت على نفسها تبكي بحرقة، اجتهد زوجها في مواساتها والتخفيف عنها وهو يمسح دموعها ويدعوها إلى الاسترخاء والصبر. جلس بجانبها وقد تجسّمت أمامهما المصيبة كجبل شاهق .. حار في الأمر، تواردت في مخيلتهما أسئلة كثيرة يجهلان الإجابة عنها، ولا يدريان من يملك مقاييس حلّ هذه النازلة.. وحقّ لهما أن يحاراً ويكتئباً؛ فهما يدركان أن حال المستشفى الصغير المتواضع ليس بأحسن من حال أسرتهما، إذ لم يسبق لطاقمه الطبي أن واجه مثل هذه الحالة الغريبة، وتنقصه الخبرة الالزمة، إضافة إلى أن المستشفى نفسه يعني فقراً شديداً في المعامل والمخبرات والأجهزة والتقنيات الحديثة! وفي هذه الأثناء زاراهما والدا الأم ليشاركاًهما فرحة المولود الجديد، ولكنها عندما وقفا على المشهد وتبينتاً ملامح الحزن والكآبة على الزوجين؛ انتابهما الشك، ولما علموا الخبر كان وقعه عليهما كالصاعقة. وبعد أيام من الهمّ والحزن والتفكير والقلق بدأ الزوجان رحلة البحث عن حلٍّ تدفعهما عاطفة الآباء والأمهات المتقدمة، ولم يكن أمامهما سوى إيجاد مخرج لمساعدة طفلتهما رغم الظروف الكالحة التي يعيشها العراق، انطلقا في مساعيماً متوكلين على الله تعالى الذي يُفرج همَّ المهمومين ويُنفس كرب المكروبين، ويفتح أبوابه لكل المحتاجين.

خففت آثار الصدمة، وتضاءلت مشاعر الحزن والأسى، وانقطعت نظرة الفضولي القريب والبعيد؛ وظلت الأسرة تترقب متطوعاً لتقديم المساعدة أو اقتراح حلٍّ مناسب، قادها النصح والمشورة إلى وسائل الإعلام العراقية والعربية التي تجاوبت مع الحالة، وتناقلت الخبر، وأطلقت صيحة استغاثة باسمها، سمعت الدول المجاورة هذه الصيحة، وسمعتها العالم أجمع؛ ولكن هل



أثناء العملية



وداع والد التوأم فاطمة والزهراء قبل العملية

من مجيب؟ توقع والدا التوأم ذوو النوايا الحسنة أن تكون الدول الغربية ذات التواجد الكثيف في العراق، وصاحبة الإمكانيات التقنية والخبرات الطبية المتقدمة أن تكون أول وأسرع المستجيبين، ولكن اصطدمت الاستغاثة بأذان صماء.

الإخلاء الطبي السعودي في مطار بغداد

وفي ماليزيا حيث كان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في رحلة رسمية إلى هناك، ورغم البرنامج الرسمي المزدحم؛ سمع حفظه الله صيحة الاستغاثة هذه، وعلم بالظروف الصعبة التي تعيشها الأسرة، مما كان منه إلا أن وجه على الفور بيارسال طائرة الإخلاء الطبي إلى بغداد لنقل التوأم إلى الرياض رغم الحظر الجوي وما يمكن أن يكتنف هذه الرحلة من مخاطر.. تلقت الأم الضعيفة هذا الخبر فبكت بكاءً شديداً، بقاء مختلف كثيراً عن سابقه؛ فقد كان معيه الإحساس العارم بالفرح والسعادة، ولم تستطع كتمان أو مقاومة دموعها، وشاركتها زوجها هذه الانفعالات، ومكثاً ينتظران بلهفة وصول طائرة الإخلاء، التي يستلزم دخولها إلى الأجواء العراقية إذناً من القوات الأجنبية المنتشرة في كل شبر من العراق، فهي الوحيدة التي تملك بمفردها حق اتخاذ القرار بينما تفتقد الجهات الرسمية هناك حينها. وبعد محاولات عديدة حصل قائد الطائرة على الإذن المطلوب وهبط بها في مطار بغداد رغم أصوات المدافع والرصاص الذي يتتساقط كرخات المطر، وبالفعل نقل التوأم والداهما والطبيب المشرف عليهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. كانت الحالة الصحية للتتوأم (فاطمة والزهراء) حرجة جداً تطلب تدخل طبياً وهما على متن الطائرة، وفي المطار كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى المستشفى، وأدخل التوأم حالاً إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حيث كنت مع زملائي في استقبالهما بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والعربية العالمية، وشرعنا على الفور في تقييم الحالة التي كانت صعبة جداً، وكان وزنهما معاً لا يتجاوز ثلاثة كيلو جرامات، ويعانيان التهابات مفرطة في الجهازين البولي والتنفسى، مع وجود بكتيريا وفطريات في جسدهما، وتطلب ذلك متابعة دقيقة وعناية فائقة حفاظاً على حياتهما. ثم بدأتُ بعد ذلك مرحلة الفحوصات الطبية وتشكيل الفريق الطبي الذي بلغ عدد أعضائه حوالي 75 شخصاً يمثلون كافة التخصصات، وتركزت جهودهم على العناية بالتتوأم ومساعدته تجاوياً مع توجيه خادم الحرمين الشريفين. عقد الفريق الطبي أول اجتماع له بعد وصول التوأم بثلاثة أيام استعرضنا فيه الحالة الطبية للتتوأم، وأطلعنا على بعض الصور الخاصة به، وأجرينا بالإضافة إلى ذلك فحوصات أخرى عديدة كشفت لنا وجود اشتراك في الصدر والبطن والحوض وطرف سفلي لكل منهما وثالث صغير ومشوه لا يخص أيهما. ورأينا بناءً على ذلك ضرورة التركيز على حياة التوأم وتغذيته. استغرقت مدة العناية بالتتوأم حوالي أربعة أشهر حظياً فيها بمتابعة دقيقة ساعة بساعة إلى أن تجاوز وزنهما سوياً عشرة كيلو غرامات، وعقدنا بعد ذلك عدة اجتماعات لاستعراض نتائج ما أجري من فحوصات دقيقة كشفت وجود اشتراك في الكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة، واشتراك في الجهازين التناسلي والبولي، ونظرًا لوجود الطرف الثالث المشوه فقد تناقشنا طويلاً حول ضرورة إجراء عملية لممديد الجلد وإدخائه حتى نتمكن من تغطية الفراغ بعد الفصل؛ لأن الاتصال كبير والحالة حرجة، واتفقنا عليها جميعاً في النهاية باستخدام باللونات تحت الجلد لممديده عبر عدة مراحل تستغرق مدتها أربعة أسابيع،



بعد الانتهاء من فصل التوأم



فصل الكبد

وتولى أطباء التجميل هذه المهمة، وواصلوا نفخ البالونات كل يومين أو ثلاثة إلى أن وصلت إلى الحد الأقصى. وبعد ذلك قررنا إجراء عملية الفصل يوم السبت ١١ ذو القعدة ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٠٠٦ ديسمبر ٢٠٠٦ م، واتفقنا في اجتماعنا الأخير على تجزئة العملية على ١٠ مراحل، وتوقينا لإنكماشها وإنجازها كاملة ٢٠ ساعة متواصلة، وكالعادة أجرينا عملية وهيئية تجريبية قبل هذا الموعد بثلاثة أيام راجعنا خلالها أجهزة العمليات مع التأكد من جاهزية الفريق الطبي، كما راجعنا الخطة المكتوبة واتفقنا على مراحلها كافة، ثم شرحنا كل هذه التفاصيل لوالد التوأم، وأخبرناه بإمكانية إجراء العملية بنسبة نجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظراً لما يعيشه التوأم من مشكلات والتهابات فضلاً عن حجم الاتصال الكبير. وبعد أن أحاط بكل المراحل وافق على إجراء العملية متقبلاً كل ما يمكن أن ينتج عنها.

اهتمام إعلامي غربي

ذهب إثر ذلك إلى خادم الحرمين الشريفين في مزرعته وشرح له تفاصيل الحالة وملابساتها ونسبة نجاحها، فبارك خطواتنا ونصحنا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه في كل مراحل العملية، ثم استأذنته في السفر إلى مكة المكرمة لأداء العمرة حيث أجهزت إلى الله عز وجل بخالص الدعاء أن يوفقا ويكتب للتوأم الشفاء والعافية، وأن ييسر للفريق الطبي طريق النجاح خدمة للإسلام والمسلمين. وب مجرد عودتي إلى الرياض ذهبت إلى المستشفى للتأكد من جاهزية العملية. وكان هناك اهتمام كبير ومتابعة مباشرة من الإعلام العربي لهذا التوأم الذي نُقل من قلب بغداد حيث تتواجد القوات الغربية كافة، أفلقت هذه المتابعة الإعلامية المصيحة الفريق الطبي، وشكّلت عنصر تحدياً ولزملاً مما ضاعف إصرارنا على النجاح بإذن الله تعالى.

كان نومي قلقاً ليلة العملية، فصحوت مبكراً وأديت صلاة الفجر ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت بالزملاء وتحدثت إلى والدي التوأم اللذين كانت أعصابهما متوردة ومشدودة، ويبكيان لحظة وداعهما لطفليهما. بدأت العملية في الساعة السابعة والنصف صباحاً وكانت منقولة على شبكة الإنترنت مع نقل حي بواسطة العديد من الفضائيات، واستهلت أولى مراحلها بالتخدير فالتعقيم، ثم حملت المشرط الصغير وشرعت في فصل الجلد بين التوأم باسم الله وعلى بركة الله، وبعد إكمال فصل أصلع الصدر وأغشية القلب المشتركة وإبعاد قلب فاطمة عن قلب الزهراء، ووصلنا عملياً في رتق الأغشية من جديد، لتنقل بعدها إلى مرحلة فتح البطن وفصل الكبد. وفي هذه الأثناء تلقينا اتصالاً مباشراً من فضائيات غربية شهرة مثل (CNN) و (BBC) تستطلعان عن مدى تجاوب فاطمة والزهراء ونسبة نجاح العملية، وكنا نرد على استفساراتهم وأسئلتهم بكل ثقة واطمئنان دون التوقف عن مهماتنا الجراحية مستهدفين من ذلك إبراز صورة مشرفة لأبناء الأمة العربية والإسلامية، وأخذها بأسباب العلوم وال المعارف والتقنيات، وبلغ درجة عالية من الخبرة على المستوى العالمي، واكتملت هذه المرحلة وما أعقبها من مراحل أخرى لفصل الأمعاء والمسالك البولية والأجهزة التناسلية والطرف الثالث المشوه وتجزئة الجلد والعضلات بين الطفلتين وفصل الحوض. وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف الساعة اكتمل تماماً فصل فاطمة عن توأمها الزهراء بفرحة غامرة



فاطمة والزهراء بعد العملية



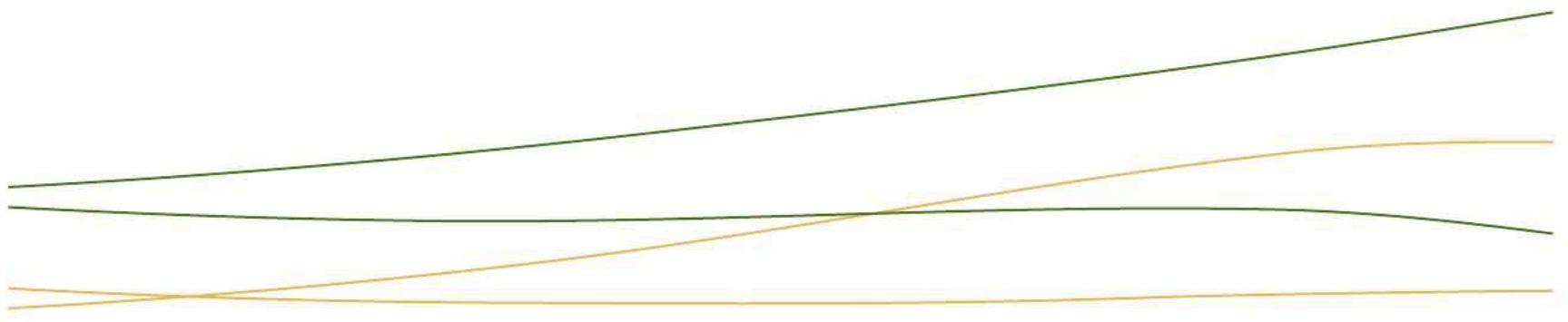
عنان حار من والد التوأم

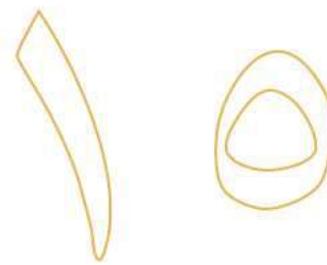
من أعضاء الفريق ووالدي التوأم، وارتقت موجة من التصفيق حين نقلت فاطمة إلى سرير منفصل عن شقيقتها الزهراء. واستغرقت إعادة عملية تأهيل الأعضاء وتغطية الجراح ساعتين ونصف الساعة تقريباً. وبذلك يكتمل نسيج هذه القصة الطويلة الصعبة والمعقدة للتوأم القادم من العراق، وتصل جميع فصولها ومشاهدتها إلى نهايتها خلال ١٨ ساعة والله الحمد. ثم نقلتا مستقلتين عن بعضهما إلى غرفة العناية المركزة، وكان والدهما (جبار) على باب غرفة العمليات يعانقني ويعانق أعضاء الفريق كلاً على حدة ويدعو لهم بالتوفيق الدائم والنجاح المستمر، بينما كانت زوجته تبكي وهي تلمس يد فاطمة مرة وتقبلها ثم تنتقل إلى الزهراء لتفعل الشيء نفسه. مكثت الطفلتان حوالي خمسة أسابيع في العناية المركزة وأسبوعين في جناح الأطفال. وبعد أن أفاقا من المخدر زارهما القائد الإنسان والوالد العظيم الملك عبد الله في العناية المركزة زيارة أبوية حانية وقبلهما، وهنا والديهما على شفاههما، وطلب منهما البقاء في بلددهما المملكة العربية السعودية إلى أن تتماثل الطفلتان إلى الشفاء الكامل بإذن الله تعالى؛ بل عرض عليهم إحضار من يحتاجان إليه من أقاربهما لمساعدتهم إذا لزم الأمر، ونصحهما بعدم الاستعجال لأن ظروف العراق لا تسمح بمتتابعة علاج مثل هؤلاء الأطفال الأبراء.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر من إجراء العملية وبعد أن تحقق للطفلتين الشفاء الكامل استأنذن والدهما في العودة إلى العراق وأصر على ذلك رغم محاولة الفريق إقناعه بالعدول عن قراره والبقاء في الرياض لوقت أطول، ولكنه فضل العودة نظراً لظروفه الشخصية. وفي يوم السبت ٤ ربيع الثاني ١٤٢٨ الموافق ٢٠٠٧ م غادر التوأم العراقي (فاطمة والزهراء) المملكة العربية السعودية بصحبة والديهما متوجهين إلى الجمهورية العراقية الشقيقة بعد اكتمال فترة علاجهما التي استمرت أكثر من سنة وشهرين .. وهكذا اكتملت هذه القصة التي بدأت فصولها في العراق وانتهت في الرياض.



فاطمة والزهراء بعد العملية





شوفوب و فنوم تهدیان بلدتھما لاسلام

ربيع الاول ١٤٢٨ھ / أبريل ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين



لحظة وصول التوأم

شوفبو ونبوم يهديان بلدتهم للإسلام

ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - أبريل ٢٠٠٧ م

العاشر تؤام سيامي

في قرية صغيرة تبعد حوالي خمس ساعات بالسيارة عن العاصمة الكاميرونية بالنجي تعيش أسرة متوسطة الحال، ومثل جميع سكان القرية تكدر هذه الأسرة طوال ساعات نهارها في زراعة بعض المحاصيل تحت ظروف مناخية صعبة يضر بها الجفاف حين يستعصي الخريف وتشح الأمطار، ويقتصر إنتاجها على مؤونة عيشها اليومي، الفقر سمة غالبة على أهل القرية، مساكنهم عبارة عن أكواخ جدرانها من فروع الأشجار الجافة، وأسقفها مخروطية منسوجة بالقش أو بعض الأعشاب الطويلة رقيقة السيقان كتلك التي تشتهر بها البيشات الفقيرة. رب الأسرة نصراوي ينبع بحمل ثقيل، لم يكمل تعليمه؛ بل ترك مقاعد الدراسة رغم تفوقه ليتفرغ إلى إعالة أسرته الكبيرة، هجرها مضطراً في نفسه حسرة، زهد في العمل الوظيفي لأن عائله لا يكفيه مؤونة أيام، وأثر العمل في مزرعة الأسرة.. كان يعول ١٣ فرداً (والداته وزوجته وأطفاله التسعة)، ينهض مبكراً في الصباح ويعود مجدهداً في المساء، لم يكن يهدأ له بال ولا يقرُّ له جفن حتى تسخو الأرض وتتجدد بما يتيسر، كان حريصاً على مقاومة الظروف، ولا يتحمل رؤية أفراد أسرته يتضورون جوعاً، ولذلك كان راضياً عن دأبهم واجتهدتهم في مساعدته لفلاحة قطعة أرضه التي أصبحت لا تجود إلا بالقليل، ولو لا مجموعة الأبقار التي يملكها، وبخصوصها يعيش إنتاج أرضه؛ لما عرفت أسرته للعيش طعمًا، فالأبقار تساعد في حوث الأرض، وتدرُّ له الحليب فيخصص بعض ما تجود به لإطعامهم، وبيع ما يتبقى منه لينتفع بشمنه في شراء المستلزمات الأخرى، وتوفير المصروفات المدرسية لأبنائه. كان عيشه والحاله هذه خالياً من الطموح، ولا يعرف من الحياة إلا الكد والتعب لصيانة أبنائه من الواقع في براثن الجوع. حملت زوجته لهب طفله العاشر، ولزيادة حمله ثقلًا، وبدأت أعراض هذا الحمل مختلفة، تباطأت معه حركة الزوجة وقلَّ نشاطها، إرهاق وتعب مع أقل مجهود، شعور بالمعاناة ظل يلازمها، وهاجس القلق والخوف يسيطر ان عليها؛ لأنها وحدها التي تدرك ثقل ما تحمله في رحمها وما يسببه لها من إجهاد، لم يكن بوسع الزوج الانتقال بها إلى مستشفيات العاصمة أو أي مدينة كبيرة أخرى.. فهذه تكاليف فوق احتماله، وعزيزه على مزارع يُجاهد الأرض ليكفي أهله ذلَّ السؤال. تتابعت أسبوعياً الحمل وحياة الأسرة تجري على منوالها الريتيب، ومعاناة الأم تزداد وقلتها يتضاعف.. حانت لحظة المخاض، ليس ثمة من يقدم المساعدة سوى قابلة القرية الوحيدة، هرع الأبناء إليها يستدعونها على عجل، أقبلت بمعاذتها البدائية، وتمكن من إكمال المهمة داخل عيادة شديدة التواضع، ولادة طبيعية ولكنها متعسرة وصعبة أوشكت أن تودي بحياة الأم ومولودها، في حين كان من الطبيعي إجراء مثل هذه الولادة بعملية قصيرة في أحد المستشفيات المؤهلة. شعرت القابلة والأم معاً بصدمة كبرى ودهشة بالغة لخروج المولود من الرحم إلى الضوء، تفاجأت الافتتان بخروج تؤام سيامي متتصق، ارتجفت القابلة خوفاً وهلعاً وكادت تسقط على الأرض مغضيًّا عليها لو لا أن تمالكت نفسها وجلست على أقرب مقعد لها. أدخلت المفاجأة للأم في نوبة بكاء عنيف، لم تتبين القابلة من شدة خوفها وذعرها ما إذا كانت الأم تبكي من الألم الحاد الذي صاحب عملية الولادة؟ أم من غزارة نزيف الدم الذي أعقبها؟ أم من صدمة التوأم الملتصق؟



مع والديهما صباح يوم العملية



التوأم الكاميروني عند وصولهما

الأب في الخارج ينتظر خروج القابلة، طال الانتظار، حار في هذا التأخير غير المعتاد، ثم خرجت لتنتقل إليه الخبر كما هو مجردًا، لم تنتظر ردًّا فعله أو تحاول قراءة مشاعره؛ بل هرعت للاستنجاد بطبيب في قرية مجاورة، فأقبل على الفور يساعدها في رق آثار التمزق جراء الولادة. وبعد استقرار حالة الأم وتوأمها بـأدب رحلة البحث عن حلٍّ لمشكلة التوأم الذي اختار له الأبوان اسميه (شوفوبو وفنبوم). كانت إحدى البتين ضئيلة الحجم ضعيفة الجسد مقارنة بأختها، وفوق ذلك تعاني مشكلات صحية عديدة، ولذلك لم يخف العاملون والعاملات في العيادة أو المركز الصحي الذي يعني بهما قلقهم وخوفهم من أن تفقد حياتها سريعاً، ولكن شاء الله أن تقاوم ظروفها الصحية وتبقى على قيد الحياة، كثف الأب جهوده بمساعدة الأقارب وأهل القرية بحثاً عن حلٍّ، ولكن دون جدوى، فبقي على حاله حزيناً منكسرًا مدة من الزمن إلى أن دخلت القرية إحدى الجمعيات الخيرية المسيحية المعنية بالأطفال، فحظي التوأم شوفوبو وفنبوم باهتمامها وعنايتها وإشرافها، وفي هذه الأثناء تطوع أحد أطباء هذه الجمعية بالولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة قريب له هناك بيت رسالة إغاثة عبر شبكة الإنترنت لكافة المراكز المتخصصة في فصل التوائم.

رسائل للكاميرون عبر أمريكا

وهنا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض استقبلنا مثل غيرنا من المراكز الناظرة هذه الاستغاثة، وطلبنا تقارير طبية وصوراً للتوأم، وبعد عدة أسابيع تسلمنا هذه التقارير؛ ولكن لم يكن التواصل مع والدي التوأم وأهل قريتهم سهلاً على الإطلاق نظراً لعدم وجود اتصال هاتفي مباشر أو عنواين بريدية، وكانت اتصالاتنا قاصرة على رسائل إلكترونية تمر عبر الولايات المتحدة الأمريكية، فتولى تلك الجمعية الخيرية إرسالها بدورها إلى العاصمة الكاميرونية، ثم تنقل بواسطة أشخاص إلى قرية التوأم، وبعد أن وصلت هذه التقارير؛ بادرت بنقلها وعرضها على خادم الحرمين الشريفين الذي كان في جلسة أسرية مع بعض إخوته وأبنائه، وبعد أن أطلع عليها تأثر كثيراً ولم يسأل عن لون التوأم أو هويته أو ديناته أو مستوى الاجتماعي؛ بل سأله عن وضعه الصحي، ثم وجهني على التوبيخ والدي التوأم بموافقتها على علاج ابنتيهما وتکفله حفظه الله بكافة نفقات سفرهم وإعاشتهم في المملكة العربية السعودية. كان يفعل كل ذلك بنخوة القائد المسلم، ولا يبحث عن مجد أو إعلام؛ بل كان يبتغي وجه الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً، وأن يُبين للعالم الصورة الحقيقة للمملكة العربية السعودية، وأن يُظهر الوجه المشرق للأمة العربية والإسلامية.

وإثر هذه الموافقة الكريمة أرسلت رسالة إلكترونية عن طريق الجمعية الخاصة التي تتولى العناية بهذا التوأم، وبعد أسبوعين علمت أن الأسرة تلقت الخبر، فحركتها المفاجأة الكبيرة التي كانت تتجاوز عقولهم، فبكى جميع أفرادها فرحاً، لم يحدث أن كانت لديهم أي معلومات عن المملكة العربية السعودية سوى اسمها، ولم يسمعوا بالملك عبد الله؛ ولكن هذه الفتاة والمبادرة الإنسانية جعلتهم يدعون له بالصحة والعافية. انضم الأهل والأقارب والجيران إلى هذه الأسرة وهناؤها بهذه البشرى التي تضع حدًّا لمعاناة توأمها. واستكمال الإجراءات كلفت سفارة المملكة بالكاميراون بالعناية بالتوأم وترتيب نقله مع أسرته إلى الرياض.

في يوم السبت الخامس من ربيع الأول ١٤٢٨هـ الموافق الرابع والعشرين مارس ٢٠٠٧م وصل التوأم إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض حيث كان في استقباله فريق طبي و سيارة إسعاف نقلته إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني،



لحظة الإنفصال في غرفة العمليات

فصل الأمعاء

وكنت في استقباله مع زملائي على بوابة المستشفى كما هو معتاد. وبدأت أولى مهامنا بفحص التوأم فحصاً دقيقاً وبعد استكمال الفحوصات تحدثت إلى والدهما الذي كان يجيد اللغة الإنجليزية، وشرحت له وضع ابنته، واشتراكهما في منطقة الصدر والبطن والخوض، وأننا بحاجة إلى مدة عشرة أيام تقريباً لإكمال كل الفحوصات واتخاذ القرار اللازم، وفي نهاية هذه المدة عقد الفريق الطبي اجتماعين استعرض فيها الفحوصات وتبين له وجود اشتراك في الكبد والأمعاء والجهاز البولي والتناسلي والخوض، ولكن واحدة منهما طرف سفلي واحد وتشترك في طرف ثالث مشوه، واتفق أعضاء الفريق على إمكانية عملية الفصل رغم أن التوأم فنيوم تعاني مشكلات في القلب وضغطًا في شرايين الرئة؛ ولكن هذا ليس عائقاً أمام العملية. وكان القرار بإجراء العملية على عشر مراحل تستغرق مدتتها حوالي 15 ساعة.

٢٦ يشاركون في عملية الفصل

وبعد عدة دراسات واجتماعات تقرر إجراء العملية يوم السبت ٤ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠٠٧ م على أن تسبقها ثلاثة أيام عملية وهمية تجريبية، ثم شرحنا كافة تفاصيل العملية لوالدي التوأم. وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية توأجد أعضاء الفريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٢٦ من جراحين وفنيين وطبيب تخدير ومرضى، وتلاذك مراجعة الخطة وتجهيز غرفة العمليات، ونقل التوأم إليها. وأكمل أطباء الأطفال إجراءات تجهيز التوأم واستعد الفريق الجراحي ليوم العملية. وفي يوم الخميس توجهت مع زوجتي كعادتي إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن يوفقنا في تعزيز رفة الأمة الإسلامية والعربية وإلى تحقيق تطلعات خادم الحرمين الشريفين بإنجاح هذه العملية. وفي اليوم المحدد نقل التوأم إلى غرفة العمليات، وكان الوالدان في وداعهما فبكى الأُم وخانتها قدرتها على التماسك بعكس زوجها الذي قال نفسيه وقاوم انفعالاته العاطفية رغم علامات التأثر الواضحة على وجهه. بدأت أولى مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير واستغرقت مدة ساعتين ونصف الساعة، تلتها مرحلة التعقيم، ثم بدأنا باسم الله وعلى بركة الله ببشرطنا الصغير في فتح الجلد بين التوأم، وبعد فتح عظام وعضلات الصدر تمكنا من فصل أغشية القلب عن بعضها، وانتقلنا إلى فصل الكبد باستخدام أجهزة الليزر والأشعة الصوتية لمنع التزييف الذي كان قليلاً والله الحمد، وأعقب ذلك فصل الأمعاء الدقيقة ثم الغليظة، وفصل المسالك البولية والأجهزة التناسلية وعضلة الخوض، ثم فصل الطرف المشوه الثالث بفصل العظام واستخدام الجلد والعضلات لتغطية الفراغ، واكتمل فصل الجسدين عن بعضهما بعد حوالي ١٣ ساعة من بداية العملية، تلا ذلك إعادة تركيب الأطراف التي استغرقت مدتتها ثلاث ساعات لتكتمل مهمتنا الجراحية بعد حوالي ١٦ ساعة من العمل المتواصل والله الحمد.

لا يمكن أن يحدث هذا!

وبعد نجاح العملية قام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بتهنئة الفريق الطبي في غرفة العمليات التي غادرناها ليستقبلنا والدا التوأم بحرارة وبابتسامت عريضة تعبيراً عن السرور والفرحة لرؤيه بنتيهمما



والد التوأم يعلن إسلامه



الفريق الطبي للتوأم الكاميروني

لأول مرة على سريرين منفصلين. لم يدر بخلدهما إطلاقاً أن يغادرا ذات يوم قريتهم الصغيرة النائية في أقصى وسط غرب أفريقيا إلى مدينة العلم والتراث الرياض التي أكدت للعالم أنها بلد السلم والسلام والحضارة. مكث التوأم في العناية المركزة حوالي عشرة أيام، وحين أفاقا في منتصفها زارهما والد الحنون والأب المتواضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في غرفة العناية المركزة بابتسامته المعهودة، وقبلهما وهنَا والديهما اللذين لامست قلبيهما هذه الزيارة الكريمة، وحينها قال والد التوأم لا يمكن أن يحدث هذا، فالمملک عبد الله المشغول بإدارة دولته والذي يهتم بشؤون الأمة العربية والإسلامية يُشرف طفلتين صغيرتين بسيطتين قادمتين من وسط أفريقيا بزيارته الكريمة، طفلتان يحمل والداهما الفقيران لوناً مختلفاً وديانة مختلفة وثقافة مختلفة، في حين لم يعبأ بنا أو يهتم بمشكلتنا أي إنسان في بلدنا، ناهيك عن أن رئيس دولتي لم يعلم بوضع التوأم.. كانت هذه الزيارة بمثابة الشعار الكبير الذي أحدث تأثيراً كبيراً في نفستي والدي التوأم.. بعد ذلك نقل التوأم إلى الجنح رقم (٧) لتبدأ مرحلة التأهيل التي استغرقت ثمانية أسابيع. وفي يوم من الأيام طلب والد التوأم زيارتي في المكتب، فأذنت له، وأنا لا أدرى ما يدور في ذهنه، ولا أعلم سبباً لزيارةه بعد أن شفيت ابنته تماماً، وظننت أنه يريد الاستئذان ليعود إلى وطنه.. وقبل أن أسأله حاجته انطلق لسانه يتحدث عن الإسلام والمسلمين وعن الملك عبد الله وما يمتلك به من مشاعر إنسانية، وما يتميز به من تواضع وأريحية تجعله يتتجاوز الرسميات ويُشرف التوائم بزيارتها في غرفتها بالمستشفى، بل ويستقبلهم في مزرعته الخاصة لا يمنعه عن ذلك اختلاف ملة أو لغة أو ثقافة أو لون، ثم طلب مني تزويده ببعض الكتب التي تعينه على فهم الإسلام وأساليبه ومبادئه وقيمه، فانشرح قلبي وبادرت على الفور بإهدائه مجموعة من الكتب الإسلامية المترجمة إلى الإنجليزية. وبعد عدة أيام عاد ليخبرني بأنه أصبح قريباً من الإسلام، واستيقن أنه الدين الذي يحمل علاجاً لأدواء الإنسانية، وإجابات شافية لحياتها، وهو الدين الحق، دين سلم وسلام، وأن ما يقوم به المسلمون ابتداءً من خادم الحرمين الشريفين وانتهاءً بالفريق الطبي من استقبال أطفال من جنسيات وديانات مختلفة لإجراء جراحات نادرة لهم وباهظة التكاليف ليدل دلالة بالغة على أن الإسلام لا يمكن أن يكون دين قومية واحدة، أو نزل لمنطقة جغرافية بعينها؛ بل هو دين البشرية جمعاء، والعقيدة الإسلامية عالمية الخطاب، ونظمها صالح لكل جوانب الحياة، ولذلك فقد قررت اعتناق هذا الدين، وبالفعل أعلن إسلامه وأصبح أخاً لنا في العقيدة.. وهكذا أضاءت شوفوبو وفنبو نفق أيهما، ومنحته مفتاح الهدى، وكانت سبباً في أن ينقل خطاه على طريق الرشاد. وبعد أيام قليلة غادر إلى بلاده بهوية جديدة، وألى على نفسه أن يكون داعية للإسلام في وطنه. وقد بلغ عدد المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام إلى وقت إصدار هذا الكتاب ٦٧٠ فرداً من قرية التوأم وكان الدافع الكبير لهؤلاء هو التعامل والمنهج الإنساني الذي يتمتع به خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، ثم حسن معاملة الفريق الطبي للتوأم الكاميروني.



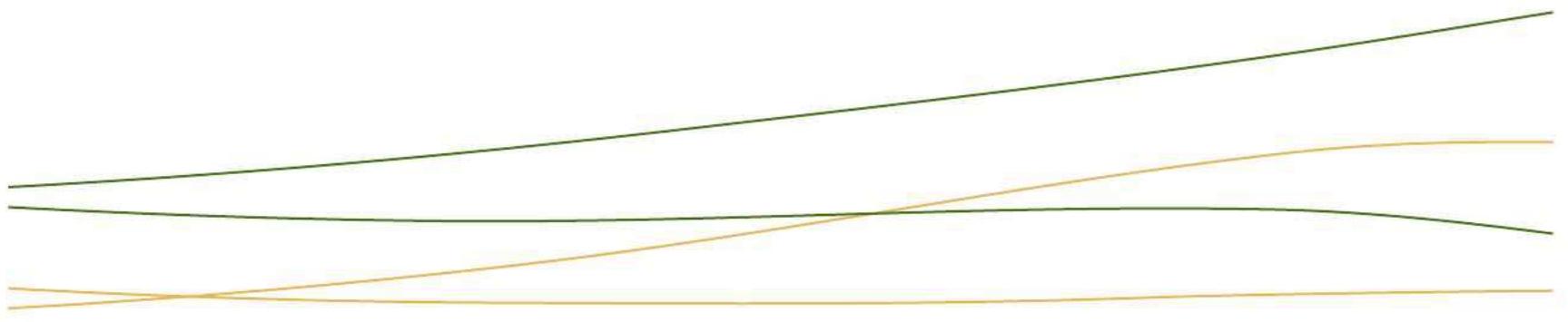
فرحة الخروج



فرحة الإنصال



صورة قبل سفرهما





فقدنا الأمل ولكن..

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ / يوليو ٢٠٠٧م



خادم الحرمين الشريفين خلال زيارة أبوية للتوأم السعودي عبدالله وعبدالرحمن

فقدنا الأمل ولكن..

جمادي الآخرة ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

حمل غريب .. !!

كان نواف وزوجته يعيشان في المدينة المنورة، مدينة الإشراق والنور، بلد المحبة والخير.. مهاجر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان نواف يحيا حياة عفوية بسيطة خالية من المتاعب لأنّه كان قريراً إلى ربّه محبّاً إليه باجتهاده في امتحال أوامره واجتناب نواهيه.. ولم يكن هو وزوجته يتوقعان أن يرزقهما الله بتوأم، وذات يوم شعرت الأم بأعراض حملها الرابع، وأحسّت باختلافه عن أي حمل سابق، شكت إلى زوجها، وأوْتَ إِلَيْهِ تبَشُّهُ همومها وقلقها من هذا الحمل الغريب، فطّرة الأم التي فطرها الله عليها تجعل أحاسيسها تتسم دائمًا بالصدق، فهي لا تشكو ولا تتوجه إلا إذا كان في الأمر ما يستدعي ذلك. وفي منتصف أشهر الحمل ذهبت إلى عيادة الطبية التي تراجع معها؛ فأخضعتها لبعض الفحوصات، وفي ضوء نتائجها شُكِّكت في أن يكون الحمل بتوأم، غير أن هذه النتائج لم تبيّن التصاق التوأم. تزايدت معاناة الزوجة من ثقل ما تحمل، ومن الصعوبات والمشكلات التي يسبّبها، ووفقاً لتعليمات الطبية تابعت مراجعتها إلى المستشفى مرّة في كل ثلاثة أو أربعة أسابيع. وفي نهاية الحمل أجرت الطبية فحوصات أكثر دقة، فاتضحت لها معالم الصورة، ولا زالت شكّ في أن يكون التوأم ملتصقاً (سيامي)، ولذلك اقتربت على الزوج استشارة مركز متخصص، وتصحّته بمراجعة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني في الرياض. أقلقه الأمر وأزعجه، فظروفة لا تساعد في مقابلة تكاليف مثل هذه الحالة، ولا السفر إلى العاصمة الرياض، فأطفاله ما زالوا صغاراً وإمكاناته متواضعة، وفوق كل ذلك فإن الدخول إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية يتطلب تنسيقاً وموافقة مسبقة. فأشار عليه أحد معارفه بإرسال برقية إلى خادم الحرمين الشريفين، وبالفعل ما أن علم حفظه الله بتفاصيل الحالة حتى وجه على الفور بنقل الزوجة وزوجها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية على نفقته الخاصة مع تحمل كامل تكاليف السكن والإعاشة وما إلى ذلك.

مشكلات صعبة ومعقدة

في يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م تم استقبال الزوجين في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وشكّلنا فريقاً متخصصاً من قسم النساء والولادة لمتابعة الحالة، وبعد إجراء فحوصات دقيقة تأكّد بما لا يدع مجالاً للشك التصاق التوأم، وحين استوثق الزوجان من الأطباء صحة نتائج هذه الفحوصات شعراً بصدمة كبيرة، وتتابعت أسئلتهما حول الحالة ومحاطتها وإمكانية نجاحها؛ بينما تابعت كذلك دموع الأم تندحر بغزاره، مع إحساس متضاعداً بالقلق والإرهاق، ومعاناة شديدة في الحمل. وبعد أن هدأت حالتها جلستُ إليهما مهوناً عليهما، ومبيناً لهما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل مصيبة مخرجاً ولكل هم فرجاً، وسيعينهما بقدرته سبحانه وتعالى على تحمل ملابسات هذا الإبتلاء. أعنّهما إيمانهما العميق على تقبّل ما أراد الله بنفس راضية مطمئنة. وبعد أيام أجريت عملية ولادة قيصرية للأم، فخرج إلى الوجود التوأم السيامي السعودي الرابع



الوالد يودعهما قبل العملية



عبد الله وعبد الرحمن عند وصولهما

(عبد الله وعبد الرحمن)، ونقاً إلى قسم العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، واتضح من تقييم الحالة وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن والخوض، مع وجود طرف سفلي لكل منهما، ويشتريكان في الجهازين التناسلي والبولي، مع عدم اكتمال جدار البطن، وكانت المثانة البولية والأمعاء الغليظة مفتوحتين إلى الخارج، وهناك اتصال بين الأمعاء الغليظة والمثانة البولية، وجميعها تعد مشكلات صعبة ومعقدة. وإثر هذه النتائج تشكل فريق طبي متخصص من عدة أقسام لمتابعة التوأم، وشرحت الحالة بالتفصيل للزوج والزوجة؛ فتأثرا كثيراً، وعلت وجه نواف بعض ملامح الشكوك والخوف، وكان إحساسه موزعاً بين زوجته وطفليه التوأم في الرياض وبقية أطفاله الصغار الذين تركهم في المدينة المنورة مع حاجتهم الشديدة إلى رعاية الأب والأم لتلبية متطلباتهم ومتابعة دراستهم، إحساس مريض وظروف صعبة؛ ولكن الإيمان بالله هو الملاذ والسلوى. استمر الفريق في إجراء فحوصات دقيقة مع متابعة متواصلة؛ وبما أن الطفلين لديهما انسداد في الأمعاء وعدم تخلُّق لفتحة الشرج، فقد اضطر الفريق الجراحي بعد الولادة بيومين إلى إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة مؤقتة للبراز على جدار البطن، ثم أجرى بعد عدة أيام عمليات أخرى على مراحل لإغفال المثانة البولية، وكانت هناك مشكلات متعددة صاحبتها التهابات في المسالك البولية والصدر، وتسمم في الدم، وقصور في الأمعاء، وبلغت حالة التوأم مرحلة حرجة جداً مما أضعف آمال الفريق الطبي رغم محاولاته المتتابعة والجادة للتغلب على هذه الالتهابات، فكلما شفي عضو لدى أحدهما عاد الالتهاب البكتيري وتسمم الدم إلى جسد الطفلين؛ مما يجعلهما في حاجة إلى أجهزة التنفس الاصطناعي، وتكررت هذه التداعيات المزعجة أكثر من خمس مرات على مدى ستة أسابيع.

فقدنا الأمل في حياة التوأم

غادر والدا التوأم الرياض إلى المدينة المنورة لرعاية بقية أطفالهما، مرت ثمانية أسابيع والتوأم على حاله إن لم تزدد حالتهما سوءاً، نقص تدريجي في الوزن دفعنا إلى استدعاء نواف إلى الرياض، وجلستُ معه بوجود زملائي من قسم العناية المركزة، وبيَّنتُ له أننا بدأنا فقد الأمل في حياة ابنيه، وأنهما على شفا حافة، وعليه أن يتوقع أخباراً غير سارة في أي لحظة، وأعدنا له شرح تعقيدات الحالة عدة مرات، ثم وقَّع على ملفِّ التوأم وهو مقتنع ومتقبلٍ برحابة صدر وسعة نفس كل ما يقضي به الله جل وعلا، فهو الرزق وهو المانع، وهو المحبي وهو الميت.. وأعرب عن ثقته الكاملة في الفريق الطبي ومخولاً له فعل كل ما يراه مناسباً ثم قفل راجعاً إلى المدينة المنورة. وبعد أسبوع من الظروف الصحية المتردية التي أوصلت التوأم إلى تلك الحالة الحرجة، ضاعف الفريق الطبي حركته وجهوده ليلاً ونهاراً لمجابهتها والتغلب عليها، ثم بدأ يلاحظ تحسيناً تدريجياً بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من الولادة، وعلى مدى ثلاثة أسابيع شهدت الحالة استقراراً تدريجياً، واستطعنا بصعوبة رفع أجهزة التنفس الاصطناعي، وطوال شهر آخر استمر استقرار الحالة؛ ولكن ما زالت الالتهابات تعاودهم على فترات متقطعة.. وبعد انقضاء عام كامل استقرت الحالة تماماً مما حدا بنا إلى التركيز على مرحلة التغذية، وهي مرحلة لم تكن بأسهل من سابقاتها بسبب قصور الأمعاء الغليظة الذي أشرنا إليه، بجانب قصور في الامتصاص بالأمعاء الدقيقة، وبدا من الصعب التحكم



مرحلة التقطيع



مرحلة التخدير

في زيادة الوزن، واستغرقت مدة هذه المرحلة حوالي ستة أشهر إلى أن شهد وزن التوأم تحسناً واقترب من الوزن المطلوب. وبعد اجتماعات عديدة تبين لنا اشتراك التوأم في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة والحوض والجهازين البولي والتناسلي والطرف المشوه الثالث. وما أن تأكدنا من استقرار الحالة حتى عقدنا اجتماعاً علينا الآخرين واتخذنا قراراً بإمكانية عملية الفصل بنسبة نجاح ٦٠٪ تقريباً. ثم استدعيانا والد التوأم مرة أخرى وشرحنا له تفاصيل الحالة، فأسعده أن يرى بصيص نور يعيد الأمل إلى جوانحه، فوافق على إجراء العملية التي تحدد لها يوم الإثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠٠٧ يوليو ٢٠٠٧ على أن تسبقها بثلاث أيام عملية وهمية.

وكما سبقت الإشارة فإن الحالة كانت صعبة جداً ومقلقة لنا ولوالدي التوأم. أطلعت خادم الحرمين الشريفين على تفاصيل الحالة وصعوبة القرار بشأنها، ولكنه كعادته حفظه الله كان متفائلاً، وشجعنا على المضي قدماً اعتماداً على الله وتوكلاً عليه. سافرت إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع والخشوع إلى الله أن يكشف ضر عبد الله وعبد الرحمن ويوفق مسعانا في هذه العملية الصعبة. وفي ليلة العملية زرت التوأم للاطمئنان على جاهزيته. وبعد التأكد من اكتمال الخطة الجراحية التي راجعناها في العملية الوهمية، عدت إلى البيت وخلدت إلى الراحة والنوم، واستيقظت مبكراً وأدبت صلاة الفجر، ثم قصدت المستشفى على السيارة وسائقها يتحدث إليّ وأنا شارد الذهن مع التوأم متمنياً النجاح في فصلهما. وفي الساعة السابعة صباحاً تجمع الزملاء في لقاء قصير، ونُقل التوأم بصحبة والديه إلى غرفة العمليات وعيانهما مليئتان بالدموع.

شهران في العناية المركزة

وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً أتجهنا إلى غرفة العمليات مزودين بالتوكل الصادق على الله سبحانه وتعالى، وبدأت أولى مراحل العملية بالتخدير عند الساعة الثامنة إلا ربعاً، واكتملت المرحلة دون أي مضاعفات. ثم وضع التوأم على جهاز التنفس الاصطناعي، وأعقب ذلك وضع القساطر في الشرابين من أجل تحقيق المتابعة الدقيقة، وبعد ذلك بدأت مرحلة الإعداد بتحديد مكان القطع الأولي، ثم تعقيم التوأم وتغطيته بفوط معقمة، وتلت ذلك مرحلة الجراح وشق التوأم من الأمام باستخدام مشرط صغير والكي الكهربائي لتقليل كمية النزف. وبعد إكمال فتح القفص الصدري اتضح لنا وجود اشتراك في أغشية القلب التي اكتمل فصلها دون أي مشكلات، وأعقب ذلك فصل الكبد باستخدام مشرط الليزر والأشعة فوق الصوتية، وأنجزنا هذه المرحلة كذلك دون تزييف والله الحمد، كما تمكننا من فصل الأمعاء والجهاز البولي. أما عملية فصل الجهاز التناسلي فقد كانت حرجية وحساسة وتطلب اتخاذ قرار لم نصل إليه إلا بعد دراسته مرات عديدة من المسالك البولية، وخلصت الدراسة إلى هذا القرار وهو أن تُفصل أغشية القصيب المشترك بالنصف من أجل المحافظة على رجولة كلا الطفلين، وخصصنا خصية لكل منها. واكتملت هذه العملية الدقيقة بفصل الحوض وفصل الطرف الثالث المشترك. ولم يتعرض التوأم طوال هذه المراحل لنزف حاد كما كان متوقعاً، لأن الفريق استطاع توظيف خبرته ومهاراته الفائقة في التغلب على الاشتراك الكبير في الأوردة بين التوأم، وبالتالي لم تكن هناك حاجة تستدعي عمليات نقل دم للتتوأم. لم تصاحب هذه



أثناء العملية - فصل الكبد



أثناء العملية

المراحل الجراحية أية صعوبات بحمد الله رغم أننا كنا نتوقعها عند فصل الأمعاء بسبب العمليات السابقة التي أجريت وصاحبتها بعض الالتصاقات، ولكن تواصل العمل بفضل الله حسب ما خطط له.

وبعد حوالي ١٣ ساعة من العمل الجاد والدقيق والمركز اكتمل المهمة بفصل جسد عبد الله عن عبد الرحمن بقدر كبير من الفرحة المصحوبة بصاصفة من التصفيق الحار من الفريق الطبي ووالد التوأم الذي كان يشاركتنا المداخلات عبر شبكة التليفزيون الداخلية. وقد تهلل أقاربُه وأمتلأ قلبه حبوراً حين انهالت عليه عبارات التهاني من الحاضرين الذين كانوا يشاركونه متابعة مراحل العملية، وبدأ لسانه يلهج بالشكر والدعاء لله عز وجل الذي أكرمه وزوجته بإيساغ نعمة العافية على طفليهما، ثم عبرَ عن امتنانه لخادم الحرمين الشريفين على هذه المبادرة الإنسانية النبيلة، ولكل أفراد الفريق الطبي، ثم حمد الله تعالى الذي أكرم الشعب السعودي والشعوب العربية والإسلامية قاطبة بهذا الصرح الطبي العظيم؛ مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني التي أصبحت منارة آمال وتطلعات لكل التوائم السيامية من مختلف أنحاء العالم؛ بل ولكل طالبي الاستشفاء من أمراض مستعصية.

وفي المرحلة النهائية من العملية اكتملت إعادة تركيب الأعضاء التي استغرق مدتها ثلاثة ساعات، وبالتالي فقد تكللت جميع المراحل بنجاح تام، واستطاع الفريق الطبي اختزال مدتها من ٢٢ ساعة إلى ١٦ ساعة من العمل المتواصل، وأنهى جميع مراحلها بنجاح كامل محققاً إنجازاً كبيراً آخر أضاف رصيداً جديداً إلى خبراته المتراكمة في هذا المجال.

وباكتمالها علت الابتسamas، وامتدت الأيدي تهنئ بعضها ببعض بهذه الخطوة الموفقة بعون الله. وخرج عبد الله وعبد الرحمن من غرفة العمليات في سريرين أيضين منفصلين ليجدا والدتهما أول مستقبل لهما ومرحبا بهما عن طريق لمس أيديهما وتقبيلها؛ بينما أقبل على والدهما يحتضنني بحرارة. وبعد ذلك شاركتنا دفع السريرين وهو يتبع فلذتي كبده إلى غرفة العناية المركزية وكادت عيناه تشرقان بدمع الفرح الذي جعل أعين الآخرين تتفاعل وتتجاوب معه في هذه اللحظة الإنسانية الجياشة التي انتصر فيها الطب السعودي بعون الله وفضله على صعوبات الالتصاق وأعاد البسمة إلى شفاه أهل التوأم وذويه. مكث التوأم حوالي ثمانية أسابيع تحت العناية المركزية حتى استقرت حالته.. وفي هذا الوقت الذي أعمل فيه على إعداد هذا الكتاب تخرى الاستعدادات لنقل عبد الله وعبد الرحمن إلى جناح الأطفال وهما في صحة وعافية. ولا زال خادم الحرمين الشريفين يتبع حاليهما أولاً بأول، واستقبل والدهما وهنأ بنجاح العملية وتنى لطفليه كامل الصحة، وأن يعودا إلى المدينة المنورة لتكميل سعادة جميع أفراد الأسرة. ولقد قام خادم الحرمين الشريفين بزيارةهما بالمستشفى وإطمأن عليهم بزيارة أبوية فياضة وحنونة، وعادا إلى مسقط رأسهما طيبة الطيبة بين أحضان والديهما.



فرحة الوالد



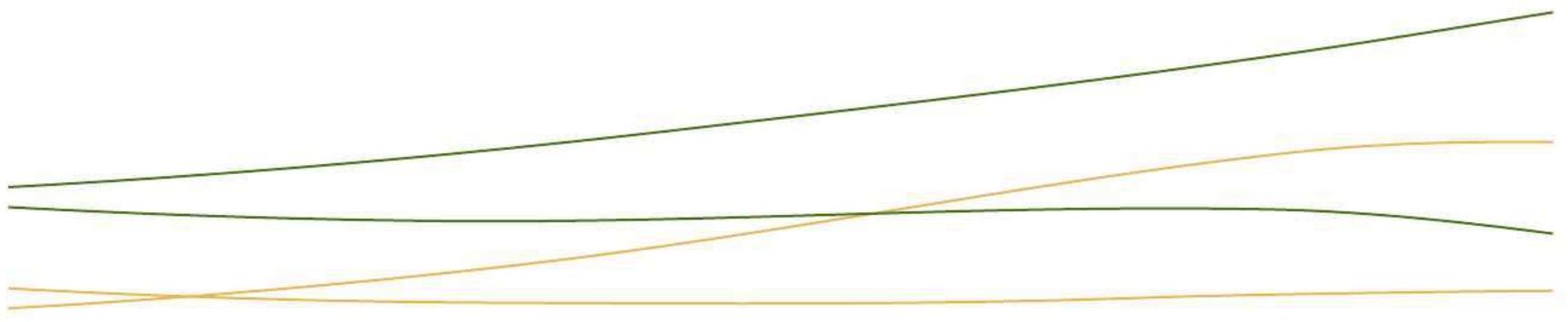
فصل الكبد والأمعاء

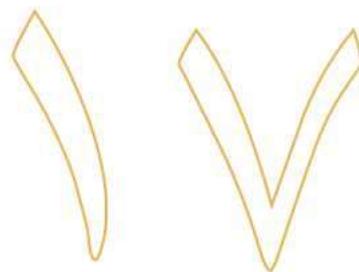


الخروج من العناية المركزة



مغادرة المستشفى





توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ / يونيو ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم ابتهال

توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

قلق متزايد مع اقتراب الولادة

خميس مشيط مدينة مرتفعة تتوسط جنوب غرب المملكة العربية السعودية، ومتاز بجبلها ذات المدرجات الجميلة وبمسطحاتها الخضراء الناضرة، وتُشكّل مع تواجدها مدينة أبهى أحد أجمل مصافح المملكة. في هذه المدينة وبين ربوعها كانت إحدى الأسر تترقب مولوداً لها بدرجة عالية من اللهمّة والتشوّق، ولا يفتّ الزوجان المتّحدين يستعرضان قوائم أسماء كثيرة للإناث والذكور لاختيار أحدّها للضيوف العزيز القادم الذي يغمر جو المنزل ببراءته وعفويته، ويشعّ في جنباته روح المرح والفرح. وفي نهاية الحمل، وقبل الولادة بوقت قصير أخضعت الزوجة لصورة صوتية للتأكد من حملها ونوعيتها؛ ولكن خرجت الصور باليس في الحسبان، وذهبت إلى تغلب الاحتمال بوجود عيوب خلقية غير واضحة في تكوين المولود، فاجتاز الأبوان إزاء هذا التقرير قلق كبير، وأصابتهمما الهموّم والغموم، واستسلموا لهواجسهما وللتفكير المتواصل في العيوب الخلقية التي سيخرج بها طفلهما، وكلما اقترب موعد الولادة ازداد قلقهما الذي بلغ ذروته في الأسبوعين الأخيرين من نهاية الحمل، ومع لحظات الولادة ارتفع مؤشر التوتر في جسد الأم، وظل مشدود الأعصاب يتربّأ الخبر متمنياً أن تكذب الفحوصات ويخرج الطفل سليماً.. خرج إليه الطبيب وساق إليه الطبيب الذي ما كان يريد سماعه، مولود بعيوب خلقية لم يرها الطبيب من قبل، وأكّد له أن هذه الحالة نادرة جداً.. سيطرت عليه حالة من الوجوم للحظة، ثم انتبه وسأل الطبيب عن هذه العيوب، فأخبره بأن للمولود ثلاثة أرجل وحوض إضافي وعيوب أخرى في الفم والأعصاب، فاستفسره عن ماهيتها وأسبابها؟ إلا أن الطبيب لم تكن لديه إجابات شافية وكافية. ورغم إيمان الأم الكامل بمشيئة الله ورضاه بما يقدّره؛ إلا أن الموقف لم يُمكّنه من السيطرة على عاطفته، فأرسل الدموع مدراراً، ثم وضع يديه على صدغيه وأخذ يضغط عليهمما ويقول قدر الله وما شاء فعل، ولا نملك إلا القبول والرضا والتسلّيم بما أراد سبحانه وتعالى لعبده من رزق أو هبة، وله في خلقه شؤون. كان همه الأول والأخير يتراكم في كيفية إخبار زوجته. وبعد ساعات من الانتظار تمكّن خلالها من امتصاص بعض آثار الخبر دخل ليطمئن عليها، ثم هنأها بسلامتها والمولود، ولكنها عاجلة بالسؤال عنه ما إذا كان ذكر أم أنثى؟ وعن العيوب التي أشار إليها الأطباء من قبل؟ تتم قليلاً وهو يقول إنها بنت وهي بخير وستشفى بإذن الله، لاحظت الأم أن الكلمات تخرج من فمه متعرّسة منكسرة، ولذلك لم تقنع بجوابه، فتابعت أسئلتها عن بنتها وعن عيوبها ونوعية التشوهات التي ولدت بها، وبعد إلحاح شديد منها أخبرها بوجود زيادة في أطرافها السفلية والفم والحوض وعيوب أخرى كثيرة، تأثرت كثيراً، تناست آلام الولادة وإرهاقها، ولم تعد تحسُّ بها، وأطلقت العنان لدموعها تسكب كشلال متدقق مصحوبة بشهيق متصل، أشفق زوجها عليها وأقبل يخفف عنها ويهون عليها، ويدركُها بقبول ما أراد الله، وشكّره على ما أعطى وما وهب، ويرجوها ألا تقلق وأن تُسلم الأمر إلى الله جل وعلا، ونجح في تهدئتها بعد مدة من الزمن ليست بالقصيرة، وأقنعها بزيارة الطفلة في العناية المركزية للاطمئنان عليها، وما أن رأتها حتى أجهشت مرة أخرى بالبكاء والشهيق، ثم مسحت دموعها وابتهدلت إلى الله أن يكشف ما حقّ بطفليها من ضرّ وتشوهات، ثم أخذت بيدها تقبلها وكذلك الزوج، وبعد ذلك عادت إلى غرفتها.



بداية العملية



التوأم طفيلي

ابتهاج توأم سيامي طفيلي

رجع الزوج إلى المنزل وهو يفكر في كيفية الإعداد لرحلة البحث عن علاج لطفلته، سأل الأطباء فأرشدوه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها صاحبة أفضل خبرة في هذا الشأن، فتمثلت خطوطه التالية في كيفية الاتصال وبين يتصل؟ وعندما تلقى الإفاده أرسل رسالة عن طريق الفاكس إلى مكتبي، ومجدد اطلاقي عليها اتصلت به، فتبينت من تحيته وترحيبه وحديثه مقدار صبره ونبهه وخلقته العالي كما هي سمات أهل الجنوب وصفاتهم السامية، واستعرض لي قصة الطفلة وظروفه التي يعيشها، فطمأنته بأن حالة الطفلة ليست معقدة وعلاجه سيكون يسيرًا بإذن الله، وأنها ستتحظى بعناية خادم الحرمين الشريفين؛ لأن همه الأول حفظه الله يتركز على إسعاد المواطن. وعقب هذا الاتصال ذهبت إلى مكتب الملك عبد الله في منزله ونقلت له تفاصيل الحالة، وأطلعته على ظروف الأسرة وأوضاعها، فوجهني على الفور بالعمل على نقل الطفلة ووالديها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وإحاطة الأسرة بكل متطلباتها من رعاية وسكن ومعيشة وانتقال على نفقته الخاصة.. هذا الرجل تعجز الكلمات والمفردات أن تُعبّر عن إنسانيته وأريحيته في أعمال الخير، وحبه للأطفال المحتاجين. وبالفعل شرعنا في إعداد الترتيبات الالزمة لنقل الطفلة ووالديها بالتنسيق مع المستشفى الذي تعامل مع الحالة في خميس مشيط ، وبعد أيام قليلة استقبلنا الطفلة (ابتهاج) ونقلناها مباشرة إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة ثم أخذناها لفحوصات دقيقة، وبعد اكتمال الفحوصات تحدثت مع والديها وأخبرتهما بأن بداية التكوين في الرحم كان توأمًا سيامياً، غير أنه لم يكتمل، وتحولت الحالة إلى توأم سيامي طفيلي، أي أن هناك طفلة مكتملة هي (ابتهاج) مع وجود أجزاء آخر دون روح تمثل في وجود الرجل الإضافية والبظر وبعض الأعضاء التناسلية المزدوجة وأجزاء من أمعاء غير مكتملة لهذا الطفل، ومثل هذه الحالات نادرة جدًا، وهي أكثر ندرة من التوائم السيامية، وبسبب ندرتها فإن خبرة العالم فيها قليلة. وأخبرتهما بأننا سنجري مزيدًا من الفحوصات الدقيقة وفي ضوء نتائجها سنعمل جاهدين على مساعدة الطفلة من خلال إجراء عملية لها. كان والد الطفلة عميق الإيمان واثقًا في قراره ، فقال لنا إنها ابنتكم ، ولن أجده مكانًا أفضل من هنا لتقديم الرعاية لها.

حالة نادرة

شكلنا الفريق الجراحي والطبي ، وأخذنا الطفلة لفحوصات إضافية عديدة ، وبعد اكتمالها عقد الفريق اجتماعين واستعرض الحالات التي كانت كما ذكرت عبارة عن توأم طفيلي بعيوب خلقية متعددة منها شفة أرنبيّة مع ازدواج في الأطراف السفلية حيث توجد رجل ثالثة وحوض إضافي غير مكتمل وأطراف تناسلية مزدوجة وأجزاء من الأمعاء . وبعد أن وصلت الطفلة خلال ثلاثة أسابيع إلى الوزن المناسب قررنا إجراء العملية في السادس من شهر رجب ١٤٢٨هـ الموافق الثاني والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٧م ، وأجريت على أربع مراحل حسب الخطة الموضوعة واستغرقت مدة إستئصال الأجزاء المتطرفة ثم نقلت الطفلة إلى غرفة العناية المركزة من استئصال الأجزاء المتطرفة ثم أعدنا تقويم الحوض .. ونجحت العملية والله الحمد ، ونقلت الطفلة إلى غرفة العناية المركزة



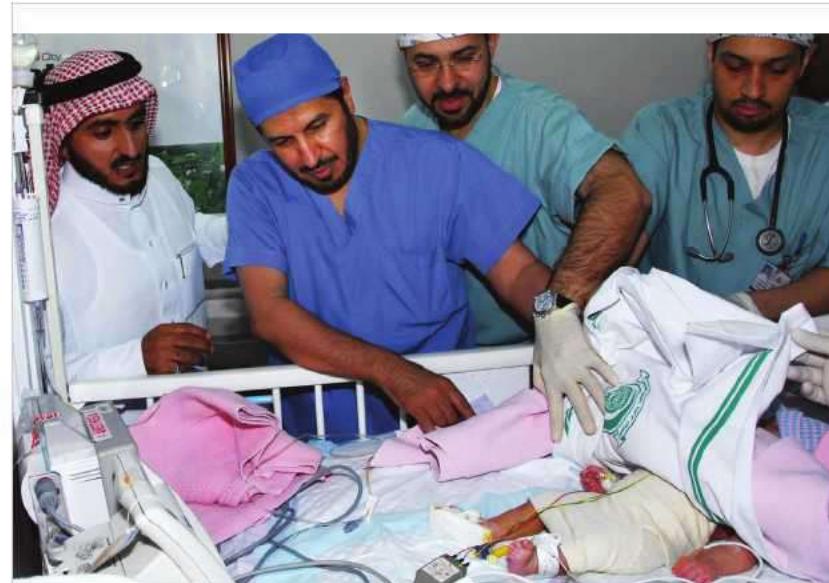
الفريق الطبي



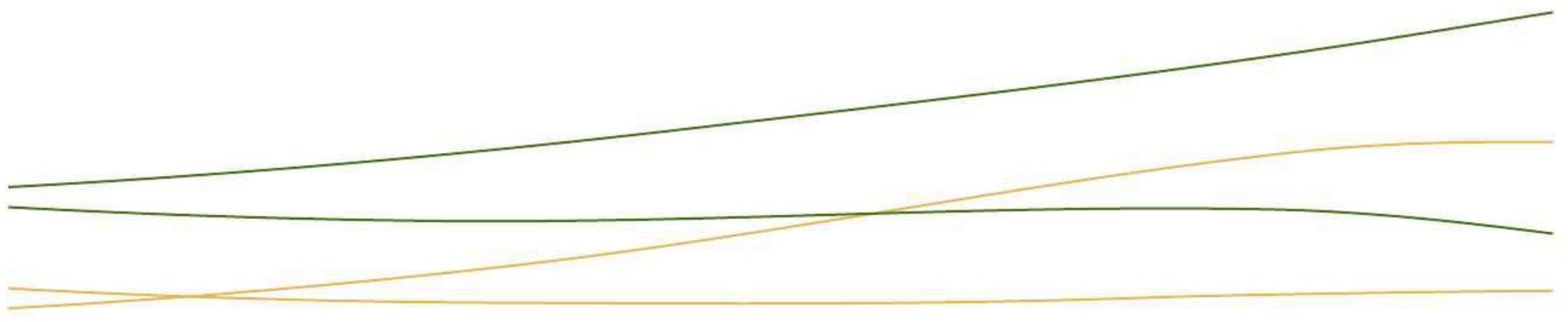
أثناء العملية

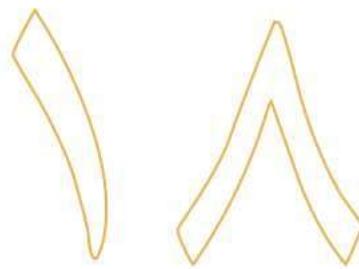
للأطفال حيث مكثت خمسة أيام، ومنها إلى جناح الأطفال وبقيت فيه حوالي الأسبوعين، ثم خرجت من المستشفى . وفي هذه الأثناء تابع خادم الحرمين الشريفين وضع ابتهال، واطمأن على نجاح العملية، وكلفني بنقل تهنتته إلى والديها.. ثم غادرت إلى مدینتها خميس مشيط في الجنوب وهي بصحة وعافية ب توفيق الله و عنایته، على أن تعود بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية للشفة الأنانية.

تعد هذه الحالة إحدى ثلاث حالات استقبلناها وتابعناها وأجرينا لها عمليات جراحية، وهي حالات نادرة تدخل ضمن مصطلح: (التوائم الطفiliة)، الحالتان الأولى والثانية استقبلناهما في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، كانت إدھاماً لطفل سعودي حالته مشابهة حالة الطفلة ابتهال ، وأجريت له عملية ناجحة بحمد الله وهو يعيش الآن بصحة وعافية، أما الحالة الثانية فكانت لطفلة لديها ازدواج في الأطراف السفلية مع ضمور في القلب والأمعاء والكبد وهي ملتصقة عن طريق البطن، إضافة إلى أن الأمعاء خارجة عن البطن ، ونجح الجراحون في استئصال الجزء المتضلل ، وإغفال التشوھات في جدار البطن . وبحكم العلم والتجربة فإن هذه الحالات الثلاث نادرة على مستوى العالم، ونستطيع القول دون فخر إن خبرة المملكة في هذا المجال تعد جيدة ومتميزة إذا ما قورنت بمثيلاتها في المراكز العالمية المتخصصة.



فرحة الانتهاء





بناتي وقلبي

شوال ١٤٢٨هـ / أكتوبر ٢٠٠٧م



زيارة خادم الحرمين الشريفين

بنيتي وقلبي

رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

أحلام تحول إلى مخاوف

ينحدر محمد من أسرة متواسطة الحال في إحدى قرى منطقة القريات التي تبعد ٧٠ كيلم عن «مسقط» عاصمة سلطنة عمان، وهو موظف بسيط محدود الدخل يتقاضى راتباً شهرياً بأحد القطاعات الحكومية، تزوج وأنجب ولداً ويستمتع ثلاثة بحياة هانة هادئة تطللها مشاعر الحب والعطف والحنان.. تاقت نفسه إلى طفل آخر يشعل حرارة البيت بقسماته البريئة وشقاؤته، يصير أنساً لشقيقه وصاحبًا وعوناً له في اللعب والركض والمشاجرة، بينما أغرت زوجته عن رغبتها في طفلة حلوة القسمات تغمز باحة المنزل بمشاعرهما الحلوة الدفينة وتؤازرها في خدمة البيت عندما تنمو وبخضور عودها ويشتد.. كان كل منهما يتمتّن أن يكون القادر في مثل جنسه، وعلى هذا كانا يتمازحان ويدافع أحدهما الآخر حتى صارت هذه المداعبة اللطيفة جزءاً من أسمارهما المسائية اليومية. لم يكتف محمد براتبه الشهري المحدود، فاقتصر مجالات أعمال أخرى تدر عليه دخلاً إضافياً يساعده على مؤونة حياته وظل يحلم بأن توسيع أعماله ويزداد دخله، وتتكاثر أرباحه مما يتيح له إمكانية الارتفاع بمستوى أسرته وتحقيق رفاهيتها، وفي غمرة أماله وأحلامه هذه؛ بشرّته زوجته بأنها بدأت تحس بأعراض حمل، فاجتاحته فرحة كبيرة، وبدأ يتطلع إلى الغد وكأنه يراه رأي العين، وما انفك يستعجل الزمن ليمرّ أبنه الثاني محظوظاً اهتماماً شقيقاً الأكبر وغيره، وموضع مداعبات أبيه ومستثاراً بحنان أمه الدافق. وبعد مرور عدة أسابيع راود الزوجة شكّ بأن هذا الحمل يختلف عن سابقه؛ إلا أن محمداً رغم ميله إلى تصديقها وأخذ شكوكها على محمل الجد لم يأل جهداً في إبعاد هواجسها وإقناعها بأنه حمل طبيعي. لقد ساوره خوف وقلق من أن يكون هذا الحمل بالفعل غير طبيعي، ومع ذلك عمل على إدخالطمأنينة على قلبها، وذكرها بالاستعاذه من وساوس الشيطان وأن يكون اعتمادها على الله كاملاً وحالها حتى تكمل جميع أشهر حملها وتضع مولودها الذي سيضاعف سعادتها البيت ويلوّه فرحاً وبهجة ياذن الله تعالى.. ومع تتابع مراحل الحمل لاحظ الزوج علامات التعب والإرهاق والحمولة البدية على زوجته، ومسحة الكآبة التي كانت تكون سمة ملازمة لها، كبر البطن وتقدّم وتضخم حجمه، ولازمتها نوبات قيء لم تعهد لها في مراحل حملها بمولودها الأول، وبحلول الأشهر صارت تشكو لزوجها من آلام شديدة تعانيها، وبسبب ذلك اتسعت مساحة الشكوك والمخاوف لديهما كليهما، وزداد يقينهما بوجود اختلاف واضح في هذا الحمل.. لم تفلح الطبيبة المشرفة على علاجها في إنقاذهما من هذه المخاوف بمحاوله طمانتها بأن كل شيء على ما يرام..



صبا ومروة بعد تمديد الجلد



التوأم العماني عند وصولهما

أهمية أطباء تشير الشك

ومع ازدياد الآلام والمتاعب أصرت على زوجها بضرورة مراجعة جهات متخصصة للتأكد من سلامة الحمل.. استجابة لطلبتها وهي في آخر أشهر حملها واصطحبها لمراجعة أحد المستشفيات في العاصمة مسقط حيث أجريت فحوصات عاجلة بالأشعة الصوتية، فكشفت هذه الفحوصات وجود حمل بتوأم فأخبروها بذلك، فتنازعنها مشاعر متباعدة إزاء هذا الخبر، فرحة بما يمن الله بها عليهما من مولود توأم، وقلق مما يصاحب هذا الحمل من مشكلات ومضاعفات، وخوف من مشقة عملية الولادة نفسها وإمكانية تعسرها، وانشغلت كذلك بالتفكير في مستقبل التوأم وكيفية التعامل معه من حيث تغذيته وحمله وما يقتضي بذلك من متطلبات المعيشة والتربية والتعليم وما إلى ذلك. ما أن علم الزوج بهذا الخبر حتى فرح قليلاً وانطلق لسانه يلهج بالشكر والثناء على الله سبحانه وتعالى .. عاد الزوجان إلى قريتهم بنفس الأحساس المتباعدة التي يمتنع فيها الفرح بالقلق، وبعد عدة أسابيع عادا إلى نفس المستشفى حيث أتبع الأطباء تلك الفحوصات بأخرى أكثر دقة.. وإثر ذلك ازدادت حركة الأطباء وتجمعهم واهتمامهم وهم يتناقشون ويتشاورون، وفوق ذلك استعانوا بأطباء آخرين لمزيد من دراسة هذه الحالة، ثم قرروا إجراء مزيد من الفحوصات، وضاعفت حركة الأطباء واهتمامهم المتزايد بحالتها من قلقها وخوفها، مما دفعها إلى السؤال والاستفهام عن ماهية مشكلتها ومدى خطورتها عليها وعلى توأمها؛ إلا أنهم اكتفوا بطمأنيتها، ولكن لم يخفِ ذلك من درجة مخاوفها ووسواسها، وكلما أمعن الأطباء في التجمع وتبادل الفحوصات تسابقت دموعها على خديها وهي في حيرة كبيرة واستبدلت بها الهواجس حتى كادت تشكل غماماً على عينيها.

إحساس عنيف بالضعف والانكسار

وبعد مشاورات واستشارات وفحوص دقيقة ومكثفة أصرت الزوجة على استطلاع الأمر حول حالتها، فنزل الأطباء على رغبتها وأخبروها بأنها تحمل ثلاثة توائم ولد ذكر سليم، وابتداً لدليهما مشكلة، وبدأت تسأل الأطباء وهي تبكي بشدة وتستفسر عن هذه المشكلة وحجمها ومدى خطورتها، وتولست إليهم توسل الضعف المنكسر بأن يعمدوا إلى الإفصاح ويطلعوها على أبعاد المشكلة، فرضخ الأطباء لإلحاحها وأخبروها بأن ثمة اتصال أو التصاق بين البنتين في منطقة الرأس.. فشكل لها الخبر صدمة قوية زلزلت كيانها، قلقت واستسلمت لوحة عارمة من البكاء لأنها لم تكن تتوقع ذلك ولم يخطر لها على بال إطلاقاً.. فخبر التوائم الثلاثة كان مزعجاً إلى أبعد الحدود ثم جاء الالتصاق بين الطفلتين صاعقة مدمرة... تكونت على نفسها مفسحة المجال لدموعها تنهمر بغزارة وفقدت القدرة على التفكير والتركيز.. وفي هذه الأثناء دخل عليها زوجها وما أن رأته حتى أجهشت بالبكاء وارتفع نحيبها، أمسك بيدها ملاطفاً ومحففاً من حدة المشهد، ومحاولاً معرفة سبب هذه الإحساس العنيف الذي اجتاحها وجعلها في حالة من الضعف الشديد والقلق والخوف، حاول معرفة ذلك منها دون جدوى، فتركها واتجه إلى الأطباء مستطلاعاً الأمر؟ فأخبروه بأنها حامل بثلاثة توائم، فحمد الله سبحانه وتعالى وقال إن هذه ليست مشكلة وثقتنا في الله كبيرة بأن مرحلة الولادة ستكتتمل ب توفيق الله.. وقبل أن يقفل راجعاً إلى زوجته تابع الطبيب: ولكن هناك مشكلة أخرى... !! وقف مشدوها وأمسك بيد الطبيب مسائلاً



سرير خاص للتخيير صنع لأول مرة في
مدينة الملك عبدالعزيز الطبية



الأب والأم ونوديعهما قبل العملية

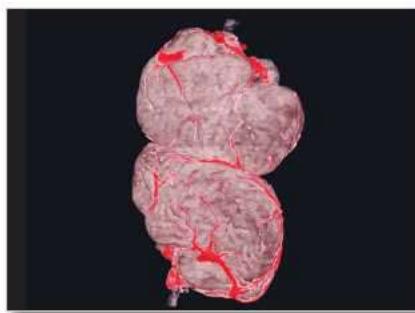
عن ماهية المشكلة، فعلم منه عن حالة الالتصاق بالرأس بين الطفلتين، وأخبروه بأن هذا ما يسمى بالالتصاق التوائم، فاجأ الخبر وكاد يشل توازنه وقدرته على التفكير والتبصر، اغتمَّ لهُ إحساس قاس بالحزن والألم تخاذلت معه قواه فجلس على أقرب مقعد له كالملجم عليه، وبعد هنีهة وضع رأسه على حافة سرير زوجته وأمسك بيدها يشاركها نوبة البكاء الحارقة التي ما زالت تتملّكها بكى بكاء الأطفال ثم انتبه لنفسه وكفف دموعه وتحركت شفتاه تنطقان بحمد الله على ما أعطى ثم صمت قليلاً بينما كانت دموعه تواصل انحدارها.

إشفاق وعبارات تطمئن

أحس محمد بعد أن استعاد السيطرة على مشاعره بضعف زوجته وأدرك أن من الواجب عليه في هذه اللحظة أن يتماسك حتى لا يضاعف هموها وقلقها، استجمع قواه وأخذ يهدئ من روعها ويدركها بأن كل المصائب تهون على من يتوكل على الله ويستحضر معيته ويرجو رحمته، ومن توكل على الله حق التوكل سيجعل الله له بعد عسر يسراً، ومن يصبر ويتجدد فلن يقلق ولن يبتئس، وما فتئ يبحث زوجته على الصبر وأن تلوذ بالله عز وجل وتحمده على ما ينعم به عليها من نعمة الولد، وأن المشكلة سيكون علاجها سهل والله قادر على ذلك، ويجب علينا أن نخضع لميشيته ونقنع بما يريد صابرين محظيين وراجين عونه للخروج من هذه المحنـة، وإن استطعنا التخلـي بالصبر فسيجازينا الله خيراً إن شاء سبحانه وتعالـي... ولكنها ما انفكـت ترسل الدمع مدراراً ولسانها يتمـتم بحمد الله وشكـره، وصوتها يخرج من بين شفتـيها وكـأنـه صدى صاعـد من أعماـق بعيدـة الغور تخلـلهـ شـهـقات متقطـعة بين حـين وآخـر.

غادر الأطباء بينما جلس محمد طوال الساعات المتبقية من اليوم محاولاً تخفيف مصيبة زوجته التي يتنازعها القلق والاضطراب والخوف من الأيام القادمة.. أحاسيس متداخلة شديدة التأثير.. استطاع أن يكتـم انفعالاته واضطـرـاهـ شـفـقةـ علىـ زـوـجـتهـ،ـ ولكنـ مـلامـحـ وجهـهـ تـكـادـ تـفـضـحـهـ وـتـفـصـحـ عـنـ ذـلـكـ الشـقـلـ منـ الـهـمـومـ الـتـيـ جـشـتـ عـلـىـ صـدـرـهـ كـصـخـورـ صـمـاءـ..ـ شـرـدـ تـفـكـيرـهـ بـعـدـاـ وـهـوـ يـرىـ مـسـتـقـلـهـ مـشـدـوـدـاـ بـخـيـطـ منـ الأـسـىـ عـلـىـ هـاتـيـنـ الطـفـلـيـنـ الـمـتـصـقـيـنـ..ـ أـسـئـلـةـ وـاسـتـفـهـامـاتـ ظـلـتـ تـدـورـ فـيـ ذـهـنـهـ:ـ كـيـفـ يـأـكـلـانـ؟ـ كـيـفـ يـنـامـانـ؟ـ كـيـفـ يـتـحـرـ كـانـ؟ـ كـيـفـ يـتـعـاملـ مـعـهـمـاـ؟ـ إـنـهـ مـحـنـةـ حـقـيقـيـةـ؛ـ وـخـاصـةـ لـلـأـمـ الـتـيـ سـتـبـدـأـ مـعـهـمـاـ فـتـرـةـ الرـضـاعـةـ..ـ

مرَّ شـرـيطـ تصـورـاتـ الـغـدـ أـمـامـهـ وـكـانـهـ شـرـيطـ حـيـ لمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـبـينـ مـشـاهـدـهـ بـوـضـوحـ بـسـبـبـ الـظـلـمـةـ الـتـيـ غـشـيـتـ عـيـنـيهـ لـوـقـعـ هـذـهـ مـحـنـةـ الـتـيـ لـمـ تـخـطـرـ لـهـ عـلـىـ بـالـ،ـ اـمـتـحـانـ عـسـيرـ يـسـتـلـزـمـ مـنـ درـجـةـ إـيمـانـيـةـ عـالـيـةـ..ـ دـفـعـهـ هـذـاـ الإـغـرـاقـ فـيـ التـفـكـيرـ إـلـىـ حـالـةـ أـشـهـهـ بـالـذـهـولـ أـفـاقـ مـنـهـاـ عـلـىـ صـوتـ الـأـطـبـاءـ وـبعـضـ الـمـرـاضـيـ..ـ ثـمـ نـهـضـ مـتـثـلـقاـ وـاتـجـهـ نـحوـ غـرـفـةـ الـأـطـبـاءـ لـعـلـهـ يـسـتـنـيرـ بـمـشـورـتـهـ أـوـ يـجـدـ عـنـدـهـ مـاـ يـزـيـعـ عـنـ كـاهـلـهـ هـذـاـ عـبـءـ الثـقـيلـ،ـ اـسـتـجـارـ بـهـمـ بـحـثـاـعـنـ حلـ لـتـجاـوزـ هـذـهـ الـمـشـكـلـةـ الـعـصـبـيـةـ؛ـ إـلـاـ أـنـ الـإـجـابـاتـ الـتـلـقـاهـ كـانـتـ مـضـطـرـبةـ وـمـشـتـتـةـ هـيـ الـأـخـرـىـ،ـ اـخـتـلـافـ وـتـفـاوـتـ فـيـ النـصـحـ وـالـحـلـوـلـ وـالـاقـرـاحـاتـ،ـ وـلـكـنـهـ مـعـ ذـلـكـ أـنـعـوهـ بـوـجـوبـ الـانتـظـارـ إـلـىـ حـينـ الـولـادـةـ،ـ مـرـأـتـ الـأـيـامـ بـطـيـةـ وـثـيـدةـ وـكـانـهـ مـشـدـوـدـةـ بـحـبـالـ إـلـىـ وـتـدـ،ـ وـالـزـوـجـانـ غـارـقـانـ فـيـ هـمـوـهـمـاـ،ـ اـسـتـبـطـأـ الـزـوـجـ



صورة ثلاثية الأبعاد للإشتراك بالرأس



جهاز ثلاثي الأبعاد لتسهيل العملية

مرورها وود لو كان في إمكانهما طيّها حتى تنقضي بسرعة وترى همما من هذا الرهق الذي كاد يورثهما حالة من الوجوم والاكتئاب والإحباط.. اكتفى بالنظر إلى زوجته والتفيس عن كربها بعبارات تذكرها بوجوب الاعتماد على الله وعدم القنوط أو اليأس.

قراءة في تعبيرات وجه الطبيب

مع اقتراب المخاض رأى الأطباء أنه لا بد من عملية قيصرية، ونصحوهما بالانتقال إلى مستشفى الولادة ضماناً لسلامة الأم وأطفالها، وبالفعل أدخلت إلى المستشفى المعنى وفي اليوم المحدد للعملية نقلت في ساعات الصباح الباكر إلى غرفة العمليات بينما ظل محمد خائفاً مضطرباً في الخارج لا يكاد يقوى على الجلوس أو الوقوف، يتحرك لا إرادياً من جهة إلى أخرى يراوده قبس من الأمل بأن يكون تشخيص الأطباء غير دقيق فيخرج التوأم غير ملتصق، وكاد شكه في دقة تشخيص الأطباء يصل إلى درجة اليقين، أوهم نفسه بذلك وكاد يصدقها وهو ذاهل لا يدرى من يصافحه أو يلقي عليه التحية من بعيد، لم يعجاً بأحد من أهله وأقاربه الذين كانوا يحاولونطمأنته والتخفيف عنه؛ بل كان كل تركيز حواسه على باب غرفة العمليات، شعر بأن الوقت يربطه وكان عقارب الساعة تتوقف.. بلغت درجة التوتر ذروتها وهو يراقب خروج الأطباء بعد أن طالت المدة، وظل يهرع نحو كل خارج من غرفة الولادة أو تصادف مروره بجانبها تتدفق الاستفهامات اللاهفة من فمه كمن يثير ماءً تحولت فرحة انتظار المواليد إلى أسى، أحاس بأن جدران قاعة الانتظار تكاد تطبق على أضلاعه، وأن قلبه يكاد يخرج من صدره، وخشي أن يتتصدّع كبده من الحزن. استغرقت عملية الولادة حوالي ساعتين ونصف الساعة؛ ولكنهما في نظره بامتداد عامي مشحونين بالقلق والتوجُّس، وما أن خرج الطبيب المختص الذي أشرف على العملية حتى هرع إليه محاولاً قراءة تعبيرات وجهه لمعرفة ما هو مخبوء خلف قسماته، هجم عليه مستفهمَا خائفاً وجلاً، فبشره بأن زوجته سليمة وكذلك الولد ثم قطّب جيئه فجأة واكتسي وجهه ملماحاً جاداً حاول إخفاءه عنه في البداية، لاحظ محمد ذلك فأمسك بيده وهزّها بقوّة والأسئلة والاستفهامات تندفع من فمه كالملطّر.. رأى الطبيب أن لا بد له من إنقاذ نفسه من حرارة هذه الانفعالات، فقذف له بالحقيقة مؤكداً صحة الفحوصات وصدق الخبر الصاعق بأن البتين ملتقطتان بالرأس، ونصحه بالذهاب إلى مشاهدة أطفاله الثلاثة في غرفة الحضانة لعل ذلك يسلوه ويخفف عنه حدة التوتر والقلق هذه.

ابتسامة قسرية وعينان تذرفان

اتجه محمد إلى الحضانة على عجل، فرأى الطفل السليم واطمأن على استقرار وضعه، وعلت شفتيه في تلك اللحظة ابتسامة قسرية لم يكن في إمكانه جبسها، ثم التفت إلى حيث الطفلتين وتبيّن أنهما ملتصقتان بالرأس، وكانت هذه أول حالة من نوعها يسمع بها ويشاهدها، أمعن النظر فيهما يتأملهما ويتملى في براءتهما وعيناه تذرفان بغزاره.. وانطلق تفكيره في كيفية إخراجهما من هذا المأزق الذي يهدد حياتهما.. مكث مدة طويلة نسبياً قبل أن يهتدى إلى حل، ثم رجع عجلًا إلى غرفة زوجته ليطمئن عليها، فلمารأته نسيت آلامها ومعاناتها ويادرته بالسؤال عن أطفالها، فطمأنها على سلامتهم ثم أكد لها صحة ودقة تشخيص الأطباء وأن الحالة مطابقة تماماً لما أظهرته فحوصاتهما تماماً، ونبّهها إلى وجوب الاعتماد على الله في الشدائدين وأنه جل وعلا قادر على تفريح هذا الكرب والهم، تابعت



مرحلة فصل الرأس



تحديد مكان الفصل

نوبات بكائها وهي ترفع يديها بين آن وآخر إلى الله سبحانه وتعالى أن يعينهما على الخروج من هذه المحنـة، وأن يهدـيهما إلى حل يضمن سلامـة طفلـيهما.. ثم اتفـقـاـ على أن تـحـمـلـ الـبـنـتـانـ اـسـمـيـ (ـصـفـاـ وـمـرـوةـ) لـعـلـ اللهـ أـنـ يـجـعـلـ مـنـهـمـاـ وـسـيـلـتـيـنـ لـنـزـولـ الرـحـمـةـ وـالـبـرـكـةـ عـلـىـ الـأـسـرـةـ. وـبـعـدـ آـنـ زـوـدـاـ سـجـلـاتـ الـمـسـتـشـفـىـ بـهـذـينـ الـاسـمـيـنـ كـيـ يـدـوـنـاـ فـيـ شـهـادـةـ مـيـلـادـهـمـاـ؛ غـادـرـواـ الـمـسـتـشـفـىـ وـفـيـ الـخـلـقـ مـرـأـةـ شـدـيـدةـ وـغـمـامـةـ سـوـدـاءـ عـلـىـ الـأـعـيـنـ تـحـجـبـ أـصـوـاءـ الـمـسـتـقـبـلـ، وـلـكـنـ لـاـ بـدـ مـنـهـ بـدـ، وـيـلـزـمـهـمـاـ التـفـكـيرـ بـهـدـوـءـ وـتـائـنـ وـرـوـيـةـ لـمـواجهـهـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الـجـدـيدـ بـشـجـاعـةـ كـبـيرـةـ. خـفـفـ الـأـهـلـ وـالـأـقـارـبـ وـالـأـحـبـابـ مـنـ مـأـسـاتـهـمـاـ هـذـهـ وـاسـتـطـاعـوـاـ مـوـاسـاتـهـمـاـ حـتـىـ أـعـادـوـهـمـاـ إـلـىـ طـبـيعـتـهـمـاـ.. تـضـاعـفـ يـقـيـنـهـمـاـ فـيـ الـلـهـ جـلـ وـعـلـاـ، وـكـانـ رـضـاهـمـاـ بـاـ قـسـمـ لـهـمـاـ سـلـوـتـهـمـاـ وـعـزـاءـهـمـاـ رـغـمـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـجـدـاهـ مـنـ مـشـفـةـ فـيـ رـعـاـيـةـ الـطـفـلـتـيـنـ وـمـحاـوـلـةـ عـلاـجـهـمـاـ.

بريق ضوء في الظلمة

أعد محمد عدته لواجهـهـ متـطلـباتـ رـحـلـةـ المـجهـولـ، وـبـدـأـهـ بـطـرـحـ أـسـئـلـةـ وـاسـتـفـسـارـاتـ حـائـرـةـ عـلـىـ الـأـطـبـاءـ وـكـلـ الـعـالـمـلـينـ فـيـ الـقـطـاعـاتـ الصـحـيـةـ مـنـ بـيـنـ مـعـارـفـهـ وـأـصـدـقـائـهـ، أـسـئـلـةـ كـثـيرـةـ عـلـىـ مـنـ يـعـرـفـ وـمـنـ لـاـ يـعـرـفـ فـعـسـىـ أـنـ تـأـتـيـ الإـجـابـةـ مـنـ شـخـصـ بـعـدـ كـلـ الـبـعـدـ عـلـىـ مـحـيـطـ عـلـاـقـاتـ الـأـسـرـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـعـمـلـيـةـ، زـادـتـهـ الإـجـابـاتـ الـتـيـ تـلـقـاهـاـعـنـ أـسـئـلـتـهـ النـهـمـةـ قـلـقاـ عـلـىـ قـلـقـاـ، وـارـتـفـعـتـ درـجـةـ حـيـرـتـهـ حـيـنـ عـلـمـ أـنـ الـخـبـرـةـ الـمـتـلـبـلـةـ لـفـصـلـ طـفـلـيـهـ غـيرـ مـاتـاحـةـ فـيـ بـلـدـهـ، وـأـنـ الـعـمـلـيـةـ مـعـقـدـةـ جـداـ وـشـدـيـدةـ الـخـطـوـرـةـ عـلـىـ حـيـةـ الـطـفـلـتـيـنـ، وـتـقـتـضـيـ الـاـنـتـقـالـ إـلـىـ مـراـكـزـ عـالـمـيـةـ مـتـخـصـصـةـ فـيـ جـرـاحـةـ التـوـاـئـمـ السـيـاـمـيـةـ وـبـتـكـالـيفـ عـالـيـةـ لـاـ قـبـلـ لـهـاـ، وـتـجـاـوزـ إـمـكـانـاتـهـ الـمـحـدـودـةـ، اـخـتـلـفـتـ النـصـائحـ وـقـنـاوـتـ الـاقـرـاحـاتـ.. بـعـضـهـمـ نـصـحـهـ بـالـذـهـابـ إـلـىـ أـمـرـيـكاـ، وـآخـرـونـ فـضـلـوـاـ بـرـيطـانـيـاـ ذـاتـ التـارـيـخـ وـالـإـرـاثـ الطـبـيـ الـعـرـيـقـ وـالـمـتـقـدـمـ.. وـوـسـطـ هـذـهـ الـبـلـلـةـ مـنـ الرـؤـىـ وـالـاقـرـاحـاتـ اـتـصـلـ بـهـ أـحـدـ أـقـرـبـائـهـ الدـارـسـيـنـ بـإـحـدـيـ الجـامـعـاتـ الـأـسـترـالـيـةـ، وـنـقـلـ لـهـ مـاـ سـمـعـهـ مـنـ زـمـلـائـهـ السـعـوـدـيـنـ الـذـيـنـ تـرـبـيـهـمـ بـعـلـاـقـاتـ مـتـيـنةـ هـنـاكـ حـيـنـ حدـثـهـمـ عـنـ معـانـيـهـ مـعـ طـفـلـيـهـ السـيـاـمـيـتـيـنـ، وـبـشـرـهـ بـأـنـ زـمـلـاءـهـ أـكـدـواـهـ أـنـ مـدـيـنـةـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ لـلـمـحـرـسـ الـوطـنـيـ بـالـعـاصـمـةـ السـعـوـدـيـةـ الـرـيـاضـ تـعـدـ مـنـ الـمـراـكـزـ الـعـالـمـيـةـ الـمـتـخـصـصـةـ فـيـ فـصـلـ التـوـاـئـمـ السـيـاـمـيـةـ وـلـهـاـ خـبـرـةـ مـتـرـاكـمـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ، وـبـشـرـوـهـ بـأـنـ خـادـمـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـيـنـ الـمـلـكـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ صـاحـبـ أـيـادـ بـيـضـاءـ وـنـوـالـهـ يـطـوـلـ مـخـتـلـفـ أـنـجـاءـ الـعـالـمـ؛ وـقـدـ سـبـقـ أـنـ وـاقـقـ حـفـظـهـ اللـهـ عـلـىـ فـصـلـ توـاـئـمـ مـنـ قـارـاتـ عـدـيـدةـ، وـلـهـ أـنـ يـعـملـ عـلـىـ مـخـاطـبـتـهـ لـعـلـ اللـهـ يـجـعـلـ الـفـرـجـ فـيـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ وـلـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ وـطـءـ تـرـابـ بـلـدـانـ بـعـيـدةـ غـرـبـيـةـ عـنـهـ وـمـخـتـلـفـةـ كـثـيرـاـ. وـلـمـ يـكـنـ قـرـيبـهـ هـذـاـ بـذـلـكـ؛ بـلـ أـرـشـدـهـ إـلـىـ عـنـوـانـ الـمـوـقـعـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـ لـهـذـهـ الـمـدـيـنـةـ الـطـبـيـةـ بـالـرـيـاضـ، وـنـصـحـهـ بـرـاجـعـتـهـ لـلـتـأـكـدـ مـنـ صـحـةـ هـذـهـ الـمـعـلـومـاتـ.

توجيه كريم وفرحة عارمة

لم يكن لأحمد اتصال معلوماتي عبر الشبكة العنكبوتية في منزله فانتظر حتى ساعات الصباح ثم توجه إلى إحدى الواقعـةـ التي تتيـحـ إـمـكـانـيـةـ الـاتـصـالـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـ، وـعـنـدـمـاـ دـخـلـ عـلـىـ الـعـنـوـانـ الـذـيـ سـبـقـ أـنـ حـصـلـ عـلـيـهـ غـمـرـتـهـ فـرـحةـ كـبـيرـةـ؛ فـقـدـ وـجـدـ مـوـقـعـ



فصل الرأس - فصل الجمجمة



البداية - فصل الجلد

المدينة غني بالمعلومات الخاصة بالتواائم التي فصلت، وازداد فرحة حين أطّلع على إنسانية خادم الحرمين الشريفين وأريحيته الكبيرة في إتاحة الفرصة لذوي التوائم بالعلاج في المملكة على حسابه الخاص مع التكفل بنقلهم وإعاشتهم، نسخ كل المعلومات المتعلقة بكيفية الاتصال بهذه المدينة وبأهل الخبرة، لم يتأخر بل اتصل على الأرقام التي حصل عليها، فطلبت منه الجهة التي تلقت الاتصال إرسال الفحوصات والتقارير المبدية الالزمة عن الحالة؛ نقل هذا الأمل إلى زوجته، وكان هذا أول خبر مفرح تتلقاه منذ أن وضعت توأمها، حمدت الله سبحانه وتعالى على هذا البصيص من الأمل، ثم عكف من فوره على تجميع وتجهيز التحاليل والفحوصات والتقارير الخاصة بالحالة من الأطباء في المستشفيات التي تعاملوا معها، وما أن اكتملت بين يديه حتى بادر بإرسالها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني.

وصلت المعلومات إلى مكتبي فعكفت على دراستها مع زملائي أعضاء الفريق الطبي ثم طلبنا منه تزويدنا بعض صور الأشعة فأرسلها إلينا، وبعد اكتمالها عرضتها على الملك عبد الله بن عبد العزيز، فسألني عن إمكانية مساعدته هذا التوأم، فأبلغته حفظه الله بإجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة؛ ولكن الأمل في الله سبحانه وتعالى كبير، فوافق على علاج الحاله ووجه بنقل التوأم من مسقط رأسه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، فاتصلت بوالد التوأم وأبلغته بهذه الموافقة الكريمة والاهتمام بابنته وطمأنته بأن الله عز وجل لطيف بعباده وقدر على أن يفرج همه، وبشرته بأن سفارة المملكة بالسلطنة ستشرع على الفور في اتخاذ كل الترتيبات المتعلقة بنقل الأسرة إلى الرياض.. ملأت جوانحه سعادة كبيرة وشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر له هذا الأمر، ثم شكر خادم الحرمين الشريفين على كرمه وإنسانيته.. وبعد انتهاء المقابلة أسرع إلى زوجته يزف لها خبر موافقة الملك عبد الله واهتمامه بالتتوأم، فشعرت بفرح غامر أزال عنها مسحة الاكتئاب التي كانت تكسو وجهها منذ ولادة التوأم، وخفف عنها مشاعر القلق والخيبة، وبدأت الأسرة في إعداد نفسها للسفر.

(صفا ومروة) في الرياض

اتصلت السفارة السعودية في سلطنة عُمان بالأسرة واستكملت معها كل إجراءات واستعدادات السفر، وفي يوم الجمعة مطلع ذي الحجة ١٤٢٧هـ الثاني والعشرين ديسمبر ٢٠٠٦م غادرت الأسرة العاصمة مسقط ، وكان في وداعها بالطار كل أعضاء السفارة بجانب بعض المسؤولين في السلطنة وعدد غير من الأهل والأرحام والأقرباء. وصل التوأم إلى مطار الملك خالد الدولي ليجد في استقباله أعضاء السفارة العمانية بالرياض وفريق من المختصين بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وسيارة إسعاف نقلت التوأم مباشرة إلى مستشفى الحريري حيث كنت في استقباله بصحبة مجموعة مجموعة من زملائي ، وبعد أن رحبنا بجميع أفراد الأسرة نقلت الطفلتان (صفا ومروة) إلى جناح الأطفال حيث خضعتا لبعض الفحوص السريرية الدقيقة الالزمة ثم راجعنا كل الفحوصات التي سبق أن أجريت لهما في مستشفيات بلددهما.. وتبع ذلك عقد جلسة مع والديهما لطمأننتهما، وإعلامهما بأن هناك فريق عمل متكمال سيتولى الإشراف الكامل على التوأم يضم متخصصين من جراحة الأعصاب والأعصاب وجراحة التجميل والتخدير وجراحة الأطفال وقسم الأطفال وقسم العناية المركزية والتمريض والفنين وأخصائي التأهيل والعلاج الطبيعي



الفريق الطبي



فصل التوأم

وكافة الأقسام المساندة، وسوف توفر لهما كل احتياجاتها ومتطلباتهما ليشعرا أنهما بين أهلهم ولا يراودهم أي إحساس بالغربة. وشعرت الأسرة من أول وهلة بالامتنان لحسن الاستقبال والترحاب والحفاوة البالغة التي أحاطتها من جانب أسرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية، وقد عَبَرَ محمد عن ذلك حين قال لقد جعلتنا هذه الحفاوة نسعد كثيراً بالوشائج والعلاقات القوية بين الشعبين السعودي والعماني، وترجمنا إحساسنا هذا بالشكر خادم الحرمين الشريفين كرجل وطن وأمة، وكملك إنسان يشمل بكل رحمة الفياضن كل شعوب العالم على اختلافها.

باللونات تحت الجلد

بعد استكمال كل الترتيبات الالزمة في مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني، استهلت إجراءات التعامل مع الحالة بفحوصات شاملة ودقيقة للتأكد من إمكانية فصل التوأم، ثم بدأت في تشكيل فريق طبي كبير تجاوز عدد أعضائه ستين عضواً، وعقد الفريق اجتماعات عديدة وأجرى دراسات دقيقة ومتأنية على التوأم، وبعد مشاورات مكثفة توصلنا إلى أن إمكانية الفصل واردة، ثم دخلنا في مناقشات مستفيضة حول طرق تمديد الجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل، واتفقنا في النهاية على استخدام باللونات توضع تحت الجلد، وشرحنا كل هذه التفاصيل لوالدي التوأم، فأعربا عن موافقتهما للخطوة التي وضعها الفريق.. وإثر ذلك تولى فريق جراحة التجميل عملية إدخال هذه البالونات تدريجياً لأن عملية نفخها تستمر أسبوعاً طويلاً من أجل الوصول إلى الحجم المطلوب.. وخلال هذه الأسبوع واجهت الفريق مشكلة بسبب التهاب نتج عن إحدى البالونات، فاضطر إلى رفعها للتنظيف الجراحي ثم إعادة تركيبها، وكان ذلك من أسباب تأخير عملية التمديد هذه.. وبعد ذلك عُقدت عدة اجتماعات بين الفريق الطبي والفريق الجراحي وأجريت فحوصات دقيقة للملح مما حدا بنا إلى إعلان إمكانية الفصل، ولكنها تتطلب أجهزة دقيقة مثل جهاز الأشعة المقطعة المتنقل، وجهاز الملاحة الجراحي وجهاز الأبعاد الثلاثي الحجمي وجهاز الأشعة المقطعي المتحرك وغيرها من الأجهزة الالزمة مثل هذه العملية النادرة، وذلك إضافة إلى صنع داعم خاص بطاولة العمليات لتسهيل وسلامة التخدير، وهو داعم يُصنع لأول مرة في العالم واكتملت مراحل تصميمه وتصنيعه بالكامل في قسم التخدير بمدينة الملك عبد العزيز الطبية وكان هذا إنجازاً طيباً لهذه المدينة العاملة.. وما أن توافرت الأجهزة حتى عكف الفريق الطبي على وضع خطة جراحية مكتوبة للعملية تضمنت سبع مراحل وحددها نسبة ٦٠٪ لنجاحها.

محمد يؤثر صحة ابنته على صحته

بينما كنا نواصل جهودنا في استكمال هذه الإجراءات كي نتمكن من تحديد موعد العملية خلال أسبوع قليلة؛ تلقيت اتصالاً من محمد والد التوأم، وكانت نبرات صوته ضعيفة متكسرة، وأحسست أن أنفاسه تعلو وهو يحادثني، فأخبرني بأنه يعاني مشكلات في صحته وألمًا في صدره، فوجئته بالذهاب إلى غرفة الطوارئ على وجه السرعة حيث خضع إلى فحوصات أولية عاجلة قادت أطباء القلب إلى الاشتباه في وجود ذبحة صدرية ضيق في شرايين القلب وقرر الأطباء إدخاله إلى قسم القلب بالمستشفى



فرحة النجاح



الانتهاء والإجاز

فصدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين على ذلك وتحمل كل تكاليف علاجه، وبالفعل أجريت فحوصات عديدة للتأكد من هذه المشكلة، وفي اليوم التالي زرت محمد في غرفته وشعرت بالاطمئنان عليه، لم يكن مهتماً بما طرأ عليه من مخاطر؛ بل كان كل تركيزه واهتمامه منصبًا على بيته، فطلبت منه أن يهدأ ويرتاح ويهمتهم بصحته ولا يقلق على التوأم لأن عملية الفصل ممكنة بإذن الله جل وبنسبة نجاح كبيرة تصل إلى ٦٠٪.

استمر محمد منومًا في قسم القلب، وفي هذه الأثناء عقد الفريق الطبي اجتماعه قبل الأخير الذي قرر فيه إجراء عملية الفصل في غضون عشرة أيام، في ذات الوقت الذي قرر فيه أطباء القلب إجراء جراحة لمحمد خلال أسبوعين لتغيير الشرائين الثلاثة التي تغذي عضلة القلب نظرًا لما أظهرته الفحوصات من ضيق ومشكلات واضحة يمكن أن تهدّد حياته.. وفي ضوء ما قرره أطباء القلب زرت محمدًا وأخبرته بضرورة خصوصة عملية جراحية في القلب خلال هذه المدة الوجيزة، واقتصرت عليه تأجيل عملية فصل التوأم حتى يتتعافى من الجراحة التي ستُجرى له لتصحيح وضع قلبه وحتى نطمئن على صحته، ولكنَّه ألح علينا متواولاً راجياً عدم تأخير عملية فصل التوأم لأجله، بل وطلب تأجيل عمليته إلى ما بعد نجاح عملية فصل صفاء ومروة.. كان هذا الطلب صعب جدًا لأن الأطباء يدركون مدى مخاطرته بصحبته من أجل فلذتي كبده؛ وقبل النزول على طبله كان لا بد لي من استشارة جراح القلب المختص وأطباء القلب حول إمكانية تأجيل عملية الأب، فاتصلت بهم وطرحت عليهم رغبة محمد في تأجيل إجراء عملية، فأفادوا بإمكانية ذلك بعد الاستمرار في تزويده بعض الأدوية الخاصة التي تساعده على استقرار حالي إلى حين.

٦٠٪ نسبة نجاح عملية الفصل

عقد الفريق اجتماعه الأخير قبل عملية الفصل ونقلت لهم خلال الاجتماع ما طرأ على صحة محمد من مشكلات في القلب، ثم قررنا إجراء العملية يوم السبت ١٦ شوال ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٧ إكتوبر ٢٠٠٧ م على أن تسبقها بـ ٢٤ يوميًّا أي في يوم الأربعاء ٢٤ إكتوبر ٢٠٠٧ م عملية تجريبية وهمية، وذلك بعد أن حقق التوأم الوزن المناسب (١١ كيلو غراماً) عقب إخضاعه لنظام غذائي مكثف. وبعد العملية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مزرعته وأطلعته على هذه النتائج، فسألني حفظه الله عن تفاصيل العملية ونسبة نجاحها، فأخبرته أن هذه الحالة هي الأولى من نوعها التي تستقبلها في مدينة الملك عبد العزيز الطبية، وهي أول عملية التصاق بالرأس ستجرى في هذه المنطقة، ونقلت له مدى تفاؤل الفريق الطبي بنتائجها، فطمأنني كعادته بإمكانية النجاح بعد الاتصال والاعتماد على الله.. ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد اكتمال النسك جلست قبالة الكعبة المشرفة أبتهل إلى الله عز وجل أن يوفقنا في هذه العلمية الصعبة التي نأمل أن تكون نجاحًا ورقة للإسلام والمسلمين وأن يكتب الحياة للطفلتين ويسعد والديهما بهما، وبعد عودتي في يوم الجمعة اتجهت مباشرة إلى جناح الأطفال بالمستشفى لزيارة التوأم والاطمئنان عليه والتأكد من جاهزته لإجراء الجراحة.



يلمسان بعضهما لأول مرة



لمسة حنان من الأم

وفي ساعات الصباح الباكر من يوم السبت تواتر حضور أعضاء الفريق الطبي عند باب غرفة العمليات.. ثم أحضرت الطفلتان يتبعهما والداهما، وقبل الدخول إلى غرفة العمليات سألت محمد وزوجته ما إذا كانوا يريدان الاستفسار عن شيءٍ بعينه؟ فاكتفيا بإرسال دموعهما لوداع الطفلتين وإنكبا عليهما يقبلانهما.

فصل أغشية المخ مرحلة حساسة

بدأت أولى مراحل العملية بالتخدير باستخدام طاولة صنعت خصيصاً لهذه العملية، وتولى صنعها فريق التخدير بالمستشفى، وكان هذا إنجازاً طيباً لهذه المدينة العاصرة، وانتقلنا بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهي مرحلة التعقيم ثم التغطية وتلاها فتح الجلد ثم فتح عظمة الجمجمة وهي مرحلة حساسة إلى حد كبير لأن تحت الجمجمة مباشرةً أغشية المخ والمخ ويجب الثاني والحذر في استخدام هذه الأجهزة ضماناً لسلامة المخ، وأعقب ذلك محاولة فصل الأغشية بين الطفلتين، وهي أيضاً من المراحل الحساسة التي تتطلب قدرًا كبيراً من الدقة لأن الأوردة الكبيرة في رأس المخ تنفصل بأقل من ثلات ملليمترات، وهذا يستلزم من الزملاء في جراحة الأعصاب استخدام المايكروسكوب الجراحي بدقة عالية ضماناً لسلامة الفصل دون حدوث نزيف يؤدي إلى فقدان التوأم لحياته.. مرت هذه المرحلة ببطء شديد إلى أنتمكن الأطباء من فصل المخ وأغشية المخ بينهما ب توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم فصل عظام الجمجمة من الخلف، وتلا ذلك قلب التوأم لفصل الجلد الذي يشكل المرحلة النهاية قبل فصل صفاء عن أختها مروة.. وبعد أن تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل والله الحمد نقلت كل واحدة منها وأول مرة على طاولة مستقلة وتولى الإشراف على كل واحدة منها فريق جراحي مستقل لتدأً بعد ذلك عملية الترميم والتأهيل لتغطية الرأس والتي اكتملت والله الحمد، وبذلك تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل.

التوأم يبحث عن بعضه

طغت الفرحة على وجوهنا جميعاً بهذا التوفيق الذي منَّ الله به علينا، وبينما نحن ننقل عبارات التهاني بين بعضنا تلقينا اتصالاً من والد الجميع الذي يفيض قلبه بشاعر العطف والحنان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله مهنتاً أعضاء الفريق الطبي على نجاحهم، كما هناً والدي التوأم على سلامه بنتيهما، ثم وجهنا بالاهتمام بالتوأم إلى أن تكتمل جميع مراحل العلاج،.. واصطفت أعضاء الفريق للتقاط صورة تذكارية توثق لأول عملية فصل توأم متلاصق في منطقة الرأس باعتبار ذلك إنجازاً تاريخياً يضاف إلى الخبرة السعودية وإلى سجلات إنجازات الأمة العربية والإسلامية.. وما أن وضعت أولى خطواتي خارج باب غرفة العمليات حتى احتضنني محمد والد التوأم وعانقني عناقًا حاراً محاولاً تقبيل رأسي ولكنني استطعت الإفلات منه، وتبينت أن دموعه بللت جزءاً من وجهي وثيابي ولكنها هذه المرة دموع فرح وسعادة، وكانت تلك لحظة بالغة التأثير، ونقلت الطفلتان إلى غرفة العناية المركزية حيث مكتنرا قرابة الأسبوعين، وبدأتني في الإفاقة تدريجياً من آثار المخدر،



صفا ومروة في مطار مسقط بعد العودة

ثم أفاقنا تماماً بعد ثلاثة أيام، ولاحظنا أن كل واحدة منهما ترفع يدها محاولة لمس اختها في تعبير تلقائي عن مشاعر العطف والحنان المشتركة بينهما.. فكان هذا المشهد مؤثراً جداً في كل الحضور من أعضاء الفريق الطبي الذين عدوا إلى تغريب الطفلين من بعضهما، وما أن أحستا بقربهما حتى أمسكت كل واحدة منها بيد الأخرى وكأنها تقول لأنتها لقد افتقدت جزءاً من جسدي، ولعلي الآن أتشبث به حتى لا يفارقني مرة أخرى.

تبديل شرائين محمد

وبعد نجاح العملية بعدة أيام أدخل محمد إلى غرفة العمليات حيث أجريت له بنجاح عملية تبديل الشرائين، وفرحت الأم فرحاً شديداً وشكرت الله الذي وقف بجانب الأسرة، وتبدلت الهموم إلى فرح وأنس، والقلق إلى طمأنينة، والغم والاكتئاب إلى راحة نفسية. وبعد أربعة أيام من نجاح عملية محمد قرر خادم الحرمين الشريفين زيارته التوأم للاطمئنان على صحتهما وتهنئة والديهما بنجاح عملية الفصل ونجاح عملية الوالد، وكانت لحظة إنسانية تداعى لها الوجدانيات حين وقف حفظه الله يداعب صفا ومروه يحنان أبيه فياض.. ثم كرم أعضاء الفريق الطبي بمنحهم أوسمة على هذا الإنجاز الذي يعد أحد إنجازات مملكة العطاء الإنسانية.

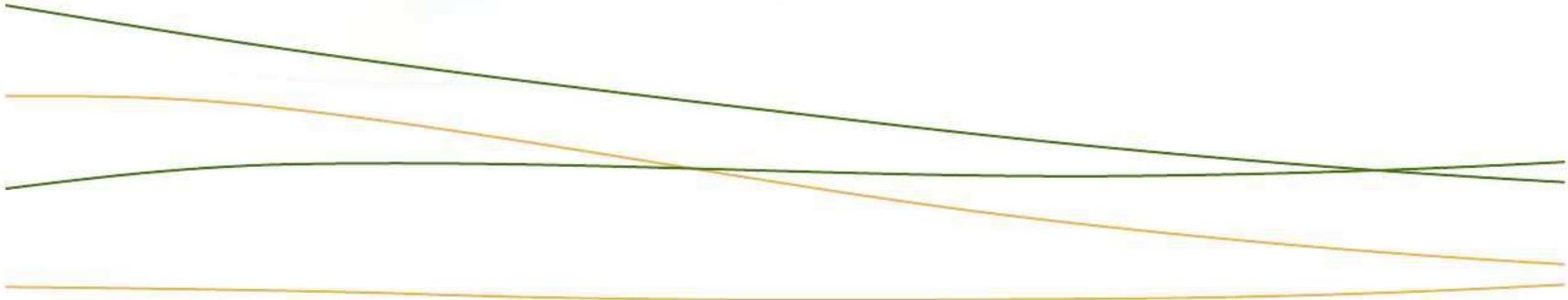
غادرت صفاء ومروه غرفة العناية المركزية بعد مرور أسبوعين ونقلتا إلى جناح الأطفال حيث بدأت مرحلة تأهيلهما تدريجياً إلى أن تأكّد المختصون من استقرار حالتهما. وغادرت الطفلتان إلى بلد़هما سلطنة عمان بعد عيد الأضحى المبارك عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، على أن تعودا بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية لتغطية عظام الجمجمة إن شاء الله تعالى.. وقبيل سفرهما أقيمت لهما مراسم وداع حافلة بالتأثير والحرارة في قسم الأطفال وفي مطار الملك خالد الدولي، وفي مطار مسقط استقبلهما أعضاء السفارة السعودية هناك وبعض مسؤولي الحكومة العمانية ووفد كبير من أسرتي أبيهما وتضمن الاستقبال كلمات ترحيبية وأبيات شعرية تهنئه بسلامتهما.



التوأم مع أخريهم بعد عملية ترميم الرأس



التوأم مع العائلة



١٩

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ / يوليو ٢٠٠٨م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للرأي المغربي الثاني

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م

١٣ فرداً في البيت الكبير

نشأ سعيد في قرية صغيرة تبعد حوالي ١٥ كيلومتر من مدينة الدار البيضاء في المغرب العربي، وفي بيت واحد مع والديه وإخوانه وأخواته وأطفالهم الذين بلغ عددهم جميماً ١٣ فرداً، وكعادة أهل الأرياف في بعض الدول العربية، فإن «البيت الكبير» جمع كل أطراف هذه الأسرة التي تعاني ظروفًا مادية صعبة بسبب دخلها المحدود. ولما لم يوفق والدهم في الحصول على أي عمل يدر له دخلاً يساهم به في تحمل أعباء المعيشة؛ فقد حمل سعيد. في وقت مبكر من عمره. مع أخيه الأكبر مسؤولية الصرف على الأسرة وتوفير متطلباتها بالقدر الذي أتاحته لهما فرص العمل المحدودة والمقطعة. واتسم هذا البيت مثل العديد من بيوت القرية بقدر متواضع من التعليم إن لم يكن معدوماً؛ نظراً لقلة المدارس ولما تتطلب فرص الالتحاق بها من مصاريف لا تستطيع هذه الأسرة البسيطة توفيرها، ولهذا السبب ظلت عاجزة عن إلتحاق ابنائها بالمؤسسات التعليمية.

وعندما بلغ سعيد سن الزواج بدأ يبحث عن زوجة تساعده على الأقل في تحمل ظروفه النفسية الناتجة عن ضغط العمل وإرهاقه، ولعله يرزق منها بأطفال يثليجون صدره ويضيغون إلى حياته المتواضعة بعضاً من السعادة، وشاء الله أن يتعرف على اخت أحد أصدقائه وزملائه الذين جمعهما سوية العمل في صناعة الديكور والجليس بالدار البيضاء، وهي من الفتيات اللاتي نلن حظاً من التعليم بإكمالها للمرحلة الإعدادية، وسرعان ما أخبر والديه أن يذهبا للتعرف على أسرتها وطلب يدها، وبالفعل تزوجها ونقلها إلى قريته: «دوار أولاد عزوز»، فعاشت معه في بيت أسرته تساعد على تصريف الأعمال والأعباء المنزلية رغم صغر سنها، وتضيف إلى سعيد نوعاً من السعادة وتخفف عنه أعباء عمله وظروفه المعيشية الصعبة، وكانت هذه الزوجة - التي تزيد على زوجها في فرص التعليم - تحلم بأطفال يضيغون لها قدرًا من الإحساس بالسعادة والسرور والهناء، مرت الأيام والليالي وأصبحت حياتها مرتبطة بهذه الأسرة البسيطة، وبهذه القرية التي يتميز أهلها بالطيبة والكرم والشهامة والتواصل.

آلام وإرهاق وغضيان

استمرت حياة سعيد وزوجته. رغم تواضعها. خالية من المنعصات والمكدرات والتعقيد، حياة عفوية وبريئة، كما هو الحال في البيئات الريفية حيث البساطة والرضا والقناعة، وظلت الحياة تجري على هذا النحو السهل البسيط بصورة عادلة. وبعد عدة شهور أحسست الزوجة ببعض الآلام والإرهاق والغثيان، ونظرًا لصغر سنها وجهلها لم تدرك سبباً لذلك، ولمعرفتها بالظروف المعيشية للأسرة لم تطلب من زوجها مقابلة الطبيب، فبعد المسافة وتكليف النقل والعلاج المصاحبة للاستشارات الطبية ليست في مقدور الزوج، ولذلك تجاهلت الأمر وظلت. رغم الإرهاق والتعب والتقيؤ. تتابع واجباتها المنزلية اليومية في البيت الكبير، وذات يوم استشارت والدتها حول هذه الأعراض التي تتناوبها بين حين وآخر؟ فأخبرتها بأنها أعراض حمل وأنها ليست غريبة



الصنا والمروة



الصنا والمروة عند وصولهم المستشفى

على المرأة المتزوجة، فاحسست بسرور وسعادة كبيرة لما قالته أمها، وحين أوضحت لزوجها أنها حامل؛ فرح فرحاً شديداً وأصبح يقلب يديه ويعد الأيام والشهرات انتظاراً للمولود القادم، وحملما سوياً بروية هذا المولود، وهل سيرزقهما الله سبحانه وتعالى بولد أم بنت؟ وظلاً يبحثان عن اسم يطلقانه على هذا المولود، ومررت في خاطرها كثيرة لإبنة وذكور. ومع مرور فترة الحمل ووصولها إلى المراحل الأخيرة. وبالتحديد في الشهر السابع - أحسست الزوجة بألم في الجهة اليمنى من بطنهما، فما كان منها إلا أن نقلت شعورها إلى الدتها صاحبة التجربة والخبرة، فذكرت لها أن سبب تضخم حجم البطن عادة المصحوب بألم شديدة ربما يكون علامة على الحمل بتواأم، قالت ذلك من واقع تجربتها إذ سبق أن أنجبت ثلاثة توائم لم تكتب لهم الحياة، ثم أنجبت تواماً آخر يبلغ عمرهما الآن ٢٨ عاماً وهما يعيشان حياة سعيدة، طغى عليها شعور بالسرور لهذا الخبر رغم آلامها وما يصاحبها من تعب وإرهاق وتقىء وغيرها.

ابتسامة تتبعها صدمة

ومع اقتراب مرحلة الولادة لازمها الشعور بالتعب، ولذلك استشعر الزوج ضرورة مراجعة أقرب مركز صحي لأن هذا أول حمل لها وهو على غير العادة، وبالتالي لا يمكن أن تنجي في المنزل مثل نساء القرية. وقبل أيام من الولادة اشتد الألم، وازدادت أعراضها حدّاً؛ فاضطررت الأسرة إلى نقلها على عجل إلى مستشفى ابن رشد بالدار البيضاء حيث أخضعها الأطباء على الفور إلى عملية ولادة قصيرة سريعة، وسيطرت على سعيد أثناء هذا الوقت حالة من التوتر والقلق، وظل يروح ويجيء في غرفة المستشفى وعيه على غرفة العمليات لعل أحد الخارجين منها ينقل له خبراً يطمئنه على ولادة زوجته واستقرار حالتها؛ ولكن خيل إليه أن الوقت يمر ببطء شديد، فازداد قلقه وخوفه، وبعد فترة انتظار ليست بالقصيرة؛ جاء الطبيب وبشره بالولادة، فاثاج هذا الخبر صدره، وعلت وجهه ابتسامة حين أكد له الطبيب أن حالة زوجته مطمئنة، ولذلك لم يكتثر أو يهتم بقول الطبيب وهو يكمل حديثه: لقد ولدت زوجتك تواماً سيمانياً، بل استمرت الابتسامة مرسمة على شفتيه ولم يفارقه الشعور بالفرح؛ لأنه لم يكن يعرف أي معنى لهذا المصطلح، ثم شكر الطبيب وطلب منه رؤية الأطفال، وبعد فترة ليست وجيزة اصطحبه الطبيب لرؤيه التوأم؛ فأخذته الصدمة لما تبيّن أنه رزق بطفليين متضاعفين، ولم يستطع لحظتها التحدث؛ بل ألمت المفاجأة فمه، ودارت في مخيلته أفكار عديدة وأصبح يرى الدنيا بمنظارأسود وتذكر أن حاله ضعيفة، وظروفه المادية محدودة جداً، ذلك أن مجرد الانتقال من قريته إلى الدار البيضاء يمثل عبئاً جسيماً على ظروفه المادية؛ ناهيك عن علاج توأم متضاعف، خاصة وأن الطبيب أخبره أن علاج مثل هذه الحالات صعب ومعقد جداً، وتحتاج حالة التوأم إلى جراحة وتشخيص دقيق، ولا يمكن إجراء مثل هذه العمليات في المغرب، ولما أكمل استعراضه هذا الشرطي؛ جلس على أحد الكراسي القريبة من غرفة الولادة واضعاً رأسه بين يديه، ودموعه تنهمر بغزارة؛ وأنه كان رجلاً مؤمناً وفيها صادقاً؛ تمكن من السيطرة على مشاعره، ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى، واستقبل القبلة رافعاً يديه داعياً الله أن يكون له عوناً ومساعداً والأَ يخيب له رجاء



والد التوأم الصفا والمروة



الصفا والمروة عند وصولهم المستشفى

حلم في بداية الحمل

ذات ليلة صحت الزوجة من نومها. وهي في الأيام الأولى من بدايات حملها. خائفة مرتعبة؛ فقد رأت في منامها أنها تسير وسط غابة كثيفة الأشجار متشابكة الطرق، ثم سلكت ممراً ضيقاً في هذه الغابة، ورأت على جانبه مسجداً باهر الأنوار، ولما دخلته رأت رجلاً يقطر وجهه ضياءً ونوراً وهو في حالة خشوع كامل، ورأت كذلك في مؤخرة المسجد امرأة تتلو القرآن وهي في حالة من الاستغراق والخشوع، وبعد برهة جاءها ذلك الرجل وفي يده شمعة مضيئة ما لبثت أن تفرّعت إلى شمعتين سلمهما لها، بينما تولّت المرأة التي تتلو القرآن الإشراف على ولادتها، ثم بشرّتها بزيارة مكة المكرمة، فأشعّ فيها هذا الحلم إحساساً بالسرور والخوف في آن واحد، ولأنها لم تستطع تفسيره قررت أن تبقيه سراً، وبالفعل لم تبح به إلا إلى زوجها الذي طمأنها بأنها بشارة طيبة ورؤية خير وقال حسن لهم سوياً.

وبعد ولادتها لم تكن تعلم ما أُنجبت، ولحظة إفاقتها من المخدر تلهفت لرؤيه مولودها، وأخذت تسأل الأطباء والممرضات معرفة ماذا أُنجبت؟، فأخبرها الطبيب أنها رُزقت بطفلتين ولكنها لم يُطلعها على التفاصيل، فاحتوتها فرحة كبيرة، وسكت الدموع فرحاً بهذا الخبر السار، ولما أصررت على روبيthem دعا الطبيب زوجها سعيد ليتولى نقل المعلومة إليها، وفعلاً دخل عليها سعيد وهنأها بسلامتها وبسلامة الطفلتين، فسألته عن حالة ابنتيهما وعن وزنها وشكلها وعن بعض التفاصيل الأخرى، وحين رأته صامتاً كرّرت رجاءها وألحّ عليه بأن يخبرها. لم يستطع إجابتها؛ ولكنه عوضاً عن ذلك أمسك يدها وهو جالس على كرسي بجوارها، فحدّقت النظر إلى عينيه فوجدهما مليئان بالدموع، قبّلت يده وتوسلت إليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وتساءلت والشقة تملأ قلبها الذي يكاد يقفز خارج صدرها: هل مات التوأم بعد ولادته؟ أم ماذا حدث له؟ وبعد أن أكمّل بكاءه أخبرها بأنهما على قيد الحياة؛ ولكنهما ملتصقين ولديهما عيوب خلقية تحتاج إلى وقت طويل من العلاج والجراحة، وإلى تكاليف مالية عالية لأن مثل هذه الجراحات لا سبيل لإجرائها داخل بلاده، وأنه لا يملك القدرة على التعامل معها، ولما سمعت ذلك بكت بكاء عميقاً، ورفعت يديها إلى الله تعالى أن يكون لها عوناً ومعيناً، وأن يكشف عنها هذه الغمة. وبينما هي في هذا الحال استرجعت مخيلتها فجأة ذلك الحلم الذي حلمت به في بداية حملها، فالتفتت بسرعة إلى زوجها قائلة: ألا تذكر الحلم الذي أخبرتك به عن الرجل الذي سلمني شمعة انفصلت إلى شمعتين، وأنني سجدت لحظتها لله شكرًا ثم ولدت في المسجد، فلن متفائلاً فأنّا واثقة بأن الله سيحقق حلمي بانفراج هذه الغمة.

استغاثة إلكترونية

وبالفعل بدأت رحلة العائلة، واجتهد سعيد في البحث عن مخرج، فما لبث أن جاءه الفرج عن طريق الطبيب المعالج الذي تولى عملية الولادة وأشرف على الحالة ومتابعتها، وهو الدكتور سيف الدين الذي لم يكن طيباً فقط؛ بل كان إنساناً صادقاً تعامل مع هذه الأسرة بقدر كبير من النخوة والمشاعر الإنسانية، فاتصل فوراً بأحد الأطباء المعروفين في كندا وزوده بكل التقارير



عند بدء العملية



قبل بدء العملية

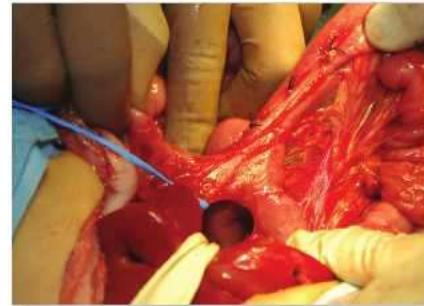
الخاصة بالحالة وتفاصيلها بعد إجراء الفحوصات الأولية، وعلى ضوء ذلك تكثفت الاستشارات عبر صديق له مع استشاري قدير في مركز مرموق بكندا للاستنارة برأيه، وبعد هذه الاستشارات اتضح أن التوأم متتصق في منطقة البطن والصدر ولهمما عيوب خلقية في القلب، واشتراكات عديدة وعيوب في جدار البطن، وبعد التشاور بين الطبيب وصديقه أشار عليه بأن هناك مركزاً متميزاً في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وطلب منه الاتصال به للاستشارة والإفادة عن هذه الحالة، ولمعرفة مدى إمكانية علاجها. وبالفعل أرسلت استغاثة العائلة والتفاصيل الطبية إلى الموقع الإلكتروني لمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني، مشفوعة بطلب إلى الفريق الطبي بالمملكة العربية السعودية لدراسة الحالة والإفادة بمدى إمكانية علاجها، وفور تسلم المعلومات عن هذا التوأم الضعيف وأسرته البسيطة عكف الفريق على دراستها وفق ما توفر لديه من فحوصات وتحليلات، وبعد الدراسة كلفت بعرضها على مقام خادم الحرمين رجل الإنسانية والوفاء ومحب الطفولة.

توجيهه كريم

وتمنى لي خلال فترة وجيزة جمع صور التوأم من الموقع الإلكتروني بجانب كل المعلومات الخاصة به وبأسرته وعرضتها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في منزله، وفور اطلاعه. حفظه الله. على الصور والتقارير وجه بنقل التوأم والديه حالاً إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني وعلاج الحالة، ثم أخبرته. حفظه الله. بأن الوضع الصحي للتوأم يستدعي نقله بطائرة الإخلاء الطبي الجوي، فكانت استجابته سريعة، ووجه بنقل التوأم عن طريقها، حيث تفضل ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بإرسال طائرة الإخلاء الطبي لنقل الطفلين على وجه السرعة مع الاهتمام بهما، وإعطائهما أفضل علاج بالمملكة، وبعد عدة أيام توجهت الطائرة إلى هناك تحمل فريقاً طبياً متخصصاً، ونقل التوأم مع والديه من الدار البيضاء إلى مدينة الرياض حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلوا جميعاً إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية ليجدوا فريقاً طبياً وإدارياً في انتظارهم لينقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث استقبلهما طاقمها وفريق من قسم الأطفال والجهات ذات العلاقة، وتلا ذلك تقييم الحالة مبدئياً، ثم وضع التوأم تحت إشراف طبي مشدد.

٦٠% نسبة نجاح فصل التوأم

لقد كنت في ذلك الوقت خارج المملكة؛ ولكن سارع الزملاء مشكورين إلى إكمال كل التحاليل والإجراءات الطبية على الوجه المطلوب، ثم اتصلوا بي لتزويدني بتفاصيل الفحوصات التي كشفت وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن، وعدم اكتمال الجهة السفلية لجدار البطن مع وجود عيوب خلقية في القلب خصوصاً للتتوأم المروء، ولذلك فإن الحالة تتطلب مزيداً من الفحوصات الطبية الدقيقة، وعلى إثر ذلك شكلنا فريقاً طبياً متكاملاً شاركت فيه أقسام العناية المركزة وجراحة الأطفال وأمراض القلب للأطفال وأمراض الأطفال وتخصص جراحة التجميل وقسم التمريض والأشعة والعلاج النفسي والتخدير وغيرها من التخصصات الطبية الأخرى. وتولى الفريق إجراء فحوصات متعددة ودقيقة، ثم عقدنا عدة اجتماعات لدراسة الحالة. وواكب ذلك دراسة مستفيضة



مرحلة فصل الأمعاء



مرحلة القطع أثناء العملية

لقلبي التوأم خاصة الطفلة المروءة التي تعاني عيوباً خلقية معقدة تطلبت بعض العلاجات والمتابعة الدقيقة من أخصائي القلب، ونظرًا لهذه المشكلات في قلبه؛ رأى الفريق أن إمكانية الفصل واردة وأن هناك احتمالاً كبيراً في أن تصاب التوأم بھبوط في القلب مما استدعي الاستعجال لتقديم عملية الفصل، واتفقنا على أن نسبة النجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظراً لهذه المخاطر لدى التوأم. وكذلك أوضحت الفحوصات وجود اشتراك في غشاء القلب والكبد واشتراك في الأمعاء وعدم اكتمال جدار البطن. وعندما وصل وزن التوأم إلى قرابة ٧,٥٠٠ جرام اتفق الفريق الطبي على تحديد يوم السبت ٩ ربـ ١٤٢٩ هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٨ م موعداً لإجراء عملية الفصل على أن تسبقها عملية تجريبية وهنية يوم الأربعاء ٦ ربـ الموافق ٩ يوليو ٢٠٠٨ م.

العملية الوهمية

وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية؛ استدعيت والدي التوأم وتحدثت لهما عن تفاصيلها بدقة، وبيّنت لهما نسبة خطورتها ونحوها ثم أجبت على أسئلتهما بكل دقة وشفافية، ولما كانت ثقتهما في الله سبحانه وتعالى لا تحددها حدود، بجانب ثقتهم المتناهية



لحظات وداع الأم للتوأم قبل بدء العملية



مرحلة بعد الفصل



مرحلة الفصل أثناء العملية

في الفريق الطبي، وما يتصفان به من أخلاق عالية؛ فقد وافقا على إجراء العملية دون تردد، وبالفعل وقعا على هذه الموافقة وحضرا إلى غرفة العمليات لتابعة مراحل العملية التجريبية وتجهيز غرفة العمليات. وفي الساعة الرابعة عصراً احضر التوأم برفقة والديه، وتواجدت كذلك بعض وسائل الإعلام لتوثيق هذا الحدث. وببدأ الفريق الطبي في مراجعة خطة العملية الجراحية بكل تفاصيلها ومراحلها ومخاطرها والعيوب الخلقية في قلب التوأم المروءة، ونوع الأدوية التي سوف تستخدم، وحدد بعد ذلك مسؤولية كل فريق فرعى، ثم تأكد من كوادر التمريض والفنين ومن اكمال التجهيزات المطلوبة لأحداث العملية، بل ومن كل الإجراءات اللاحزة لمنع المضاعفات لا سمح الله. وبعد اكمال مراحل العملية الوهمية التي استغرقت قرابة الساعة والنصف توليت شرحها لوالدي التوأم، فأعربا عن تقديرهما لهذا الاهتمام الكبير من قيادة المملكة العربية السعودية ومن الفريق الطبي الذي يباشر مهماته بقدر عال من الأخلاق والشفافية والحب والوفاء. وقرر الجميع أن تكون نهاية الأسبوع استراحة للفريق الطبي حيث تقرر إجراء العملية في الثامنة من صباح السبت ٩ رجب ١٤٢٩ (١٢ يوليو ٢٠٠٨) وبالفعل غادر التوأم مع والديهما إلى جناح الأطفال رقم ٧.

قلق وحيرة وشحوب

في الساعة السابعة من صباح اليوم المحدد للعملية (٩ رجب ١٤٢٩ هـ)؛ احضر التوأم إلى غرفة ما قبل العمليات بصحبة والديهما، ثم اتجهت بصحبة زملائي أعضاء التخدير إلى هذه الغرفة حيث قابلنا والدي التوأم وشرحنا لهما تفاصيل العملية مرة أخرى، لاحظنا أن الأم قلقة شاحبة الوجه، تبدو عليها علامات الحيرة، ودموعها متصلة على الدوام؛ ولكنها كانت تبكي بهدوء وتسح دموعها وهي تقبل طفلتيها، وكذلك انكبَّ عليهما سعيد يقبلهما ويودعهما، وهو رغم قلقه كانت لديه ثقة كاملة في الله سبحانه وتعالى ثم في الفريق الطبي، وبعد هذه اللحظات المؤثرة على النفس والتي أظهرت بجلاء مدى علاقة والدي التوأم بطفليهما وعلاقتهما بالفريق الطبي، نُقل التوأم إلى داخل غرفة العمليات ثم إلى طاولة العمليات حيث شرع الفريق في عمليات التجهيز، وبasher فريق التخدير إدخال القساطر الوريدية والقساطر الأخرى والأكسجين استعداداً لبداية التخدير مستهلاً خطواته بتخدير التوأم المروءة ثم شقيقتها الصفا دون أي مشكلات تذكر والله الحمد. ثم أدخلت القساطر الوريدية المركزية ثم القساطر في الشريان لمراقبة ضغط الدم ولأخذ عينات منه وكذلك القساطر البولية، وبعد اكمال عملية التخدير التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة بدأت مرحلة التعقيم، وقام الفريق الطبي بتعقيم التوأم وتغطيته بأغطية جراحية معقمة وتبعها تحديد منطقة الجراحة والفصل بواسطة أخصائي جراحة الأطفال وجراحة التجميل، وأعقبتها مرحلة فتح الجلد والأغشية التي تحته ثم فتح منطقة البطن وأسفل الصدر حيث تبين وجود اتصال في أغشية القلب والإثنى عشر والأمعاء الدقيقة بمسافة لا تقل عن قدمين، وببدأ الفريق بفصل أغشية القلب دون مشكلات، ثم فصل الكبد باستخدام تقنية عالية تمثلت في (الكى عن طريق الليزر والكهرباء واستخدام مشرط الأشعة فوق الصوتية) لتقليل كمية الدم المفقود، وفي هذه الأثناء أصيبت التوأم المروءة بنقص في الأكسجين مما اضطررنا إلى التوقف لمدة نصف ساعة كي يتمكن فريق التخدير



أم التوأم تقبل رأس رئيس الفريق الطبي بعد العملية



بعد خروج التوأم من غرفة العمليات

من علاج الحالة بإعطائها بعض الأدوية حتى تستقر حالتها بما يمكن الفريق الجراحي من استئناف عمله لإكمال كل المراحل. لا شك أن مثل هذه الأحداث تقلق الفريق الطبي، خصوصاً وأن وسائل الإعلام حاضرة، وهذا مما قد يعرض الفريق الطبي إلى بعض الضغط النفسي ناهيك عن متابعة والدي التوأم للعملية. ولكن لطف الله سبحانه وتعالى أنقذ الموقف، فاستقرت حالة المروءة واستمر الفريق في عمله فاكمل فصل الكبد دون مشكلات، وتبعها بفصل الإثنى عشر والأمعاء الدقيقة وإعطاء كل توأم جزءاً من الأمعاء يمكنه من العيش مستقبلاً دون مشكلات، ثم فصل جدار الصدر من الخلف وجدار البطن من الخلف أيضاً، وبعد حوالي ١٣ ساعة تمكنا من فصل الطفلين ووضعت كل منهما في طاولة مستقلة ليكمل الفريق الطبي مراحل وضع الأمعاء والأجهزة في مكانها. واستغرقت هذه المرحلة قرابة ساعتين ونصف الساعة، وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف اكتملت كل مراحل العملية بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بنجاح، وفي نهايتها اصطف الفريق الطبي للتقطاط صورة توثيقاً لهذا النجاح، ونقلت الطفلتان إلى خارج غرفة العمليات في طاولتين منفصلتين.

همس مقلق

وبالفعل خرجنا من غرفة العمليات ليكون في استقبالنا والدي التوأم والسفير المغربي وحشد كبير من الزملاء ووسائل الإعلام التي كانت تنقل العملية حية على الهواء، فعانقني والد التوأم بحرارة وقبل رأسي رغم محاولي للمقاومة شكرآ الله سبحانه وتعالى ثم شكر الفريق الطبي على هذا النجاح، ثم كانت والدة التوأم التي دعت طفلتيها بدمع غزيرة استقبلتهما كذلك بنفس الدموع وفرحة سعادة كبيرة جعلتها تندفع - دون تفكير منها - لتبكي رأسي رغم تراجعي ومحاولة الابتعاد بسرعة كي أحوال دون ذلك، وربما لها العذر لأن فرحتها كانت أكبر من أن تفكر في مراعاة الضوابط والتقاليد العربية، ولا أعتقد أن أحداً يستطيع لوم هذه السيدة التي جاشت مشاعرها عقب رؤية طفلتيها منفصلتين. مع هذه المشاعر اصطحبنا الوالدين مع طفلتيهما إلى غرفة العناية المركزية حيث وضعتنا تحت مراقبة مشددة، وبعد أن أطمأن الفريق عليهم؛ اصطحبنا والدي التوأم إلى قاعة الاجتماعات الكبرى بالمستشفى حيث كان هناك تصريح صحفي لوسائل الإعلام، وبينما كنا نعيش نتيجة هذا الحدث المفرح لاحظت أن أحد الزملاء يدخل القاعة ويتجه إلى الاثنين من أعضاء فريق العناية المركزية وهمس في آذانهم فغادرا القاعة دون إحداث أي ضجة وتبعهما طبيب التخدير، ورغم ما اعتراضي من قلق في تلك اللحظة؛ إلا أنني حاولت جاهداً السيطرة على أعصابي لأن الحدث كان منقولاً حياً على الهواء، تمنت بالفعل من مقاومة مشاعر القلق كي لا يشعر الحضور أن ثمة مشكلة قد طرأت على التوأم، ارتفعت حدة الشعور بالقلق في داخلي لأنني كنت أعلم أن خروج الزملاء يعني وجود مخاطر طارئة على التوأم، وإزاء ذلك أنهيت التصريح الإعلامي وتقدمت مثلي الإعلام إلى الخارج وأوهتمتهم بأني ذاهب إلى منزلي، إلا أنني اتجهت صوب مدخل آخر من المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة العناية المركزية، وبالفعل وضح لي أن قلقي كان في محله إذ تبين أن التوأم المروءة بدأت تعاني مشكلات كبيرة في جهاز التنفس وفي نسبة الأكسجين في الدم ومن اختلال في الدورة الدموية ومكثنا ساعة طويلة مع الزملاء في قسم العناية المركزية وفي تخصص قلب الأطفال



الصفا والمروءة بعد العملية



الفريق الطبي

والتخدير نراقب هذه الحالة ونتابعها ونحاول جاهدين معالجة قلب التوأم المروءة الذي كنا نعلم أنه سيتعرض لبعض المضاعفات، استقرت الحالة بعد حوالي ساعات عدة وشعرنا ببعض الاطمئنان ثم توجهنا بعده إلى منازلنا.

تميُّز ومهنية عالية

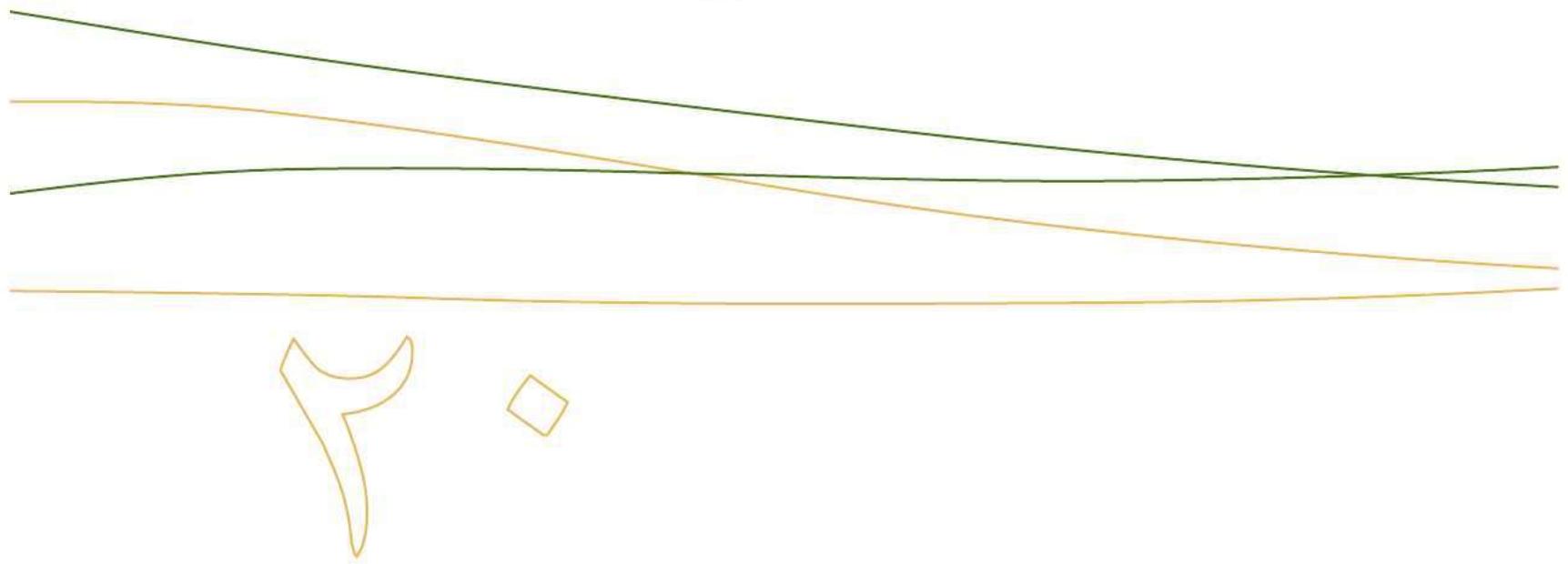
وبعودتنا في السادسة من صباح اليوم التالي وجدنا المروءة تعاني تداعيات المشكلة نفسها، واستمرت تعاني من عدم استقرار في قلبها لعدة أيام إلى أن بدأت تدريجياً في التحسن والاستقرار، وشرعوا في اتخاذ خطوات وإجراءات عديدة لمساعدتها ومن ذلك إدخال عدة أدوية وأجهزة للتنفس، مع محاولة لفك ضغط جدار البطن بتوسيع أغشية البطن باستخدام جلد صناعي مؤقت، واتسمت هذه المحاولات بالتميز ومهنية عالية نتج عنها - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى - استقرار حالة التوأم المروءة وعادت إلى وضعها الطبيعي. أما حالة التوأم الصفا فقد شهدت استقراراً منذ البداية مما دعاها إلى رفع أجهزة التنفس عنها بعد أيام، ثم أقبلت على الرضاعة وتناول الطعام دون مشكلات، وبعد ٣ أسابيع استقرت حالة التوأم المروءة وبذلت تناول الرضاعة عن طريق الأنابيب، وتلا ذلك استقرار تدريجي لحالتها فتنفس الفريق الطبي الصعداء، وعلت الابتسامة وجهي والديها.

الملك الإنسان يتتابع من المغرب

ومع الاستقرار الكامل للحالة سيرجي الفريق الطبي عملية تصحيحية للعيوب الخلقية خلال الأشهر القادمة إلى أن تعود بإذن الله مع أخيها والديها إلى دولة المملكة المغربية الشقيقة، ونتمنى أن يكون هذا النجاح بخاتماً للأمة العربية والإسلامية. الجدير بالذكر عند إجراء العملية كان رجل الوفاء والأبوية والإنسانية خادم الحرمين يقوم بزيارة رسمية لدولة المغرب، ورغم مشاغله إلا أنه تابع العملية وراقبها عن طريق وسائل الإعلام، وكعادته اتصل بالفريق الطبي مباركاً هذا النجاح، كما هنا والدي التوأم وأعضاء الفريق فأثلجت هذه المبادرة وهذه اللفتة الأبوية الحانية صدور الجميع. كما أجرىولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله اتصالاً مائلاً، وبهذين الاتصالين الكريمين يؤكد الملك وولي عهده الأمين أن قيادة هذا الوطن قيادة أبوية تدعم النجاح وتحرص بقوة على مساعدة الأطفال، وأنها تمثل رمزاً حقيقياً واضحاً للإنسانية في العالم أجمع.



الصفا بعد الخروج من العناية المركزة



عثرات بين المحابية والرياض

شوال ١٤٢٩هـ / أكتوبر ٢٠٠٨م



زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي الثاني

عثرات بين المحليّة والرياض

شوال ١٤٢٩هـ - أكتوبر ٢٠٠٨م

مؤشرات حمل مبكر

«وعد وصفاء» زوجان في مطلع العشرينيات من عمرهما، يعيشان في قرية صغيرة بمنطقة المحليّة التي تبعد حوالي ٦٠ كيلومتر عن مدينة الموصل بجمهورية العراق الشقيقة، جمعهما عش الزوجية في بيت متواضع في ظل ظروف مالية وأسرية صعبة، ومع ذلك فهمما يتطلعان دوماً ولا يفارقهما الأمل في أن يكشف الله سبحانه وتعالى كربة العراق ويحول مأساته إلى طمأنينة، وأن يحل السلام والرخاء محل الرصاص والقنابل والأشلاء والدماء، حتى تستقر حياتهما ويسعدا بالأمن في بيتهما أسرية واجتماعية آمنة ومتجانسة متحابة، وأن يخلو العراق من المنعطفات المصاحبة لحالات التناحر والتقاتل والتصفيات التي تعصف به.

ومع مرور الأيام كانا يتطلعان إلى أن يرزقهما الله طفلاً يملأ حياتهما سعادة رغم حالة الذعر العام وعدم الاستقرار التي أصبحت سمة غالبة على أهل البلد، وهما يدركان أن يبلغ درجات السعادة تكمن في أن ينجب الله عليهما بذرية صالحة، وشاء الله أن يستجيب لرغبتهمما، إذ بدأت صفاء بعد مدة تشعر بيارهاق وبعض الآلام الخفيفة وغثيان مصحوب بقيء في فترات الصباح؛ فطمأنتها والدتها ووالدة زوجها. بعد أن لاحظتا انتزعاجها. بأن هذه مؤشرات على وجود حمل. فرحت بهذه البشرى وإن لم يفارقاها القلق مع أول تجربة لها مع الحمل وتجهيل كل شيء عنها بسبب صغر سنها. ورغم حالات التعب والإرهاق؛ لم يتتسن لها مراجعة الأطباء لأن الأوضاع الصحية في العراق ما زالت مقتربة بالحالة السائدة التي تشير بوضوح إلى نقص واضح في الخدمات الصحية، كما أن الإمكانيات المتاحة منها مشتبه ومترقبة ولا تكاد تفي بمتطلبات الحالات الحرجة، والمعدات والتجهيزات الطبية رغم قلتها أصبحت قاصرة ومحصرة في المدن الكبيرة. احتملت صفاء هذه الأعراض التي تزايدت مع مرور أشهر الحمل الأولى. وما أن اتضحت علامات الحمل أكثر فأكثر حتى أحس « وعد » بأن مشاعر السعادة تملأ قلبه، وظل يترقب اليوم الذي تضع فيه زوجته ويحمل طفله بين يديه يداعبه ويلاعبه، وسأل الله أن يرزقه طفلاً ذكرًا يحمل اسمه ويساعده في المستقبل على تحمل أعباء المعيشة.

وعد يتلهّف لخبر سار

لم يبن « وعد وصفاء » حظاً من التعليم في مراحله المتقدمة ، وبقي مستواهما التعليمي محدوداً وقاصرًا على المراحل الأولى، وما ذلك إلا لأن الظروف التي ألمت بالعراق ، ومناخ الحرب وعدم الاستقرار قلل كثيراً من الفرص التعليمية، وأضعفا الرغبة في مواصلته. تقدمت صفاء في مراحل حملها، وتضخم بطنها وتکور بصورة كبيرة تبعاً لذلك، ولم يدر بخلدها ولا زوجها بأن هذا الحمل عبارة عن توأم ناهيك عن أن يخرج بعيوب خلقية أو أية مشكلات أخرى. وفي الأيام الأخيرة للحمل ازدادت حدة الألم لدى الزوجة، بينما ظروف الأسرة تبدو أكثر صعوبة، وعندما أحست باقتراب موعد الولادة، كان لا بد لهما من مراجعة أحد المستشفيات حيث أخذت حلاً لعملية ولادة قيصرية تحت ظروف اتسمت بصعوبة شديدة، وفي هذه الأثناء كان وعد ينتظر في لحظة وشغف متربقاً من يزف له البشري السعيدة، وما هي إلا لحظات حتى بُشرَ بولادة توأم من الذكور، ففرح فرحاً شديداً،



استقبال إباد وزباد في العناية المركزة العملية



وصول التوأم لمدينة الملك عبدالعزيز الطبية

وطغت على وجهه ملامح السعادة والسرور؛ غير أن هذه المشاعر لم تكتمل ولم تدم طويلاً؛ إذ جاءه ما لم يكن يتوقعه، نقلوا له خبراً صدمة وشكّل له مفاجأة كبيرة، فالطفلان ملتصقان ويحتاجان إلى عناية طبية فائقة، واستدعت الحالة نقل الأم وطفليها إلى مستشفى أكبر متخصص بالأطفال من أجل العناية بالطفلين خوفاً من أن يفقدا حياتهما. وبعد ذلك كان لزاماً على الزوج نقل هذه المعلومات إلى زوجته الصغيرة، فتيسر له لقاوها بعد أن أفاق من آلام الولادة وتاثير المخدر فنظر إليها وهو عاجز عن حبس دموعه المنحدرة بغزارة على خديه ولم يستطع إخفاءها عنها، فاستغربت الزوجة الصغيرة لبكائه، وتساءلت بينها وبين نفسها كيف له استقبال أول مولود له بهذه الدموع، وتأكد لها أنها ليست دموع فرح على الإطلاق، ساورتها الظنون والوسوس، وفسّرت بكاءه بالحزن على طفله الذي فقد حياته، ثم توسلت إلى زوجها وألحت عليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وما إذا أصاب ولدتها مكره؟! إلا أنه سارع إلى إخبارها بأنها ولدت طفلين وهما على قيد الحياة، فانتابها شعور بالفرح مشوب ببعض القلق، فظلت تنظر إليه بإشفاق لتعرف سرّ بكائه، فأكمل حديثه مبيناً لها أن الولدين ملتصقان، ويحتاجان إلى عناية طبية كبيرة، فقطعت حديثه بتنوبة بكاء شديدة، وأمسكت بيده تشدها إليها محاولة تقبيلها لعل ذلك يخفف عنها مشاعر الحزن والأسى التي سيطرت عليها في تلك اللحظة.. وكانت تلك أولى الصدمات في حياة هذين الزوجين الصغيرين، ومع ذلك فقد أمدّهما بإيمانهما في الله عز وجل في أن يستعيدا ثباتهما، وأن يشرق في نفسيهما الأمل في أن تنفرج هذه الكربة. هداً لقلهما وائز عاجهما من منطلق الثقة في الله سبحانه وتعالى، ويقيناً بأنه عز وجل سيفتح لهما طريقاً لمساعدة الطفلين، ويعينهما بقدرته على تجاوز هذه الحالة.

٤ كيلوجرامات فقط وزن التوأم

نقل هذان الطفلان البرئيان إلى مستشفى الأطفال بمدينة الموصل بمساعدة الأطباء الذين أشرفوا على ولادتهما، ومنحوهما قسطاً وافراً من اهتمامهم وعنايتهم، بل وبذلوا جهداً في مساعدة والديهما من الناحيتين النفسية والمعنوية، وقدّموا لهما رعاية كاملة من أجل تخفيف آلامهما ومصابهما. وإثر ذلك انطلقت رحلة « وعد وصفاء » في البحث عن مخرج بمساعدة فريق الأطباء الذي كان حريصاً على صحة التوأم التي كانت سيئة جداً، أولًا لأن وزن الطفلين سوياً لم يكن يتجاوز ٤ كيلوجرامات، وثانياً لأنهما يعانيان مشكلات في التنفس والتهابات متعددة وضعاً بسببها تحت العناية المركزة. وكان الفريق الطبي يدرك أن إمكانية فصل هذا التوأم في العراق غير ممكنة، مع وجود خطر على حياتهما إذا مكثاً في مستشفى الأطفال، لذا فقد شرع في البحث عن حل، وأثمرت جهوده الكبيرة التي بذلها لمساعدة هذين الطفلين اللذين اختار لهما والداهما اسميهما زياد وإياد. إذ استنصر رئيس الفريق الطبي زملاءه للبحث عن مراكز الخبرة المختصة، إلى أن عرف أن مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بالرياض خبرة غنية ومتراکمة وشهيرة في الجراحات السيمائية، ثم بدأ يبحث عن وسيلة اتصال بها، وبالفعل وبعد وقت ليس بالقصير اتصل بي أحد الأطباء العراقيين الذين يعملون في المملكة العربية السعودية طالباً الاستئذان في السماح له بتزويد رئيس الفريق الطبي العراقي برقم الاتصال بهذه المدينة الطبية العاصرة، وبعنوان الشبكة العنكبوتية للتوكام السيمائية، واستمر هذا الطبيب بالتواصل معنا عن طريق هذه الشبكة، وكان الرد عليه سريعاً جداً، فبعد أن وصلت المعلومات إلى المدينة؛ طلبنا منهم التقارير الطبية فأرسلوها إلينا خلال أيام معدودات.



الولدان يجتمعان مع الفريق الطبي قبل العملية



إياد وزياد في العناية المركزة

موافقة كريمة وتفاعل مباشر

وبعد أن أصبحت التقارير مع صور التوأم متاحة لدينا؛ تولى عرضها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، فوجه بقبول الحالة وعلاج التوأم إياد وزياد، وإحضارهما على وجه السرعة. كما تفاعل مع هذه الحالة ولدي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي وجه بدوره طائرة الإخلاء الطبي لاحضار التوأم. وبالفعل نقلت هذه البشري السارة إلى الطبيب المعالج بالعراق الدكتور أسامة المشهداني عبر اتصال هاتفي، فأعرب عن فرحة بهذه الاستجابة السريعة، ونقلها بنفسه إلى والدي التوأم فرحاً شديداً، غير أن هذه الفرحة اصطدمت بعقبة استخراج جوازات سفر للتوأم والديه؛ لأن استخراجها في ظل الظروف السياسية التي يعيشها العراق يستغرق وقتاً طويلاً جداً، فأخطر الملك عبد الله بهذه الصعوبات، وما أن أحاط بها - حفظه الله - حتى وجهني بأن أتولى الاتصال بمحافظة المدينة وبالجهات الرسمية في العراق لاستخراج هذه الأوراق الرسمية على عجل حفاظاً على صحة التوأم، وبالفعل أتمرت الاتصالات واستخرجت الجوازات وأزيلت كل العقبات والعوائق التي تحول دون وصول التوأم إلى المملكة العربية السعودية، وغادرت طائرة الإخلاء الطبي على متنها فريق طبي بكامل تجهيزاته، وهبطت رغم المخاطر في مطار مدينة أربيل حيث نقل التوأم بصحبة فريقنا الطبي وآخر من العراق الشقيق إلى مدينة الرياض ثم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية في أوائل أبريل ٢٠٠٨ م حيث كان في استقباله فريق طبي متخصص تولى العناية بالتوأم الذي كانت حالته الصحية حرجة جداً. وفور نقل الطفلين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال، وُضعا تحت مراقبة دقيقة وأخذضا لأجهزة التنفس الاصطناعي لعدة أيام بسبب معاناتهم من مشكلات في التنفس الطبيعي إضافة إلى التهاب بكتيري ما دفع الأطباء إلى تزويدهما بالمضادات الحيوية، واستغرقت هذه العملية حوالي ثلاثة أسابيع إلى أن استقرت الحالة. وأعقب ذلك تشكيل فريق طبي متكمال للاهتمام بهما وإجراء الفحوصات الطبية الالزمة لهما، ثم تشكل الفريق الطبي





المنظار

مرحلة التخدير

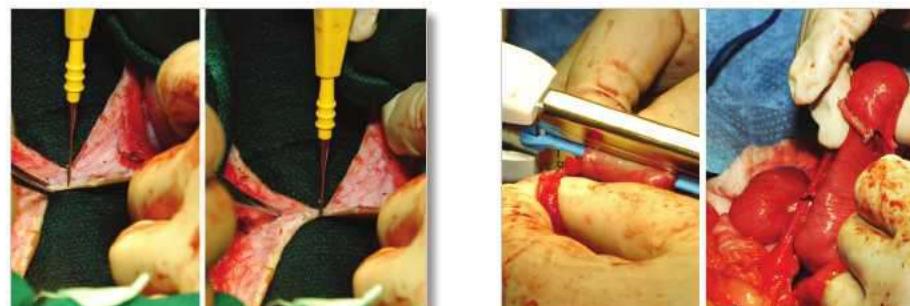
الذي ضم أكثر من ٧٠ مختصاً يمثلون كافة التخصصات من أقسام: جراحة الأطفال، والتخدير، والأطفال، وجراحة التجميل، والتمريض، والأشعة، والمخبر، والعلاج الطبيعي، والعلاج التنفسى، والصيدلة، والخدمات الاجتماعية، وعلاقات المرضى بجانب أقسام أخرى متعددة شاركت جميعاً في الاهتمام بهذا التوأم الذي كان يعاني مشكلات طبية كثيرة.

انتكاسة ثم تفاؤل

وبالفعل عقد الفريق الطبي سلسلة اجتماعات وجلسات، وأجرى فحوصات عديدة لدراسة حالة التوأم، وبينما كان الفريق الطبي يواصل مهماته هذه؛ انتكست حالة التوأم مرة أخرى، فاضطررنا إلى وضعه تحت العلاج التنفسى الاصطناعي لأسابيع إضافية قليلة نظراً لوجود التهاب في الجهاز التنفسى، وأخر بكثيرى في الدم. وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى ثم بخبرة الفريق الطبي؛ شهدت الحالة الصحية للتوأم تحسناً ارتفعت معه درجة التفاؤل لدى الفريق الطبي .. وفي هذه الأثناء أظهرت نتائج الفحوصات الطبية التصاق التوأم في منطقتي الصدر والبطن مع اشتباه في وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة ابتداءً من منطقة الإثنى عشر، واشتباه بوجود اشتراك في البنكرياس والقنوات المرارية إضافة إلى عدم اكتمال جدار البطن السُّفلي. وما أن ظهرت نتائج هذه الفحوصات؛ حتى توحد رأي الفريق الطبي على إمكانية الفصل إذا استقرت حالة التوأم ووصل إلى الوزن المناسب، إذ كان وزنه في ذلك الوقت لا يتجاوز ٤ كيلوجرامات ونصف الجرام، ولذلك خصصنا برنامجاً مكثفاً لتغذيته ومراقبته مراقبة لصيقة، وشاركت أقسام الأطفال والعنایة المركزة والتغذية والتأهيل وأقسام أخرى متعددة في وضع برنامج مركز لرفع وزنه عن طريق التغذية المناسبة، واستغرقت هذه المرحلة حوالي ٤ أشهر إلى أن بلغ وزنه مجتمعماً ما يقارب ٨ كيلوجرامات. وخلال هذه الأشهر عقدنا عدة اجتماعات لهذا الفريق ذي التخصصات المتعددة، ثم أضيفت له بعض التخصصات الدقيقة للتأكد من سلامة الطفلين بعد أن أظهرت الفحوصات معاناتهم من مشكلة في ثروة القصبة الهوائيةخصوصاً لدى التوأم إياد الذي كان بحاجة إلى أكسجين وتأهيل تنفسى.

٣٥٪ نسبة الخطورة

باتكمال الفحوصات والدراسة المتكاملة اتفق أعضاء الفريق الطبي على أن إمكانية الفصل واردة، وحددوا على ضوء ذلك نسبة الخطورة التي رأوا أنها تصل إلى حوالي ٣٥٪، أي أن نسبة نجاح عملية الفصل تبلغ ٦٥٪، ومع هذه النسبة وموافقة الفريق الطبي على إجراء العملية استدعينا والدي التوأم وشرحنا لهم كافة تفاصيل الفحوصات الطبية ومخاطر العملية وحجمها ومدتها وما إلى ذلك. وبعد إلمامهما بهذه التفاصيل أعربا عن ثقتهم الكاملة في الله سبحانه وتعالى، ثم في الفريق الطبي وأبديا موافقتهما على استمرار الفحوصات الطبية وعلى إجراء العملية الجراحية نفسها.. وبناءً على ذلك حددنا موعداً مبدئياً للعملية؛ إلا أن حالة التوأم إياد ساءت وأصابه التهاب وضيق في التنفس مما اضطررنا إلى وضعه تحت التنفس الاصطناعي، ولحقه بعد عدة أيام التوأم زياد الذي وضع بدوره تحت العلاج التنفسى لما يقارب ١٠ أيام، ورغم استقرار حالة التوأم إلا أن الفريق الطبي آثر الانتظار لمدة

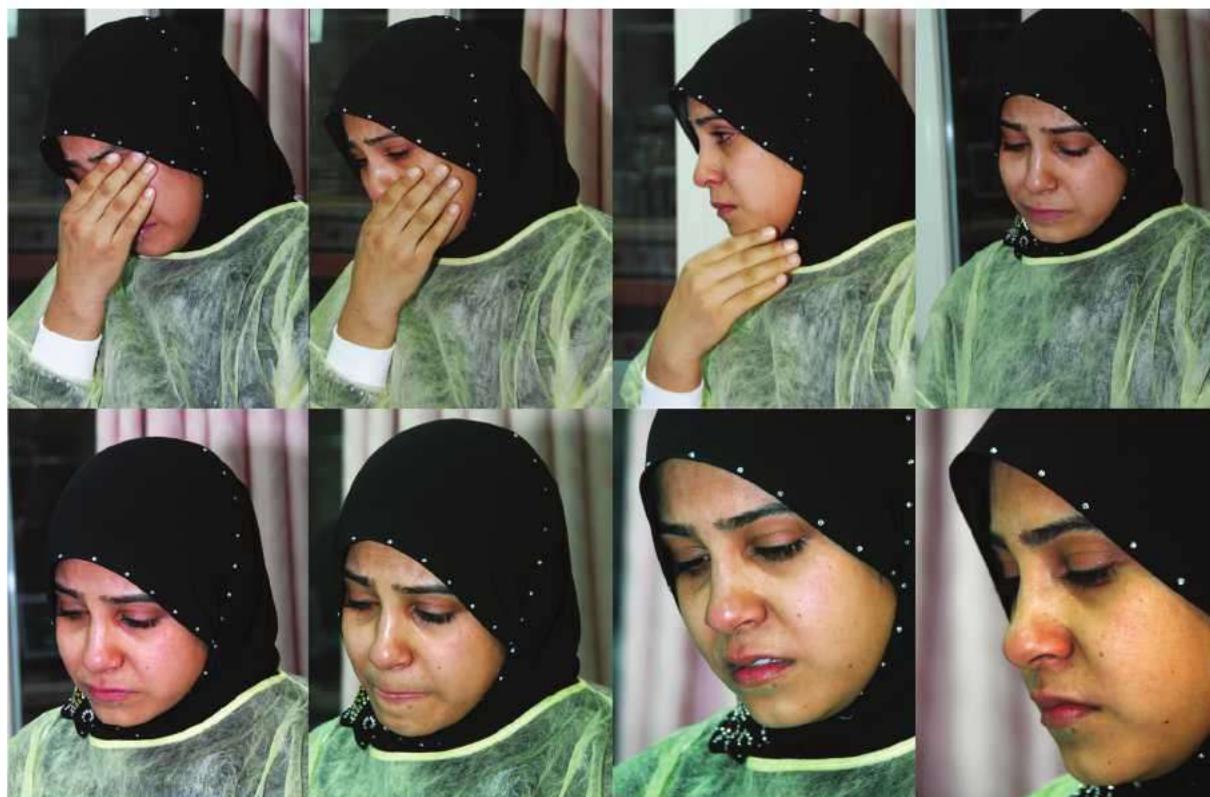


مرحلة فصل التوأم

مرحلة فصل الأمعاء

٤ أو ٥ أسابيع أملأ في مزيد من الاستقرار، وفي نهاية هذه المدة قرر الفريق الطبي في مجتمعه قبل الأخير إجراء عملية الفصل يوم السبت ٢٥ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨ م على أن تسبقها عملية وهمية تجريبية في يوم ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨ م .. وأتبع ذلك بوضع خطة جراحية من ٨ مراحل وتوقع مدة ١٥ ساعة لإكمال جميع مراحل هذه العملية الطويلة والمعقدة، وأعاد التأكيد على أن نسبة العملية هي ٦٥٪، ثم استدعايا والدي التوأم بعرض إطلاعهم على تفاصيل الحالة ومراحل العملية، فعبرَا دون تحفظ على هذه النتائج ووافقا على إجرائها.

وفي يوم الأربعاء ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨ م التقى الفريق الطبي في مجتمعه الأخير بغرفة العمليات لإجراء العملية التجريبية الوهمية، وعرضت الخطة الجراحية مكتوبة، ثم وزّعت على أعضاء الفريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٣٠ عضواً من تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير وجراحة التجميل والتجميل والفنين وفني التخدير وغيرهم من الذين طلبت هذه العملية المهمة مشاركتهم. ونوقشت خلال هذا الاجتماع كل مراحل العملية والتجهيزات الخاصة بغرفة العمليات، وأحضر الطفلان إياد وزياد والديهما وشرح لهما جميع هذه الخطوات، ثم حددت منطقة العملية ووضع التوأم على طاولة العمليات، وتأكد أعضاء الفريق من اكتمال كافة الإجراءات الالزمة لعملية الفصل.





مرحلة الترميم



مرحلة ما بعد الفصل

صفاء باكية ووعد حائر

وفي يوم السبت الموافق ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٨ نقل التوأم إلى غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحاً، والتقيينا بوالديه مرة أخرى خارجها، وأعدنا لهما شرح مراحل العملية بصورة مبسطة للمرة الأخيرة، وطلبنا منهم طرح أية أسئلة يرونها في هذا الخصوص، واختلط هذا اللقاء بمشاعر الأمومة والأبوة ولذلك لم يطرحا سوى قليل من الأسئلة، واغرورقت عينا الأم بالدموع وهي تودع طفليها؛ بينما كان والدهما حائراً عاجزاً عن طرح أي سؤال، بل اكتفى بنظرات تائهة فيها عمق ربما يفسر في تلك اللحظة بأنه يلتجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويدعوه بأن يوفق أعضاء الفريق، ويكلل الجراحة بالنجاح الكامل لفرح بشفاء ابنيه. وبعد هذا اللقاء المشحون بالمشاعر العاطفية وداع الآب والأم طفليهما بالقبلات قبل نقلهما إلى غرفة العمليات حيث استهلت أولى المراحل بالتخدير مصحوباً بإجراء منظار للجهاز التنفسى للتتأكد ما إذا كانت به عيوب خلقية، وبالفعل ظهر وجودها في القصبة الهوائية لدى التوأم إياذ فاتضح لنا عدم اكتمال ثبوته هذه القصبة وكذلك الحجرة. وعقب ذلك أدخلت الأنابيب والقساطر واستغرقت هذه المرحلة حوالي الساعتين، تلاها تعقيم التوأم كاملاً في منطقة العملية، ثم تغطيته بالفوتو الجراحية، وبدأنا عملنا كالعادة بسم الله وعلى بركة الله، وتواترت مراحل العملية التي استهلت بفتح الجراح وفتح منطقة الصدر، وكان هناك اشتراك في أغشية القلب كما توقعنا واكتمل فصله دون أي معوقات، كما وجد اشتراك كبير في الكبد وقنوات الكبد والبنكرياس والأمعاء الدقيقة مبتدئاً من الإثنى عشر ومتقدماً لمسافة متر، إضافة إلى اشتراك في الأوعية الدموية، ولهذا عكف الفريق الطبي على إجراء دراسة تفصيلية للمناطق المشتركة قام بعدها بفصل الكبد باستخدام تقنية حديثة، وتلا ذلك فصل قنوات الكبد والبنكرياس والإثنى عشر والأمعاء الدقيقة، ونجحت جميع هذه المراحل بسبب خبرة الفريق الطبي الطويلة التي أسهمت بصورة واضحة في اختزال مدة العملية إلى ثلث ساعات، وفي تقليل كمية الدم المفقود إلى حد كبير، ونستطيع القول إن هذه الكمية المفقودة من الدم لا تمثل شيئاً إذا ما قورنت بحجم هذه العملية المقددة، وكان هذا مؤشرًا واضحًا على اتساع خبرة الفريق والله الحمد، وعقب ذلك بدأت مرحلة فصل من الخلف لجداري الصدر والبطن، وبعد سبع ساعات من بداية العملية بدأ العد التنازلي، وكانت تلك اللحظات مؤثرة جداً؛ لاسيما الثوانى الخمس الأخيرة التي سبقت فصل جسدي الطفلين عن بعضهما، وذلك لأن العملية كانت منقولة حية على شبكة التلفاز الداخلية، ووالدا التوأم يتبعان ويراقبان عمل الفريق بقدر كبير من الشفقة والخوف، وباكتمال عملية الفصل طفت على كل الوجوه مشاعر فرحة عارمة وعلا التصفيق من الجميع خصوصاً والدي التوأم بعد أن شاهدا طفليهما لأول مرة وهما غير ملتصقين، وكل واحد منهمما على سرير مستقل.

تأهيل وترميم

استغرقت المرحلة الأخيرة من العملية حوالي ٤ ساعات ونصف الساعة، وهي مرحلة تأهيل الأعضاء، وإعادة ترميم الأمعاء وقنوات الكبد ثم تغطية الجراح .. وبنجاحها غمرت الفرحة أعضاء الفريق الطبي، واكتملت مراحل هذه الجراحة بالتقاط صورة تذكارية توثق لهذا الحدث الكبير، ونقل الطفلان على سريرين منفصلين إلى خارج غرفة العمليات في طريقهما إلى قسم العناية



بعد الانتهاء من العملية



مرحلة الخياطة النهاية وإغلاق الجرح

المركزة، وعند خروجنا جميعاً استقبلنا والد التوأم الذي أكبَّ عليَّ يعانقني بحرارة، بينما اختلط لدى زوجته إحساس الفرح بقليل من الاضطراب ولاحظنا أنها تسكب دموعها بغزارة، وكانت متربدة في محاولة تقبيل رأسي ووقفت للحظة حائرة ربما كانت تسائل نفسها ماذا تفعل لتعبر عن شكرها؟ وحين صدق حديثها لنفسها، حاولت الابتعاد عنها، ولكنها استطاعت الإمساك بيدي وتقبيلها، ولم أجد بدأً من أتيح لها فرصة التعبير عن نفسها عبر هذه الأسلوب المتبع في بلدان كثيرة، لم أمنعها لأنها كانت في وضع نفسي بالغ التأثير، وبالفعل لماً لم أستطع مقاومة تلك الشجون التي غلبتني حينها، تركتها تقبل يدي للحظة مجاملة لها ثم سحبتها بسرعة كبيرة. توقفت للحظة تطالع طفليها فطمأنتها بنجاح العملية وسلمتهمما، ورغم عدم رغبتي في محاولات آباء كثير من التوائم لتقبيل رأسي ويدى؛ إلا أنني وأعضاء الفريق الطبي رأينا أن من الواجب أن نتركهم يعبرون عن هذه اللحظات المشحونة بمشاعر الفرحة، لأننا بذلك نشاركم ونقاسمهم هذه الأحساس. نقلنا التوأم إلى غرفة العناية المركزية ووضعناهما على الفور تحت مراقبة لصيقة بإشراف ومتابعة الفريق المؤهل في قسم العناية المركزية، ثم بدأت بعد ذلك مرحلة الإفاقة والتأهيل. وبعد أيام بدأت حالة التوأم تشهد استقراراً تدريجياً، ورفعت أجهزة التنفس الاصطناعي عن التوأم زياد بعد ثلاثة أيام من عملية الفصل؛ بينما ظل التوأم إياد الذي كان يعاني من عيوب خلقية في القصبة الهوائية تحت التنفس الاصطناعي لمدة عشرة أيام تقريباً، وأقبل التوأم زياد على الرضاعة الطبيعية بصورة تدريجية، ورفعت عنه بعض القساطر نظراً لاستقرار حالته.

زيارة مفاجئة

وفي مساء اليوم العاشر من عملية الفصل استقبلتُ اتصالاً كريماً يفيد بأن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بعواطفه الأبوية الدافقة وبمحنانه المعهود قرر زيارة التوأم السيامي وهو في طريق عودته من مزرعته بالجنادرية، وكانت هذه زيارة مفاجئة، ولأن مدة وصوله لا تتجاوز العشرين دقيقة؛ لم يكن أمامنا وقتاً كافياً لإعداد العدة لهذه الزيارة الكريمة؛ فأسرعت وأنا وزملائي المتواجدين في ذلك المساء إلى غرفة العناية المركزية، وحسن الحظ وجدها والدي التوأم وبعض أعضاء الفريق الطبي هناك، وكانت مفاجأة أبوية كبيرة حيث دخل - حفظه الله - دون مرافقين، فهنا والدي التوأم واطمأن على صحة طفليهما، وداعب التوأم زياد الذي سبق أن أفاق تماماً من آثار العملية، ثم طمأن الآبوين بأن العناية بطفليهما مستتو اصل وتزداد، وسيعودان بإذن الله إلى بلددهما العراق وهما في أتم صحة وعافية. كما هنا الفريق الطبي الإنجاز مشيراً حفظه الله إلى أن هذا الإنجاز سيكون مشرقاً للعالم العربي والإسلامي أجمع، ثم غادر الوالد القائد غرفة العناية المركزية بعد أن أمضى مدة خمس دقائق تقريباً مع والدي التوأم. وجسدت هذه الزيارة المفاجئة الطيبة والكريمة مدى ما يكتُنُ الملك الإنسان للأطفال من محبة وحنان وعطف وعطاء، وأكّدت أن ارتباطه بأبنائه التوائم السيامية ارتباط ينافي عن السياسة، ولا يتعلّق بأي دوافع غير عاطفته الأبوية الحالصة والصادقة، وأحساسيه الإنسانية نحو الجميع دون اعتبار جنس أو لون أو مذهب أو عقيدة.



فرحة النجاح وعنق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي



الخروج من العمليات

وحتى هذه المرحلة التي يجري فيها الإعداد لطباعة هذا الكتاب تمهدًا لإصداره فإن حالة التوأم زياد وإياد تبدو مستقرة جدًا، ووصلًا إلى درجة الإفادة الكاملة، ولا تواجههما الآن أي مشكلات تذكر، ويتوقع مغادرتهما الغرفة العناية المركزية بعد أسبوع من تاريخ كتابة هذا الفصل... ونمني أن يعودا إلى العراق الوطن العربي الشقيق بصحة وعافية، مع طموحاتنا العريضة وأمالنا الكبيرة في أن يكون انفراج مشكلة إياد وزياد هذين الطفلين البريطانيين وشفاؤهما؛ انفراج كامل لأزمة العراق، وأن يتلئم جسده المثخن بجرحات غائرة نازفة، وأن يعود إلى الأسرة العربية كما كان وطنًا عربيًا مسلماً شامخاً معافي بمشيئة الله سبحانه وتعالى.



فرحة النجاح وعنق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي

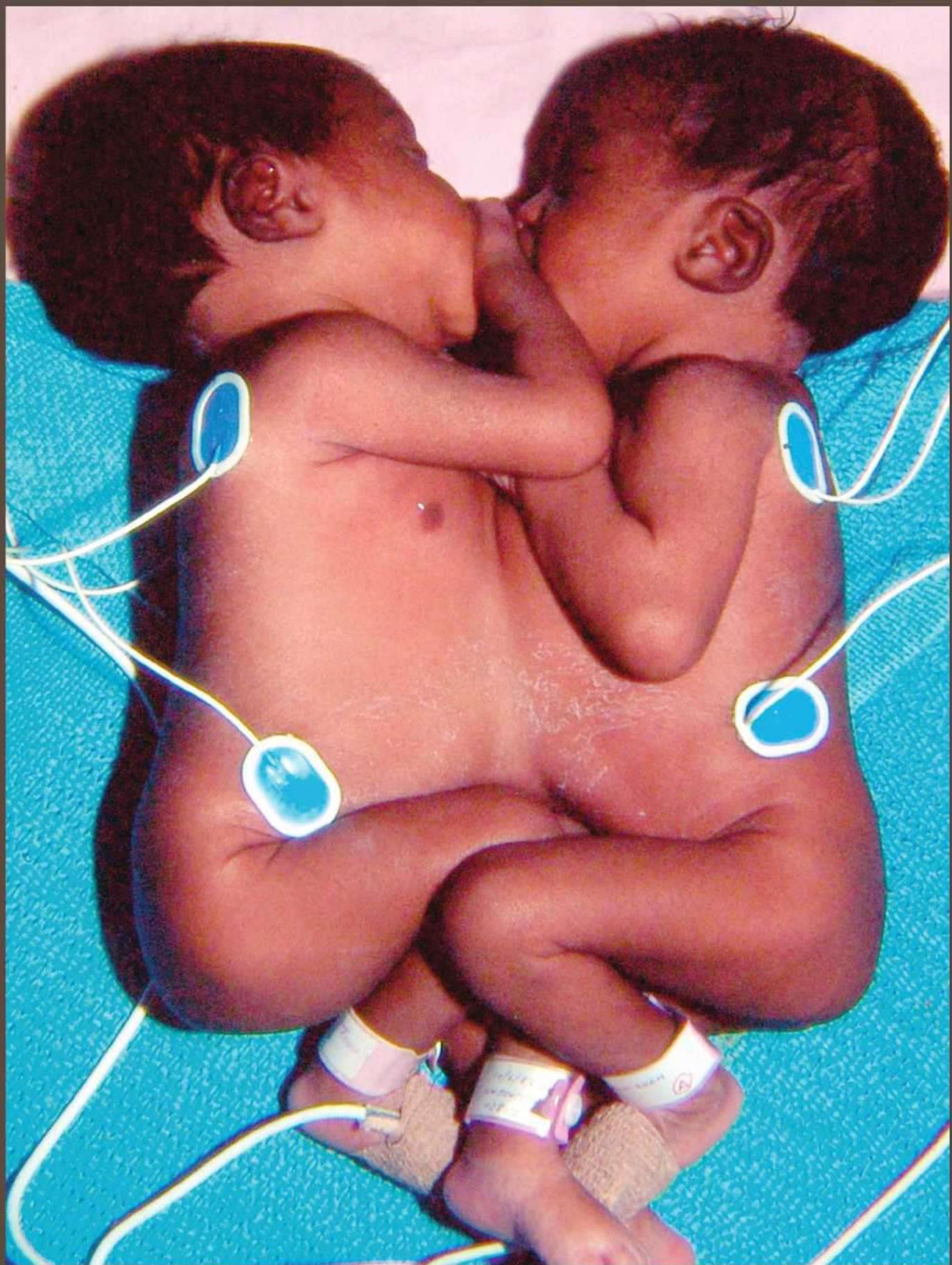




الفصل الثاني

التوائم السيامية

تعريفها . أسبابها . نسب حدوثها . أنواعها



التوائم السيامية

تعريفها . أسبابها . نسب حدوثها . أنواعها

تعريف التوائم السيامية:

هي توائم تنشأ من بوبيضة ومشيمة واحدة، وتعد متشابهة ومتطابقة لم يكتمل انفصالها، وتولد متصلة في منطقة أو أكثر من الجسد. وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية، يعني أن كل توأم يستطيع التبرع للأخر بالدم والأعضاء دون حاجة إلى أدوية مناعة، ويقبلها ذاك دون رفض. أما الصفة الملتخصة بهذا النوع من التوائم وهي مفردة (سيامية)؛ فهي نسبة إلى (سيام) الاسم القديم لайлاند حيث اشتهر التوأم: (إنج وبتشانج بنكر).

أسباب حدوث الظاهرة:

الأسباب العلمية للالتصاق غير معروفة؛ ذلك أن التوائم المتطابقة تنشأ ملتخصة ثم يبدأ الانفصال بين الأسبوعين الثاني والرابع من الحمل؛ ولكن في حالات نادرة لا يكتمل الانفصال في جزء أو أكثر من الجسم؛ فيؤدي ذلك إلى حدوث التوائم الملتخصة (السيامية). وهناك العديد من النظريات التي ابنت لتفسير هذه الظاهرة، غير أن أكثرها قبولاً يحصر الظاهرة في:

١ - عدم اكتمال الانفصال لأن التوأم المتطابق (الذى يتكون من بوبيضة واحدة) لا يكتمل انفصاله إما لنقص في الدورة الدموية أو لأسباب جينية.

٢ - نقص الهرمونات التي تحكم في عملية فصل التوائم المتطابقة، ويعتقد معظم الباحثين أنها من مواد البروستاقلاندين.

٣ - إعادة الالتصاق بعد الانفصال، أي أن التوأم المتطابق انفصل ثم التصق مرة أخرى. (غير أن هذا التفسير ليس له حظ من القبول لدى المختصين).

نسبة حدوث الظاهرة:

تعتبر ظاهرة التوائم الملتخصة نادرة الحدوث، ولا بد لي هنا من طمأنة الأمهات ونصحهن بعدم القلق والخوف عندما يحملن بتوأم؛ لأن نسبة حدوث التوائم الملتخصة قليلة جداً، ولا تتعذر نسبتها حالة واحدة لكل ٢٠٠,٠٠٠ ولادة في العالم الغربي، وحالة واحدة أيضاً إلى كل ١٤٠٠٠ ولادة في أفريقيا.

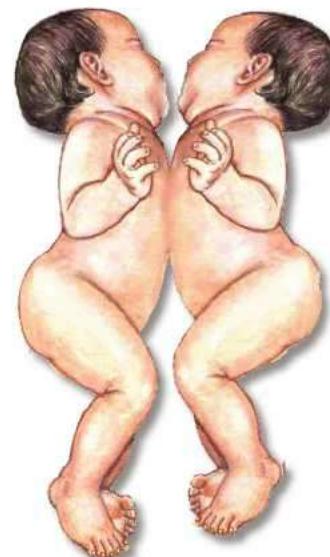
ويجدر بي أن أشير هنا إلى أن نسبة ٦٠٪ من التوائم السيامية تولد ميتة، كما يُتوفى حوالي ٤٠٪ من المتبقين خلال الأسابيع الأربع الأولى من الولادة. وخلاصة القول: إن نسبة من يعيش من التوائم السيامية لا يتجاوز الخمس، ولوحظ أن ٧٠٪ من تلك التي تستمر في الحياة بمشيئة الله تكون من الإناث.



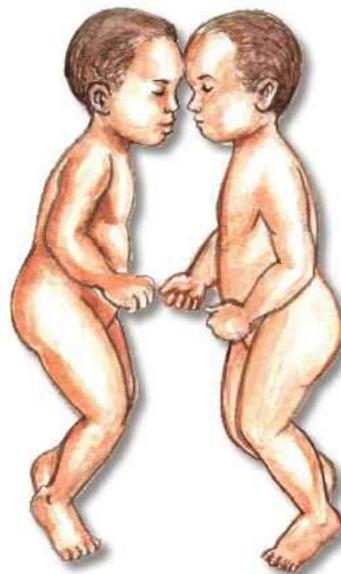
PARAPAGUS
الإتصاق بالجنب



OMPHALOPAGUS
الإتصاق بالبطن



THORACOPAGUS
الإتصاق بالصدر



PARAPAGUS
الإتصاق بالرأس



ISCHIOPAGUS
الإتصاق بالحوض



PYOPAGUS
الإتصاق بالورك



توأم بجسدين ملتصقين



توأم طفيلي ملتصق بالبطن

أنواع التوائم السيمامية:

تقسم التوائم السيمامية إلى فئتين عامتين هما: الطفيلية والمكتملة، ونجمل هنا تفاصيل الفتنتين:

١ - التوائم الطفيلية:

هي التي يكون فيها أحد التوائم مكتملاً والآخر مجرد جزء من جسد يفتقد مقومات الحياة، وبعد متطفلًا على أخيه ومن هنا جاءت هذه التسمية. ويختلف العلماء في إطلاق صفة (سيامي) على هذا النوع؛ لأن أعضاء الحياة موجودة فقط في أحدهما، أما الآخر فأعضاؤه لا تقوم معها الحياة.

وتقسم التوائم السيمامية حسب موقع الجزء الملتصق، ويشمل هذا التصنيف:

- التوأم الطفيلي الملتصق بالرأس.
- التوأم الطفيلي الملتصق بالبطن.
- التوأم الطفيلي الملتصق بالأطراف السفلية.
- التوأم الطفيلي داخل البطن (طفل متطفل داخل طفل).

٢ - التوائم المكتملة:

وتقسم هذه الفتنة حسب موقع الاتصال بين الجسدين وعدد الأطراف السفلية، ولعلنا نستعرض هنا أنواع اتصال الجسد ونسبة حدوثها:

- الاتصال بالصدر: وهو الأكثر حدوثاً بحسب تراوح بين ٤٠ - ٥٠٪، ويقتصر الاشتراك في هذا النوع عادة على عظام الصدر والقلب والكبد والرئتين.
- الاتصال بالبطن: ويحتل المرتبة الثانية، وتتراوح نسبة حدوثه بين ٣٥ - ٣٠٪، وقد تشارك في هذا النوع الأعضاء مثل: الكبد، والأمعاء، والقولون، والجهاز البولي، والتناسلي.
- الاتصال بالورك: ويحدث بنسبة تقارب ١٨٪، ويكون الاشتراك عادة بالخوض والعمود الفقري والجهاز البولي والتناسلي وفتحة الشرج.
- الاتصال بالخوض: ويحدث بنسبة تقارب ٦٪، ويشارك التوأم بالخوض والجهاز البولي والتناسلي والقولون وفتحة الشرج.
- الاتصال بالرأس: وهو أقل أنواع حدوثاً ولا تتعدي نسبته ٢٪، وقد يكون الاتصال في هذه الحالة بجلدة الرأس أو عظمة الرأس، وقد يصل إلى أغشية المخ أو المخ نفسه، وهذا أسوأ أنواع الاتصال بالرأس.



توأم طفيلي بالرأس



توأم طفيلي سفلي

٣- التوائم المتصلة بالأطراف السفلية: وتنقسم هذه إلى ثلاثة أنواع هي:

- ١- التوأم الملتصق بطرفين سفليين (Bipus) أي طرف سفلي لكل توأم.
- ٢- التوأم الملتصق بثلاثة أطراف سفلية (Tripus) أي طرف سفلي لكل توأم وثالث مشترك بينهما.
- ٣- التوأم الملتصق بأربعة أطراف (Tetrapus) سفلية أي طرفين سفليين لكل توأم.

التوائم السيامية في عالم الحيوان:

ظاهرة التوائم السيامية ليست قاصرة على الإنسان وحده؛ بل تجدها أيضاً في النباتات، ولستنا على علم بما إذا كانت ظاهرة التوائم المتصلة في النبات هي نفس مانراه في الإنسان؟ أم أنها تخضع لعوامل أخرى؟

هذا وقد سُجلت ظاهرة التوائم المكتملة والطفيلية لدى الحيوانات، وهي تتشابه مع ما يحدث في الإنسان، فقد سُجلت في عدد من الحيوانات، ووُثّقت علمياً، ويتوقع أن تكون أكثر حدوثاً في الحيوان منها في الإنسان؛ نظراً لأن التوائم تشاهد بكثرة في بعضها، ولكن الواقع يؤكد غير ذلك. ولعل الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة غير معروفة، ولكن من الناحية النظرية ربما تكون هذه التوائم المتطابقة (أي التي تنشأ من بوبيضة واحدة) أقل في الإنسان منها في الحيوان، أو أن نسبة الإجهاض أكثر في الحيوان منها في الإنسان. وتتضمن قائمة الحيوانات التي سُجلت فيها ظاهرة التوائم السيامية: الخيل، الأبقار، الخراف، الماعز، القطط، الشعابين.



توأم طفيلي متصل بالبطن

التوائم السيامية: تعريفها، أسبابها، نسب حدوثها، أنواعها



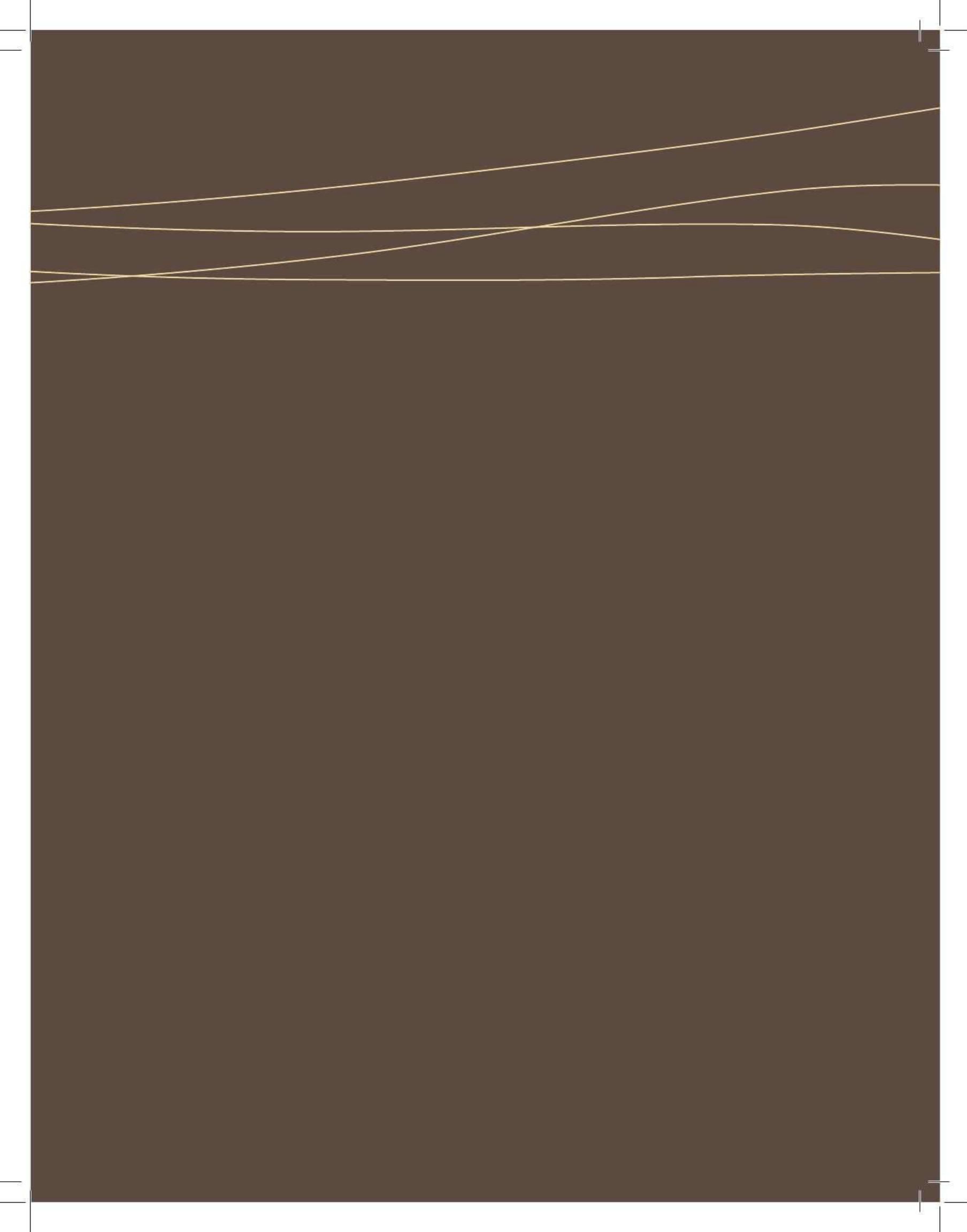
توأم سلحفاة متضمة من الحوض



ثعبان متضمن بالرأس



حيوانات ميامية





الفصل الثالث

أشهر التوائم السيامية

في التاريخ



أشهر التوائم السيامية في التاريخ

تكشف مراجعة المصادر وجود تباين كبير في توثيق ظاهرة التوائم السيامية في العالم الغربي، وسنعرض هنا فقط لما نشر في المجالات العلمية، مع تركيز اختيارتنا على ما كان له شهرة سواء في الجانب العلمي أو الجانب الاجتماعي، أو ما أثار منها جدلاً أو ارتبط بטרفة.

وثقت بعض النقوش والرسومات الحجرية القديمة لظاهرة، فقد أظهرت اكتشافات بعض علماء الآثار في عدة دول مجموعة رسوم لتوائم سيامية بجسد واحد ورأسين في عهود ترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد. ومن المؤكد أن تاريخ الظاهرة في العالم الغربي كان ملفتاً للنظر؛ بل ولحقت به ترهات وأوهام وخرافات أخرى جرت عقل الإنسان عن حكمته، وفصلت إحساسه عن فطرته، كانت النظرة إلى هذه الظاهرة الخلائقية - آنذاك - مؤللة في كثير من الأحيان ومتعارضة مع الجبلة السليمة، فقد اعتُبرت - كما أشرنا في التمهيد - نوعاً من أنواع الجن، وأدخلها بعضهم في عالم الغرائب المتواحشة مما دفع بعضهم إلى عزل هذه الحالات ونفيها بعيداً عن المجتمع؛ بل وجعلت منها بعض المجتمعات البدائية إفكًا للآلهة تُعبد مثل مثل غيرها من آلهة ذلك الزمان، واعتبرتها مجتمعات أخرى عالمة على سوء الطالع. أما أولئك الذين قتلوا قلوبهم بالشره والطمع ويسيل لعابهم للمال؛ فقد وظفوا ظاهرة التوائم لإشعاع طموحاتهم المالية والاجتماعية، فاستفادوا منها في تحقيق الشهرة وكسب المال عن طريق استغلال هؤلاء المساكين في عروض متقللة أشبه بعروض السيرك، ووجد فيها فريق آخر وسيلة ناجحة وفعالة في التسول واستعطاف مجتمعاتهم ..

ونورد هنا بعض الأمثلة والنماذج الشهيرة لتوائم خلّدها التاريخ، ثم نتطرق بعد ذلك بياجاز لبعض أنواع عملياتها الجراحية في التاريخ القديم والحديث:

أولاً: توائم شهيرة في تاريخ الغرب

• خادمتا بدندن: (١١٠٠ - ١١٣٤) مـاي وأليزا تشاكل هرست تُعتبران أول توأم ملتصق في التاريخ المكتوب باللغة الإنجليزية، ولدتتا بمدينة (كنت) عام ١١٠٠ مـ، واشتهرتا بـ: خادمتـي بـدنـدن (Biddenden Maids)، وكان التصاقـهما في منطقة الورك والخوضـ، وعندما بلـغـتا ٣٤ عامـاً من العـمر توفـيتـ إـحدـاهـماـ، وفـورـ وفـاتهاـ عـرضـ أحدـ الأـطـباءـ عـلـىـ توـأـمـتهاـ الحـيـةـ إـجـراءـ جـراـحةـ لـالفـصـلـ؛ـ وـلـكـنـهاـ رـفـضـتـ وـقـالتـ:ـ «ـأـتـيـناـ لـلـحـيـةـ مـعـاـ وـسـنـغـادـرـ مـعـاـ»ـ،ـ وـبـالـفـعلـ شـاءـ اللهـ أـنـ تـوـفـىـ بـعـدـ سـاعـاتـ مـنـ أـخـتـهـاـ.ـ وـبـعـدـ وـفـاتـهـماـ خـصـصـتـ الـكـيـسـةـ أـرـضاـ عـلـىـ مـسـاحـةـ ٢٠ـ فـدـانـاـ لـاـسـتـشـمارـهـاـ فـيـ إـحـيـاءـ ذـكـرـاهـمـاـ،ـ وـقـرـرـتـ كـذـلـكـ تـوـزـيعـ كـعـكـةـ عـلـىـ فـقـرـاءـ مـدـيـنـةـ (ـكـنـتـ)ـ سـنـوـيـاـ فـيـ عـيـدـ الـفـصـلـ تـحـمـلـ نـقـشـاـ لـصـورـهـمـاـ..ـ وـمـازـالـ هـذـاـ الـاحـتـفالـ أـوـ التـقـلـيدـ مـسـتـمـرـاـ حـتـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ.



الأخوان بنكر في شبابهما



الأخوان بنكر

• التوأم الأسكتلندي: (١٤٩٠ م)

ولد التوأم الأسكتلندي في مدينة جلاسكو عام ١٤٩٠ م، وكانا يشتراكان في منطقة البطن والخوض والأطراف السفلية، ولقد عرضا على محكمة الملك جيمس الرابع بأسكتلندا التي أصدرت حكمًا يقضى بالاهتمام بهما وتعليمهما بعنایة. ولوحظ عليهم شده ذكائهما ونباهتهما وحيهما لعلم اللغات والموسيقى، وتميزاً بمهارة في العزف على أجهزة مختلفة، واشتهرَا بسرعتهما في نقل الأنامل على مفاتيح الآلات، كما كانوا يتحدىان عددًا من اللغات بإتقان شديد أثار دهشة معاصريهما، وإعجاب العاملين في دوائر العلوم والمعارف، وضمت قائمة هذه اللغات التي يجيدانها: الإنجليزية والإيرلندية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والاسبانية والدنهاركية.

• التوأم السيامي بنكر: (١٨١١ - ١٨٧٤ م)

يُعد إنج وتشانج بنكر من أشهر التوائم المتتصقة التي نقلتها لنا سجلات التاريخ قديمه وحديثه، ولدوا عام ١٨١١ م في سiam (الاسم القديم لـ تايلاند)، وكانتا متتصقين في أسفل الصدر والبطن فقط ، والتتصق بهما مصطلح (التوائم السيامية) ارتباطاً بموطنهما (سيام). نُقلَا عام ١٨٢٩ م إلى الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الكابتن إيل كوفن بعد أن أغري والدتهما بمبلغ من المال، وبعد أن حظي كذلك بموافقة ملك سiam . وفي أمريكا استغلَا في عروض السيرك جلب المال الذي تدفق على مديرى العروض بسبب إقبال الناس على رؤيتهم بداعف الفضول نظراً لغرابة شكلهما، ولندرة الظاهرة نفسها. وما أن أكملاً عدة شهور في أمريكا حتى نُقلَا إلى المملكة المتحدة حيث قدما عروضاً للأسرة المالكة، وأثناء وجودهما هناك سُنحت لبعض الأطباء فرصة فحصهما لمعرفة إمكانية فصلهما، إلا أن الأطباء قرروا - اعتماداً على نتائج الفحص - استحالة ذلك. وبعد فترة حاول صاحبهما السفر بهما إلى فرنسا لتقديم عروض أخرى هناك؛ إلا أنه حُرم من ذلك على خلفية الاعتقاد السائد وقتذاك أن النساء الحوامل قد يتوجهن وينجين توائم سيامية عند مشاهدتهما.. وفي ذلك بالطبع دلالة واضحة على انتشار الجهل في المجتمع الفرنسي في تلك الفترة.

وفي شهر أبريل من عام ١٨٤٣ م - أي في الثانية والثلاثين من عمرهما - تزوج تشانج من أديليد بيتس؛ بينما تزوج إنج من شقيقها سارة آن وأنجبا ٢١ طفلاً. ومن الطريف أنهما عاشا في منزلين مختلفين بعد اتفاقهما على تقسيم أيام الأسبوع بينهما بمعدل ثلاثة أيام لكل منهما، وتركا اليوم السابع - وهو اليوم الأخير من الأسبوع - ليقضيانه سوياً خارج المنزل في تنفيذ برامجهما وقضاء حواجزهما المشتركة. وفي يوم ١٧ يناير من عام ١٨٧٤ م استيقظ إنج بإحساس غريب يملأ جوانحه، فالتفت على الفور إلى أخيه تشانج فوجده ميّتاً، فاستنجد بابنه وليام الذي ركض بدوره إلى الشارع باكيًا ومفجوعًا وهو يصرخ وينادي: «عمي تشانج مات».



الأخوان بتكري في شبابهما مع الأسرة



الأخوان بتكري في شبابهما مع الأسرة

وما أن عاد برفقة بعض إخوته وأبناء عمه ومجموعة من الجيران حتى عقدت الدهشة ألسنتهم، لقد فوجئوا بأن إنجٌ حق بتوأمه وفارق الحياة أيضاً وكأنه أراد أن يقول: لنarrow واحدة، دخلنا إلى الحياة سويةً وها نحن نخرج منها سويةً.

• التوأم بلازك: (١٨٧٨ - ١٩٢٢ م)

أما حالة التوأم السيامي بلازك فتعدُّ فريدة من نوعها؛ بل تُشكّل أول حالة حمل لإحدى التوائم السيامية المتتصقة في التاريخ، وهو ماروزا وأختها جوزفينا اللتان ولدتا لأبوين من بوهيميا (جمهورية التشيك) في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨ م، وكان التصاقهما في منطقة الحوض والورك، ولقد أثارت ولادتهما جدلاً كبيراً تسبب في أن تكونا، بعد أشهر قليلة، محور حديث الناس في بلددهما. ورويَّ أنهما بدأتا المشي في الثانية من عمرهما، والكلام في الرابعة، وعند بلوغ عمرهما ٣١ عاماً، بالتحديد في الشهر السابع من عام ١٩٠٩ م، أحسست روزا بعلامات حمل تتبعها بعد أسبوع قليلة نوبات وَحَمَّ متقطعة، إلا أن أختها جوزفينا لم تظهر عليها أي علامة من هذه العلامات؛ بل استمرت دورتها الشهرية كالمعتاد حتى الأسبوع (٣٢) من حمل أختها ثم انقطعت عقب ذلك. وبعد حمل طبيعي أُنجبت روزا ابناً عن طريق ولادة طبيعية بلغ وزنه (٣٧٠) جراماً. ومن اللافت للنظر أن كلتيهما كانت لديهما القدرة على الرضاعة نظراً لانتقال هرمونات عن طريق الدم من روزا إلى جوزفينا. ومن الطراف التي صاحبت هذا التوأم أن والد ابن روزا ظل مجھولاً إلى يومنا هذا مما أثار جدلاً كبيراً في ذلك الوقت، وأنّهم عدة أشخاص بالابوة! أما بالنسبة لحياة التوأم نفسه فقد كانت مليئة بالنشاط والحيوية؛ إذ اشتهرتا بالعروض وعمل السيرك في دول متعددة من العالم، وعند بلوغهما سن الرابعة والثلاثين أصيّبت جوزفينا، أثناء جولة لهما في مدينة شيكاغو، بمرض حاد بالبطن نتج عنه (يرقان)، ثم تدهورت صحتها إلى أن توفيت، وبعد عدة دقائق من وفاتها لحقت بها أختها روزا.

• (إنج، تشانغ) أول توأم تمساح سيامي

فوجئ صاحب مزرعة للتماسيح في قرية بجنوب تايلاند، كما أوردت بعض الدوريات، بخروج توأم متتصق من بضة إحدى إناث التماسيح، فأصابهذهول، ولذلك سارع إلى استدعاء مجموعة من البياطرة والمعينين بتربية الحيوان للوقوف على هذه الظاهرة الغربية التي تتمثل مولد توأم تمساح سيامي لأول مرة في التاريخ العالمي المقرء، حار البياطرة الذين استعان بهم في هذا الأمر مثل صاحبهم، وأجلّت الدهشة أفواههم، وشلت قدرتهم على التفكير ومحاولات التفسير العلمي؛ إذ لم يحدث أن وقفوا على مثل هذه الظاهرة في عالم الحيوان، وربما لم يسمعوا بها على الإطلاق، فلكل علم اختصاصيه، ولكل ظاهرة مفسروها



التوأم راديكا و دوليكا



التوأم ميلي و كريستن

اعتماداً على خلفيتهم المعرفية وعلى تجاربهم وخبراتهم في هذا المجال. نقلت الصحف ووسائل الإعلام التایلندية وغيرها من الدوريات والفضائيات - المهتمة بالتكاثر الحيواني وبالأخبار الغربية - هذا الحدث، وأفردت له مساحة واسعة في تغطياتها مطعماً بالصور، ومنها من أجرى مقابلة مع صاحب المزرعة، واستطلاعات مكتوبة ومصورة مع العاملين فيها وحراسها؛ بل ومع أهل القرية الذين توافدوا على المزرعة لرؤيتها هذا الحدث الفريد. وبعد أن زالت آثار الدهشة أجرى بعض الأطباء البيطريون دراسة على توأم التمساح السيامي وتوصلت فحوصاته إلى أن التمساحين غادراً البيضة وهما ملتصقين، ويشتتران في الذيل والبطن (الجهاز الهضمي)، بينما استقل كل منهما بقلب ورئتين وكليتين. وبالطبع فإن التمساحين كانا مصدر جذب للسائحين والزوار والمستطلعين والفضوليين والأطباء والدارسين.. ومصدر استنزاف جيوبهم؛ بعد انساب أمواهم إلى خزينة صاحب المزرعة بعد أن أقبلوا على زيارتها لمجرد الاستمتاع بمشاهدة (توأم تماسيح سيامي) الذي وجدها فرصة ذهبية للثراء، ولذلك لم يفكر على الإطلاق في إجراء جراحة لفصليهما، بل اكتفى بمناشدة المختصين لمساعدته في كيفية الحفاظ على حياتهما طويلاً.

لم يكتسب التمساحان اسمين خاصين بهما، ولم يفكرا صاحب المزرعة في ذلك؛ إذ كان مهتماً بالجانبين: المالي الذي أغدقه عليه تدفق السياحة المفاجئة، ثم العلمي الذي يمكنه في تفسير الظاهرة، ولعله أراد أن تكون معرفته بذلك عنصراً إضافياً في ترويج الجانب السياحي عن طريق الشرح والتحليل والتفسير للزوار والسائحين. ولأن اسمي التوأم (إنج، تشانغ) أشهر التوائم السيامية في التاريخ ما زالا يعلقان بذاكرة مواطني القرية كجزء من تراثهم؛ فقد استعاروا اسميهما وألصقا هما بتوأم التمساح السيامي، وربما وجدوا في ذلك إحياءً لذكرهما وتعريفاً للأجيال الحديثة بهما.

ثانياً: تاريخ العمليات الجراحية لفصل التوائم السيامية:

مثلكما كان تاريخ التوائم السيامية شائقاً ومحظياً؛ فقد اتسمت محاولات فصل التوأم جراحياً بالتحدي أحياناً وبالطراوة أحياناً أخرى، وসاختار للقارئ ببعضها على سبيل المثال لا الحصر:

• التوأم الألماني (١٤٩٥ م)

تعُد هذه الحالة هي أول محاولة موثقة بطريقة طرية لفصل توأم سيامي كان ملتصقاً بالرأس حتى سن العاشرة.. وينقل لنا تاريخ هذه الحالة أن أحد التوأمين توفي بعد فترة مرضية، فقام الجراحون بفصله عن توأمه الحي بطريقة القصابين (الجزارين)؛ ولكن لم يتحقق أملهم؛ إذ مالبث أن لحق به الآخر.



التوأم ريتا وكريستينا



التوأم بلازك

• الجراحة الذكية (١٦٨٩م)

وهذه جراحة ذكية لفصل توأم سيامي عام ١٦٨٩ م ولد ملتصقاً عن طريق البطن بجزء من الجلد والكبد، ولما كان الاتصال بسيطاً؛ فقد فكر الجراح البارع جو هاينز فاتيو بطريقة ذكية لفصليهما، فاستخدم في محاولته حبلًا مطاطاً لربط منطقة الاتصال، وأخذ يشد على الرابط كل يومين حتى تليفت منطقة الاتصال، فانفصل التوأم نتيجة لذلك بسلام ونجاح، ولذلك تعد هذه أول عملية فصل ناجحة في التاريخ.

وما زالت هذه الطريقة الذكية مستخدمة حتى الآن، ليس في فصل التوائم السيامية فحسب؛ وإنما في عمليات الناسور الشرجي المزمن بعد أن أثبتت - والله الحمد - نجاحاً كبيراً، وحلت محل كثير من عمليات التخدير ومشكلات عضلات الشرج وغيرها من المضاعفات.

ومن الغريب في هذه الحالة أن الجراح - الدكتور فاتيو - الذي أجرى عملية الفصل - لم يُفْكِر في توثيقها، فبقيت طيَّ النساء إلى أن جاء المؤرخ كوننت فأعاد بعثها وتولى نشرها، وكان هذا مدعاه لأن تلتصق باسمه إلى يومنا هذا.

• أول عملية فصل لتوأم متصل بالرأس (١٩٥٧م)

لم يكن بالإمكان فصل التوأم الملتصق بالرأس إلا عام ١٩٥٧ م حين نجح الجراح الفرنسي فورس في فصل توأم متصل بالرأس ليضع بذلك أول لبنة ارتكز عليها تطور العمليات الجراحية في هذا المجال.





الفصل الرابع

العصر الإسلامي

أول توثيق للظاهرة في العالم



الشیخ الرئیس افضل الشیخین اول علماء زمانیین العجایز

العصر الإسلامي

أول توثيق للظاهرة في العالم

يعود تاريخ التوائم المتتصقة (السيامية) إلى مئات؛ بل إلى آلاف السنين، ولم يكن التوثيق منصفاً للأمة العربية والإسلامية؛ إذ أن معظم مراجع الطب العالمية أغفلت ذكر التوائم السيامية في بداية العصر الإسلامي ولم تذكر أي شيء عنها، وهي فترة ربما تمثل أول عهد لتوثيق هذه الظاهرة في العالم. وتاريخ التوائم المتتصقة (السيامية) حافل بال عبر والشاهد، وفيه من الطرائف ما يجعله شائقاً ومحظياً.

ونتحدث في هذا الفصل عن هذه الظاهرة في العصر الإسلامي، وفي الفصل التالي نتناولها في سياق التاريخ العالمي مستعرضين ثناوج من التوائم التي خلدتتها الوثائق والسجلات الطبية القديمة نتيجة لشهرتها.

التوائم السيامية في العصر الإسلامي: بدايات فقهية

يُعد التوأم السيامي الذي ولد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الأول من نوعه الذي يوثق تاريخياً، ويوصف بدقة، وتناقش حاليه بصورة علمية دقيقة رغم محدودية الإمكانيات والمعلومات الطبية آنذاك. وقصة هذا التوأم أنهما ولدان خرجا متصلين بالصدر والبطن والحوض، ولكن منهما أطراف علوية مستقلة ورأس وجهاز تناسلي وفتحة شرج مستقلة كذلك، فحار الصحابة في هذا الحدث وطرحوا أسئلة فقهية قيمة ومهمة لأنهم نظروا إليها. بحكم تربيتهم وتكوينهم الثقافي عبر هذه الزاوية، ومن هذه الأسئلة:

١- هل يعتبر التوأم شخصاً واحداً أو شخصين؟

٢- كيف يُقسم الإرث؟

٣- ما حكم النكاح؟

٤- ما حكم الفصل إذا توفي أحد التوأمين؟

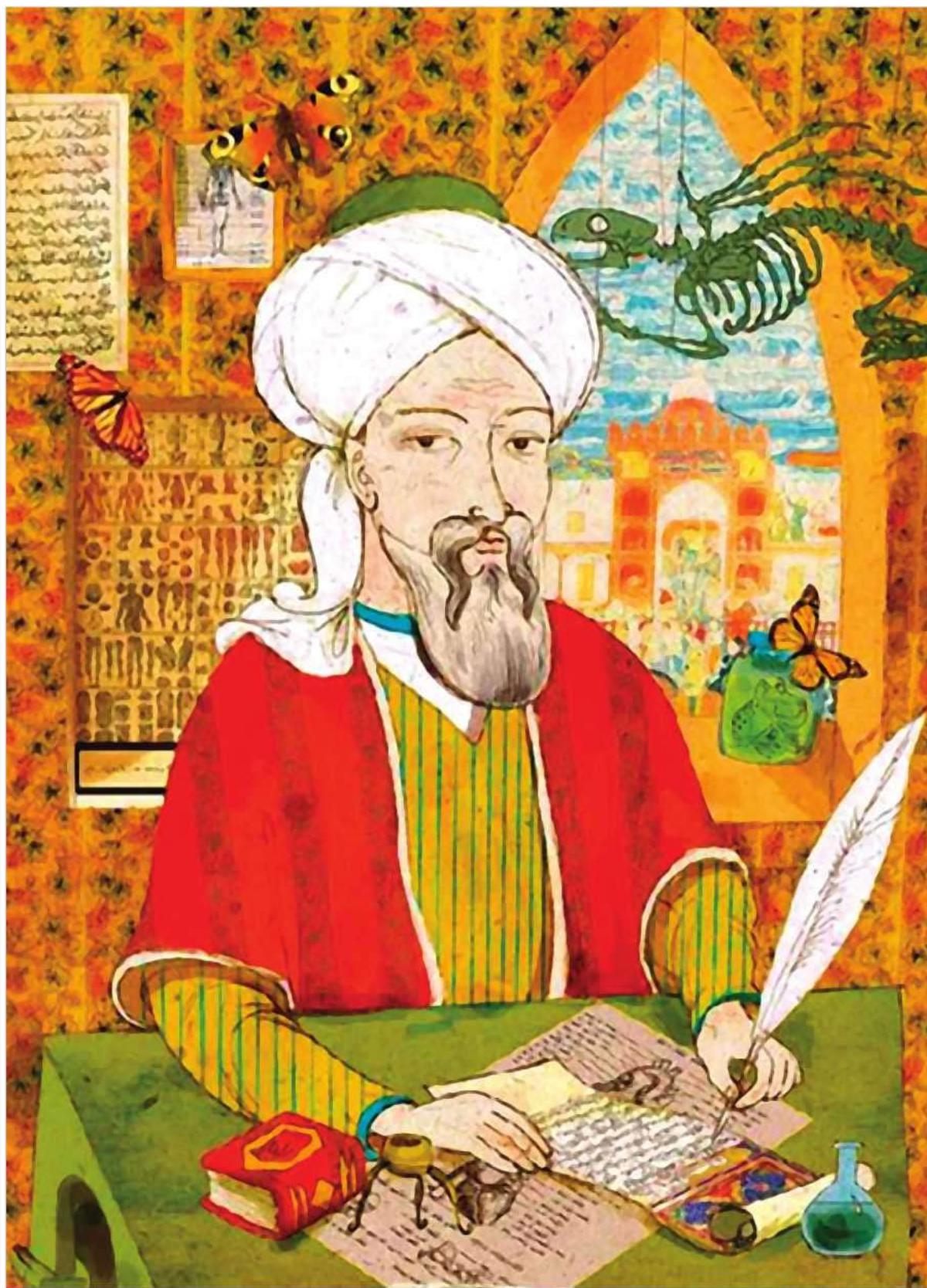
ولأن الصحابة - رضوان الله عليهم - يتصرفون دائماً بالحكمة والحنكة، ويجعلون أمرهم شورى بينهم؛ فقد استشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فجاءته حكمة بلغة تُمثل رأياً سديداً، أشار على في حكمه على الحالة بالأتي:

- مراقبة التوأم عند النوم؛ فإذا ناما في نفس الوقت فهما شخص واحد، وإن اختلفا في نومهما فهما شخصان.
- مراقبة التوأم عند البول والبراز؛ فإن كان الحدث في نفس الوقت فهما شخص واحد، وإن اختلفا فهما اثنان.
- عدم إجازة الزواج لأن الاطلاع على عورة الآخر حرام ما داما متتصقين.
- عند موت أحدهما يجب عدم فصله عن الحي؛ لأن ذلك سيؤله وقد يؤدي إلى وفاته.. وذهب الحكم إلى غسل الميت وتكفينه ثم تكليف شخص يحمله مع أخيه حتى يجف، ثم يقطع بعد ذلك دون إحداث ألم لآخر



الحي. غير أن التوأم الحي لم يعش بعد وفاة أخيه، وقيل أنه توفي بعد ثلاثة أيام، وقيل بعد ساعات وهذا هو الأرجح. لقد كانت رؤيتهم للظاهره وحكمهم عليها. رغم ضعف الإمكانيات. وافية علمية إلى حد كبير، فها نحن بعد ١٤٠٠ عام لم تدخل على هذه الأحكام تغييرًا يذكر. وبرغم أن تقنيات التشخيص المعاصرة فتحت لنا آفاقاً علمية جديدة وساعدتنا أكثر فأكثر؛ إلا أن الأصل واحد، ذلك أن التوأم المتتصق. عند توافر مقومات حياة منفصلة. يُعتبرا شخصين، أما إذا اشتراكا في الأجهزة الأساسية كالملح والقلب فهما شخص واحد.

وروى ابن الجوزي في المنظم وابن كثير في البداية والنهاية أن بعض بطارقة الأرمن أُنفذ في سنة ٣٥٢ هـ رجلين متتصقين ومعهما والدهما إلى صاحب الموصل الملك ناصر الدولة بن حمدان، وكان عمر التوأم ٢٥ سنة، وكان لهما سرتان وبطنان ومعدتان، ويحسن كل واحد منهما بالجوع والعطش في وقت مختلف عن الآخر؛ بل يختلفان في ميلهما ويعقب بينهما أحياناً شجار قد يصل إلى حدّ الخصومة، ولكنهما سرعان ما يصطلحان. استقبلهما ناصر الدولة ووهبهما ألفي درهم ودعاهما إلى الإسلام، ويُقال أنهما استجابا للدعوة وأسلموا، ثم أراد فصلهما وجمع الأطباء لهذه المهمة ولكنه لم يفعل. ولما عادا إلى بلددهما مات أحدهما فحار أبوه في فصله عن أخيه، ولكن مالبث أن اعتل الآخر من غمه ونتن أخيه؛ فماتا غمماً دفنا في قبر واحد. ويكشف لنا تنكير الملك ناصر الدولة في جمع الأطباء لمحاولة فصلهما؛ نضج العقلية العلمية الإسلامية، وأن حضارتها كانت متقدمة كثيراً على الحضارات المعاصرة، وشهرة الأطباء المسلمين ذائعة بين القادة والحكام والشعوب في مختلف الأمصار والبلدان. كما ورد في: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ الأصفهاني، وفي: (مقالات الأدباء ومناظرات النجباء) لابن هذيل، وفي: (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي توثيقاً لفصل توأم سيامي في التاريخ الإسلامي القديم برواية مباشرة على لسان الإمام الشافعي، مع تطابق مفردات الرواية في المراجع التراثية الثلاثة سوى اختلاف يسير جداً بينها يتعلق بزيادة جملة أو جملتين في نصّ اثنين منها. تقول الرواية كما وردت في مقالات الأدباء: قال الشافعي - رحمه الله تعالى - بينما أنا أدور في طلب الحديث؛ إذ دخلت إلى أرض اليمن، فقيل لي إن هنها امرأة من وسطها إلى أسفل بدن امرأة، ومن وسطها إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أيدي ورأسين ووجهين. فأحببت أن أراها، فلم أستحلّ أن أنظر إليها، فذهبت خطيبتها إلى أبيها فزوجنيها، فنظرت فيها وهي على ما وصف لي من وسطها إلى فوق بدنين بأربع أيدي ورأسين، فلعلهدي بهما يتقابلان ويتلطمأن، ويصطلحان، ويأكلان، ويشربان. ثم إني نزلت عنها وخرجت عن ذلك البلد، فأقمت ببرهة من الزمان ثم رجعت، فدخلت إلى ذلك البلد، فذكرت ذلك الشخص فسألت عنه، فقيل لي: أحسن الله تعالى عزاءك في الجسد الواحد فتعجبت من ذلك وقلت: كيف صُنِع بها؟ وكيف كان أمره؟ فقيل لي: إنه توفي الجسد الواحد، فعمد إليه فربط من أسفله بحبل وثيق، وترك حتى ذبل فقطع ودفن. قال الشافعي: فلعلهدي بالجسد الآخر في الطريق ذاهباً وجائياً، فسبحان خالق كل شيء.





الفصل الخامس
التواءم السيامية
بين أخلاقيات الطب
ومبادئ الشريعة



الحرم المكي الشريف



الحرم النبوي الشريف

بين أخلاقيات الطب ومبادئ الشريعة

تشكل التوائم السيمامية تحدياً كبيراً للمجتمع الطبي والجراحي وللمهتمين بأخلاقيات الطب والقوانين المنظمة للتعامل معها؛ خصوصاً في العالم العربي، مع أن العالم الإسلامي لم يكن بعيداً عن هذه التحديات؛ لا سيما في الفترة الأخيرة نظراً للخبرة التي اكتسبتها المملكة العربية السعودية في هذا المجال.

وإذا عدنا إلى الوراء؛ فإن مطلع العصر الإسلامي يعد سابقاً ومتقدماً على غيره من العصور فيما يتعلق بدراسة النواحي الشرعية والأخلاقية للتواائم السيمامية، فعندما طرحت أسئلة مهمة تجاه أول سيمي في التاريخ المكتوب؛ حظيت بإجابات سديدة صحبتها نقاشٌ لنواحٍ فقهية مثل: الإرث، الزواج، هل التوأم شخص أم شخصان؟ وغير ذلك من الأسئلة الأخرى. وهانحن في عالمنا المعاصر نعيد إنتاج هذه الأسئلة نفسها ومناقشتها، ونختلف في إجاباتها وأحكامها وقوائمهما، ليس على المستوى المحلي فحسب؛ بل العالمي أيضاً.

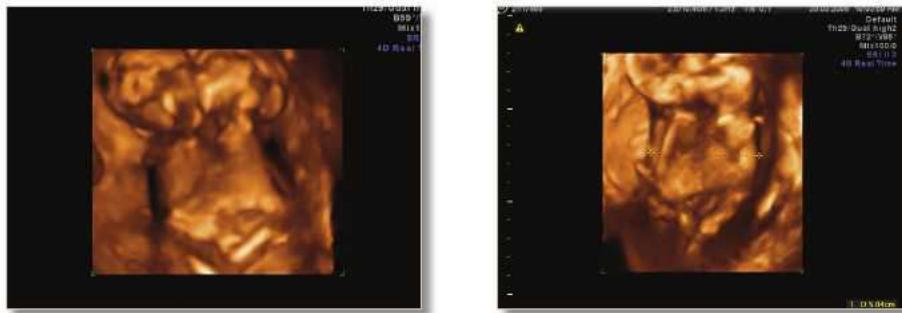
وأود هنا تسلیط الضوء على بعض هذه الجوانب المهمة، مع إبراز الرأي العلمي فقط تاركاً الإجابة الشرعية لأهل العلم والاختصاص من علمائنا الأفاضل حفظهم الله.. وسأتناول فيما يلي بعض النقاط التي كانت مثار استفسار العديد من الأشخاص، ثم أعرض لكل منها على حدة:

أولاً: التوأم السيمي شخص أم اثنان؟

ثمة اختلاف كبير على مدى التاريخ بين علماء الطب وعلماء القانون والشريعة حول متى يكون التوأم شخصاً واحداً أو أكثر؟ ولقد كان لحكمة الصحابة -رضوان الله عليهم- سبق في الحكم على أول حالة توأم سجلها التاريخ الإسلامي وربما العالمي، وذلك عندما أتى إلى سيدنا عمر -رضي الله عنه- بيسان له رأسان وفمأن وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدي وإحليلان ودبران ثم سُئل عن كيفية إرثه؟ فسائل جلسة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رأيهما في هذه الحالة، فبادر سيدنا علي بن أبي طالب بالرد على هذه المسألة، فقال: إن أفضل طريقة تمثل في مراقبة النوم والبول والبراز؛ فإن كانت في وقت واحد فالتوأم شخص واحد، وإن اختلف الوقت كانا اثنين. وروت بعض الدراسات نقاًلاً عن عدة مصادر تاريخية (الطرق الحكيمية لابن القيم وتبصرة الأحكام لابن فرجون) أن علياً -رضي الله عنه- لما سُئل عن حالة توأم ملتصق ما إذا كان شخصاً أو شخصين؟ قال: «فيها قضيتان».

- إحداهما: يُنظر إذا نام؛ فإن غطَّ غطِيطاً واحداً فنفس واحدة، وإن غطَّ كلُّ منها جميعاً فنفسان.

- يُطعمان ويُسقيان؛ فإن بال منها جميماً وتغوطُ منها جميماً فنفس واحدة، وإن بال كل واحد منها على حدة وتغوط كل واحد على حدة فنفسان». وورد عنه أيضاً رضي الله عنه أنه قال: «إذا كانا ملتصقين وأعضاء كلٌ منها كاملة حتى الفرجين؛ فلهما حكم اثنين في جميع الأحكام.. فإن نقصت أعضاء أحدهما: فإن علم حياة أحدهما استقلالاً كنوم أحدهما وبقية الآخر؛ فكائنين وإلا فواحد». (انظر حاشية القليوبي).



أشعة فوق الصوتية ملونة لتوأم ملتصق إثناء الحمل

شكلت هذه الإجابات أساساً أو بداية القاعدة الفقهية للأحكام المتعلقة بهذه الظاهرة، فالصحابة - رضوان الله عليهم - ركزوا على الأعضاء الأساسية للحياة كمرجع لتصنيف التوأم السيامي، فإذا وُجدت هذه الأعضاء في كل منهما فهما اثنان، وإذا اشتراكاً فيها فهما واحد. غير أن الأمر من الناحية العلمية يتطلب قدرًا أكبر من التعمق، ولكي نصل إلى فهم أشمل للتواائم السيامية لابد من إطلاع القارئ على تصنيفها من حيث الأعضاء حتى يسهل الحكم العلمي عليها.. ومن ثم فإن التوائم تُقسمَ - كما أوردت في بداية الكتاب - إلى:

١. التوائم الطفيليَّة: وهي التي يكون فيها توأمٌ مكتملٌ والآخر جزءٌ من جسد متغَّرِّب عليه، مثل أطراف علوية وصدر وجزء من بطْن أو رأس أو رقبة أو أطراف سفلية فقط. والجزء المتغَّرِّب لا تندع فيه مقومات الحياة. أما ما يُسمى طفليًّا داخل طفل؛ فهو في الواقع جزءٌ من أعضاء جسد داخل بطْن مكتملٍ، وبالتالي فهو شخص واحد.
٢. التوائم المكتملة: وهي التي توفر فيها مقومات الحياة ويمكن فصلها، ونقصد بمقومات الحياة: المخ والقلب، وإن كان بعض العلماء يُؤيدُ المخ فقط؛ ولكنـيـ وكثيرـ غيرـيـ .أـخـتـلـفـ معـ ذـلـكـ، إـذـاـ وـجـدـتـ مـقـوـمـاتـ الـحـيـاـةـ (ـالـمـخـ وـالـقـلـبـ)ـ فـيـ كـلـاـ التـوـاـمـ اـثـنـانـ وـلـكـلـ مـنـهـماـ حـقـوقـهـ.
٣. التوائم المكتملة التي تشتراك بأحد أعضاء مقومات الحياة: وتعني الاشتراك إما في المخ أو القلب، وبالتالي لا يمكن فصلهما دون أن يفقد أحدهما حياته، فالتوأم هنا - في نظري - واحد ولـه حقوق الشخص الواحد فقط.

ثانيًا: حكم التضحية بتوأم ليحيا الآخر:

ينطوي هذا الجانب على قدر عالٍ جداً من الحساسية، وأثارـ وـماـزـالـ يـثـيرـ .كـثـيرـاـ منـ الجـدـلـ بـيـنـ الأـطـبـاءـ وـالـمـحـاـكـمـ الشـرـعـيـةـ وـالمـهـمـيـنـ بـأـخـلـاقـيـاتـ مـهـنـةـ الـطـبـ، وـلـعـلـ قـصـةـ التـوـاـمـ (ـمـارـيـ جـوـدـيـ)ـ مـنـ جـزـرـ مـالـطاـ بـالـبـحـرـ الـأـبـيـضـ الـمـوـسـطـ الـذـيـ نـقـلـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ مـانـشـسـتـرـ بـالـمـلـكـةـ الـمـتـحـدـةـ مـعـ وـالـدـيـهـمـاـ الـكـاثـوـلـيـكـيـنـ تعـطـيـنـاـ إـجـابـةـ عـلـىـ مـاـ يـمـكـنـ عـمـلـهـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـاتـ .لـقـدـ كـانـاـ مـلـتـصـقـيـنـ بـالـبـطـنـ وـالـخـوـضـ، وـكـانـتـ مـارـيـ تعـانـيـ ضـمـورـاـ حـادـاـ بـالـمـخـ مـعـ عـيـوبـ خـلـقـيـةـ بـالـقـلـبـ وـالـرـئـةـ تـعـيـقـ استـمـارـ الـحـيـاـةـ؛ـ مـاـ جـعـلـ الأـطـبـاءـ يـقـرـرـونـ التـضـحـيـةـ بـتـوـأـمـ لـيـحـيـاـ الـآخـرـ؛ـ لـأـنـ حـيـاـ مـارـيـ مـعـتـمـدةـ عـلـىـ جـوـدـيـ (ـأـيـ أـنـ يـضـحـيـ مـارـيـ لـحـسـابـ جـوـدـيـ)ـ .وـلـكـنـ أـهـلـ التـوـأـمـ .وـلـأـسـبـابـ دـينـيـةـ .لـمـ يـوـافـقـواـ عـلـىـ إـجـراءـ الـعـمـلـيـةـ رـغـبـةـ فـيـ أـنـ تـجـرـيـ الـأـمـرـ وـفـقـ حـكـمـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ،ـ وـأـحـيلـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـمـحـكـمـةـ الـعـلـىـ الـتـيـ حـكـمـتـ .ـ بـعـدـ جـدـالـ دـامـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ .ـ بـنـاءـ عـلـىـ نـصـحـ الـأـطـبـاءـ بـالـتـضـحـيـةـ بـمـارـيـ لـحـسـابـ جـوـدـيـ،ـ وـأـجـرـيـتـ الـعـمـلـيـةـ بـالـفـعـلـ؛ـ وـلـكـنـ مـازـالـ الـجـدـالـ قـائـمـاـ إـلـىـ يـوـمـ هـذـاـ .ـ

ولـعـلـ لاـ أـجـدـ مـشـاحـةـ فـيـ دـعـوـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـهـمـيـنـ إـلـىـ التـرـيـثـ فـيـ إـصـدـارـ الـأـحـكـامـ مـاـ لـمـ تـكـنـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ درـاسـةـ عـلـمـيـةـ دقـيقـةـ لـكـلـ حـالـةـ،ـ وـبـعـدـ الـإـلـامـ بـكـلـ تـفـاصـيـلـهــاـ .ـ وـلـتـسـهـيلـ الـمـوـضـوعـ عـلـىـ الـقـارـئـ وـالـمـتـخـصـصـ؛ـ إـنـ التـضـحـيـةـ بـالـجـزـءـ الـمـتـغـرـبـ فـيـ التـوـأـمـ الـطـفـيلـيـ لـأـغـبـارـ عـلـيـهـ مـنـ النـاحـيـةـ الـعـلـمـيـةـ،ـ وـيـنـطـبـقـ الـحـكـمـ نـفـسـهـ عـلـىـ الـجـزـءـ الـمـتـغـرـبـ فـيـ التـوـأـمـ دـاخـلـ توـأـمـ .ـ وـكـذـلـكـ قـدـ يـسـمـحـ الـحـكـمـ الـعـلـمـيـ بـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ لـلـتـوـأـمـ السـيـاـمـيـ الـتـيـ تـشـرـكـ فـيـ أـعـضـاءـ مـقـوـمـاتـ الـحـيـاـةـ إـذـاـ تـأـكـدـ أـنـ الـحـيـاـةـ لـاـ تـقـومـ لـلـآـخـرـ إـلـاـ بـهـذـهـ الـأـعـضـاءـ .ـ كـالـاشـتـراكـ فـيـ الـقـلـبـ أـوـ الـمـخـ؛ـ عـلـمـاـ بـأـنـ فـصـلـ هـذـهـ الـحـالـاتـ بـالـعـلـىـ الصـعـوبـةـ إـنـ لـمـ يـكـنـ مـسـجـلاـ .ـ

أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـتـوـأـمـ الـمـكـتـمـلـةـ الـتـيـ يـتـلـكـ كـلـ مـنـهـاـ أـعـضـاءـ وـمـقـوـمـاتـ حـيـاـةـ؛ـ فـلـأـرـىـ .ـ مـنـ النـاحـيـةـ الـعـلـمـيـةـ .ـ التـضـحـيـةـ بـتـوـأـمـ لـيـحـيـاـ



أشعة فوق الصوتية زسود وأيضاً أثناء الحمل لتوأم متصل من جهة الصدر وقلب واحد

الآخر؛ لأن من الممكن - من الناحية النظرية - فصلهما مع الإبقاء على حياتهما معاً، وإذا حدثت مضاعفات خارجة عن الإرادة؛ فهذا حكم الله سبحانه وتعالى ولا راداً لما أراد. ومع هذا كله لا بد - في الحالات الخارجية عمّا أشرنا إليه - من دراسة كل حالة بعناية ودقة حفاظاً على حياة الإنسان وكرامته.

ثالثاً: حكم الإرث:

من الناحية الطبية؛ فإن الحكم هنا مرتبط بموضوع التوأم السيامي ما إذا كان شخصاً واحداً أو اثنين؟ فإذا رجعنا إلى الحكم في ذلك؛ فإن تلك التي تشتهر في أعضاء مقومات الحياة والطفيلية - بما فيها طفل داخل طفل - تعدُّ شخصاً واحداً، وعلى هذا يمكن تقسيم الإرث على اعتبار أنها شخص واحد. أما التوائم المكتملة التي تمتلك أعضاء ومقومات حياة فيمكن اعتبار أي توأم منها شخصان، وعلىنا الانتباه إلى ما قد يتربّب على الوفاة، أي إلى من يتوفى قبل الآخر؟ وغير ذلك من الجوانب المهمة التي تحكم توزيع الإرث؟.

رابعاً: حكم الزواج للتوائم السيامية المتصلة:

لا شك أن زواج التوائم السيامية من الموضوعات الحساسة والمهمة، وأقصد هنا أولئك الذين بلغوا سنَّ الزواج ولم يتم فصلهم. فإذا عدنا إلى رأي الصحابة - رضي الله عنهم - فإنهم لا يرون جواز ذلك بحكم كشف العورة أمام الغريب، أي أن أحد التوائم سيرى أو ينظر إلى عوره زوج أو زوجة الآخر، وفي هذا المنحى يلزمنا إيضاح الناحية العلمية، وذلك بالعودة إلى ما ذكرناه سابقاً وطرح السؤال نفسه: هل التوأم السيامي شخص أم اثنان؟ فإذا كان يتمتع بمقومات شخص واحد؛ فقد يكون الحكم بالجواز، أما إذا كان الاثنان يشتركان في مقومات شخصين ولم يفصلوا؛ فالأفضل فصلهما إلا إذا تعذر الأمر لأسباب طبية، وفي هذه الحالة يجب الاستئناس برأي الشرع والنزول عند الحكم الفقهي.

خامساً: حكم القصاص:

في هذا الخصوص نحتاج إلى رأي الشعـع من أجل إيضاح حكم القصاص للتوأم السيامي الذي يرتكب جريمة حديّة عقابها القصاص، وتعلق بذلك عدة مسائل هي:

- إذا كان الحكم بالقصاص في عضو منفرد - أي يخص توأمًا بذاته - فالحكم سهل في ذلك.
- القصاص في عضو مشترك مثل يد مشتركة أو طرف سفلي مشترك.. فكيف يكون الحكم؟ وهل يُستبدل بعضو آخر منفرد؟
- ما حكم القصاص بالقتل إذا أقدم أحد التوأمين على قتل شخص عمداً؟ مع الانتباه إلى أن تنفيذ حد القتل قصاصاً في توأم يقضي على الآخر.

في مثل هذه الحالات التي سقناها يذهب الرأي العلمي أو يرجح تأخير عملية القتل حتى يُفصل التوأم متى ما كان ذلك ممكناً، ولكن ما الحكم إذا تعذر الفصل؟



توأم مجدهض توقي داخل الرحم

سادساً: حكم الإقرار بعملية الفصل:

تؤكد الواقع وجود اختلاف شاسع بين الأطباء والمهتمين بأخلاقيات مهنة الطب والقانونيين الشرعيين وأهل التوائم حول من يملك قرار عملية الفصل، هل يعود قرار إجراء العملية إلى الوالدين؟ أم الأطباء؟ أم المحكمة؟ أم التوائم أنفسهم إذا كانوا راشدين؟ ربما كانت قصة التوأم (ماري وجودي) التي أشرنا إليها من أكثر الحالات التي شهدت جدلاً حاداً وخلافاً عميقاً بين والدي التوأم اللذين رفضا عملية الفصل من جهة، والمحكمة التي أقرت الفصل بناءً على الحيثيات والمبررات التي ساقها الأطباء من الجهة الأخرى. ويلزمنا هنا تحديد أوجه الخلاف على اعتبار أن قرار فصل التوائم السيمائية تعترى به بعض المخاوف من حيث:

- نسبة نجاح العملية.
- الخطر على أحد التوأم.
- المضاعفات وأثرها على حياة التوأم.

ومن وجهة نظري فإن الموافقة على إجراء عملية الفصل يجب أن تكون شراكة بين الفريق الجراحي ووالدي التوأم أو المخولين شرعاً بكفالة التوأم أو رعايته إذا كانا دون سن الرشد. أما إذا بلغاهما فلهما حق الموافقة. ويجب على الأطباء كذلك التزام الشفافية والوضوح مع والدي التوأم ببيان وشرح كل المخاطر التي قد تنتجم عن عملية الفصل ونسبها والمضاعفات المصاحبة أو المتوقعة، وذلك من أجل أن يصدر القرار مبنياً على حيثيات ومسوغات واضحة. وعندما يُهدّد القرار حياة التوأم بنسب غير مقبولة أو يُسبب مضاعفات جسيمة؛ فإن من الواجب إلا يصدر إلا بعد دراسته بعناية وأنّة، وربما يتدخل هنا طرف ثالث للمساعدة في اتخاذة كالمحكمة مثلاً. ويرى بعض زملائي في المهنة أن عملية الفصل يجب أن تزيد نسبة خطرها على الحياة. متضمنة المضاعفات الجسيمة. عن ٥٠٪. وحين تكون النسب غير مقبولة؛ فإن على الفريق الطبي الامتناع عن إجراء العملية وإن وافق عليها والدا التوأم، أو التوأم البالغان، أو المخول شرعاً. وإذا كان هناك إمعان في الضغط على الفريق الطبي؛ فيجب الاستعانة بطرف ثالث أو إشراكه مثل المحكمة أو السلطة المخولة في وطنهمما.. ونخلص إلى القول إن القرار الذي سيصدر يجب أن يؤدي إلى إحداث ضرر أو خطر غير متعارف عليه من الناحية الطبية.

سابعاً: حكم الأعضاء التناسلية المشتركة:

في بعض حالات التوائم السيمائية تكون الأعضاء التناسلية مشتركة في جهاز واحد؛ داخلية كانت أو خارجية، وهنا يثور سؤال له أهميته في مثل هذه الحالات الصعبة، وهو: من تعطى هذه الأعضاء؟ ومن يُقرر ذلك؟ الجواب صعب والقرار حساس، وأرى أن تخصيص الأعضاء يجب أن يكون مبنياً على الآراء والآراء؛ بل على أساس علمي بحث حتى وإن كان التوأم الذي سوف يحصل على الأعضاء هو الأسوأ من الناحية الصحية، لذلك يجب أن تُبنى عملية تخصيص هذه الأعضاء على ارتباط الأوعية الدموية والمجري التناسلي وارتباط الجلد والأعصاب وغير ذلك من الأسس العلمية الطيبة. وبالنسبة للأعضاء التناسلية الخارجية؛ فتخضع للحكم نفسه، ويجب أن ينظر الفريق الطبي في إمكانية استحداث بدائل تجميلية تعوضهم عن جزء مما افتقدوه.



توأم مجدهس لا يمكن ان يعيش بسبب التشوهات الخلقية

ثامناً: حكم إجهاض الحمل:

ساعد تطور الخبرة والتقنية الطبية على تشخيص الحالات في وقت مبكر من الحمل، ولقد نشرت أبحاث عديدة تؤكد إمكانية تشخيص حالات التوائم السيمائية ما بين الأسبوعين العاشر والعشرين من الحمل (أي من الشهر الثالث إلى السادس)، وطرح الأطباء والمهتمون بالتوائم السيمائية أسئلة متعددة في هذا الخصوص، منها:

- لماذا نعرض الأم لخطر الحمل ومضاعفاته؟
- لماذا لا يُجهض الحمل من بدايته؟
- لماذا نُعرض التوائم إلى حياة صعبة؟

وغير ذلك من الأسئلة المتعددة والمحيّرة، ولقد سُمح في عدة دول غربية بعمليات إجهاض الحمل السيمامي إذا أمكن تشخيصه في بداية الحمل، وقلل ذلك بالفعل من مثل هذه الحالات في تلك البلدان.

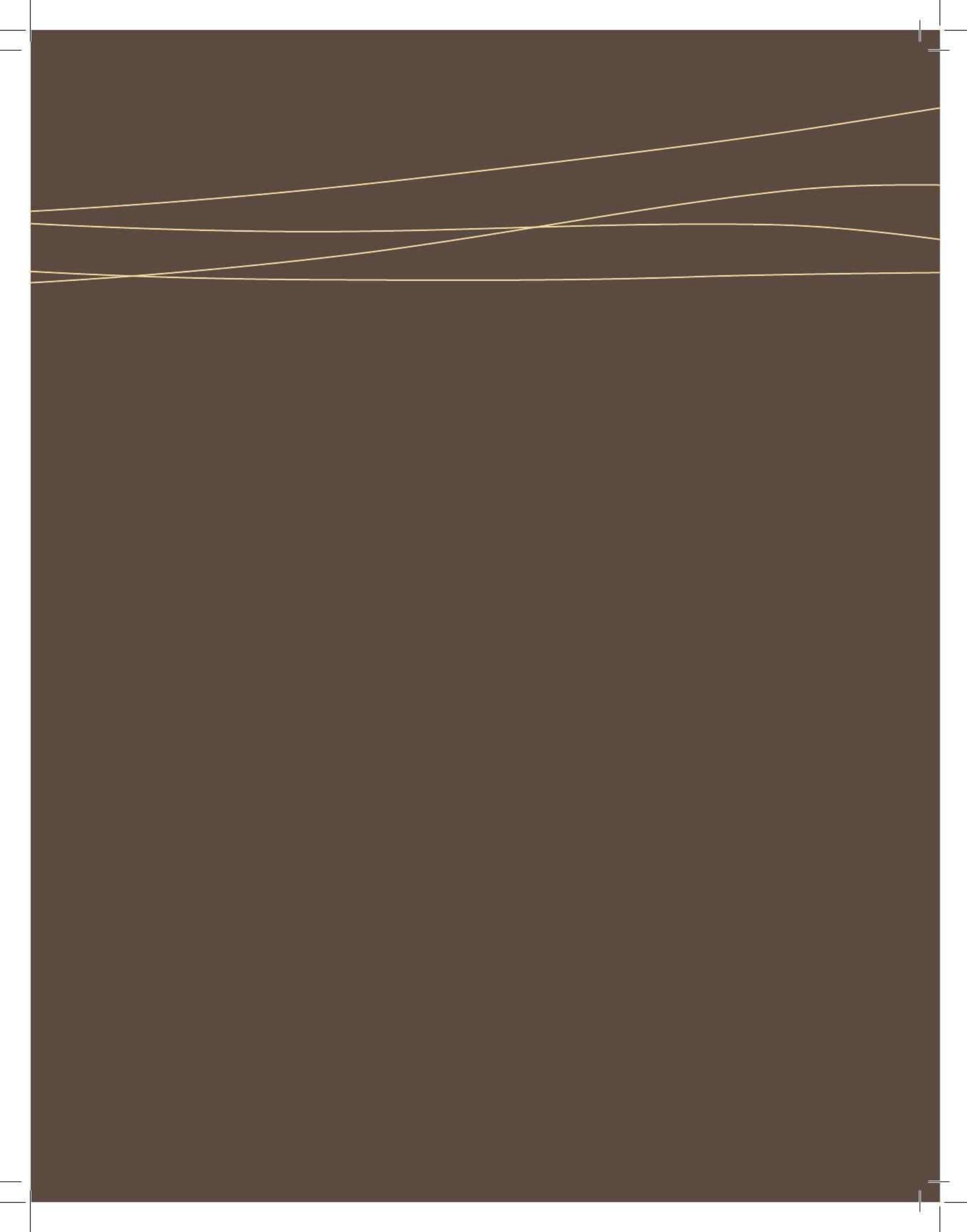
وهنا نتساءل: ما هو الحكم الشرعي لإجهاض المرأة الحامل بتوأم سيمامي؟ ترك الإجابة لأهل العلم الشرعي المؤهلين للفتوى لأنهم الأعلم بهذه الجوانب وأبعادها، والأكثر دراية بالأحكام الفقهية المبنية على علم بعثارات التشريع وضوابطه في المسائل المتعلقة بالأحوال الخاصة: «... فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» الأنبياء - آية (٧).

ولكنني لا أجد غضاضة؛ بل أرى لزاماً علينا، نحن أهل العلم، أن نُبَيِّن لأهل الفتوى الرأي العلمي ليستنيروا به ويسترشدوا بفحواه في إصدار أحكامهم الفقهية؛ خاصة في هذا العصر الذي تطورت فيه العلوم والمعارف والتقنيات وتدخلت فروعها وتشابكت في كثير من الجوانب والاختصاصات. وسأعرض هنا الرأي العلمي المتعلق بمسألة الإجهاض لعله يساعد على إصدار فتوى شرعية، مع التأكيد القاطع على أنني لا أتصدى هنا للفتوى ولست من أهلها؛ وإنما أطرح رؤية علمية فقط، ومن هذا المنطلق فإنني أرى وجوب وحتمية توفر شروط معينة قبل السماح بالإجهاض.

وتلخص هذه الشروط فيما يلي:

- أن يتم التشخيص في بداية الحمل بين الأسبوعين العاشر والعشرين كما سبق أن ذكرت.
- إذا كشف التشخيص وجود عيوب خلقية لدى التوأم السيمامي يتعدّر معها استمرار الحياة.
- إذا ثبت بوجوب تقرير من الفريق الطبي أن الحمل يهدّد حياة الأم.
- أن يُوقَّع التشخيص بواسطة فريقين طبيين مختلفين من هم أهل للثقة، ولهم خبرة واسعة في هذا المجال، وذلك منعاً للتساهل، أو إصدار رأي يشوّهه القصور.

فحين تتوافر هذه الشروط؛ فإن أهل العلم والفتوى قد يسمحون بإجهاض الحمل في الحالات التي سبقت الإشارة إليها، ولعل العلماء الأفضل في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يجدون في هذا الرأي العلمي ما يساعدهم على إصدار فتاوى يمكن أن تشكل مرجعية للمختصين والمعنيين في بلداننا الإسلامية.



الفصل السادس

الطب رسالة دعوية



«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» والد التوأم الكاميرون يعلن إسلامه

الطب رسالة دعوية

في ظل سباق الثقافات، ومحاولات النصرانية المعاصرة وبعض المذهبيات الأخرى تصدير نماذجها وقيمها؛ أصبحت الدعوة فناً إعلامياً منظوراً، وتعددت طرقها وأساليبها، ولم تعد قاصرة على الخطاب المباشر أو الاتصال الشخصي، بل دخلت أساليب أخرى كثيرة تتراوح بين الدراسات وأبحاث وتقديم للشعوب المستهدفة وبنياتها وعاداتها وتقاليدها، وعمدت النصرانية إلى إنشاء صحف وفضائيات تتركز مهمتها في التبشير وتسيير قيم الغرب المسيحي، وفي استعمال مشاعر الجماهير لجمع التبرعات. وصحب ذلك قيام جمعيات خيرية متعددة الأغراض لها إسهامات واضحة في برامج التنصير إعلامية كانت أو اقتصادية أو تعليمية أو ثقافية أو رياضية. ولنا أن نتصور أن بعض المنظمات التبشيرية العاملة في مناطق المسلمين بعدة دول أفريقية فقيرة تلتجأ إلى حيل ماكروة تمثل في توزيع الوجبات والملابس والحلوى، وفتح المراكز الصحية والمخبرات لاستقبال المرضى وتوزيع الدواء، وتنفيذ برامج محو الأمية والإسعافات الأولية، وتعليم التفصيل والخياكة والمخబرات في أوقات الصلوات الخمس.. وبالتالي فإن من يذهب إلى المسجد يفقد حصته من حاجاته ومتطلباته الملحّة.

ومن المعلوم أن الدعوة الإسلامية - ومنذ العهود السابقة - لا تلتجأ إلى استغفال الشعوب، أو إيهامها والتعمويه عليها بأي أسلوب من الأساليب المخادعة، فهذا ليس من شيم وقيم المسلم الذي يحثه دينه على الصدق، وينبه من الغش والكذب.. ولذا اشتهر المسلمون في الشرق وفي الأندلس بالصدق والمعاملة الحسنة مع غير المسلمين، ولم تكن علومهم ومعارفهم ملكية خاصة؛ بل انتحوها لكل الشعوب، وبذلوا لها خبراتهم ومهاراتهم في مجالات الطب والصيدلة والجراحة والرياضيات وغيرها، وكان هذا النهج سبباً في أن يجد غير المسلمين في الإسلام منهج حياة وقيمة إنسانية وسلوكية يعزّ نظيرها في الديانات الأخرى.. وكان الطب - وما زال - أحد أهم المنافذ والمداخل الإنسانية في الدعوة إلى الله.

آيات طبية في القرآن تهدي علماء إلى الإسلام

يقول الدكتور عبد الكريم ساتيو الياباني أستاذ الاقتصاد في إحدى الجامعات اليابانية، كما أورد محمد الطهطاوي في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «إنني تبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغرى وأعلمها جيداً، فوجدتها منطبقـة كلـاـنـتـهاـ علىـ مـعـارـفـناـ الحـدـيثـةـ، فأـسـلـمـتـ لأـيـ تـيقـنـتـ أـنـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ أـتـيـ بالـحـقـ الصـرـيحـ مـنـ قـبـلـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ سـنـةـ....، ولوـ كـانـ كـلـ صـاحـبـ فـنـ منـ الـفـنـوـنـ أـوـ عـلـمـ مـنـ الـعـلـمـ قـارـنـ كـلـ الآـيـاتـ القرـآنـيـةـ مـرـتـبـةـ بـمـاـ تـعـلـمـ جـيدـاـ.ـ كـمـ قـارـنـتـ أـنـاـ.ـ لـأـسـلـمـ بـلـاشـكـ،ـ إـنـ كـانـ عـاقـلاـ خـالـيـاـ مـنـ الـأـغـرـاضـ».

ويقول الدكتور زغلول النجار في إجابة على سؤال أهمية الإعجاز العلمي ضمن حوار طويل أجراه معه صحفي وباحث مصري: إن الإعجاز العلمي يفيد المسلم في فهم دلالة الآيات فيما عميقاً، ويثبت له صدق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة ويزيد الإيمان في قلبه ويزيده يقيناً بالقرآن الكريم ، ويدعو غير المسلمين لقراءة القرآن الكريم من مدخل الآيات الكونية كما حدث



وأخرى تعمل بالشئون الصحية شهر إسلامها



إحدى موظفات الشئون الصحية شهر إسلامها

مع عشرات العلماء، مثل موريس بو كاي وكيت مور وكثير من الذين أسلموا. ويضيف: العلم والمعرفة سبب للهداية، فلو ثبتت لعالم غربي حقيقة كونية لم تكن معروفة قبل ١٠٠ سنة مثلاً، وأن هناك كتاباً قبل ألف وأربعين سنة يتحدث عنها؛ سيقته هذا بجدية هذا الكتاب وسيدفعه لقراءته وقد يكون ذلك مدخله للإيمان.

أما العالم الفرنسي موريس بو كاي أشهر جراحى فرنسا الحديثة فيقول في مقدمة أحد كتبه: «القد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميق في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تماماً للمعارف العلمية الحديثة.. وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً».

وروى الدكتور زغلول النجار في كتابه: (الذين هدى الله) أنه حضر مؤتمراً للإعجاز في العاصمة الروسية موسكو، وفي هذا المؤتمر الذي أسلم فيه عدد من العلماء. وقف العالم الكندي كيث مور أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم ليقول: «إن التغيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله وأن محمداً رسول الله». فسألوه: هل أنت مسلم؟ فأجاب: لا؛ ولكنني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمداً مرسلاً من عند الله. فقيل له: إذن أنت مسلم. فقال: «أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام» وبالفعل وردت الأنباء بإعلان إسلامه كما أكد ذلك الدكتور النجار.

وعرض بعض العلماء المسلمين على البروفسور تيجانسون رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيئاً فشيئاً في باتايلند بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة ب مجال تخصصه في علم التشريح، واستمع كذلك إلى محاضرة أعدتها البروفسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا حول مطابقة علم الأجنة لما في القرآن الكريم والسنة، كما سأله في مجال تخصصه أسئلة تتعلق بالجلد وما إذا كانت هناك مرحلة ينعدم فيها الإحساس بالألم؟ وعندما أجاب بأن ذلك يمكن حدوثه إذا كان الحرق عميقاً ودمراً عضواً بالإحساس بالألم، قالوا له إن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية قبل أكثر من ١٤٠٠ عام عندما ذكر الطريق التي سيعاقب بها الكافرين يوم القيمة وذلك في قول الله سبحانه وتعالى: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصلهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» النساء الآية ٥٦، فقال «إن هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة، فتلك معرفة مبكرة جداً عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد، ولذلك وقف في ختام جلسات المؤتمر الطبي السعودي الثامن وبعد أن استمع إلى عدة محاضرات عن الإعجاز العلمي؛ ليعلن: «بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أؤمن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمداً نبي الإسلام كان أمياً، إذن لا بد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عظيم بكل شيء، وإنني أعتقد أنه قد حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

ويؤكد الأديب والمفكر الإنجليزي المشهور محمد مرادوك بكثول كما أوردت مجلة المختار الإسلامي في عددها رقم ٤١ الصادر في رجب من عام ١٤٠٦هـ: «إن خلاص العالم من أزمته يمكن في اتباع المنهج الإسلامي، فالإسلام يملك مفتاح الإصلاح لأنه يمتاز بقاعدتين هما؛ التسامي وروح الجماعة، ويعلمنا أن نرى في كل حادث وفي كل شيء آية من آيات الله ورمزاً لوجود



والد التوأم الكاميروني بعد إشهار إسلامه مع
الشيخ د. إبراهيم أبو عباد



والد التوأم الكاميروني يشهر إسلامه

أعلى يُسِّيرنا، ويُسِّير الطبيعة والمجتمع . وهدف الدين الرئيسي هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه، وما يجعل الإنسان إنساناً هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله». ويتابع : «إن الغرب الآن في حاجة إلى الإسلام أكثر من أي وقت مضى ، ليعطي للحياة معنى وللتاريخ مغزى ، وحتى يغير أسلوب الغرب في الفصل بين العلم والحكمة أو فصل التفكير عن الوسائل ، وفصل التفكير عن النتائج ، إن الإسلام لا يضع حاجزاً بين العلم والإيمان؛ بل على العكس من ذلك يربط بينهما باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة . والإسلام يدعو الإنسان إلى أن يفتش ويبحث عن نهايته العظمى وما له، كما يمكن له أن يعيد إحياء الأمل في مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالغرافية بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه إلى الانتصار».

ألكومسو يعلن إسلامه

وتؤكدًا للدور الظاهر في الدعوة لله فقد كانت الجراحة التي أجريت لفصل التوأم السياسي الكاميروني بنجاح في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني سبباً أساسياً في إسلام والدهما السيد جيمس الكومسو الذي توصل إلى قناعة تامة بسمامة الدين الإسلامي ، وبحسب قوله فإنه وجد في الإسلام مظاهر وسمات إنسانية لم يلمسها من قبل في أي دين أو مذهب آخر؛ بل ولا حتى في الأعراف والقيم الاجتماعية والإنسانية التي تباهي بها دول متقدمة عديدة في مختلف أنحاء العالم. . لقد أحسن - وفق إفادته .منذ أن وطئت قدماه تراب المملكة العربية السعودية، ودخوله مع توأميه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بأريحية الاستقبال وبفيض من مشاعر المحبة وحسن التعاون والإخاء والتواضع والرحمة، لم يكن يتوقع ذلك، بل اتسعت مساحة الدهشة في دواخله، لقد كان يحمل اعتقاداً سالباً بأن العرب يتعاملون مع الآخرين بحسب ألوانهم ، وأن مظاهر التفرقة عندهم تعلو على غيرها من المظاهر، وأن المسلمين يتسمون عادة بالفظاظة والقسوة وكراهة أصحاب المعتقدات الأخرى، هكذا أسلهم الإعلام في بناء هذه الخلفية لدى غير المسلمين خاصة في أفريقيا، لقد انعكست هذه المفاهيم تماماً وتحولت إلى إيجابيات، وهذا ما دفعه وحفزه إلى القراءة والبحث عن أساسيات هذا الدين ومبادئه وتعاليمه وقيمه ونهجه في صياغة الحياة وسلوكيات الإنسان، لقد أدرك أن ديننا يصوغ شعباً بهذه القيم الرفيعة؛ لا بد أن يكون ديناً سمحاً يتسع لكل بني الإنسان بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم ومعتقداتهم وبلدانهم .. وشعر . وهو في أوج هذه التأملات القراءات . أنه بات يقترب كثيراً من الدين الإسلامي ، وتتنامى لديه الرؤية والقناعة بأنه الدين الذي يتسع لجميع الشعوب ، ويُمكنه معالجة كل مشكلات البشرية إذا استوعب الناس خطاباته وتوجهاته، وتمسكوا بمبادئه، وطبقوا نهجه وتعاليمه بشكل صحيح.

وضاعف من يقين الرجل وقناعاته التي مهدت له طريق النور والهداية أنه رأى في مبادرة خادم الحرمين الشريفين بفصل التوأم ، وفي زيارته لهم بالمستشفى عملاً غير عادي ، ويتجاوز حدود العلاقات والمعاملات الإنسانية، فكيف برئيس دولة عربية كبرى ، وقائد وشخصية إسلامية مرموقة؟ أن ينصت ويهتم ويتجاوب مع قضية أسرة نصرانية فقيرة قادمة من دولة فقيرة في أقصى وسط غرب أفريقيا..؟ أي نوع من التسامح هذا؟ إن هذا لأمر عجيب حقاً. لقد تأثر الكومسو كثيراً بإنسانية خادم الحرمين الشريفين . حفظه الله . وأحدث حسن معاملته خلخلة في تصوراته السابقة عن الإسلام والمسلمين ! كما استغرب أيضاً، بل لم



مركز الملك عبد الله الإسلامي بقرية بانجي بالكاميرون

يكد يصدق الإخلاص في التعامل، ولا البشاشة التي أحاطه بها الفريق الطبي منذ لحظات الاستقبال وحتى مغادرة المستشفى. وما أن أسلم الكومسو حتى أعلن أن إسلامه لن يقتصر على النطق بالشهادتين وأداء الفرائض فقط؛ بل سيتعمل في الدراسات الإسلامية ليتعرف أكثر فأكثر على دينه الجديد بالقدر الذي يعينه على الدفاع عنه والدعوة له عن فهم ووعي، وقال إن زوجته وأسرته ستكون محطة الأولى ومنطلقه في الدعوة إلى الله عز وجل، ثم تندجه جهوده إلى أهله وعشيرته ومجتمعه. والآن لعل أطباء الإسلام يوظفون مهاراتهم الجراحية والدوائية في توسيع دائرة الدعوة إلى الله، ويجعلون مواقعهم في المشافي والمخبرات ومراكز الأبحاث ثغوراً من ثغور الإسلام، تمهد وتفتح الطريق أمام أصحاب الديانات الأخرى واللادينيين للتعرف على الإسلام والاقتراب منه، والإمام بقيمه الإنسانية العظيمة التي تعد مفتاح الدعوة ووسيلة إقناع سهلة ومتاحة بإذن الله.

غيرنا يشهدون:

شهد كثير من غير المسلمين بأن للإسلام والمسلمين فضل كبير في صناعة الحضارة المعاصرة، وقد بُرِزَ في تاريخ الإسلام علماء ومفكرون أثروا الحياة الإنسانية باكتشافاتهم واختراعاتهم في مختلف مجالات العلوم والمعارف، وقد أفادت الحضارة الغربية من العلوم العربية والإسلامية في بناء نهضتها وتقدمها، وأثبتت بعض منصفيها هذا الفضل؛ بينما أنكره آخرون وحرفوها أسماء العلماء العرب والمسلمين، وحوّلوا مصطلحاتهم وألسونها حلة غربية إمعاناً في الإنكار ونفي العلم والمعرفة عن أصحابها. ومن الشخصيات المعاصرة التي أصنفت الحضارة الإسلامية. كما أورد الدكتور محمود زقروق في ملحق كتابه: (الإسلام والغرب) الأمير تشارلز ولி عهد بريطانيا وروبن كوك وزير خارجيتها السابق. يقول الأمير تشارلز في محاضرة له بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ألقاها في أكتوبر ١٩٩٣م: «إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصرة.. إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه». ويقول أيضاً: «لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام في وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية؛ لكن إسبانيا في عهد المسلمين كانت أكثر من مجرد مخزن حيث احتفظت بالمعارف والعلوم الإغريقية التي استفاد منها فيما بعد العالم الغربي العصري الذي أخذ في الظهور. وهي في عهد المسلمين لم تقم فقط بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية؛ بل فسرت تلك الحضارة وتوسعت بها وقدمنت مساهمة مهمة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم والفلك والرياضيات والجبر والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى. وقد ساهم ابن رشد وابن زهر - على غرار نظيرهما ابن سينا والرازي في الشرق - في دراسة الطب ومارسته بطرق استفادت منها أوروبا لقرون كثيرة بعد ذلك.... كما أن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أساساً من إسبانيا أثناء الحكم الإسلامي، فالدبلوماسية وحرية التجارة والحدود



أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي



أساسات مركز الملك عبدالله الإسلامي

المفتوحة وأساليب البحث الأكاديمي وعلم الإنسان وأداب السلوك وتطوير الأزياء والطب البديل والمستشفيات، جاءت كلها من تلك المدينة العظيمة».

ويقول روبن كوك: «إن ثقافتنا مدينة للإسلام بدِين يجدر بالغرب ألا ينساه.... وأن الشيء الكثير من أسس حضارتنا يعود الفضل فيها إلى العالم الإسلامي».

وأورد الأستاذ محمد عبد الصمد في كتابه: (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء) أن عالماً ألمانياً سئل في محفل علمي عن سبب إسلامه؟ فأجاب: «دعاني إلى الإسلام تلك الآية الجليلة من سورة القيمة: «أيحسب الإنسان أَنْ نجع عظامه، بلى قادرٍ على أَنْ نُسُوِّي بِنَانَه»» القيامة - آياتان (٤٣-٤٤).. فالآية الثانية تشير إلى بصمات الأنامل.... والكشف عن حقيقة هذه البصمات لم تكن تعرفه أوروبا. فضلاً عن العرب. إلا في عصرنا هذا، مما يدل على أن القرآن مُنْزَلٌ من عند الله وليس من كلام البشر. وما كان العرب ومن عاصرهم يدرك المعنى الحقيقي لهذه الآية». واقتبس المؤلف من حديث طويل للطبيب الفرنسي على سلمان بنوا قوله: «إن العامل الرئيسي في اعتمادي للإسلام هو القرآن الكريم الذي يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية، وكان هذا كافياً لاقتناعي وإيماني بمحمد رسول الله. إنني أشعر بالغبطة الكاملة في ظل عقيدتي الجديدة، وأعلنها مرة أخرى: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله». وأورد كذلك مقوله للكاتب الإنجليزي الشهير ليونارد: «... ألم يأن لنا. نحن الذين نعد أنفسنا في أعلى قمة التهذيب. الاعتراف بأنه لو لا التهذيب الإسلامي ومدينة المسلمين وعلومهم وعظامتهم وحسن نظام جامعاتهم لكانت أوروبا اليوم تهيمن في ظلام بهيم....».

وأورد الدكتور عبد القادر محمد منصور في كتابه: (الإعجاز الطبي في القرآن الكريم) وهو يتحدث عن أصول التخليل للكائن الجنيني التي قررها القرآن الكريم بدقة متناهية لا يمكن للعلم التجريبي تجاوزها شهادة إنصاف. نقاً عن صحيفة الاتحاد الإماراتية . للدكتور ريتشارد فون فايسنكر رئيس جمهورية ألمانيا الغربية قالها أثناء حوار بينه وبين طلاب وطالبات الجامعات الألمانية بمناسبة العام الدراسي الجديد: «إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي فسر علم الأجنحة بما عجز عنه العلماء حتى الآن».. وبين أن الرئيس الألماني يشير بذلك إلى الآيات من ١٢-١٤ من سورة المؤمنون: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسومنا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» المؤمنون - آية (١٤).





صور من قرية بانجي (قرية التوأم الكاميروني) حيث أشهى أكثر من سبعين كاميروني إسلامهم



الفصل السابع

شهرة سعودية عالمية

في جراحة التوائم السيمامية



شهرة سعودية عالمية في جراحة التوائم السيامية

أكبر الخبرات في العالم

لقد اكتسبت المملكة العربية السعودية خبرة كبيرة في التعامل مع التوائم السيامية ونالت شهرة عالية واسعة بفضل الله ثم النتائج الباهرة والمتميزة التي حققتها في هذا المجال، ويعكس هذا جانباً مشرقاً ومسيراً لها وللعالم العربي والإسلامي أجمع. ولعل هذه الخبرة وغيرها من الخبرات المتعددة والمتناهية الأخرى في المملكة تبرهن للعالم بوضوح أن ديننا الإسلامي دين محنة وإخاء وتسامح، ويدعو إلى إحياء الروح الإنسانية وحفظ كرامتها وصياتها مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: «من أجل ذلك كتبنا علىبني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً» المائدة آية (٣٢). ولا شك أننا نعيش اليوم في عالم غريب تتقاطر فيه الفتن كقطع الليل المظلم، وتشتعل الحروب والصراعات، وتتفاعل الخصومات في كل مكان لتشكل رافداً أو شرياناً يُغذي وسائل الإعلام، وأضحت أخبار وصور القتل والدمار والتشريد مادة أساسية في الصحف ونشرات الأخبار بالفضائيات والإذاعات، حتى أصبح منظر الدم والجلث شيئاً مألوفاً لا يحرك الوج丹يات ولا يثير مشاعر الشفقة أو يرفع (ثرمومتر) أو مؤشر الرحمة؛ بل صار المشاهد يتقبله دون تألف أو إحساس بفظاعته، بل إن دماء المسلمين التي تُراق كشلالات هادرة لم تعد تستقطب سوى بعض عبارات الاستنكار التي تخرج من أطراف الألسنة، وينتهي أثرها بعد مغادرتها الشفاه. ولأن كثيراً من البؤر الملتئبة في العالم تقع داخل نطاق الجغرافيا العربية والإسلامية؛ فقد ركز الإعلام الغربي على نقل صورة قاتمة ومشوهة عن العرب والمسلمين، وتصنيفهم شعوباً متوجهة تجاه العالم المتحضر، وتعيش بعقلية الغاب.. ولذلك ستنظر إلى إيهاب لهذه الخبرة مع التركيز على الجوانب الإنسانية والعملية منها.

عندما شرعت في إعداد هذا الكتاب؛ كان مجموع ما تكون لدينا من هذه الخبرة ٤٨ حالة توأم سيامية، أجريت عملياتها في الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٨م، وهي تُعد بالنسبة لفريق طبي واحد باعتبار العدد من أكبر الخبرات في العالم، وتوزعت على توائم يمثلون دولاً متعددة وديانات متباعدة، وألواناً وسحنات ولغات مختلفة، منها توائم من المملكة العربية السعودية، وأخرى من السودان ومصر واليمن والعراق والمغرب ومايليزيا والفلبين وبولندا وسلطنة عمان والكاميرون. ولقد قسمت خبرة التوائم السيامية إلى ثلاث مجموعات، منها المجموعة الأولى التي أجريت لها عمليات فصل في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث أولاثم في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وقد استعرضناها تفصيلاً في أول فصول هذا الكتاب وعددها ١٨ توأم سيامي، وتناول هنا المجموعتين الآخرين وهما: أولًا: التوائم التي يستحيل فصلها. ثانياً: التوائم الطفiliّة. فمن بين ٤٨ توأمًّا كانت هناك ٣٩ حالة شُخصت قبل الولادة و ٣٧ ولدت بعمليات قيصرية.

يوضح الجدول رقم (١) عدد الحالات التي قمت متابعتها بواسطة الفريق الطبي السعودي، والبلدان التي ينتموون إليها، ويتبين



توأم سينامي ولدا ميتين



توأم ملتصق بقلب واحد

منه أن المملكة العربية السعودية تقف على رأس القائمة، بينما تأتي جمهورية السودان في المرتبة الثانية تليها الجمهورية اليمنية ثم جمهورية مصر العربية، فمملكة ماليزيا، فجمهورية الفلبين، ببولندا، فالمملكة المغربية، فالجمهورية العراقية. ويوضح الجدول رقم (٢) طبيعة التصاق التوائم وعدد الحالات المشابهة، وبين أن عدد الحالات التي كان الاتصال فيها بالصدر ١٨ حالة، والتي كان الاتصال فيها بالبطن ٥ حالات. أما الحالات التي كان فيها الاتصال بالصدر والبطن والحووض فقد بلغت ١٧ حالة؛ بينما بلغ عدد الحالات المتصلة بالحووض ٤ حالات، والمتعلقة بالورك حالة واحدة، والتوأم الطفيلي ٣ حالات. ولقد تمكن الفريق الطبي من فصل ٢٠ حالة بنجاح والله الحمد ولهنّاك حالتان تحت انتظار الفصل، أما البقية فلم يتم فصلهم للأسباب التالية:

- الاشتراك بقلب واحد.
- الاتصال بين القلوب مع وجود عيوب كبيرة.

الدول التابعة لها	م	عدد الحالات
المملكة العربية السعودية	١	٢٧
جمهورية السودان	٢	٦
الجمهورية اليمنية	٣	٢
جمهورية مصر العربية	٤	٢
مملكة ماليزيا	٥	١
جمهورية الفلبين	٦	٢
بولندا	٧	١
المملكة المغربية	٨	٢
جمهورية العراق	٩	٢
دولة الكاميرون	١٠	١
سلطنة عمان	١١	١
سوريا	١٢	١
الإجمالي		٤٨

جدول رقم (١) عدد التوائم موزعاً حسب الدولة



توأم بقلب مشترك وعيوب كبيرة



توأم سيمامي ولدا ميتين

- عيوب خلقية كبيرة تعيق استمرارية الحياة.

وستتناول هنا التوائم التي يصعب فصلها والتوائم الطفيليية كي يقف القارئ على تفاصيل هاتين المجموعتين بعد أن تعرف على تفاصيل المجموعة الأولى في الفصل الأول أي (التوائم التي تم فصلها):

أولاً: التوائم التي يصعب فصلها:

بلغ عدد التوائم في هذه المجموعة ٢٨ توأمًا، ولم تكن عمليات فصلها ممكنة لأسباب علمية وأخلاقية متعلقة بالطب كمهنة، من بينها عيوب خلقية كبيرة تعيق استمرارية الحياة، كما لا يمكن التضحية بتوأم لحساب الآخر. ولم تتوفر جميع هذه التوائم إمكانية الاستمرار على قيد الحياة لأكثر من عدة أسابيع نظرًا لوجود عيوب خلقية بالقلب والجهاز التنفسى.

ويوضح الجدول رقم (٣) حالات التوائم السيمامية الثمانية والعشرين التي أثبتت الفحوصات الطبية صعوبة فصلها نظرًا لوجود عيوب خلقية تعيق حياتها، وكانت أقصى مدة استمررت فيها توائم هذه المجموعة على قيد الحياة هي ٢٥ يومًا.

م	الرأس	الورك	البطن	الظهر	الصدر	موقع الالتصاق	عدد الحالات
١					١	الصدر	١٨
٢				٤		الصدر والبطن والظهر	١٧
٣			٤			البطن	٥
٤				٥		الظهر	٤
٥					٦	الصدر والبطن والظهر	٣
٦					٧	الرأس	١
الإجمالي							
٤٩							

جدول (٢) مكان الالتصاق وعدد الحالات



توأم بقلبين مشتركين وعيوب كبيرة



توأم سيامي بقلب مشوه

النوع	العيوب الخلقية بالقلب والأعضاء المشتركة	النتيجة	م
١	قلب مشترك، ثقوب بين البطينين والأذينين، ضمور بشريان الرئة، كبد مشتركة	توفياً وعمرهما ١٠ أيام	توأم متصل بالصدر مع ٤ أرجل
٢	قلبان متصلان بالبطين مع عيوب خلقية واشتراك بالكبد	توفياً وعمرهما ٥ أيام	توأم متصل بالصدر مع ٤ أرجل
٣	قلب واحد مع عيوب خلقية متعددة بالقلب واشتراك بالكبد والأمعاء	توفياً وعمرهما ١٢ يوماً	توأم متصل بأعلى الصدر والصدر والبطن مع رجل لكل منها
٤	قلب واحد مشترك وعيوب خلقية مع اشتراك بالكبد وعدم اكمال جدار البطن	توفياً عن ساعة من العمر	توأم متصل بالصدر والبطن بأربعة أرجل
٥	قلبان متصلان مع عيوب خلقية كبيرة	توفياً وعمرهما ١٦ يوماً	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل
٦	قلب واحد مع ثقوب وضمور بالبطين وكذلك الشريان الرئوي واشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفياً وعمرهما ٥ أيام	توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكل منها رجل واحدة
٧	قلب واحد بعيوب واشتراك بالكبد والأمعاء	ولداً متوفيين	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل
٨	قلبان متصلان على مستوى البطين بعيوب خلقية كبيرة واشتراك بالكبد والأمعاء	توفياً وعمرهما ١٦ يوماً	توأم متصل بأعلى الصدر والصدر والبطن مع رجل لكل منها
٩	قلبان متصلان على مستوى البطين مع عيوب خلقية متعددة وهبوط بالرئة	توفياً وعمرهما ٥ أيام	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل
١٠	عيوب واتصال بين القلبين مع اشتراك بالكبد والأمعاء والجهاز البولي	توفياً وعمرهما ٨ أيام	توأم متصل بالصدر والبطن والحوض بثلاثة أرجل
١١	قلب واحد مشترك بعيوب واشتراك بالكبد	توفياً وعمرهما ٢٢ يوماً	توأم متصل بالصدر والبطن بأربع أرجل
١٢	قلب واحد مشترك وعيوب خلقية مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفياً وعمرهما ٥ أيام	توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكل منها رجل واحدة
١٣	قلبان متصلان مع عيوب خلقية متعددة واشتراك بالكبد	توفياً وعمرهما ٢٥ يوماً	توأم متصل بالصدر بأربعة أرجل
١٤	قلب واحد مشترك بعيوب خلقية متعددة مع هبوط بالجهاز التنفسى واشتراك بالكبد	توفياً وعمرهما ٢ أيام	توأم متصل بالصدر والبطن بأربع أرجل



توأم ولدا ميتين



توأم بقلب واحد مشوه

النوع	العيوب الخلقية بالقلب والأعضاء المشتركة	النتيجة	M
توأم متصل بأعلى الصدر والبطن ولكن منهما رجل واحدة	قلب واحد مشترك بعيوب مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما 15 يوماً	١٥
توأم متصل بالرأس والصدر والبطن بأربع أرجل	عيوب خلقية كثيرة بالصدر والبطن	ولدا متوفيين	١٦
توأم متصل بالصدر والبطن والوحوض بثلاثة أرجل	قلب واحد مشترك وبعيوب كثيرة مع اشتراك بالكبد والأمعاء والمسالك البولية	توفيا وعمرهما ساعة	١٧
توأم متصل بالصدر والبطن مع أربع أرجل	قلبان متصلان بعيوب خلقية متعددة	توفيا وعمرهما ١٧ يوماً	١٨
توأم متصل بالصدر والبطن والوحوض		توفيا وعمرهما ١٠ أيام	١٩
توأم متصل بالصدر والبطن		توفيا وعمرهما ٦ أيام	٢٠
توأم متصل بالصدر		توفيا وعمرهما يوم	٢١
توأم متصل بالصدر والبطن والوحوض مع طرفين سفليين		ولها في اليوم الثاني بعد الولادة	٢٢
توأم متصل بالصدر والبطن	قلب واحد مشترك واشتراك بالكبد	ولها متوفيين بعملية إجهاض	٢٣
توأم متصل بالرأس و الصدر والبطن والوحوض مع أربعة أطراف سفلية	اشتراك بالكبد والأمعاء	ولها متوفيين	٢٤
توأم متصل بالصدر والبطن		ولها متوفيين بعملية إجهاض	٢٥
توأم متصل بالصدر والبطن مع أربعة أطراف سفلية	التصاق بالقلبين وعيوب خلقية بهما وعيوب خلقية متعددة	ولها متوفيين بعملية إجهاض	٢٦
توأم متصل بالصدر والبطن مع أربعة أطراف سفلية	قلب مشترك به عيوب	ولها متوفيين بعملية إجهاض	٢٧
توأم متصل بالصدر والبطن مع ثلاثة أطراف سفلية	التصاق بالقلبين وعيوب خلقية متعددة	توفيا في اليوم الثاني بعد الولادة	٢٨

جدول رقم (٣) الحالات التي لم يتم فصلها



خبرة سعودية بعيون دولية

الفصل الثامن



محاضرة في الجمعية الكندية لجراحة الأطفال

خبرة سعودية بعيون دولية

إن المحك الرئيس لكل خبرة أو تطور علمي هو مدى تقبل المجتمع العلمي لتلك الخبرة أو ذلك التطور ونشره في المجالات العلمية العالمية المحكمة، أي التي يشارك في تحكيمها علماء متخصصون. ومن هنا لا بد من الإشارة إلى أن خبرة المملكة العربية السعودية نشأت بمبادرة إنسانية بحثة وبكونها علمية وطنية استثمرها الوطن وجعل منها نواة مشرقة يعتز بها، ويغتر بها كل مواطن محب لوطنه رغم إنكار المنكري وجحود الجادين.

لذارأيت من واجبي تجاه وطني وزملائي والشعب السعودي توثيق هذه الخبرة في المحافل العلمية العالمية، ولحسن الحظ أنها اشتهرت وذاع صيتها دون قصد مناً أو تهافت على الشهرة، أو مسعى لبناء سمعة، فهذا ليس من ديدننا ولا شيمنا ولا قيمتنا، فالعلم يُبذل لمصلحة البشرية وللإسهام في تقويتها من أجل بناء عالم صحيح متعااف خال من الأمراض ومن الصراعات والمحروب، وهذا هو إرثنا الروحي والثقافي والحضاري والعلمي الذي نفخر ونفاخر به كل شعوب العالم، فما كان أسلافنا يطاردون الشهرة؛ بل كانت أعمالهم متجردة من نوازع النفس ورغباتها، وخالصة لله جل وعلا، ويعتبرونها ادخاراً لقابل حياة أخرى ينجو فيها أصحاب المواتين الثقيلة، ويغزوون بمرضاة الله سبحانه وتعالى.

وبعد أن انداحت دائرة هذه الخبرة السعودية وتوسعت؛ تلقيت عدة دعوات لعرضها باعتبارها أحدث وأكبر خبرة عالمية مُنَجَّة في مركز طبيٌ واحد، وساورـدـ هنا بعض هذه الدعوات العلمية التي وصلـتـني، ودعـواتـ المحافـلـ الدوليـةـ التيـ أـبـدـتـ رغـبـتهاـ فيـ استـضـافـتيـ متـحدـثـاًـ أوـ مـحـاضـراًـ:

١- الجمعية الكندية لجراحة الأطفال ممثلة في مؤتمرها العالمي الذي عُقد بعـدنـيةـ كـويـكـ بـكـنـداـ عـامـ ٢٠٠٥ـ، وـكـنـتـ المحـاضـرـ الرئـيـسيـ والـوحـيدـ فيـ هـذـاـ الـمـلـقـيـ الذـيـ اـسـتـمـرـ لـمـدـةـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ليـقـفـ عـلـىـ هـذـهـ الـخـبـرـةـ الـمـتـمـيـزةـ، وـاـكـتـظـتـ قـاعـةـ الـمـلـقـيـ بـأـعـدـادـ كـبـيرـةـ منـ جـرـاحـيـ كـنـداـ وـزـمـلـائـهـمـ الـذـيـنـ وـفـدـواـ مـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ وـالـمـلـكـةـ الـمـتـحـدـةـ وـالـصـينـ وـالـيـابـانـ وـعـدـدـ دـوـلـ أـوـرـوـبـيـةـ إـضـافـةـ إـلـىـ الزـمـلـاءـ جـرـاحـيـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ وـبـلـدانـ آـخـرـيـ.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي توجه فيها هذه الجمعية دعوة إلى أحد المتخصصين من العالم العربي والإسلامي ليكون مـحـاضـراًـ أـسـاسـياًـ وـرـئـيـسـياًـ فيـهاـ.

٢- الرابطة الفرنسية للجراحين (أبريل ٢٠٠٦)، وتلقيت دعوة رسمية منها كي أكون متـحدـثـاًـ رـئـيـسـياًـ فيـ اـجـتمـاعـهاـ السنـويـ بـغـرضـ عـرـضـ خـبـرـةـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ فيـ مـجـالـ فـصـلـ التـوـاـئـمـ السـيـامـيـةـ، وـاعـتـرـافـاـ مـنـهـاـ بـأنـ هـذـهـ الـخـبـرـةـ تـعـدـ الـأـكـبـرـ مـنـ نـوـعـهـاـ فيـ الـعـالـمـ نـظـرـاـ لـتـفـرـدـهـاـ وـتـمـيـزـهـاـ وـلـأـبـعادـهـاـ الـعـلـمـيـةـ وـالـمـهـنـيـةـ وـالـإـنـسـانـيـةـ، وـقـدـمـتـ عـرـضاـ وـافـيـاـ لـهـذـهـ الـخـبـرـةـ بـالـلـغـيـنـ الإـنـجـليـزـيـةـ وـالـفـرـنـسـيـةـ، وـلـذـلـكـ فـقـدـ حـظـيـتـ بـتـرحـيبـ شـدـيدـ وـإـعـجـابـ كـبـيرـ منـ أـعـضـاءـ الـجـمـعـيـةـ وـضـيـوفـهـاـ عـلـاـوةـ عـلـىـ الـأـسـاتـذـةـ وـالـأـطـبـاءـ.



إلقاء محاضرة في فرنسا

٣- الجمعية المصرية لجراحة الأطفال (٢٠٠٥م)، وشاركت متحدثاً رسمياً ضمن فعاليات اجتماعها السنوي الذي عُقد بالقاهرة في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٥م وعرضتُ خبرتنا في مجال فصل التوائم السيمامية، وأحدثت عرضها أصداء متميزة، وأشار بها رئيس الجمعية باعتبارها إنجازاً علمياً عربياً وإسلامياً.

٤- الاجتماع الثاني لجمعية الأطباء الخليجيين الذي عُقد بالكويت عام ٢٠٠٣م، وشاركت متحدثاً رئيسياً مستعرضاً خبرة المملكة العربية السعودية في هذا الملتقى العلمي الخليجي المهم.

٥- المؤتمر الثاني للجمعية السعودية للجراحة الذي عقد بالرياض في ٢١ / ٥ / ٢٠٠٦م، وقدّمتُ ضمن برنامجه العلمي هذه الخبرة بحضور كفاءات سعودية وعربية وعالمية.

٦- كتابة فصل عن جراحة فصل التوائم السيمامية في كتاب (Pediatric Anesthesia : Basic Principles, State of the art. Future) من تأليف الطبيب الكندي برونو بيسونت.

٧- كلية الطب بجامعة يان كوفا ببولندا عام ٢٠٠٥م حيث أطلعتُ الأساتذة والمحاضرين والأطباء والمهتمين في هذه الجامعة على الخبرة التي بناها الفريق الطبي السعودي، وألقيت المحاضرة باللغة الإنجليزية ثم تُرجمت إلى البولندية.

وبالإضافة إلى هذه الأوساط والدوائر العلمية والأكاديمية العالمية؛ تسنى لي تقديم هذه الخبرة من خلال محاضرات عديدة في بعض المستشفيات السعودية تلبية لدعوات رسمية من جامعة الملك سعود ومستشفى أرامكو السعودية وغيرها.

ومما يجدر بنا ذكره أن هذه الخبرة نُشرت في مجلات علمية عالمية مُحَكَّمة ومشهورة على المستوى الدولي، وفي غيرها من المجالات المتخصصة التي تعنى بمثل هذه الحالات، مثل:

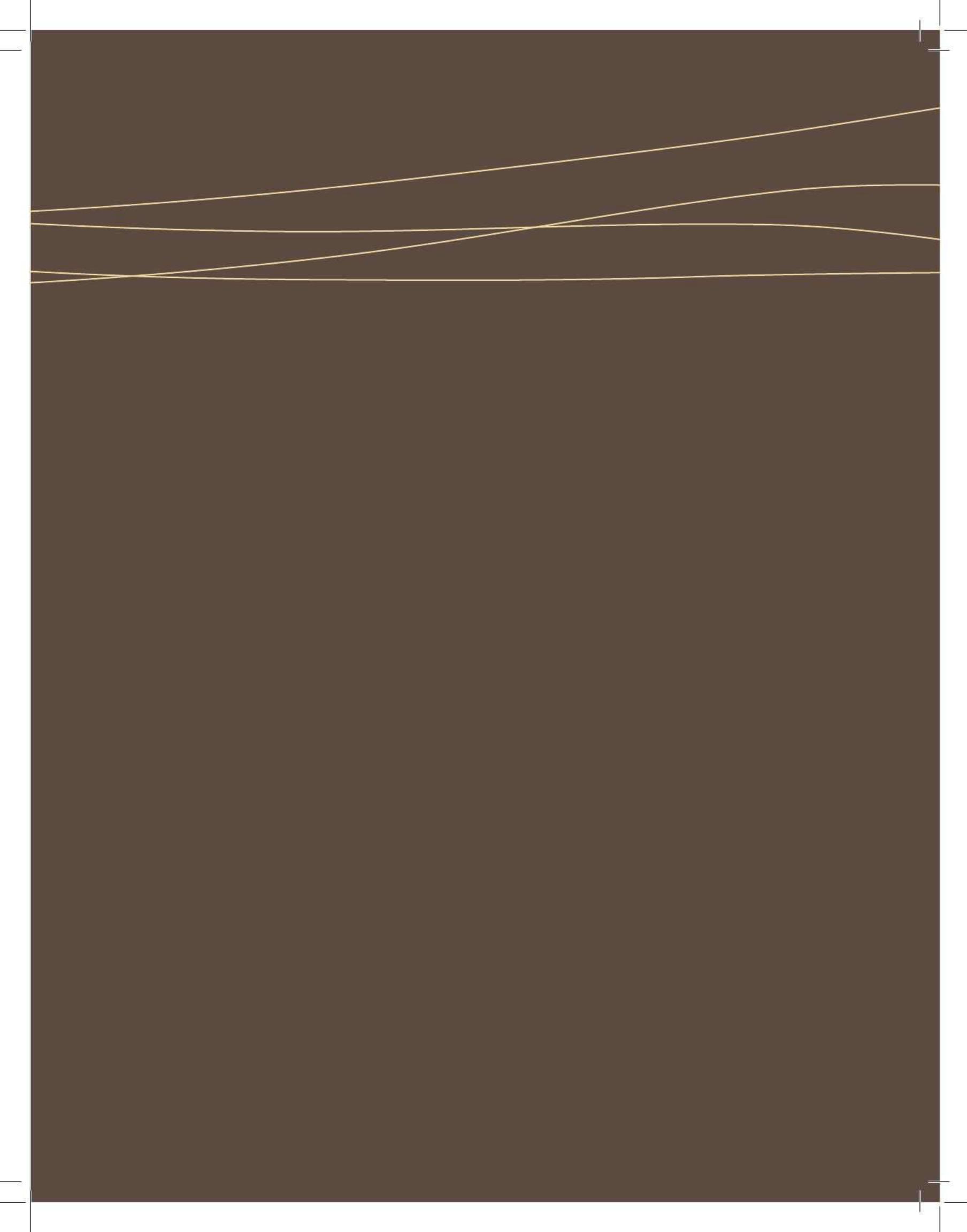
- مجلة جراحة الأطفال الأمريكية بالولايات المتحدة الأمريكية.
- المجلة العلمية للجمعية الفرنسية للجراحين بفرنسا.



استلام درع التميز الجراحي من صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز



تسليم العضوية الجراحية الفرنسية من كلية الجراحة الفرنسية



الفصل التاسع

نشر الخبرة وفلسفة التدريب



إشراك أطباء يمثلون مستشفيات وقطاعات صحية مختلفة



إتاحة الفرصة لطلبة وطالبات الطب للمشاركة في العمليات بالمشاهدة والمتابعة

نشر الخبرة وفلسفة التدريب

تخطيط بعيد المدى

لم تكن خبرة المملكة العربية في فصل التوائم السياسية محصورة أو مقيدة أو قاصرة على فريق طبي واحد؛ بل تميزت والتزمت تخطيطاً بعيد المدى يجعل منها خبرة وطنية وعربية وإسلامية شاملة، ولذلك اتبعتْ عدة مناح لإطالة عمرها والحفاظ على عودها أخضر يانعاً مثمرأً:

- أولها: أن هذه الجراحات أتيحت للمرضى من مختلف دول العالم - عربية كانت أو إسلامية أو غربية. بناءً على توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، وكانت هذه أول خطوة في توسيع نطاق الخبرة ونشرها على المستوى العالمي.

- ثانية: إشراك أطباء يمثلون مستشفيات وقطاعات صحية مختلفة لاكتساب الخبرة ونقلها إلى موقع عملهم. وكانت آمل وأتطلع إلى أن تُشكّل هذه الخطوة رسالة واضحة تؤكّد أن وطننا واحد، وأن تبادل المعارف والتجارب المهنية يقف في أعلى درجات عشق الوطن وخدمة المجتمع .. ولا شك أن في نشر هذه الخبرة دعماً ورفعاً لسمعة المملكة الطبية والعلمية وتعزيزاً لمكانتها الحضارية، وتأكيداً على ريادتها في هذا المجال. كما استهدفتنا من ذلك إزالة الحواجز بين القطاعات الصحية المتعددة دفعاً إلى تعاونها وتكاملها مما يؤهلها إلى الانصهار في بوتقة صحية واحدة، متقدّة في خططها وتصوراتها وخدماتها وأبحاثها وكأنها منظومة متكاملة ومتراقبة ومنسجمة تعمل جميعها على إنجاح مشروع وطني مهم ورائد. ومن هذا المنطلق؛ بل بناءً على هذا الطموح تعمقت رؤيتنا حول أهمية إشراك الأطباء والمخترعين والتمريض من قطاعات صحية تمثل مختلف مناطق المملكة العربية السعودية في التعرف على هذه الخبرة واستيعابها والتخصص فيها إن أمكن. وكنا نأمل أن تكون رؤيتنا هذه بداية لتجوية وأواصر الترابط بين هذه القطاعات وتعزيزها لا سيما وأنها بدأت تتوّي ثمارها والله الحمد.

ولعل هذه الخبرة التي ابتدأت من التوائم السياسية تعم قطاعات أخرى في الدولة؛ طالما أنها نصف على أرضية واحدة، ويجمعنا الاتفاق على وحدة الهدف والتطلع والمصير. ومهما اختلفت الوزارات والإدارات؛ إلا أنها تشتهر جميعاً في تحقيق مصلحة الوطن التي تراها قيادة المملكة العربية السعودية العليا، وتصبُّ لصالح المواطن والوصول بخدماته إلى ذروة الأداء والإتقان بغية إسعاده وتأمين رفاهيته. ولذلك كان شعار خبرة التوائم السياسية هو: (من الوطن إلى الوطن)، واستطاع أعضاء الفريق الطبي تطبيق هذا الشعار وتجسيده في كل العمليات التي أجروها، وأتّسم أداؤهم بانسجام كامل وانسيابية تامة، لا اختلاف بينهم ولا تفاوت، لا اختلاف ولا تنافر؛ بل ترسخت فيهم روح الجدية والتجانس الأسري الرحيم، يتحرّكون ويعملون بنشاط زائد كخلية نحل واحدة، أداءً يتتجاوز القدرات العادية، وإقبال على العمل وكأنهم يحاولون التفوق على أنفسهم في هذه الجراحات الإنسانية النادرة، دافعهم الأساسي إلى ذلك المشاركة الفاعلة في عمليات البناء والتطوير ورفع شأن الأمة العربية والإسلامية.

- ثالثها: تمثل الخبرة التي اكتسبتها هذه المسيرة في التعليم والتدريب، ولعلي أذكر أننا حرصنا كذلك - في هذا المشوار المهني الشاق والممتع - على إشراك الأطباء حديثي التخرج والمتدربين وطلاب الطب، ولم تقيد هذه الخبرة على جامعة معينة



التدريب في دورة الإصابات



شرح لطلبة الطب

أو أطباء معينين أو قطاع معين؛ بل فُتحت بما يتوافق والإمكانات العملية، وبما لا يضر المرضى، أو يؤثر سلباً على الخبرة ذاتها. أتيحت الفرصة لطلبة وطالبات الطب للمشاركة في العمليات بالمشاهدة والمتابعة بهدف تهيئهم إلى اكتساب الثقة في النفس، وتحفيزهم على التفوق وبناء القدرات والمهارات التي تمكّنهم من تقديم إبداعات مماثلة لوطنيهم، هذا الوطن الغالي الذي هيأ لهم كل إمكانات التعليم والتأهيل والتدريب والتخصص.

رابعها: الأخذ ببدأ القدوة وهو من المبادئ والأهداف الأساسية لهذه الخبرة، فإشراك حديثي التخرج والمتدربين والطلاب يشكل بيئة خصبة تتوفّر فيها إمكانية الاحتكاك بأساتذة أصحاب تخصصات عالية وخبرات عالمية ومارسة طويلة مما يدفعهم إلى الإعجاب بهم والاقتداء بنهجهم في أدائهم المهني الجراحي.

خبرة متاحة للكفاءات الواعدة

وعموماً فقد أشرken أطباء وجراحين متربين لتنسni لهم الاستفادة من خبرة زملائهم في حياتهم العملية. كما أشرken أطباء حديثي تخرُج في تخصص جراحة الأطفال بفروعه المختلفة تحقيقاً لهدف أسمى ورؤيه أبعد، ذلك أننا نتعلَّم؛ بل وننكِرس جهودنا ونسخر طاقتنا من أجل استمرار الخبرة عبر إعداد وبناء الكفاءات الطبية الواعدة، دافعنا إلى ذلك إيماناً بالخالص والصادق بأن خبرة التوائم السيمامية جاءت لتبقى ولتستمر في هذا الوطن الغالي بنفس المستوى من السمعة والشهرة بل لترتقي بهما أكثر. وطالما أنها تسنممت منزليتها العالية كإحدى أكبر الخبرات في العالم؛ فإن من الواجب الوطني والإنساني المحافظة عليها وعلى استمراريتها مستقبلاً بذات الكفاءة والقدرة على العطاء والتطوير ضماناً لبقاء اسم المملكة العربية السعودية عالياً في الأوساط والمحافل والمازنون العلمية العالمية.

ولاغر و إذن في أن ندعوه ونعمل على استمرار خبرة الجراحات السيمامية طالما أنها على يقين بأن الأطباء الأشخاص لا يبقون، وكل جراح عمر معين مهما كانت قوَّة بنائه وسعة خبرته، ولا بد له أن يشيخ وتعجز يده عن التقاط المشرط، وتحجب الشرايين الدقيقة عن عينيه.. ولكن بما أن الدماء متتجدد، وصغر السن يكبرون ويتعلّمون في مدارسهم وجامعتهم، وينهلون من تجارب أساتذتهم وخبراتهم؛ فإن المسيرة ستتواصل بمشيئة الله، وستبقى هذه المملكة (ملكة للإنسانية) بحول الله وعونه.

من وصايا الزهراوي

و قبل أن اختتم هذا الفصل أوصي أبنائي الطلاب والأطباء حديثي التخرج بما أوصي به الزهراوي أبناءه دارسي الطب، قال الجراح العربي المسلم الشهير كما أورد محققاً كتابه (الجراحة): «... إن صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وصفه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئاتها ومزاجاتها واتصالها وأنفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعدها ومخارجها والعروق النواص والسوائل ومؤخر مخارجها، ولذلك قال الحكيم الفاضل أثرياط إن الأطباء بالاسم كثروا بالفعل قليل؛ ولا سيما في صناعة اليدين... لأن من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به، كما قد



محاضرة لإحدى ورش العمل



محاضرة بالجامعة الإسلامية

شاهدت كثيراً من تهور في هذا العلم وأدّعاه بغير علم ولا معرفة ولا دراية.....». وقال متابعاً -في وصيته هذه- وهو يبيّن أهمية العمل باليد ومخاطره في مجال الجراحة والتشريح: «ينبغي لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم إلى قسمين: عمل تصحّبه السلامة، وعمل يكون معه العطب في أكثر الحالات، وقد نبهت إلى العمل الذي فيه الغرر والخوف؛ فينبغي لكم أن تخذروه وترفضوه لثلا يجد الجھال السبیل إلى القول والطغی، فخذلوا لأنفسکم بالخزم والخیاطة، ولرضاکم بالرفق والتثبت، واستعملوا الطريق الأفضل المؤدي إلى السلامة والعافية المحمودة، وتنکبوا الأمراض الخطرة عشرة البرء، ونزّلوا أنفسکم عمماً تخافون أنه يُدخل عليکم الشیهة في دینکم ودنياکم، فهو أبى جاهکم وأرفع في الدنيا والآخرة لأقدارکم... فقد قال جالینوس في بعض وصایاه: لا تداووا مرض سوء فتسمووا: أطباء سوء».



محاضرة في إثنينية الاستاذ عبدالقصود خوجة



الفصل العاشر

دبلوماسية الطب



خادم الحرمين مع التوأم البولندي أثناء زيارته لبولندا

دبلوماسية الطب

نتناول في هذا الفصل ثلاثة جوانب مهمة أولها دور الطب في رأب أو دعم العلاقات السياسية والدبلوماسية بين بلدان العالم، ثم نتحدث ثانياً عن تجربة فصل التوأم السياسي البولندي (أولغا وداريا) كأنموذج في فتح آفاق جديدة للتعاون بين المملكة العربية السعودية وبولندا، وفي الجانب الثالث نطرق إلى بعض ملامح استغلال ظاهرة التوائم السياسية سياسياً واجتماعياً.

أولاً: تأثير الطب في العلاقات الدولية

الدبلوماسية. كما يعرفها الساسة والمتخصصون من أهلها. هي: المهارة في إدارة العلاقات الدولية، أي أنها تعني فن كسب الدول أو تجميل الصورة بين دولة وأخرى عبر التفاوض والمحوار، أو تكريس الجهد والقدرات والمهارات والذكاء لاستمالة دولة ما وكسب صداقتها ومن ثم التعويل على تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بينهما بما يحقق منفعة لكليهما.

ولها بالطبع تعريفات أخرى كثيرة لا تعنينا كثيراً في هذا الكتاب، ولكن ما يعنينا هنا هو أن الدبلوماسية لم تعد قاصرة على القنوات الرسمية المتمثلة في وزارات الخارجية وسفاراتها وممثلياتها في الخارج، بل ظهرت نوافذ وجسور أخرى كثيرة غير رسمية ذات تأثير قوي و مباشر على العلاقات بين الدول حظيت باعتبار واهتمام لدى الدوائر المعنية بالعمل الدبلوماسي؛ لأن هذا التأثير قد يكون إيجابياً، أو ربما تكون له انعكاسات سلبية إن لم تكن ضارة!! ومن ذلك وسائل الإعلام المختلفة والأنشطة والبرامج الثقافية والرياضية والفنون على اختلافها والدبلوماسية الشعبية والشركات التجارية ورجال الأعمال المستثمرون وما إلى ذلك. ويمكن أن تدخل العلاقات الأكademie والعلمية والبحثية بين الجامعات ومرافق الأبحاث وغيرها في هذه الدائرة لتكون لها تأثيراتها في العلاقات الدولية.

ولا شك أن العلاقات الطبية والتعاون الصحي والطبي المستمر بين دولة وأخرى؛ يمكن أن يكون مؤثراً جداً في مجال دعم النشاط الدبلوماسي، ويفتح آفاقاً سياسية جديدة بين الدول ويدعمها ويعززها، ويمهد الطريق لتعاون اقتصادي وتجاري وثقافي بينها وإن كانت تفصلها عن بعضها اختلافات ثقافية أو مذهبية أو عرقية أو جغرافية.

والتابع للدبلوماسية الأمريكية - باعتبارها من أكبر وأنشط الدبلوماسيات في العالم وأكثرها تنوعاً - قد يلحظ أنها استخدمت وما زالت: (دبلوماسية الصحة) مع جيرانها من دول الكاريبي في أمريكا اللاتينية تحت شعار: (رعاية صحية أوفر للمزارعين وصغار الحرفيين من سكان الأحياء الفقيرة والأرياف)، وربما كانت لها أهداف ومصالح سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، أو حتى أمنية تحت مظلة هذا البرنامج الصحي.

ربما يطرح أحدكم سؤالاً حائزاً عن علاقة التوائم السياسية بالنشاط الدبلوماسي، وما لهذا الكتاب المتخصص وللدبليوماسية؟ وهو سؤال مشروع بالطبع ، ولكن كي نُزيل هذا اللبس أو هذه الحيرة نقول إن الطب - خاصة في الجانب الجراحي - أصبح يشكل جسراً رابطاً ومتيناً بين الدول، ولا نسوق ذلك لمجرد تسويق الطب سياسياً أو دبلوماسياً، وإنما من واقع التجربة الطويلة في ظل هذه المهنة، فقد سلط لنا هذا الواقع أضواء كثيفة على الوظيفة الدبلوماسية للطب، وكشف لنا أن جراحة واحدة يمكن أن تدفع العلاقة بين دولتين إلى أعلى



خادم الحرمين الشريفين يستلم وسام البسمة من أطفال بولندا

المستويات وإن كانت هذه العلاقات معدومة أو باردة أو مشوهة بمعاهدي وتصورات خاطئة أو ملتبسة، وقد يتحقق هذا التطور بصورة تعجز عنها الدبلوماسية الرسمية. لم يكن دور الطلب في المجال السياسي أو الدبلوماسي غائباً كلياً؛ ولكنه كان محدوداً وربما مغيباً بسبب عدم الاهتمام أو الاهتمام، أو حتى لغياب التصور الكامل مثل هذا الدور من جانب الدبلوماسيين والأطباء أنفسهم. ولا شك أن العواطف الإنسانية، والإحساس بالآخرين ومحاولة مساعدتهم في التغلب على الشعور بالعجز إزاء أوضاعهم الاقتصادية المترقبة، وعلى تجاوز حيرتهم ومعاناتهم الصحية بعزل عن دياناتهم واعتقاداتهم وساحتهم ولغاتهم وألوانهم؛ علاوة على النظرة الحصيفة والثاقبة بعيدة الغور، ثم القدرة على قراءة الواقع السياسي الدولي واستشراف آفاقه المستقبلية؛ كل ذلك يجعلنا نتبين بوضوح كافٍ دور الطلب في بناء جسور دبلوماسية بين دول لم تكن معنية ببعضها، فجمهورية بولندا على سبيل المثال. كانت علاقتها مع المملكة العربية السعودية محدودة وقاصرة على الأطر والقنوات الرسمية؛ بل كانت أسيمة لطروحات الإعلام الغربي ورسائله الإعلامية المشحونة بالترهات والافتراضات الخاطئة حول الجزيرة العربية عموماً والملكة خصوصاً، فالشارع البولندي -كغيره من شعوب أوروبا- يجهل كل شيء عن جزيرة العرب ولا يرى فيها إلا البداوة والصحراء الغنية بالنفط التي أصبحت ترفاً الإرهاب والعنف والفوضى في العالم !! ثم جاءت جراحة التوأم السياسي البولندي في المملكة العربية السعودية لتحدث انقلاباً كبيراً في هذه المفاهيم المغلوطة، وتُزيل هذه التصورات الواهمة إلى الدرجة التي تحركت فيها الأوساط الإعلامية البولندية بدافع ذاتية محضة لتصحيح هذه النظرة من خلال استقصاء المعلومات عن المملكة وموقعها الريادي في العالم العربي والإسلامي سياسياً وثقافياً واقتصادياً وتجارياً.

ولم يتوقف الأمر على الرأي العام البولندي؛ بل تحركت الدوائر الرسمية في الدولة على مستوى رئاسة الوزارة لإعادة النظر في العلاقات مع المملكة، ونشطت دبلوماسيتها في هذا المجال، فكان أن استقبلت الرياض وزير الخارجية البولندي وهو يحمل خططاً متکاملة لمشروعات اقتصادية وتجارية بين البلدين، وبرامج للتبادل الثقافي والفنى، وأخرى لتبادل المعلومات والخبرات والتجارب، إضافة إلى استخدام نوافذ وجسور بين جامعات البلدين مقتنة ببرامج لالأستاذة الزائرين والابتعاث وغيرها من البرامج التي يمكن تطويرها لتفعيل هذا التعاون في مختلف المجالات العلمية والأكاديمية والبحثية.

وتوجت زيارة وزير الخارجية البولندي إلى الرياض بدعوة إلى خادم الحرمين الشريفين من الرئيس البولندي لزيارةبلادهم والوقوف على تاريخها الحضاري وتجربتها في المجالات الصناعية والثقافية والاجتماعية، وشملتني الدعوة باعتباري رئيس فريق الجراحين الذي تولى عملية فصل التوأم البولندي، ولعلي أرى في هذه الدعوة تكريماً للطلب الذي فتح آفاقاً جديدة بين دولة أوروبية وأخرى خلبيجية ربما كانت علاقتها لا تتجاوز رسميات وبروتوكولات العمل الدبلوماسي.

وهكذا يدخل الطلب طرفاً فاعلاً في تنشيط العلاقات الدبلوماسية، ويؤسس -من خلال جراحاته ومساعداته الدوائية والعلاجية- إطاراً للتعاون تماماً مثل أي برنامج من برامج القنصليات والبعثات والسفارات، وهو بهذا التأثير يشكل حلقة داعمة ومؤثرة في علاقات الدول يمكن توسيع مظلتها والاستفادة منها بصورة أكبر وأشمل.



توقيع ثلاث اتفاقيات مع جامعات بولندا

وفي هذا العالم المتداخل الذي تطوّقُه تداعيات العولمة وتتأثيرها القوية المحكمة؛ نأمل أن يكسر الطب العربي والإسلامي - على اختلاف تخصصاته - مفهوم المحلي ويرحلق إلى آفاق أرحب منطلقاً من عواطف ومشاعر إنسانية مستمدّة من روح الدين الإسلامي وتعاليمه باعتباره رسالة للعالم أجمع ، وأن يُثبت للبشرية أن مسيرة المعرفة في الدول الإسلامية لم تعد كسيحة أو وئيدة، أو معنة في بدايتها ومحليتها؛ بل أضحت تشكل تجربة علمية ناضجة يمكنها الإسهام بقوة في دفع معدلات النمو والتطور داخل المنظومة الإنسانية، وأنها قادرة على إحداث التقارب بين الشعوب وتذويب الخلافات بينها، وعلى تصحيح المفاهيم المقلوبة، وفتح مجالات للتعاون كانت مغلقة تماماً.

وقد استطاعت تجربتنا السعودية القليلة في الجراحات السياسية أن تنقل «دبلوماسية الطب» إلى مصاف الدبلوماسيات الفاعلة والمؤثرة، وقد شكل لنا ذلك حافزاً مزيداً من الأداء والتواصل مع شعوب العالم؛ لأن الجراحة الواحدة لم يعد تأثيرها قاصرًا على ذوي التوائم؛ بل امتد إلى دولهم التي رأت في هذه المبادرات الإنسانية مفتاحاً للتعاون بينها وبين المملكة في ساحات الاقتصاد والتجارة والثقافة والصناعة وما إلى ذلك.. ولنا أن نتصور مبلغ التأثير الذي أحدثه جراحة التوأم البولندي كما أشرنا، والتوأم الفلبيني والكامبيوني في رفع درجة التعاون وتوسيع قاعدته وأطره.

الطب قيمة إنسانية رفيعة يمكن للسلوك الدبلوماسي - في أي دولة من الدول - استثمار خبراته وتجاربه سياسياً ودبلوماسياً في دعم أطر التعاون والتواصل بين الدول، ولقد لاحظنا أن بعض الدول عمدت إلى تسييسه دعماً لصالحها ونشرًا لمناذجها الثقافية والحضارية، ولعل دول قارتي أفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول العالم الأخرى الفقيرة هي أكثر الدول التي استفادت من العون الطبي الذي يدخل إليها في شكل مساعدات إنسانية عينية مباشرة عبر عدد من المنظمات الإنسانية العاملة في هذا المجال كأطباء بلا حدود وغيرها.

ثانيًا: (أولغا وداريا) جسر سياسي ودبلوماسي

لبي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز دعوة القيادة البولندية في شهر جمادى الآخرة المنصرم وتحديداً في الفترة من ١٠ - ١٢ / ٦ / ١٤٢٨هـ، واصطحب معه - حفظه الله - في هذه الزيارة وفداً رفيعاً يمثل مؤسسات وقطاعات اقتصادية وتجارية وأكاديمية وأمنية.. وكانت فتحاً وتتويجاً لعلاقات دبلوماسية أوسع وأرحب أثمرتها عملية فصل التوأم البولندي داريا وأولغا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بالرياض، ونستطيع القول إن الزيارة حظيت بأهمية تاريخية وسياسية باعتبارها أول زيارة لملك سعودي لبولندا، وشكلت نواة وقاعدة صلبة لعلاقات واسعة ومتينة بين البلدين سياسياً ودبلوماسياً وتجارياً وثقافياً قد يمتد أثراًها وتفاعلاتها إلى العلاقات العربية والبولندية عموماً.

ورغم أن العلاقات السعودية البولندية بدأت مع بداية نشأة المملكة العربية السعودية؛ بل كانت بولندا الدولة الثامنة في ترتيب قائمة الدول التي اعترفت رسمياً عام ١٩٢٩م بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حاكماً على الحجاز ونجد وملحقاتها؛ إلا أن حبيبات دعوة خادم الحرمين الشريفين إلى زيارته بولندا قد انبنت على موقفه الإنساني النبيل حين أمر - حفظه الله - بفصل التوأم السياسي البولندي.



مع التوأم البولندي والقصل السعودي



تقدير من أطفال بولندا

أحدث الحرب العالمية الثانية وهنّا وضعفًا في العلاقة بين البلدين؛ بل تسبّب في تمزيقها وتفتت عراها إلى أن أعيد ترميمها خلال العقد الأخير من القرن الماضي بعد استئناف الاتصالات التي تخضت في تبادل دبلوماسي عام ١٩٩٥م، وظلت علاقاتهما وثيدة وفاترة إلى أن جاءت هذه الزيارة الكريمة لتعيد بناء جسور الاتصال بين البلدين على أسس وقواعد راسخة.. ولتشكلـ كما وصفها سفير بولندا لدى المملكةـ نقطة تحول في العلاقات السعودية البولندية باعتبارها حدثاً مهمّاً في تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين يلقي الضوء على منظور استراتيجي جديد فيما يتعلق بتعاملهما على مختلف المستويات وال المجالات، وتعزز العلاقات بين الاتحاد الأوروبي ودول الخليج العربية، وتفتح آفاقاً جديدة للتعاون بين الكيانين.. وقال أيضاً إننا نعتبر عملية فصل التوأم السياسي البولندي التي أجريت في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية عالمة كبيرة في العلاقات السعودية البولندية، وأدخلت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود إلى قلوب البولنديين كافة، وهو ليس شخصية سياسية فحسب؛ بل زعيم عربي بارز وشخصية إنسانية عالمية وصاحب قلب كبير يسع حب الجميع.

لم يكتسب برنامج الزيارة ملماً رسمياً فقط؛ بل كان الجانب الإنساني حاضراً فيه بكثافة، وأحيط خادم الحرمين والوفد المرافق له بحميمية واضحة مثلت في الرخم الشعبي، وفي تداعي مشاعر الحب والتكرم لدى جميع قطاعات وشراحت الشارع البولندي الذي يحتفظ في ذاكرته بعملية فصل التوأم السياسي في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض في يناير عام ٢٠٠٥م، وكانتا كان هذا التدفق الوجدني تعبيراً جماعياً عن الشكر والعرفان والامتنان والمكانة الخاصة لقيادة السعودية.. وأتيحت للتوأم (أولغا وداريا) فرصة اللقاء والسلام على خادم الحرمين الشريفين للتعبير عن شكرهما لتلك الفتنة الإنسانية العظيمة والرعاية الكريمة التي أحاطهما بها منذ أن وصلتا إلى الرياض حتى مغادرتها.

وتجسدت أعمق صور التعبير والوفاء في احتفاء العاصمة وارسو بتقليد خادم الحرمين (وسام البسمة)، وهو وسام دولي إنساني رفيع يُمنح لكل من قدّم خدمات جليلة وغير مسبوقة للطفل. وفي هذا السياق ذكرت بعض وسائل الإعلام البولندية أن اللمسات الإنسانية للملك عبد الله جعلت منه رائداً في عملية التأثير بين الشعوب..

وفي هذا المنحى قالـ حفظه اللهـ إن بسمات التوأم البولندي السياسي عزّت إحساسه بأن المسؤولية الأساسية هي بناء مستقبل من الأمن والسلام ينعم فيه الأطفال بالسعادة دون خوف أو رعب.. وأكد أن المملكة تسعى دائماً بكل إمكاناتها لتحقيق التعاون والتقارب بين الشعوب، وتأمل أن يكون لبولندا بصفتها عضواً فاعلاً في الاتحاد الأوروبي صوتاً قوياً لنصرة الحق والعدل في العالم، ونوه بالبعد الإنساني للعلاقات بين البلدين مثلاً في عملية فصل التوأم السياسيين.

وقادت الزيارة إلى توقيع مذكرات تفاهم واتفاقيات تجارية واقتصادية وصحية وعلمية وتعلّمية وتقنية ورياضية، وكذلك مجالات التفاهم الثنائي والازدواج الضريبي ومكافحة الجريمة المنظمة وغيرها، ومذكرة تفاهم بين جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية وكلية الطب بجامعة وارسو والمركز الدولي للنطق والسمع.. وتوجت جميعها بموافقة سامية على إنشاء مركز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو التي تعد من أعرق الجامعات البولندية والأوروبية.



السياسة السياحية



تعاون مع منظمة اليونيسكو

ثالثاً: حافلتان سيميتان في حلبة السياسة

دخلت ظاهرة التوائم السياسية إلى حلبة التوظيف السياسي والاجتماعي، غير أن الظاهرة هذه المرة صناعية وليس طبيعية، وذلك بعد أن أصبحت المعايير الإنسانية في عصرنا هذا من العناصر ذات الأهمية الفقصوى في استدرار مشاعر الناس وكسب عواطفهم، وما كان ذلك إلا حين أمعن الإنسان في امتهان حقوق غيره، وأظهر درجة عالية من الصلف والجبروت أو صلته إليها بالغته في الإعداد للقوه وإظهارها واستعراضها، كما أن الانبعاد عن حمى الله وشرائعه سبب في الاعتماد على القوة وتوظيفها لتحقيق السيادة على الآخر.. ومن ثم فليس غريباً أن يسود في عصرنا هذا منطق البقاء للأقوى بدلاً من الأصلح.. ونتيجة لهذا نرى حقوق الإنسان تت سابق وتتنافس في مضمار السياسة، واستغلت شعاراتها في خدمة المصالح السياسية والاقتصادية، وأضحى منتهكوها هم أنفسهم رافعي شعاراتها ودعاة تطبيقها.

ولما كانت التوائم السياسية مدخلاً للتعاطف وتحريك المشاعر، فقد استغلها بعض الدهاء لتسليط الضوء على مشكلات بعينها اجتماعية كانت أو إنسانية.. وفي هذا الشأن ابتكر أحد الأميركيان - كما ذكرت بعض وسائل الإعلام - حيلة ميكانيكية تمثلت في حافلة سيامية لاستقطاب دعم مرشحي الرئاسة في بلده ليساهموا في رفع معدلات الاستثمار في الأسرة والتجمعات السكانية، إنها حيلة دعائية بارعة للفت الانتباه ودفع الناس في اتجاه معينٍ يتعلق بقضية أمريكية بحتة.. استهدف المذكور حشد تأييد مرشحي الرئاسة في الولايات المتحدة لزيادة الاستثمار في الأسرة والتجمعات السكنية، عن طريق تحويل جزء من مخصصات وزارة الدفاع «البنتاجون» واستثمارها في مجال مفيد يتعلّق بدعم الأسرة.

الحافلة عبارة عن توأم سيامي صناعي ملتصق التصاقاً كاملاً في عموده الفقري أي على امتداد منطقة الظهر، مع وجود اشتراك في أنسجة المخ (الماكينة) والصدر (مقعد السائق) والبطن والخوض (مقاعد الركاب)، والأطراف الجانبية (الأبواب والمخرج) وتظهر إحدى الحافلتين وكأنها مستلقية على ظهرها فوق توأمها وأطراها السفلية مستقلة في الاتجاه إلى أعلى..

لا يمكن بالطبع إجراء جراحة لفصليهما لأنهما ليستا طبيعيتين، ويصعب ذلك ميكانيكياً إلا بالتضخيم بإحداثهما على حساب الأخرى. وكما ذكرت المصادر التي نشرت هذا الخبر؛ فإن الميكانيكي صاحب الفكرة أراد المشاركة في الدعوات التي تطالب مرشحي الرئاسة بتقليل ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) وتحويل جزء من مخصصاتها إلى دعم بنية الأسرة الأمريكية وتعزيزها مما يساهم - وفق تصوّره - بصورة أساسية في تقوية نسيج المجتمع الأمريكي وصيانته من عوامل الخلخلة والتفكك.. وعن طريق هذه الحيلة تمكن من استغلال التأثيرات الإنسانية لظاهرة طبيعية بتوازن مصطنع ليكسب تأييداً وعطفاً لما أراد الدعاية والترويج له.. ويكونه بعد نجاح هذا (الإعلان الاجتماعي) إجراء جراحة ميكانيكية لفصل حافلته السيامية.

طافت الحافلة السيامية عدة ولايات أمريكية، ولفتت انتباه الناس لغرابتها؛ ولكنها استطاعت تذكيرهم بالدافع والأهداف الإنسانية التي أسهمت في تحريكهم ودفعهم إلى التعاطف مع القضية التي رفع صاحبها شعارها.. وهكذا يظهر التأثير الاجتماعي والإنساني للتتوائم السياسية - طبيعية كانت أو صناعية. في شحن المشاعر وتوظيفها لمصالح سياسية أو اجتماعية.



حفل استلام جائزة فيلكس نيابة عن خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في بولندا







الفصل الحادي عشر
الإعلام وعلاقته بالتوائم
السياسية

czeka nas inwazja robactwa? STR. 8 +++ Małysz drugi STR. 18 +++ Lista tanich antybiotyków STR. 14-15

WYDARZENIA 4 stycznia 2005 Wyd. 2-PL

www.e-Fakt.pl

Fakt

GAZETA CODZIENNA

120
zł

Tylko w tym numerze

Nr 2 (365)

Indeks 350480 ISSN 1721-7118

Cała Polska trzymała kciuki za powodzenie tej operacji. O 20.06 siostry syjamskie Olga i Daria zostały rozdzielone w Arabii Saudyjskiej. Módlmy się za ich zdrowie!



Olga

Daria

الله يحيى شاء الله

Bogu dzięki! Rozdzielone

9 777 731 71121

To były najcięższe chwile życia dla rodziców Olgi i Darii! 14-miesięczne siostry syjamskie z Janikowa zostały wczoraj rozdzielone w klinice w Arabii Saudyjskiej. Matka dziewczynek Wiesława

Dąbrowska (38 l.) przez cały dzień umierała z niepokoju o życie swoich małejństw. Nie była w stanie wejść na salę operacyjną. Ojciec Janusz Kofacz (28 l.) widział transmisję z rozdzielania

dziewczynek w arabskiej telewizji. Plakal, gdy widział lekarski skalpel przecinający ciała jego córeczek i modlit się, by Bóg pozwolił im przeżyć. Czytaj STR. 2-3-4-5



Matka Wiesława Dąbrowska (38 l.) szczęśliwa chwilę po operacji

الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية

لا شك أن الإعلام أضحت من أمضى أسلحة العالم المعاصر وأكثرها استخداماً وأعمقها أثراً؛ ولكن لماذا التأكيد على هذه المسألة البدهية في كتابنا هذا؟ وما دور الإعلام وعلاقته بالتوائم السيامية؟ وللإجابة على السؤالين من أجل تحديد وبيان هذا الارتباط نقول: لقد أعطى الإعلام الغربي اهتماماً كبيراً بها لعدة أسباب نجملها في الآتي:

- ندرة حدوث مثل هذه الحالات، وغرابتها.

• صعوبة التعامل مع التوائم السيامية من النواحي الاجتماعية والأسرية والنفسية، بل والطبية في كثير من الأحيان.

- الجانب الإنساني المترن بهذه الحالات.

• التحدي الطبي وخطورة عمليات فصل التوائم.

- انعكاس مثل هذه الحالات على الأسرة.

• كيفية توفير الرعاية والمتابعة الصحية المستمرة، وإمكانية إتاحة فرص التعليم الخاص للتوائم السيامية وما إلى ذلك.
وتمكن الإعلام الغربي - بما يملكه من موهب وتقنيات الإخراج والإنتاج - من ترجمة عمليات الفصل التي أجريت إلى مواقف إنسانية، وحوّلها إلى أفلام وثائقية لصالح الدول التي أجريت فيها تلك العمليات. وفي هذا المنحى نود التنبيه إلى أن خبرة المملكة العربية السعودية مع التوائم السيامية بدأت قبل أكثر من عقد ونصف العقد من الزمان، وكانت الأهداف الأساسية التي أدت إلى بنائها إنسانية بحثة، وتخلّف الإعلام العربي عنها في بداياتها، وظللت متابعته لها محدودة ومتواضعة؛ ولكن مع مرور الزمن بدأت هذه الإنجازات الوطنية العلمية تجد حيزاً لها في الذهنية الإعلامية وتحظى بأهمية أكبر في وسائل الإعلام العربي؛ خاصة بعد اهتمامه الملحوظ بإبراز خبرة المملكة العربية السعودية في هذا المجال، وإحاطتها ببعض المتابعة والعنابة وإن فعل ذلك بصورة متواضعة لا ترقى إلى مستوى الخبرة نفسها طبياً وعلمياً. وعندما بدأت المبادرات الإنسانية من قيادتنا الحكيمية تعمُّ العالم العربي والإسلامي والعالمي؛ تناهى اهتمام إعلامنا المحلي، بينما بقي اهتمام نظيره العربي بعيداً عن المستوى المطلوب، ولم يعطها حقها من المتابعة أو يحاول توظيفها لصالح عالمنا العربي والإسلامي.. ولكن - وإنقاذاً للحق - فإن الإعلام الماليزي كان متميزاً في إبراز هذه الخبرات السعودية؛ خصوصاً مع التوأم الماليزي الذي وجد اهتماماً شعبياً ومتابعة من جماهير بلده.

ولعل خبرة المملكة العربية السعودية قد تميزت ومازالت تميزت عن غيرها في العالم أجمع ، ويتبين ذلك من خلال قبول فريقها الطبي لتحديات كبيرة اعتماداً على ما يتحلى به من مهنيات عالية، وما يتعلّج في صدور أعضائه من مشاعر إنسانية فياضة، وذلك على الرغم من الضغط الإعلامي وال النفسي المتمثل في موافقته على نقل العمليات الجراحية حيّة عبر التلفاز والشبكة العنبوتية؛ بل وعدم ممانعته في استقبال أسئلة الإعلاميين والمهتمين مباشرة على الهواء من داخل غرفة العمليات والإجابة عليها، مؤكداً بذلك مدى الكفاءة والثقة التي يتمتع بها، متىحاً في الوقت نفسه الفرصة لتعيم هذه الخبرة وتقديمها للعالم أجمع .



الإعلام العربي



الإعلام المحلي

وحرى بنا . ونحن نتحدث عن الإعلام . أن تستصحب القارئ ليتعرف على بعض المواقف الإعلامية التي نرى أهميتها للجميع :

١. أثبتت زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم البولندي موقفاً إنسانياً وإعلامياً؛ فعندما كان . يحفظه الله . بالقرب من سرير طفلة توأم لم يتتجاوز عمرها العام ؛ مددت يدها لتصافحه وكأن لسان حالها يقول : شكرأ لك يا ملك الإنسانية على ما قدمت لي من رعاية واهتمام .. وكان في إمكان الإعلام الاستفادة من ذلك الموقف الإنساني العظيم في إبراز الوجه المُسْفَر للمملكة العربية السعودية ، وفي إظهار تفاعل القيادة مع الكفاءات الوطنية ، ومع مختلف مستويات المرضى من الداخل والخارج . كذلك عندما توقف . حفظه الله . لاستقبال أسئلة مثلي وسائل الإعلام الدولية قبل أن يغادر باحة المستشفى ورددَ على سؤال أحدhem بقوله : «ما نحن إلا خدام الإنسانية» ، مُجسداً بذلك موقفاً إنسانياً نادراً .. نعم إنه عبد الله بن عبد العزيز الملك القائد الذي يؤكد في كل مواقفه أصالة الشعب السعودي ورحابته ، وأن هذا الوطن هو رمز الإنسانية وخدمتها .

٢. واكب التوأم السيامي الماليزي حضور إعلامي عالمي كبير ، وكانت من بين جمهورة الإعلاميين . لحظتها . المذيعة المشهورة في قناة سكاي البريطانية نيكولا هيلز التي طلبت أثناء جولتها في ربوع مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض التقاط صورة لمسجدها الشامخ ، وعندما سُئلت عن سرّ هذا الطلب أجبت : «الأبث رسالة عبر إعلامنا تثبت أن هذا المسجد ليس مصدرًا للإرهاب ؛ بل هو الذي أنتج الفريق الطبي الذي نجح في إنقاذ حياة التوائم السيامية على مستوى العالم ، وأنجز ما عجز عنه علماء عالميون مشهورون». كنا سعدنا كثيراً لو استفاد الإعلام العربي من هذا الموقف وترجمه لصالح بلداننا .. ولا شك أن ملهمًا بسيطًا وعايـراً مثل هذا يمكن أن يُصـحـحـ مفاهـيمـ خـاطـئـةـ وـمـغـلوـطـةـ عـنـ لـدـىـ كـثـيرـ مـنـ الشـعـوبـ .

٣. التوأم البولندي كان حدثاً إعلامياً متميزاً صبَّ في مصلحة المملكة العربية السعودية والعالم العربي والإسلامي ، وكان باستطاعتنا الاستفادة منه في إبراز صورة مشرقة وصحيحة عن الإسلام وسماته؛ لا سيما أن الصحف البولندية قد أثبتت على المبادرة الإنسانية لخادم الحرمين الشريفين ، مشيرة في الوقت نفسه إلى إحجام كثير من أثرياء العالم والدول الغربية عن تبني ودعم مثل هذه العمليات الإنسانية ، ووصفت الملك عبد الله بن عبد العزيز بالإنسان والرجل العظيم الذي بادر بكل الصدق لتبني حالات متعددة من مختلف الدول . نعم بادر . حفظه الله . ليؤصل قيمًا وحصلًا إنسانية يعزُّ نظيرها في عالم اليوم . وأصدق دلالة على ذلك مبادرة صحيفة (جازيتا) أشهر الصحف البولندية التي تمثلت في منتحه . حفظه الله . جائزة (فيليكس) وهي جائزة لا تمنح إلا من قدم عملاً عظيمًا للإنسانية .. كما كتب كثير من الكتاب البولنديين في الصحف والشبكة العنکبوتية (الإنترنت) مُنبهين إلى أن ما تقدمه المملكة العربية السعودية يعدُّ عملاً إنسانياً نبيلًا خارجًا من مشكاة دين عظيم ، وأن المسلمين براء من تهمة الإرهاب التي ألصقت بهم؛ بل دفعت هذه المواقف الإنسانية كثيراً من أدبائهم وكتابهم إلى البحث والقراءة عن هذا الدين العظيم ... فهل تستَّ لنا



أحد المؤشرات الصحفية



الإعلام العربي

الاستفادة من هذه التداعيات الإعلامية بالطريقة المناسبة التي تشكل مدخلاً إلى الذهنية الغربية المعنة في خصومتها لكل ما هو إسلامي؟؟

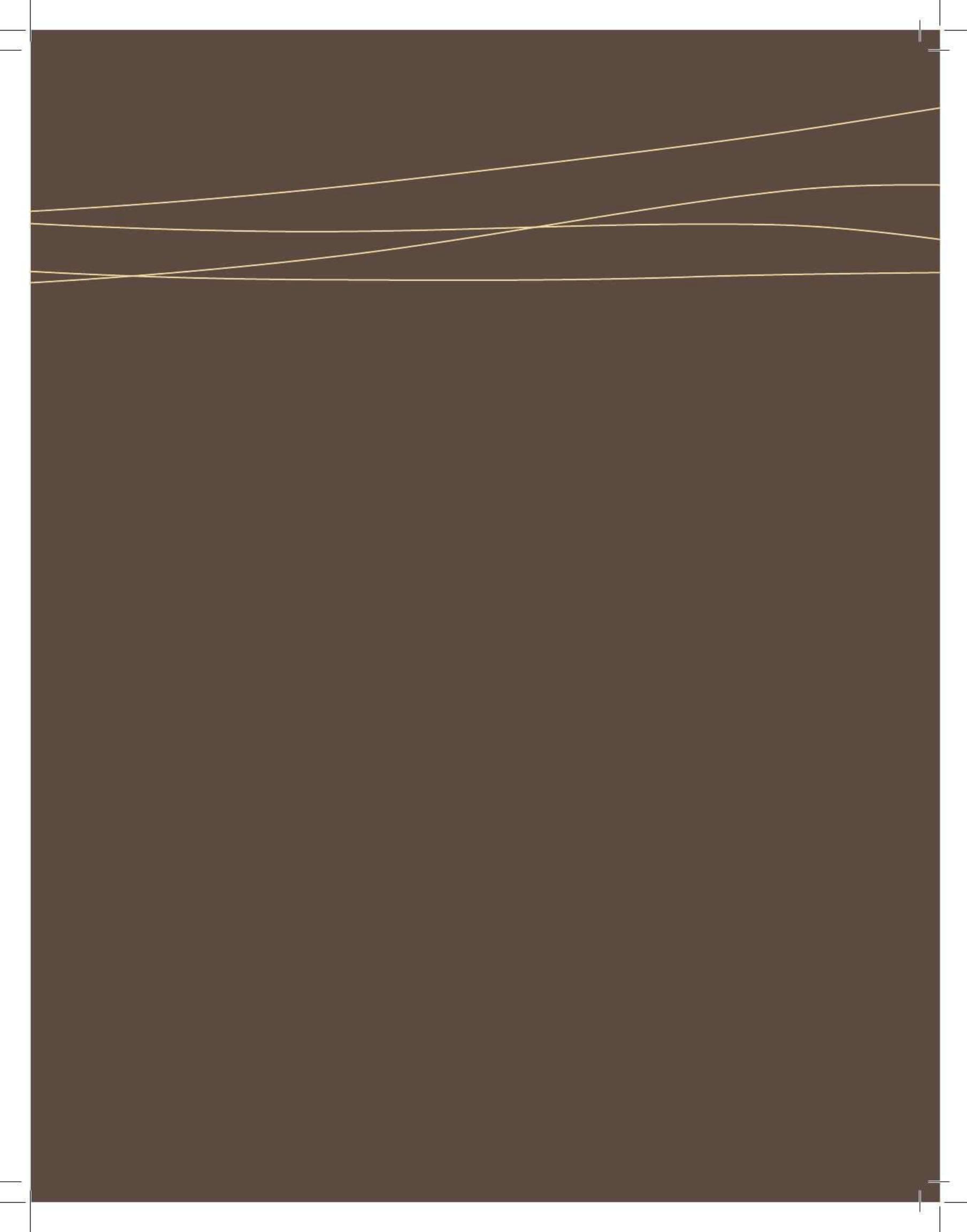
٤- التوأم الفلبيني: عند عودة التوأم إلى مانيلا استقبلته رئيسة الفلبين بقصرها الجمهوري، وأشادت بالمملكة العربية السعودية وأثنت على خادم الحرمين الشريفين، وشكل هذا اللقاء لفتة إعلامية باللغة التأثير كان من الممكن ترجمتها واستثمارها بصورة أكثر اتساعاً وعمقاً.

٥- موقف نأمل أن يتحقق: إن هذه السلسلة من الإنجازات حقًّ من حقوق المملكة العربية السعودية، وتمثل أمثلةً مشرفةً ومشرفةً للعالم العربي والإسلامي .. فهل في وسعنا إيداعها وتوثيقها في عدة أفلام وثائقية تخاطب شعوب العالم، وبالتالي يمكن أن تسهم في تغيير مفاهيم كثيرة عجزت وسائل الإعلام المباشرة عن تصويبها.. هذا مجرد رجاء أُبَّهُ عبر هذه السطور القليلة لعله يجد صدى لدى أحد رجال بلادنا الغالية الغيورين على دينهم ووطتهم، فيبادر إلى تنفيذه من أجل أن يتعرف غير المسلم على صورة صادقة ومعبرة عن سماحة الدين الإسلامي باعتباره دين حب وسلام وسلم، ولم يكن في يوم من الأيام دين حرب ودمار وإرهاب كما ترسّخ في الأذهان جراء أفعال فئات شاذة محسوبة عليه.. ونحن نعلم جميعاً أهمية الأفلام الوثائقية في نشر القيم الثقافية والحضارية، وكيف توظفها كبرى مؤسسات الإنتاج السينمائي العالمية.



خادم الحرمين الشريفين يصرح لقنوات سي إن إن العالمية، وبي بي سي ،
وسكاي نيوز ، والقناة السعودية الأولى ، أثناء زيارته الابوية للنواة العراقي





الفصل الثاني عشر

انسانية قائد



إنسانية قائد

لابد لي - وأنا أودع خلاصة تجربتي خلال صفحات هذا الكتاب - من أن أطلع القارئ الكريم على أحداث وموافق ومبادرات آثرت النمو والتفتح وراء الستار بعيداً عن الأضواء، والتحرّك بتجدد دون دوافع أو أهداف؛ بل تداعت وانسابت بتلقائية كماء زلال، إنها دفقات عطاء ثرّ تقاطرت من نبع لا يشحّ نواله ولا ينحصر فيضه ولا يتضيّب معينه بإذن الله، ولا تتقطّع حبال دلائه، عطاء ذاتيٌّ محض متعلق بالرجاء والثوبية من الحالق العظيم، ونقصد عطاء رجل يستمسك بحبل الله المتين، ويستنير في كل خطوه بنوره المبين، ويستمد قيمه وعزائمه من هدي رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .. رجل يتتفوق على ذاته ويملك مشاعر إنسانية باتساع المعمورة، راحته نديّتان على الدوام، ما قبض به عن طالب، ولا تألف أو ذوى وجهه عن ذي حاجة، ومهمماً أسرفت الأقلام في الحديث عنه؛ فلن تبلغ شاؤه، ولو لا أن فطرته تأبى المدح والإطراء؛ لاستمد العالم كل مفردات المعاجم التي يمكن أن توفيه حقه؛ ولكنها لا يرضى أن يكون مقصداً للمادحين والمقرّظين. هو رجل لا يحتاج إلى تعريف أو إعلام، ولا يطبع في أن تُسود الصفحات بالحديث عنه أو عن إنجازاته؛ لأنّه استطاع أن يكتب - بعداد من نور - ملابيح الصفحات والدروس في خواطر العالم، وأن ينقشها في وجدانه بصفاته الفذة وتواضعه الجم، ومبادراته الإنسانية وحبه للخير، وحرصه على ضعفاء الأمم ومحاجيها ومدد العون لهم أينما كانوا.

لقد كانت لهذا الإنسان مواقف نبيلة مع أطفال شاء الله أن يولدوا بعيوب خلقيّة شديدة التعقيد، وظروف معيشية متدينة، وفي عالم أهمل قيم الروح، وأغرق في الماديات، وبالغ في القوة والإعداد لها والاعتداد بها حتى كادت إنسانيته تنسخ من جلدتها، عالم غارت فيه مشاعر الرّحمة، ووُيدِّع العطف، وضمّر مساحات العون والمساعدة بين الإنسان وأخيه، وبين المجتمع والمجتمع والأمة والأمة، عالمٌ تجاوز الحدود ليتصدّع أكبادنا ويدمي أعيننا بمشاهد القتل والهدم والتشريد، أو طانْ تُدمرَ ، وتنهب خيراتها، وتسلب حرياتها، أسرَّ ترك نهباً للضياع وشظف العيش، نساء يتملّن، أطفال يتيمون وتُقتل البراءة في وجوههم، وآخرون يعيشون بإعاقات دائمة، أو ويُجبرون على الشقاء والإذلال الذي يزهق كرامتهم ويسحق آدميّتهم. لقد أصبح العالم يرّزح تحت وطأة المؤامرات والكراهية والدمار ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

ورغم مضاضة هذه الظروف التي يعيشها العالم من حولنا؛ تستطع في سماء ملكتنا أفعال خير وبرٌّ وإنسانية لتكشف الغمة، وتعيد الأمل والضياء إلى النفوس المرهقة، وسط هذه التراكمات المريّرة يرتفع اسم القائد الإنسان، والإنسان القائد عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - ليترجم معانيًّا مترعةً بالخير، ومفعمّةً بالمحبة، ومشرقّةً بروح التأني والتآزر وخدمة الناس، يستلهم - أمدًّا الله في عمره - مواقفه ومبادراته من مبادئ وقيم ديننا الحنيف الذي يؤكّد خطابه وتعاليمه على هذه الشعارات الإنسانية الرفيعة والمخلصة دون اعتبار لللون أو جنس أو طبقة، ودون انتماء لعقيدة أو مذهب أو طائفة أو جغرافية، قال الله تعالى: ﴿.... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ المائدة - الآية (٣٢).



زيارة للتوأم السعودي الطفيلي



زيارة للتوأم البولندي

وأستاذنا القارئ الكريم في أن أعرض له هنا مواقف ومبادرات خادم الحرمين الشريفين - وفقه الله - مع التوائم السيمامية كمثال بسيط على إنسانيته؛ لأنَّه كان بحقِّ دون مجاملة أو ملأة - وراء هذه الخبرة العلمية والإنسانية التي تحققت في بلادنا الغالية، واعتبرتْ كذلك وساماً يتقدّم على صدر وطننا العربي والإسلامي؛ فقد دعمها - رعاة الله - بما أوتي من حكمة وحنكة وبُعد نظر لتكون وسيلة فعالة ومؤثرة من وسائل الدعوة، ولتعكس أنموذجاً مشرقاً للبلدان الإسلامية، مبرهنَا للعالم عبر هذه النظرة المتعمقة أنَّ هذا الدين هو أصل الحضارة، ومنبع الدعوة الصادقة إلى نشر السلم والسلام والطمأنينة في ربوع هذه الأرض، وإلى تكريم الإنسان وصونِ كرامته وحفظ حقوقه، وهو ليس دين إرهاب ولا فتك ولا تخريب.

إذاً فانا أرى أنَّ الواجب يحتم علىَ طالما كنا في سياق إنسانية هذا القائد - إبراز بعض الوقفات علَّها تكشف الجوانب المضيئة لهذه الإنسانية، ومن هذه الوقفات على سبيل المثال لا الحصر:

الوقفة الأولى: مع التوأم السعودي الثالث:

في نهايات العقد الأخير من القرن الماضي بدأت ثمار النهضة الصحية في المملكة تتکاثر، وتؤتي أكلها على مساحة واسعة الانتشار، وتعاظم سمعتها. إقليمياً وعربياً ودولياً بعد أن تأهلَ كثير من أبنائنا في اختصاصات طبية دقيقة، وبفضل هذا التأهيل العالي والتدريب المستمر، وترانيم الخبرة والتجارب السابقة تشكل فريق طبي مُتَكَبِّن - بفضل الله ثم برعاية قيادتنا الحكيمية - من إجراء رابع عملية فصل لتوأم سيمامي بالملكة. ففي هذه العملية تم فصل توأم سعودي بعد أن أثبتت الفحوصات المخبرية أنهما متلاصقان بالصدر والبطن والخوض، مع وجود اشتراك بينهما في الكبد، واشترك آخر في الأمعاء الدقيقة والقولون والجهازين البولي والتتناسلي.. وفي ليلة العملية تلقيت توجيهيًّا من خادم الحرمين الشريفين بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والدعاء قبل العملية لأنَّه جل وعلا لا يُخَيِّب رجاء من أملَ فيه والتجأ إليه..

وبعد أن وفقنا الله وهياً لنا النجاح في هذه العملية؛ كان أول اتصال تلقيته من مقامه الكريم - حفظه الله - ليطمئن على حالة التوأم وسلامته، وما أن اطمأن عليهما حتى أمرني بنقل تهانيه لوالديهما ثم لزملائي أعضاء الفريق الطبي، ولم يكتف بذلك؛ بل استقبل التوأم بعد شفائه مهنتاً وباركاً لوالديهما ومذكراً لهم بوجوب شكر الله الذي أنعم على طفليهما بالصحة والعافية.. إنها إنسانية قائد عظيم.

الوقفة الثانية: مع التوأم المصري الثاني:

قبل أن يغادر التوأم المصري الثاني غرفة العناية المركزة بعد نجاح العملية الجراحية؛ قرر الرجل الإنسان زيارتهما في المستشفى من منطلق ذاتي ودافع إنساني بحت، أراد - حفظه الله - الاطمئنان بنفسه على وضعهما، وحين دخل عليهما انحنى وقبل يد إحداهما في حنان وعطف بالغ مثلكما يُقبِّل الوالد أطفاله، وكان فرحة بشفائهما كبيرةً وباديةً على وجهه.

وأؤكد أنَّ حرصه هذا - أطال الله عمره - كان نابعاً من قلب عطوف محبٌ للخير، وقد سأله أحد الصحفيين المصريين في نفس



زيارة أبوية للمصابين



زيارة للمرضى

المكان عن رأيه في هذا النجاح، فجاء الرد سريعاً وبتلقيائية: «إنه نجاح الأمة العربية والإسلامية». نعم، إنه بهذا الموقف يؤكد مرة أخرى أننا أمة واحدة يجمع بينها الدين واللغة، وتوّلّف بينها مشاعر المحبة والإخاء، وتتوّثق عراها ووحدة الهدف والتطلع والمصير. وفي إجابته إشارة إلى أن نجاحاً أحدهما يشيرُ وحافزُ الآخر.. موقف يستحق التقدير والاحترام.

الوقفة الثالثة: مع التوأم البولندي:

تجسد هذه الوقفة في زيارته الكريمة - حفظه الله - للتتوأم البولندي بعد يومين من نجاح عملية فصلهما، وكانت لهذه الزيارة معانٌ ودلائل إنسانية واجتماعية ودينية عميقه بعيدة الغور، فعندما كان واقفاً بجانب سرير إحدى الصغيرتين مدّت يدها لتصافحه وكان لسانها حالها ينطق ويقول: شكرًا أيها الإنسان، شكرًا أيها القائد، شكرًا شكرًا شكرًا.. لم تصدّك حدود الدول ولا حواجز القارات، ولم يمنعك اختلاف الأجناس أو الألوان أو اللغات أو الأديان أو الأعراف أو الجغرافيا من بسط يد العون والمساعدة لإنقاذ طفلة بريئة محتاجة قدمتْ من بلد بعيد ومدينة بعيدة يجهلها أهلوك وشعبك، وربما جهلها أهل قارتها أنفسهم. لم يبرح خادم الحرمين الشريفين مكانه؛ بل رفع يديه - بعد مصافحة الطفلة - إلى السماء شاكراً ربه على نعمه وألائه وما أكرمه به من قدرة على مساعدة المحتاجين.

إن موقفه هذا - أغدق الله عليه نعمه - يقف مثالاً حيًّا على خلق الإنسان المسلم الذي حرَّك الملايين في بولندا للتتأمل في إنسانية هذا البلد وقيمته ممثلة في قائدِه، ولتبينَ هذا القدر من السماحة والخلق العظيم الذي يتميز به هذا الرجل، ولتعيد النظر في رؤيتها وتقيمها للدين الإسلامي مستشفةً نُبَلَّ قيمه، ومتأنلة سماحته وعلميته.. لقد طبع هذا الموقف الإنساني في أذهانهم صورةً مشرقةً عن الإسلام وأهله بعدها شوَّهَا وهدمها الإعلام الغربي، ودمغ معتقديه بالجهل والضلالة.

الوقفة الرابعة: مع التوأم العراقي

نظرة أبوية حانية كانت تبدو على وجه خادم الحرمين الشريفين وهو يطالع الطفلين العراقيين بعد نقلهما مباشرةً إلى العناية المركزة، أحس والداهما بأنه يشار كهما عاطفة الآبوة بكل تداعياتها، لاحظ جميع الحضور تلك النظرة المشفقة والودودة والرحيمة المترنة بالدعاء والضراعة إلى الله عز وجل بأن يحفظ هذا التوأم، ويكتب لهما حياة كريمة في مستقبلهما خالية من المنغصات، وأن يصبحا عضوين فاعلين ونافعين في مجتمعهما.. كان لسانه - رعاه الله - يلهج بالثناء على الله جل وعلا الذي وفقَ الفريق الطبي في أداء مهمته بنجاح ، وبالدعاء الطويل إلى الصغيرين وكأنه يحاول - عبر هذا الدعاء - استئناف مجتمعهما لتأمين حياتهما بعد أن منَّ الله عليهم بنعمته الفصل.. لقد بدا واضحًا أن مساحة اهتمامه تتجاوز حدود الوطن ولا تقصر على السعوديين فقط؛ بل تكاد تستوعب الأمة الإسلامية قاطبة. نظرة إنسانية نبيلة أحاطت هذه الأسرة الضعيفة القادمة من ساحة حرب ضروس لا يخبو لها أوار، وكأنه - أمد الله في عمره - يواسيها ويتمني لها أن تكون في مأمن مما يجري على الساحة العراقية.



استماع لشكوى مواطن آخر



عطف على مواطن

الوقفة الخامسة: مع التوأم الكاميروني

استطاعت الأحساس والمشاعر الإنسانية الفياضة أن تكسر حاجز اللغة بين خادم الحرمين الشريفين - كلامه الله برعايته - ووالدي التوأم الكاميروني، كانت ابتسامته في وجه الطفلين أبلغ من كل المفردات والعبارات، وحملت معاني ومدلولات تكاد تعجز عنها كل اللغات، وشكّلت ترجمة صادقة لأحساس وإنسانية هذا القائد.. لقد أطل الفرح على وجهه الكريم بعد نجاح العملية واطمئنانه إلى أن التوأم سيخرج إلى الحياة من جديد بآمال وطموحات مستقلة لكل منهما، زارهما في العناية المركزة، وتحدث إلى والديهما رغم أنهما لا ينطقان إلا بلغتهم المحلية، كانت سعادته - حفظه الله - لا توصف وهو يهتمهما على نجاح العملية، بإشراق الحياة في جسد أي إنسان أو مجتمع أو أمة؛ يملأ قلبه بالفرح والسعادة، فإنسانيته غير محكومة بجغرافية أو لون أو مذهب؛ وإنما تسع الجميع في كل أنحاء الدنيا، ولعل هذا سرًّا من أسرار استقرار بلادنا ورفاهيتها وأمنها وأمانها من البلایا والمحن والخروب، فهي بإذن الله في حفظ الله ورعايته، فمن كان في عون أخيه كان الله في عونه.

الوقفة السادسة: استقباله للتوائم وأسرهم بمزرعته:

لا يقف اهتمامه - حفظه الله - بالتوائم السيامية على مرحلة الفصل والعلاج والزيارة على أسرة جناح الأطفال بعد العمليات، ولا على توجيهه بمتابعة حالاتهم حتى بعد عودتهم لبلدانهم؛ بل اعتاد على استقبالهم في مزرعته الخاصة مع ذويهم، وتهنئتهم بما منَّ الله عليهم من نعمة الصحة والعافية، وإشراق الحياة في نفوسهم ونفوس آبائهم بعد ما غلب عليها القلق وسيطرت عليها الكآبة والمعاناة، ويُشرِّفُهم بالتقاط صور تذكارية معهم، ويقدم لهم بعض الهدايا. ويمثل ذلك أروع الصور الإنسانية التي تصوغ ذاتيه المتوجهة بقيم الإسلام وتعاليمه ومبادئه، كما يكشف عن تواضعه وحبه الشديد للأطفال.

الوقفة السابعة: زيارته لمساكن الفقراء بالرياض:

فاجأت زيارته لمنازل الفقراء بالرياض الجميع؛ إذ لم يسبقها ترتيب أو إعداد أو تنظيم أو إعلام أو إجراءات حماية، فقد قرر خادم الحرمين الشريفين زيارة أحد الأحياء الفقيرة بالرياض ليطلع بنفسه دون وسيط على وضع هذه الفتنة المهمة من المجتمع. لقد برهنت هذه الزيارة - التي تحدث فيها إلى المسن وأصغى إلى المرأة وداعب الطفل - أن عبد الله بن عبد العزيز رجل خير وإنسانية وعطف وحنان.

الوقفة الثامنة: زيارته لمرضى حمى الوادي المتتصدع بمدينة جازان:

أظهرت هذه الزيارة بُعدًا آخر لإنسانية خادم الحرمين الشريفين، وكشفت أن هموم المواطن والمريض والمحاج لا تفارقه أينما كان، وأن حاجاتهم ومتطلباتهم من أولوياته. فحين علم بمشكلة حمى الوادي المتتصدع أثناء عودته من مهمة رسمية في



السلام على الأطفال



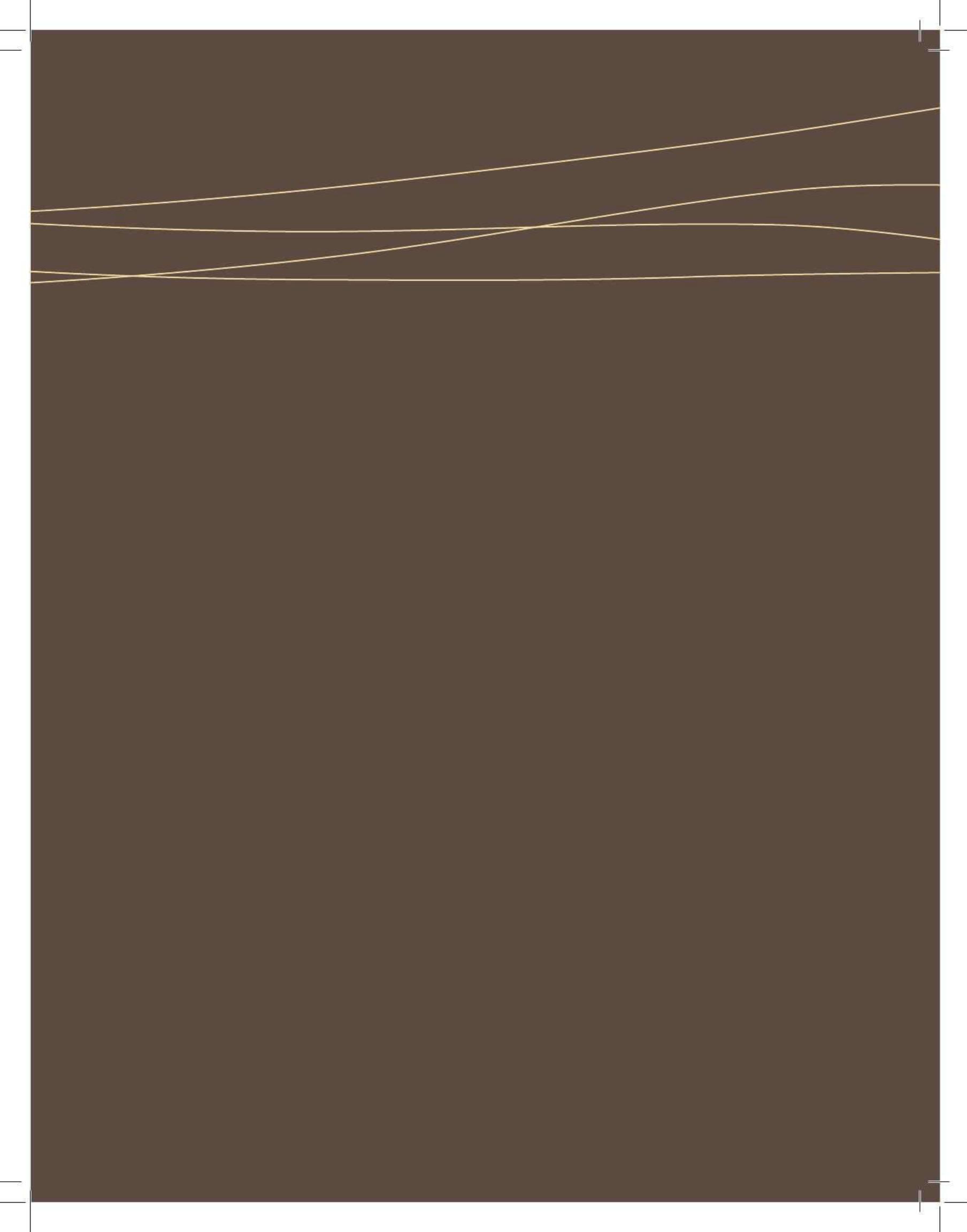
زيارة لمساكين المحتاجين

أوروبا؛ أصدر توجيهًا بتغيير خط سير الطائرة من الرياض إلى جازان، وذلك دون سابق ترتيب؛ بل وبعيدًا عن الرسميات والبروتوكولات. ورغم نصائح الأطباء لهـ خوفاً على صحتهـ إلا أنه أصرَّ على مواصلة الرحلة والوقوف على حالة المتأثرين بتداعيات المرض، وفي جازان توجَّه من المطار إلى المستشفى، وزار المرضى وسلَّمَ عليهم رافضاً وضع الكمامات في موقف شهم ونبيل لمواساتهم ومشاركتهم مشاعر المعاناة، مُعزِّزاً بذلك مقولته الشهيرة: «إذا كان المواطن في خطر؛ فأنَا مواطن مثله».. كانت بالفعل زيارة أبوية حانية تبعتها قرارات حاسمة لتجاوز مسببات مثل هذه المشكلات الصحية والبيئية.

هذه صور مختزلة من بينآلاف؛ بل ربما ملايين المشاهد اليومية التي ظل يرسمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للعالم دون تكُلف أو تضيُّع أو ريبة أو مباهة، إنها صور مشرقة ناصعة لشخصية نبيلة فذة صادقة مخلصة تستلهم مقومات سلوكها في حياتها من دين سمحَ محِبُّ للسلم والسلام، وتسترشد في سياساتها ومعاملاتها بتراث حضاريٍّ وإسلاميٍّ مجید وراسخ. عبد الله بن عبد العزيز آل سعود رمزٌ من رموز الإنسانية الشامخة، ولا غرو أن تَوَافَقَ الجميع على تقليله لقب: (ملك الإنسانية) الذي يستحقه عن جدارة.



لمسة أبوية حانية للتؤام المصري آلاء ولاء



الفصل الثالث عشر

أنطباعات... بأقلامهم



إن هذا الكتاب يوثق إنجازاً طبياً كبيراً نعتزُّ به، كما نعتزُ بإنجازات كثيرة في هذا الوطن الغالي، ويركّد عملاً إنسانياً تشرّف به المملكة العربية السعودية، ونسأّل الله من قاموا بهذا العمل التوفيق والنجاح ولهم منا الشكر والثناء.

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

انطباعات.. بأقلامهم

رموز علمية وبناء الآمال

إنه من دواعي الفخر للمملكة العربية السعودية الشقيقة ولدول الوطن العربي والإسلامي كافة أن يكون من أبنائهم عالم قد ينفرد هو الدكتور عبد الله الريبيعة، والذي لا زال العالم -حتى حينه- يتحدث عن إنجازاته غير المسبوقة في مجال الطب؛ وخاصة فيما يتعلق بفصل التوائم. وأؤكد هنا أنه من رحمة الخالق سبحانه وتعالى أن وضع مصير التوأم المصري آلاء وولاء -ومن قبلهما التوأم تالية وتاليـن- في خير يد أنجيـتها المملكة العربية السعودية في هذا التخصص، وقد كان الدكتور الـريبيـعة عند حسن ظنـ بـارـئـهـ، وـلـمـ يـخـيـبـ أـمـلـ القـلـوبـ العـدـيدـةـ التيـ تـعـلـقـتـ بـعـمـلـيـاتـ فـصـلـ التـوـاـمـ.

إن وطننا العربي وعلمنا الإسلامي لفي أشد الحاجة إلى وجود رموز علمية من أمثال الدكتور عبد الله الـريبيـعةـ الذين على أكتافهم نبني الآمال من أجل التقدم والازدهار، ليس فقط في المملكة العربية السعودية الشقيقة؛ ولكن لكافة الدول العربية والإسلامية، فهو يمثل القدوة الحقة للأجيال الشابة التي ترى فيه رمزاً للعلم والاجتهاد والتفاني والإخلاص في العمل، وفي وقت استشرت فيه قيم التواكل والتکاسل التي لا رجاء من خلفها سوى التدهور والتراجع.

محمد عبد الحميد قاسم (سفير جمهورية مصر العربية)

سجل باهر

في البدء أود أن أزجي جزيل شكرنا وتقديرنا لعالـيـ الدـكـتورـ عبدـ اللهـ بنـ عبدـ العـزـيزـ الـرـيـبيـعـةـ لـنـكـونـ ضـمـنـ الـذـينـ يـطـلـقـونـ الـيـرـاعـ فـيـ سـفـرـهـ الـذـيـ يـسـجـلـ بـنـاحـهـ الـعـلـمـيـ الـبـاهـرـ الـذـيـ رـسـمـ بـهـ الـبـسـمـةـ عـلـىـ شـفـاهـ أـهـلـ وـذـوـيـ التـوـاـمـ الـذـينـ أـجـرـىـ لـهـمـ عـمـلـيـاتـ جـراـحـةـ.ـ إنـ الـعـمـلـيـاتـ الجـراـحـيـةـ الـعـدـيدـةـ الـتـيـ أـجـرـاـهـاـ لـفـصـلـ توـائـمـ مـنـ جـنـسـيـاتـ عـدـةـ.ـ وـكـانـ مـنـ ضـمـنـهـاـ تـلـكـ الـتـيـ أـجـرـيـتـ لـاثـيـنـ مـنـ أـبـيـهـمـ بـلـدـيـ.ـ تـقـفـ شـاهـدـاـ عـلـىـ التـطـوـرـ الـعـلـمـيـ الـذـيـ بـلـغـهـ،ـ وـتـعـكـسـ مـدـىـ اـهـتمـامـهـ بـالـإـنـسـانـ..ـ وـهـذـاـ لـعـمـرـ لـيـسـ بـعـسـتـغـرـبـ وـلـأـبـعـدـ عـنـهـ؛ـ خـاصـةـ فـيـ ظـلـ اـهـتمـامـ وـرـعـاـيـةـ حـكـوـمـةـ خـادـمـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـيـنـ الـمـلـكـ عبدـ اللهـ بنـ عبدـ العـزـيزـ بـالـمـرـاقـفـ كـافـةـ وـالـصـحـيـةـ مـنـهـاـ تـحـديـداـ،ـ أـشـيـرـ هـنـاـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ الطـبـيـةـ؛ـ تـلـكـ الـمـؤـسـسـةـ الـتـيـ طـبـقـتـ شـهـرـتـهـاـ الـآـفـاقـ.ـ كـلـ هـذـاـ يـعـكـسـ بـجـلـاءـ اـهـتمـامـ الـقـيـادـةـ الـوـاعـيـةـ بـدـوـرـهـاـ تـجـاهـ شـعـبـهاـ وـأـمـتـهـاـ؛ـ الـأـمـرـ الـذـيـ أـكـسـبـ الـكـوـادـرـ الطـبـيـةـ.ـ وـالـدـكـتورـ الـرـيـبيـعـةـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ.ـ خـبرـةـ تـضـاهـيـ أعـظـمـ الـخـبـرـاتـ فـيـ الـمـؤـسـسـاتـ الـطـبـيـةـ الـعـالـمـيـةـ.

وإنني إذأشكره مرة أخرى؛ يُشرفني أن أهنته وأهنى عبره خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز على رعايتهم لهذه المؤسسة التي تعتبر مفخرة للمملكة وللامة العربية والإسلامية.. سائلـاـ اللهـ لـهـ دـوـامـ التـوفـيقـ وـهـوـ يـقـودـ الـعـمـلـ وـالـإـنـجـازـ الـطـبـيـ وـالـصـحـيـ الـكـبـيرـ الـمـتـكـاملـ فـيـ هـذـهـ الـمـؤـسـسـةـ الـرـائـدـةـ..ـ وـلـعـالـيـهـ أـسـمـىـ آـيـاتـ تـقـدـيرـيـ.

محمد أمين عبد الله الكارب (سفير جمهورية السودان)



الملك الأردني عبدالله الثاني يزور التوأم السيامية



رئيس فنزويلا السيد تشافيز بدون إعجابه بالمستشفى

مفخرة للمملكة

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى؛ أتقدم بالشكر الجزيل لخادم الحرمين الشرifين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي شملنا بعطته واهتمامه عندما كان ولينا للعهد، وعلى توجيهه الكريم بنقل حسن وحسين إلى مستشفى الحرس الوطني بالرياض وإجراء عملية فصلهما على حسابه الخاص.. إن هذه اللحظة الأبوية الحانية محل تقديرنا الكبير، وهي ليست مستغربة من ولاة أمرنا. في هذا البلد الطيب - الذين يتلمسون حاجات المواطنين أينما كانوا؛ بل إن الخير قد شمل الجميع ، واستفاد منه القاصي والداني حتى أصبحت هذه العمليات مصدر فخر لهذا البلد، وأصبح الناس يبحثون عن العلاج لدينا.. فكل الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشرifين وللفريق الطبي والجراحي الذي أجرى العملية وحقق نجاحات كثيرة تحدث عنها العالم أجمع .

عبد الله البصراوي والد التوأم السعودي حسن وحسين

موقف غير مستغرب

حقيقة أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لخادم الحرمين الشرifين الملك عبد الله بن عبد العزيز على توجيهاته بنقل والدة التوأم من المدينة المنورة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض وهي ما زالت في أشهر الحمل لمتابعة سير الحمل ومراقبة التوأم داخل رحم أمها، وهذا الموقف النبيل من ملك الإنسانية غير مستغرب لأننا نعرف أنه. حفظه الله. يهتم بكل ما يهم المواطن السعودي، ويمد يد العون لكل محتاج.

كانت تنتظر طوال فترة الحمل - إجراء العملية بفارغ الصبر؛ لا سيما أن الانتظار يكون مصحوباً عادة بمشاعر الخوف والإشغاف والقلق على الأم وتوكيلها، ولكن رغم ذلك القلق كانت ثقتنا بالله ثم بأعضاء الفريق الطبي كبيرة، فهذا الفريق بقيادة الدكتور عبد الله الريبيعة وزملائه تكونت لديه خبرات متراكمة في مجال جراحة التوأم السيامية، واكتسب شهرة واسعة محلياً وإقليمياً ودولياً في إجراء مثل هذا النوع من العمليات خلال الأعوام السابقة.

وها هي العملية تحقق نجاحاً تاماً، والطفلان (عبد الله وعبد الرحمن) بحالة صحية جيدة، ونحمد الله على مهنه وكرمه، كما نشكر الفريق الطبي على هذا التوفيق الذي أنعم الله به عليه جل وعلا، ثم نرفع أسمى آيات الشكر والعرفان لخادم الحرمين الشرifين - أمد الله في عمره - الذي يعم كرمه وفضل أهل هذه البلاد ثم يفيض على غيرها من البلدان.. وتجدر الإشارة بهذا الصدد الطبي العملاق الذي يعد منارة سامة للاستشفاء ، وإنجازاً علمياً غير مسبوق لقيادتنا الحكيمـة.

نواف التميمي والد التوأم السعودي عبد الله وعبد الرحمن

اهتمام ملكي بتاليـا وـتـالـين

لا يمكنني خلال هذه الأسطر التحدث عن هذه المكرمة الملكية العزيزة على قلوبنا، ويصعب وصف تلك الفرحة التي اعتبرتها منذ أن علمـنا بالـتوجيهـاتـ الكـريـمةـ منـ قـبـلـ خـادـمـ الـحرـمـينـ الشـرـيـفـينـ عبدـ اللهـ بنـ عبدـ العـزـيزـ - ولـيـ الـعـهـدـ آـنـذـاكـ - حينـماـ



وزير الصحة اليمني في زيارة للتوأم المصري



معالي الدكتور عصمت عبد المجيد ومعالي الدكتور عبد الرحمن السويم في زيارة لأحد التوائم

أمر بإجراه العملية للطفلتين الملتصقتين تالياً وتالين، فلم نكن مصدقين أنه - حفظه الله - مهتم شخصياً بحالتهما الصحية، وأنه وجه بتقديم المساعدة والاهتمام بهما حتى يُجري عملية الفصل. وللحق فإننا وجدنا كل رعاية واهتمام، ونقدر خادم الحرمين الشريفين هذا الموقف الإنساني النبيل الذي يدل على معده الأصيل أَدَمَ الله عزه. ولن ننسى هذا الموقف وما أحاطنا به السعوديون من أطباء ومسؤولين حتى نجاح العملية. والطفلتان الآن تتمتعان بالصحة والعافية.

المهندس عبد الحكيم عبد الحافظ جَدُّ التوأم المصري تالية وتالين

كرم كبير وشعور نبيل

أتقدم بالشكر الجليل لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على مبادرته بعلاج ابنتي في المملكة على حسابه الخاص، وهذا يدل على الكرم الكبير والشعور النبيل الذي يحمله - حفظه الله - تجاه إخوانه العرب وللمحتاجين في كل أنحاء العالم. وقد كانت فرحتنا كبيرة عندما علمتنا أنه وجه بعلاج التوأم بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، ولم نستغرب هذه المبادرة الكريمة؛ لأنها من الملك الإنسان عبد الله بن عبد العزيز. كما لا يفوتنـي أن أشكـر أيضاً الفريق الطبي وعلى رأسه الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الـربـيعـة وجميع الشعبـ الـسعـودـي وكلـ الـذـينـ وـقـفـواـ مـعـنـاـ حـتـىـ نـجـاحـ الـعـمـلـيـةـ وـلـهـ الـحـمـدـ.

عبد السلام علي والد التوأم المصري آلاء وولاء

تدمر في بريطانيا

كناسعداء ونحن نتلقي الخبر بتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود. ولـي العهد حينها. بـعلاج التـوـأـمـ الـمـالـيـزـيـ وإـجـراـءـ عـلـيـهـ فـصـلـ؛ لأنـ التـوجـيـهـ جـاءـ مـنـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ وـهـيـ يـلـدـ مـسـلـمـ؛ بلـ وـمـهـدـ الرـسـالـةـ إـلـاـسـلـامـ؛ وـنـحـنـ نـكـنـ لـهـاـكـلـ التـقـدـيرـ وـالـاحـترـامـ. استعـصـيـ عـلـيـنـاـ فـيـ الـبـداـيـةـ تـصـدـيقـ ماـ سـمـعـنـاـ؛ لأنـ تـصـدـيقـ أـنـ جـرـيـناـ عـلـيـهـ فـصـلـ غـيرـ نـاجـحةـ فـيـ مـالـيـزـيـاـ، سـمـعـنـاـ الـخـبـرـ فـيـ الـعـاصـمـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ لـنـدـنـ حـيـنـ كـنـاـ نـجـرـيـ فـحـوصـاتـ طـبـيـةـ لـلـتـوـأـمـ مـنـ أـجـلـ مـعـرـفـةـ إـمـكـانـيـةـ فـصـلـ، وـنـحـنـ هـنـاكـ لـمـ يـدـاعـبـ الـأـمـلـ قـلـوبـنـاـ، وـلـمـ نـشـعـ بـرـاحـةـ بـالـأـوـطـانـيـةـ؛ بلـ كـنـاـ تـدـمـرـ مـنـ بـعـضـ الـإـجـرـاءـاتـ وـالـتـكـلـفـةـ الـمـالـيـةـ الـعـالـيـةـ وـمـاـ يـصـحـبـهـ مـنـ طـلـبـاتـ مـتـرـاكـمـةـ وـمـتـابـعـةـ فـيـ كـلـ حـيـنـ.. وـبـيـنـاـ نـحـنـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـةـ؛ تـلـقـيـنـاـ خـبـرـ هـذـاـ التـوجـيـهـ الـكـرـيـمـ بـنـقلـنـاـ وـعـلـاجـنـاـ فـيـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ.

وهـنـاـ لـيـسـعـنـيـ إـلـاـ أـتـوـجـهـ بـالـشـكـرـ الـجـلـيلـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـبـادـرـةـ الـكـرـيـمـةـ وـالـاـهـتـمـامـ الـذـيـ أـوـلـاـنـاـ إـيـاهـ خـادـمـ الـحـرـمـينـ الـشـرـيفـينـ قـبـلـ الـعـلـيـةـ وـأـثـنـاءـهـ وـبـعـدـهـ، وـنـشـكـرـ كـذـلـكـ الـدـكـتـورـ عبدـ اللهـ الـرـبـيعـةـ وـالـفـرـيقـ الـطـبـيـ وـكـلـ الـعـالـمـيـنـ الـذـينـ كـانـوـاـ دـائـمـاـ مـعـنـاـ.

عبد الرحيم رسلي والد التوأم الماليزي أحمد ومحمد

موافقة خلال نصف ساعة فقط

كـانـ مـفـاجـأـةـ كـبـيرـةـ لـيـ حـيـنـ وـضـعـتـ زـوـجـتـيـ ثـلـاثـةـ أـطـفـالـ إـنـاثـ اـثـنـيـنـ مـنـهـمـ سـيـامـيـتـينـ، وـمـنـ هـنـاـ بـدـأـتـ تـطـوـقـنـيـ حـبـائـلـ الـهـمـ



رئيس بولندا السابق وزيارته تقدير
لنجاح فصل التوأم البولندي



مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق
يسجل كلمة في سجل الزيارات

والقلق، وفكرت في السفر إلى الخارج؛ بل واستقر رأي على ذلك لعلي أجد حلًا وعلاجاً للتوأم. وأثناء ما كنت مستغرقاً في إعمال هذا الرأي وكيفية الإعداد له؛ نبهني الدكتور عمر باسويد إلى إمكانية إجراء مثل هذه العمليات بمستشفى الحرس الوطني بالرياض حيث الجراح الماهر البروفسور عبد الله بن عبد العزيز الريبيعة. وبالفعل اتصلنا بالدكتور الريبيعة فأكده لنا إمكانية ذلك، وأن المستشفى على استعداد تام من كافة النواحي، ودللنا على بعض الترتيبات المتعلقة بدخول المستشفى وما يتطلبه ذلك من موافقة الجهات العليا المعنية. وعلى الفور أرسلت برقية إلى مقام ولی العهد آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وكم كانت المفاجأة ضخمة جداً حين تلقيت الرد اليقين بقبول الحالة خلال نصف ساعة فقط. ثم سافرنا إلى الرياض حيث وجدنا فريقاً طيباً متكاملاً في انتظارنا. وفي أول مقابلة مع الدكتور الريبيعة زالت عنى كل الغموم والهموم ورهاق النفس، فقد كان حديثه مطمئناً ورائعاً.. نعم، فمستشفى الحرس الوطني مرأة تعكس ذاتها بما يتوفر لديها من إمكانات، وما تزخر به من كفاءات وقدرات وتجهيزات حديثة ومتقدمة، وكان كل هذا كفياً بأن يبدد كابوس الوساوس والمخاوف التي استحوذت علىي وأن يبعث مكانها قدرًا كبيراً من الأمل؛ لاسيما وأنا أنظر إلى الحالة بشفقة الوالد الذي يحس بمعاناة فلذة أكباده في محنتهما وابتلاعهما ولا يقوى على فعل شيء لتخفييف معاناتهما. وبعد ثمانية أشهر وحين بلغ وزنهما زهاء الثمانية كيلو جرامات أجريت العملية، واستغرقت مدتها تسعة ساعات مرت علينا بشغل شديد وترقب ومعاناة لا يعلمها إلا الله رغم ثقتنا المتناهية في الفريق الطبي. وكان مكمن الخطر في أن يكون القلبان متتصدين مما قد يؤدي إلى وفاتهما في حالة التدخل الجراحي للفصص. وبعد أن تمكّن الدكتور الريبيعة ببراعة فائقة من تقسيم الكبد بينهما؛ جاء دور فتح القلبين، وبفضل الله وجِدًا مفصليين بشحمة صغيرة مثل حبة القمح. ويشهد الله كم اجتاحتني لحظتها سعادة غامرة وإحساس لا يوصف ولا يمكن التعبير عنه إلا بالشكر لله سجوداً وثناءً.. وهكذا انتهت العملية بنجاح ممتاز حيث تجلت حكمة الله في هذا الجراح المبدع الذي كان يتحدث ويشرح للعاملين أثناء العملية مع أن من الراسخ في الأذهان أن غرف العمليات مكان للتركيز وحصر التفكير في العملية نفسها، ولكنها براعة الخبرير. يقول المولى عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَكُم﴾ إبراهيم-آية (١٤) .. فمنذ أن فطر الله الأرض وجعل الإنسان خليفة عليها، شاء جل وعلا أن يكون بين سكانها رجال عظام يصنون التاريخ، ويُودعون ذاكرة الإنسانية أعمالاً جليلة راسخة وكأنها نقوش باقية على خواص الصخور، إنجازات تهب البشرية إلهاماً تستمد منه قدرتها على نظم ملامح إنسانية تكسر المعاني الفاضلة السامية، وقد ضرب خادم الحرمين الشريفين الملك القائد عبد الله بن عبد العزيز مثلاً أعلى للإنسانية فيما يقدمه لها من أعمال جليلة، فأفضاله وأفعاله تمشي بين الناس، ويشهد عليها القاصي والداني، كيف لا وقد فتح باب المعالجة لأصعب الحالات وأعقدها وأكثرها تكلفة.. فالشكر والعرفان لك يا ملك الإنسانية، ودمت ذخراً وفخراً ومجدًا لل المسلمين والعالم أجمع .. والشكر عبركم موصول إلى الشعب السعودي الكريم المشرّب الهامة بأقوالكم وأفضالكم الجليلة. وكلمة صادقة في حق العالم الدكتور الريبيعة؛ فهو عالم طيب فذ، ظل يقدم باسم المملكة العربية السعودية - ممثلة في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني - حلولاً نادرة في مجال الطب؛ خاصة في مجال جراحة الأطفال السيميين، قدم - ولا يزال - في هذا المجال علمًا يستفاد منه في ميادين الطب، فهو طيب خبير ماهر أعاد للأذهان فترة زهو الطب العربي والإسلامي وجدد مجده الزاخر بإنجازات عظيمة واكتشافات كبيرة أفادت البشرية جموعاً.



وزير الصحة السابق الدكتور أسامة شبكشي



وزير الصحة د.حمد المانع

ليس هذا فحسب؛ فالدكتور الريبيعة رجل يُجبرك على محبته واحترامه لما يتمتع به من أدب جم وخلق فياض وقيم نبيلة، وينطبق عليه الحديث الشريف: «العلماء ورثة الأنبياء». ومهما قلنا أو عبرنا؛ فلن نوفي حقه، ولا نملك إلا أن ننهج بالدعاء والثناء عليه.. نسأل الله أن يوفقه ويسدد خطاه لأنه الطبيب الإنسان.. والشكر موصول إلى الفريق الطبي الذي عاونه في عملية نسبية ونجلاء، والشكر إلى أسرة المستشفى؛ خاصة طاقم الخدمات الاجتماعية التي ظلت ترابط حتى نهاية العملية.. كما نشكر السيدة الفاضلة حرم الدكتور الريبيعة التي كانت على اتصال مستمر مع زوجتي تتبع وتؤازر وتقدم الهدايا للأطفال، وصدق القول المأثور: «وراء كل عظيم امرأة»، وقال جل شأنه: «والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات» النور - آية (٢٦).

وأخيراً لا بد من أن أرفع الدعوات الصادقات من أهلي في «دار قمر» إلى ملك وشعب المملكة العربية السعودية الكريم على ما ظل يقدمه وطنهم للإنسانية في المجالات كافة؛ خاصة الخدمات الطبية التي يندر مثلها في العالم، نسأل الله أن يحفظ هذه المملكة الرائدة التي رفعت شأن الأمة العربية والإسلامية في خدمة الإنسانية، والله الموفق والهادي إلى سوء السبيل.

السلطان هاشم عثمان هاشم والد السياميَّتين نسيبة ونجلاء

حيرة وإرباك

أنا عائشة زوجة السلطان هاشم عثمان، وظاهر التوائم موجودة في العائلة؛ فأبى توأم لأخيه،ولي سبعة أطفال أكبرهم بنت في الحادية عشرة من عمرها.. شاء الله أن ألد بعد حمي الأخير ٣ توائم إناث، اثنتان سيميليان (نسبية ونجلاء) والثالثة طبيعية. فشعرنا أنا وزوجي بالحيرة والإرباك ولم يسعفنا التفكير في الاهتداء إلى حلٍ.. وقبل مغادرة المستشفى أشار أحد الأطباء على زوجي بإرسال برقية عاجلة إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولـي العهد حينها، وفعلاً أرسلت البرقية، ولدهشتنا تسلمنا الرد بعد نصف ساعة، فحمدنا الله كثيراً الذي هدانا إلى إرسال تلك البرقية التي بدت كل مشاعر الحيرة والإرباك وأعادت إلينا البسمة والفرحة. ومن ثم نُقلت الأختان إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض مع والدهما، فوجدوا بعض منسوبـي المستشفى بانتظارهم في المطار، ومنذ تلك اللحظة بدأت العناية والرعاية المكثفة، ثم انضممت إليـهم لاحقاً. وبعد أسبوعين غادرنا المستشفى وتوجهنا إلى جدة؛ ولكن علمـنا بعد العملية بأنـ (نسبية) تعاني وجود ثقبـين في القلب، وحدث قفل طبـيعي لأحدـهما بعد سنة، أما الآخر فـتم قـفلـه بـعملـية جـراحيـة وـكان عمرـها في ذـلك الوقت ستـسنـوات. وقد طـلـبـوا مـنـا مـراجـعة المستـشـفى بـعدـ شهر لـلتـأـكـدـ منـ نـجـاحـ العمـلـيـةـ وـثـمـ القـفـصـ الصـدـريـ، وبـالـفـعـلـ حـضـرـناـ فيـ المـوـعـدـ المـحـدـدـ وـكـانـ النـتـائـجـ جـيـدةـ وـمـطـمـئـنةـ، غـادـرـناـ بـعـدـهاـ إـلـىـ السـودـانـ ثـمـ عـدـنـ ثـانـيـةـ إـلـىـ الـمـلـكـةـ تـلـيـةـ لـدـعـوـةـ مـنـ خـادـمـ الـحـرـمـيـنـ الشـرـيفـيـنـ أـطـالـ اللهـ عـمـرـهـ وـحـفـظـهـ وـرـعـاهـ وـمـتـعـهـ بـالـصـحـةـ وـالـعـافـيـةـ.

عائشة محمد الحسن حسين والدة نجلاء ونسيبة



بعض مفراط الدول التي ينتهي إليها بعض
التوائم السياسية



وزير الصحة الأمريكي يسجل كلمة تقدير للإنجازات
السعودية في مجال فصل التوائم السياسية

ضاقت على الأرض بما رحبت

في البداية أتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى، ثم جلالة الوالد ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، ثم لعالٍي الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الريبيعة المدير العام التنفيذي للشؤون الصحية بالحرس الوطني الذي أوصل ندائٍ إلى جلالة الملك المُفدى.. وفي وقت قياسي صدر توجيهه بنقل بناٌي التوأم السِيامي من السُلطنة إلى المملكة. لقد رزقني الله سبحانه وتعالى بثلاثة توائم طفلتين سِياميتين و طفل ذكر. ويشهد الله أنني لم أذق طعمًا للحياة منذ ولادتهما، وضاقت على الأرض بما رحبت، وأصابتني الحيرة في كيفية التصرف معهما؛ خاصة وأن حالتهم صعبة نظرًا لالتصاقهما بالرأس. وبما أن لي قريب متّظم في الدراسة بأستراليا فقد اتصلت به، وكان على علاقة بزملائه من الطلاب السعوديين، فلما عرض عليهم الأمر؛ بادروا إلى تزويدِه بالموقع الإلكتروني للمستشفى، وأكَدوا له وجود متخصصين في فصل التوائم بالملكة. وبناءً على هذه المعلومات خاطبنا المستشفى بمساعدة الأخوة في السفارة السعودية بالسلطنة، فكانت هذه الخطوة سبباً كافياً في إزالة لهم والتفكير عنِّي. وبعد مخاطبة المختصين أرسلنا التقارير الخاصة بالحالة إلى لعالٍي الدكتور عبد الله الريبيعة، وفتحت لي مخاطبته باباً واسعاً للامل، وطمأنينة بأن فرج الله آت لا محالة، وأن حل مشكلتي سيكون في هذا البلد، وما زاد من فرحتي أن أُتسلِّم الموافقة خلال أسبوعين، إذ تلقيت مكالمة من لعالٍي الدكتور الريبيعة نقل إلى فيها بشرى موافقة جلالة الملك على التكفل بالعلاج، ففرحت الأسرة فرحاً شديداً وهنائي الأصدقاء على هذه الفتة الأبوية الكريمة.

وفي يوم مغادرتي إلى المملكة ودعني السفير السعودي بالسلطنة، وتولى طاقم السفارة -مشكورين- تكملة كل الإجراءات، وعند وصولي إلى مطار الملك خالد الدولي استقبلت بالترحاب من السفير العماني بالملكة، وحظيت بحفاوة بالغة من الأخوة بالعلاقات العامة بالشؤون الصحية بالحرس الوطني وشعرت بقدر كبير من الود وهم يتحرسون كخلية نحل كلفت لاستقبالِي. وفي المستشفى استقبلني لعالٍي الدكتور الريبيعة وبصحبته مجموعة من الأطباء؛ فنقلني ذلك إلى قمة السعادة والفرح، ثم وفروا لي السكن بالمدينة الطبية، وتم تأمين كافة احتياجاتي من المواد التموينية وخدمات المواصلات.. ولا أملك إزاء ذلك كله إلا الشكر والثناء إلى الله جل وعلا أولاً ثم إلى جلالة الملك الوالد عبد الله بن عبد العزيز، ملك الإنسانية. وينبغي أن أشير إلى أنني اخترت المملكة العربية السعودية بسبب توفر الخبرة العلمية والمهنية الكبيرة لفصل التوائم، ولأن المملكة بلد خليجي لا يمكن أن أحس فيه بأي نوع من الغربة، علمًا بأنني تلقيت - قبل مجيري - عدة خيارات من دول أخرى؛ إلا أنني فضلت المملكة، ويرجع الفضل في ذلك إلى سيدِي جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي أتاح كل أبواب المعرفة العلمية لأبنائه ومنحهم كامل الثقة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من تفوق وتقدير وازدهار. ولا بد هنا من الإعجاب بـ إعجابي الشديد بالمدينة الطبية وخدماتها المتميزة التي تقدمها لرعايتها والمحتاجين إليها.

أدام الله لنا ولجميع الأمة العربية والإسلامية جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي فتح قلبه لرعاية الأطفال السِياميين وإجراء عمليات الفصل على نفقته الخاصة... فهنيئاً لهذا البلد الكريم بهذا القائد العظيم.

محمد بن ناصر بن حمد الجرдан والد التوأم العماني (صفا ومروة)



السفير الماليزي في زيارة للتولم الماليزي

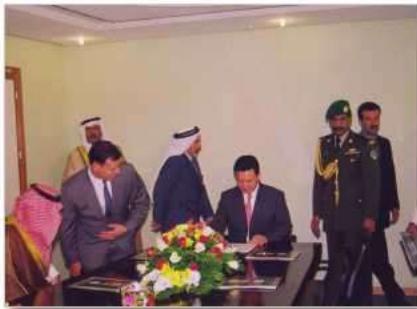


مندوب الأمم المتحدة أثناء زيارته للتولم الماليزي

أعراض حمل مختلفة

حضرنا إلى أرض الحرمين الشريفين أنا وزوجتي ماجدة راشد سعد وابني علوى وابنتي التوأم الملتصقتين على ضيافة مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود؛ لأنه - أطال الله عمره - تفضل مشكوراً بتحمل تكاليف فصل ابتي التوأم فاطمة والزهراء بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وأود أن أسجل هنا خواطرنا - أنا وزوجتي - في خطاب واحد. فمنذ وصولنا إلى الرياض قبل أحد عشر شهراً ونحن في ضيافة كاملة متضمنة إجراء الفحوصات الطبية والعلاج والتحاليل والإقامة والسكن والإعاقة. تقول زوجتي أن أعراض حملها بالتولم كانت مختلفة عن تلك التي شعرت بها في حملها الأول، وبدأت تشعر بأنها تحمل في بطنهما شيئاً غريباً، وبدأ القلق يساورها، ثم كشفت الفحوصات حملها بتولم يتبعه وضعية (قاعد)، غير أن الأطباء لم يحددوا طبيعة هذا التوأم. ولما كانت إمكانات المستشفى الذي نراجع فيه ضعيفة وتجهيزاته متواضعة، فقد اضطررنا إلى إجراء كافة الفحوصات على حسابنا الخاص مما شكل علينا عبئاً مالياً كبيراً. ومع ظهور أعراض المخاض أدخلت الزوجة المستشفى وأجريت لها عملية قيصرية قبل موعد الولادة بشهر ووضعت التوأم، وحملت الطفلتان اسمي (فاطمة والزهراء). تملكتني مخاوف كثيرة لحظة أن علمت أن التوأم ملتصقان؛ خاصة وأن حالتنا المادية متواضعة، ولا نستطيع تحمل أية نفقات لعلاج مثل هذه الحالة، ولا نكاد نحصل على قوت يومنا إلا بشقة. ثم أمعنا التفكير كثيراً وتساءلنا ماذا نفعل في ظل ظروفنا هذه؟ لم يكن أمامنا سوى إطلاع الدكتور حسين المشرف على العملية ومدير مستشفى الحسينية على وضعنا المادي وأخبرناه بأننا لا نملك إلا أن نفوض أمرنا إلى الله؛ ولكنه تفضل مشكوراً بتبني حالتنا، أجرى عدة اتصالات، ونشر الموضوع في الصحف والفضائيات حتى اتسعت دائرة عالمياً.

وفي المساء نقل إلى الدكتور نفسه بشري موافقة خادم الحرمين الشريفين على علاج حالتنا بالمملكة العربية السعودية، مع تكفله بتحمل نفقات نقلني وزوجتي وأولادي إلى الرياض لدراسة الحالة، وكذلك بكافة نفقات فصل التوأم بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وكم كان وقع الخبر علينا مفرحاً، وشعرت لحظتها أن الله معنا، وأنه سبحانه وتعالى مد لنا يد الرحمة التي عبرت الحدود لترفع عن كاهلي عيناً ما كان يمكن لنا الاستمرار في حمله، وشعرت أن خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - أضاء شموعاً كنت أظن أنها لن تضاء، وأشاع في نفوسنا مشاعر الفرح والأمل بعد أن كاد اليأس يستحوذ علينا، ما دار بخاطري لحظة إبلاغي بخبر موافقة سيدي خادم الحرمين الشريفين لا يمكن وصفه، وتعجز الكلمات عن التعبير بالقدر الذي يمكن أن يفي القائد الإنسان حقه من الشكر والثناء.. إنها حقاً مفاجأة؛ بل هدية السماء والارض، ما كنت أتصور أن تتدبر يد ملك الإنسانية لتنقلني من وساوس التفكير والتخيلات إلى عمق الإيمان بعد أن كاد الأمل يخبو في دواخلنا. ولا أنسى في خضم هذه الأفكار أن أشير إلى أنني - رغم صغر سنِّي وضعف وسائل الإعلام التي تصل إلينا ومحليتها - سمعت كثيراً من أصدقائنا وأقاربنا ومن الإذاعات عن المواقف الإنسانية لخادم الحرمين الشريفين، وعندما وجدنا أنفسنا أمام (توأمانا السياسي) راودنا أمل في أن تتدبر لنا يد العون، وقد تجاوب - أيده الله ومتَّعه بالصحة والعافية - مع ما تناقلته الصحف والإذاعات والفضائيات، واستجابت



زيارة الملك عبدالله ملك الأردن للتراث السيامي



تواصل في المجال الطبي ببولندا

إنسانيته قبل كل شيء، فوجّه على الفور بأن يتبنى الفريق الطبي المتخصص في المملكة الغالية إجراء هذه العملية، ولذلك شعرنا بقدر كبير من الراحة والاطمئنان لأن العملية سُتجرى في دولة عربية مسلمة تتخذ السلم والسلام منهجاً، وتفقّب بجانب الأفراد والدول، وهذا ما يجعلنا نشعر بأننا بين أهلنا وذويينا.

ورغم حالة الحرب في بلادنا والتغييرات التي يسمع ذويها هنا وهناك، مع عدم الشعور بالأمن والأمان؛ إلا أن طائرة الإخلاء الطبي حطت بطاقمها يوم ٦ / ١ / ٢٠٠٦ هـ الموافق ٥ / ٥ / ١٤٢٧ هـ وسط المخاطر وأحوال المناخ غير الملائمة، وأقلعت مرة أخرى عائدة إلى الرياض وهبطت في قاعدة الرياض الجوية، ومن هناك قُلّلنا بسيارة إسعاف إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني. وتنازلّعنا خلال الرحلة مشاعر قلق وترقب.. قلق لفارق الأحبة وترقب لما هو آت.

كان إيماننا بالله كبيراً، وثقتنا في الفريق الطبي برئاسة معالي الدكتور عبد الله الريبيعة.. الذي سبقته سمعته.. قوية ولا تحدها حدود، وبرغم الغربة لم يفارقا الشعور بأننا بين أهلنا، ذلك لأننا لمسنا كل وجوه التعاون والسعى الدؤوب من كل العاملين والقائمين على خدمتنا، إنها بلا شك روح إنسانية خالصة يشملنا بها كبار المسؤولين وصغارهم في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وفي السكن؛ بل وفي كل مكان نذهب إليه.. إنها روح ألفة ومحبة خالصة لوجه الله. ونؤكد أن ما توفره لنا الشؤون الصحية بالحرس الوطني يفوق حاجتنا، ونشكر المسؤولين على هذا العطاء الجزييل.

ولا يسعنا في هذا الموقف المؤثر، ونيابة عن أسرتنا إلا أن نتوجّه بالدعاء من كل قلوبنا إلى الله عز وجل أن ينعم على ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين بالصحة والعافية، وأن يديم عزه ومجدّه، وأن يمتع المملكة العربية السعودية في ظل قيادته بالأمن والأمان والرخاء لما قدمه ويقدمه لشعبه وللمسلمين والعالم أجمع، فله الشكر بعد الله تعالى على ما أنعم به على أسرتي الصغيرة في وقت كنا أحوج مانكون فيه إلى مثل هذه المساعدة الكريمة. كماأشكر الفريق الطبي العظيم الذي سبقت أعماله سمعته برئاسة معالي الدكتور عبد الله الريبيعة على الاهتمام الكبير بنا وبالتوأم وندعوا الله لهم بالتوفيق والنجاح في كل عملياتهم الجراحية.

وختاماً نقول بكل صدق إن حسن الحفاوة وطيب المعاملة وشمولية الرعاية التي يحيطنا بها الجميع تدفعنا إلى أن نرفع أكف الضراعة إلى الله ليرزقنا تواًاماً آخر لنعيد لذاكرتنا تلك الأيام الخالدة، ولكي نتمتع بكل هذا في ظل قيادة الملك ذي القلب الكبير، القائد ذي الرحمة في الأرض، الموجّه الذي يعد ويقي.. فهنيئاً لشعب المملكة بأبوة القائد الإنسان.

والدال توأم العراقي حيدر سالم رياط و Mageed Rashid Saeed

اهتمامات فاقت التوقعات

يسري ويسعدني أن أعرب عن خالص شكرنا وعظيم امتناننا لكل من ساهم من قريب أو بعيد في نجاح عملية فصل التوأم السياسي المغربي (حقصة وإلهام)، ونخص بالشكر الصادق وبكل مشاعر الوفاء والامتنان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أعزه الله، فقد أصدر -حفظه الله- توجيهاته السامية ببنقل التوأم ووالديهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وتوفير كل الظروف الملائمة لهم. لقد مر التوأم بمراحل متعددة قبل وصولهما إلى ما حققه من صحة وعافية،



دبلوماسيو الدول في زيارة للتواأم السينامية

مفراء التواأم السينامية في اليوم المفتوح
لتواأم السينامية

فمنذ أن حملت به الأم وهي تعاني مرارة هذا الحمل وتقاسي الآلام نتيجة حجمهما وصعوبة تحركهما داخل الرحم مما تسبب لها في تغيرات وأزمات نفسية قاومتها بثبات. ونظرًا لصغر سنها وضعف حالتها الصحية كانت تدخل أحيانًا في نوبات إغماء؛ ولكن رغم ذلك فقد ازدادت عزيمتها.. والحمد لله.. مع اقتراب موعد الولادة، وإن كانت تنتابها بعض مشاعر الخوف. وتعرضت لصعوبات كثيرة بسبب عدم انتبه الأطباء إلى حالها وحالة الوضع الذي كان عليه التوأم، ودخلت في حالة إغماء. وما أن أفاقت حتى حمدت الله سبحانه وتعالى، ولكنها أحسست بكثير من القلق والخوف حين علمت أنهما ملتصقان.

انشغلنا منذ لحظة الولادة بكيفية التغلب على هذه المعضلة، وأصبحت مسألة علاجهما شغلنا الشاغل، فهذه النعمة التي أنعم الله بها علينا لا بد من صيانتها ومحاولة علاجها لتحيا حياة سليمة، وبدأنا نبحث عن شخص يمكن أن يساعدنا بتحمل تكاليف عملية فصلهما؛ خاصة بعد أن علمنا أن مثل هذه العمليات لا تُجرى في المغرب، وأنها من العمليات المعقدة.. ونتيجة لذلك وجهنا نداء إلى كل أهل الخير عبر إحدى القنوات المغربية، وانتشر الخبر وطرق آذان أصحاب كل الضمائر الحية. وما أن وصل الأمر إلى هذه المملكة الطاهرة حتى عرضت علينا المساعدة؛ فتلقيناها بفرحة شديدة لاسيما وأن الخبر كان مفاجأة كبيرة لنا، ولم يكن يخطر على بالنا. فما كان منا إلا أن وجهنا خطاباً إلى صاحب اليد البيضاء خادم الحرمين الشريفين الذي كانت استجابته سريعة ومرحية جعلها الله في موازين حسناته يوم القيمة، وبارك له في مساعيه الحميدة. وكانت لهذه الموافقة الكريمة أصداءً طيبة عند أهلنا وكل المتعاطفين معنا، وقد أثلجت صدورهم هذه الأعمال الإنسانية التي يقدمها خادم الحرمين الشريفين الأمر الذي جعلهم يتبعون حالة التوأم حتى اليوم.

وفي مملكة الإنسانية حظينا باستقبال كبير والله الحمد، وبوصولنا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني أعد لنا استقبال فاق كل التوقعات، وجدنا في انتظارنا مسؤولي المستشفى والإعلاميين وفي مقدمة الجميع معالي الدكتور عبد الله الريبيعة المدير التنفيذي للشؤون الصحية للحرس الوطني ورئيس الفريق الطبي والذي قدم لنا على الفور بعض الإيضاحات والبيانات عن حالة التوأم والفحوصات التي سنجريها في القريب العاجل، ونسبة نجاح عملية الفصل مما سرنا كثيراً وغمر قلوبنا بالارتياح بعد عناء طويل وتعب من السفر. ولا يفوتنا التنويه بحسن الضيافة والكرم الفياض الذي يعد دليلاً على إنسانية الشعب السعودي وقاده الإنسان خادم الحرمين الشريفين أطال الله عمره.

وبعد الاطمئنان على حالة التوأم داخل المستشفى انتقلنا إلى متابعة الفحوصات التي أجريت لهما، وبناءً عليها ارتفعت معنوياتنا وزادت ثقتنا في نجاح عملية الفصل، وكل هذا يعود إلى الظروف الملائمة والجيدة علاوة على الخدمات المتواقة والمتخصصة وعالية الكفاءة بالمستشفى. وبعد أن دخلت عملية الفصل مرحلتها النهاية. وهمما في غرفة العمليات - تعمق إحساسنا بالنجاح رغم أنه كان مشوباً ببعض الخوف والإشراق، وهذا شعور طبيعي، وتابعنا كل المراحل التي مرت بها العملية عبر الشاشة، وحرضنا على حضور المؤتمرات الطبية التي تناقش الحالة وذلك من أجل مزيد من الاطمئنان، ومع اقتراب نهايتها تناهى شعورنا بالفرح، وكانت لحظة الفصل حاسمة عاشهها معنا كل المتابعين.



ابتسامة مع والدة التوأم الفلبيني



في سفارة بولندا بالرياض

وبفضل الله سبحانه وتعالى تحقق ذلك النجاح الكبير الذي بهر الجميع وشكل إضافة مهنية وعلمية إلى النجاحات الأخرى التي حققتها المملكة العربية السعودية في ميدان الطب والجراحة، وأعطتها ثقة وشهرة أكبر في هذا المجال .. وما كان هذا ليتحقق لو لا فضل الله تعالى ثم إنسانية الملك الهمام الذي منحه الله إحساساً رقيقاً يسع الجميع ، فالشكر لله مرة أخرى ، ثم لخادم الحرمين الشريفين على هذا العمل الجبار .

فهيم المصطفى والد التوأم المغربي

لم نصدق ما سمعنا

عندما علمتنا بخبر توجيه الملك عبد الله بن عبد العزيز -ولي العهد حينها- بنقل ابنتي التوأم إلى السعودية لإجراء عملية الفصل هناك؛ لم نكن نصدق ما نسمع ، فمنذ ولادة التوأم ونحن نعيش حيرة كبيرة، ولا ندرى ماذا نفعل ؛ حتى جاءنا الخبر عن طريق السفارة السعودية في مانيلا بأن ولي العهد السعودي الأمير عبد الله وجه بنقل التوأم وعلاجه في المملكة العربية السعودية . وبعد إكمال كل الإجراءات غادرنا الفلبين متوجهين إلى الرياض، وهناك وجدنا كل الاهتمام منذ وصولنا إلى المطار وحتى ساعة إجراء العملية التي كانت لحظاتها صعبة جداً؛ ولكن وفقة الناس معنا خففت كثيراً من هذا الموقف الصعب . ونحن عاجزون عن الشكر للملك عبد الله الذي لم يكن يعرفنا عندما وجه بإجراء العملية ونقلنا إلى الرياض ، ولكن الحسن الإنساني الكبير الذي يمتلك به قلبه جعله يشعر بمعاناتنا ونحن على بعد آلاف الأميال .

كابرينا كابراديليا مانسو والدة التوأم الفلبيني

مثال للرؤساء

ظللتُ أتردّد على عيادة طبيب النساء كل أسبوعين حيث كنت أخضع لعملية تصوير بالمواجات فوق الصوتية، اعتاد الطبيب على طمأنتي بأن كل شيء على ما يرام، ويشعرني بولادة توأم . وبعد الصورة الثانية لاحظت أن الأطباء حين يتناقشون أمامي يتعمدون استخدام مصطلحات مبهمة، ثم نصحوني بالتوجه إلى مستشفى في باريس توفر به أفضل التجهيزات والمعدات، وهناك علمت أن البتين ملتصقتان ويجب عليّ مراجعة مستشفى آخر في لوز، غمرني شعور بالقلق، ولكن كان لزاماً عليّ التفكير سريعاً في كيفية مساعدة التوأم . وخلال الأسبوع الرابع والثلاثين أحسست أن وضعني سيء بالفعل . وبعد أول معاينة في مستشفى لوز أخبروني بأن حياتي في خطر، وأن طبيبي السابق كان يجب عليه إدراك ذلك في الأسبوع الثاني عشر على الأقل !! وقبل إكمال الفحوصات نقلتُ مباشرة إلى غرفة العمليات حيث أجريت لي عملية ولادة قيصرية . وفي المستشفى علمت من أحد الأصدقاء أنه اتصل بصديق له في فيلادلفيا لاستشارة أحد الاختصاصيين في فصل التوائم السيمائية؛ إلا أن تكاليف العملية كانت فوق طاقتنا. حينها فكرنا في إرسال خطابات إلى مستشفيات خارجية شهرة، وكانت أول استجابة من أحد مستشفيات لندن مشفوعة بتكاليف العملية ثم تلقينا عروضاً أخرى من زيوريخ وبارييس وكانت تكاليفها عالية أيضاً.



والد التوأم السياسي المصري ولغتها شكر



سماح و هبة التوأم السوداني الأول

وأبدى الدكتور بروكيرات عدم ممانعته في التوقيع على توصية بإجراء الجراحة في لندن شريطة أن يصلهم تأكيد من مستشفى كراكاوا باستحالة إجرائهما هنا. ثم اتصلت بمركز الأطفال في وارسو طلباً للمشورة، فطلبوها موافاتهم بكلفة التقارير، وبعد الاطلاع عليها دراستها أخبروني بعدم قدرتهم على إجرائهما. بذل ابن أخي روبرت محاولات عبر الإنترن特، واتصل بالملكة العربية السعودية لطلب مزيد من المعلومات عن المشكلة، وبعد فترة تلقى مكالمة من الدكتور الجمال الذي أخبره لاحقاً بامكانية إجراء الجراحة في الرياض، فقبلت الاقتراح فوراً لأنني شعرت بأن الطفلتين ستكونان في أيدي أمينة هناك، وفضلاً عن ذلك كان لدى إحساس قاطع بعدم وجود أحد هنا راغب في مساعدتنا، وعندما أزف وقت السفر كنت سعيدة لأن طفلتي ستجدان أشخاصاً ذوي قلوب رحيمة.. وأخيراً أقول يجب أن نفتخر بالملكة ملكها الذي يعد مثالاً لرؤساء الدول في كل أنحاء العالم، فهو يمتلك قليلاً صادقاً إلى الدرجة التي جعلتني أعجز عن التعبير عن شكرنا واحترامنا له.. وأعتقد بأن طفلتي سوف تحصلان على الجنسية السعودية يوماً ما؛ لأن الملك السعودي منحهما الفرصة لحياة ثانية، وعليه فقد أصبحت المملكة وطنهما الثاني. وأود أيضاً إضافة كلمات أخرى عن الدكتور الريبيعة وكل فريقه الطبي، فمهنية الرجل العالية وقلبه الكبير ساعدا طفلتي على النجاة والعيش بشكل طبيعي مثل أي طفل آخر في العالم.. شكرًا لكم.

المخلصة لكم طوال الحياة ويسلاوا دابرسكا

١٦ سنة بعد الفصل

لا أعرف كيف أزجي عبارات الشكر والامتنان إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولـي العهد الأمين حفظه الله.. وإلى صاحب القلب الحنون الدكتور عبد الله الريبيعة الذي يعجز القلم عن شكره؛ بل ويعجز قاموس مفردات الأسرة عن تزويدنا بعبارات تو فيه حقه.. أشكـرـهم جميعاً على المساعدات الإنسانية والصحية التي قدمـوهاـ لنا. ربما لا أستطيع الكتابة عمـا يـمـورـ فيـ داخـليـ عنـ تـجـربـتيـ معـ الـاتـصالـ؛ـ ولكنـ منـ المؤـكـدـ أنـ أـهـلـيـ فـوجـئـاـ بـالتـصـاقـيـ معـ توـأـمـيـ هـبـةـ فـقـلـوـنـاـ حـالـاـ إـلـىـ قـسـمـ جـراـحةـ الأـطـفـالـ بـمـسـتـشـفـيـ سـوـبـاـ الجـامـعـيـ بـالـخـرـطـومـ حيثـ بدـأـتـ أولـ مـحاـولـاتـ فـصـلـنـاـ،ـ ثـمـ أـرـسـلـتـ تـقـارـيرـ عنـ الـحـالـ إـلـىـ الـمـلـكـ الـعـرـبـيـ السـعـوـدـيـ فـكـانـتـ هيـ الـأـسـرـعـ استـجـابـةـ كـعـادـتـهاـ فيـ عـونـ الـأـشـقـاءـ أـفـرـادـاـ كـانـواـ أـمـ شـعـوبـاـ..ـ وـبـعـدـ أـنـ تـلـقـيـنـاـ موـافـقـةـ سـافـرـنـاـ إـلـىـ جـدـةـ،ـ وـتـوـجـهـنـاـ فـورـاـ إـلـىـ مـسـتـشـفـيـ الـولـادـةـ لـلـأـطـفـالـ،ـ وـكـانـتـ كـلـ التـقـارـيرـ تـؤـكـدـ صـعـوبـةـ الفـصـلـ وـبـالـتـالـيـ لـاـ بـدـ مـنـ التـضـحـيـ بـإـحـدـاـنـاـ لـإـنـقـاذـ الـأـخـرـىـ،ـ وـلـلـوـصـولـ إـلـىـ حـكـمـ فـيـصـلـ فـيـ المسـأـلـةـ أـرـسـلـتـ التـقـارـيرـ إـلـىـ مـسـتـشـفـيـ الـمـلـكـ فـيـصـلـ التـخـصـصـيـ وـالـمـسـتـشـفـيـ الـعـسـكـرـيـ بـالـرـيـاضـ،ـ وـبـعـدـ فـتـرـةـ جـاءـتـناـ موـافـقـةـ كـرـيمـةـ منـ الـمـلـكـ فـهـدـ بـنـ عـبـدـ عـزـيزـ رـحـمـهـ اللهـ،ـ وـاقـقـ طـيـبـ اللهـ ثـراهـ..ـ عـلـىـ إـجـراءـ الـعـمـلـيـةـ فـيـ مـسـتـشـفـيـ التـخـصـصـيـ،ـ وـمـنـذـ تـلـكـ اللـحظـةـ كـانـ اـرـتـبـاطـنـاـ مـعـ مـعـالـيـ الدـكـتـورـ الـرـيـبيـعـةـ مـرـاجـعـةـ وـفـحـوصـاتـ وـشـحـنةـ مـنـ الـاطـمـئـنـانـ وـالـأـمـلـ..ـ مـرـتـ الـأـيـامـ وـالـسـنـونـ عـلـىـ فـصـلـنـاـ الـذـيـ كـانـ فـيـ ٢/٨/١٩٩٢ـ مـ خـلـالـ عـلـيـةـ طـوـيـلـةـ بـحـثـ بـجـاهـاـ بـاهـرـاـ أـعـادـنـاـ إـلـىـ مـارـسـةـ حـيـاتـنـاـ بـصـورـةـ عـادـيـةـ..ـ وـنـقـلـتـ وـكـالـةـ الـأـنبـاءـ الـخـبرـ،ـ وـتـصـدـرـ الصـفـحـاتـ الـأـوـلـىـ لـلـصـحـفـ الـمـلـحـلـيـ وـالـأـجـنبـيـ إـنجـازـاـ سـعـوـدـيـاـ مـتـمـيـزاـ..ـ وـالـآنـ لـكـلـ وـاحـدةـ مـنـ رـجـلـ طـبـيـعـةـ



التوأم وجلسة فرج



قبلة من والدي التوأم الكاميروني

وأخرى صناعية، ونجاة حياة طبيعية دون أي مساعدة خارجية، وتدرجنا في مراحل التعليم بمنطقة الرياض بمساعدة كريمة وطيبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد طيب الله ثراه وولي عهده آنذاك وخادم الحرمين الشريفين الآن الملك الإنسان عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، بجانب المتابعة المتصلة من معالي الطبيب الإنسان، صاحب القلب الكبير الدكتور عبد الله الريبيعة. وأنّا الآن - عند كتابة هذا الانطباع - في الصف الثاني ثانوي علمي، بينما تولّتني سماحة في الصف الثاني أدبي.. وللجميع مني جزيل الشكر والتقدير والامتنان.

السيامية هبة عمر الجيلي

تفوق دراسي

بعد ولادتنا لشقيقتين أحس أبواي بعض الحزن والخوف علينا، فنتعلوا بنا إلى عدة مستشفيات لإجراء عملية الفصل، وأُرسلت تقارير طبية إلى المملكة المتحدة وألمانيا والمملكة العربية السعودية، وجاء الردُّ سريعًا من ملكتنا الحبيبة، وببدأ مراحل علاجنا في المستشفى التخصصي بالرياض حيث تم فصلنا هناك. وفي بداية الأمر شعر الفريق الطبي بصعوبة الفصل، ورأوا وجوب التضحية



للحفل فاليسار رئيس بولندا السابق عند زيارته للتوأم البولندي

أنطباعات.. بأقلامهم



شرح لضيوف المستشفى



صورة تذكارية

بإحدانا من أجل أن نعيش الأخرى، ولكن الدكتور الريبيعة رئيس الفريق والذي يعمد دائمًا إلى تغلب الجانب الإنساني أشار إلى ضرورة الاستئناس بمشورة مرجعية شرعية واعتماد الفتوى التي تصدر عنها في هذا الخصوص، وبالفعل التقى معاليه بسماعة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الذي نصح بأن يشكل الأطباء والمختصون لجنة لدراسة الأمر ومحاولة إجراء عملية الفصل دون التضحية بواحدة على حساب الأخرى. وبعد ذلك أجريت لنا فحوصات استمرت لمدة ثلاثة أشهر، وبعدها أجريت العملية مباشرة في الثامن من فبراير ١٩٩٢ م، وتكللت بالنجاح والله الحمد، ووجه أبي الشكر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله.. وأنا بدوريأشكر الجميع على ما قدموه لنا من مساعدة وعون، ولا أعرف كيف أعبر عن شكري لصاحب القلب الكبير والإنسان الحنون الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الريبيعة.. وأنا أعيش الآن برجل واحد طبيعية والأخرى صناعية، وأستطيع الذهاب إلى أي مكان شئت، وأدرس الآن.. عند كتابة هذه الأسطر.. بالصف الثاني الثانوي القسم الأدبي ومتوفقة في دراستي والحمد لله.. وللجميع جزيل الشكر والعطاء.

السيامية سماح عمر الجيلي



تذكار من السفير المغربي لدى المملكة



الفصل الرابع عشر

مدينة الملك عبد العزيز الطيبة





مدينة الملك عبدالعزيز الطبية بالرياض
King Abdulaziz Medical city - Riyadh



وضع حجر الاساس لأحد المشاريع الطبية

مدينة الملك عبد العزيز الطبية

صرح شامخ ومنارة رفيعة

مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض صرح شامخ ومنارة علمية سامقة تقف شاهداً ماثلاً وحيّاً على إنجازات مملكتنا في شتى المجالات، وتؤكّد بجلاء لمحيطنا الخليجي والعربي؛ بل العالمي تفرد الحرس الوطني بنشأته الصحية الحديثة والمتطورة التي تأخذ بأحدث التجهيزات والتقنيات، وتستقطب أفضل الكفاءات والمهارات مع الإيّار والتركيز على ما هو محليٌّ منها على وجه الخصوص. وشهد الجميع بكفاءة وتميز هذه المدينة التي سبقت في آفاق العلوم والمعارف كإحدى أبلغ وأقوى الأدلة والبراهين على اهتمام ولاة أمرنا . وعلى رأسهم القائد الإنسان الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود . وحرصهم على قطاعات الدولة كافة؛ وخاصة الصحي منها الذي يعني بالإنسان باعتباره أساس البناء والنهضة والتطور ، ذلك أن تكريم قيادتنا للإنسان السعودي - وغيره من شعوب الأرض - مستمد من قواعد ديننا وخطابه وتأكيداته: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثيرٍ من خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء . آية-٧٠).

وطالما أن المادة العلمية لهذا الكتاب قاصرة على ظاهرة التوائم السيمائية التي احتضنتها مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وأضحت مهدًا ومركزًا لها تهفو إليه أفئدة المرضى من كل مكان، فقد كان لزاماً علىَّ - اعتماداً علىَّ هذا التفرد - الحديث عن هذه المدينة الشامخة التي تعدُّ مقرًا لهذه المسيرة الطويلة للتتوائم السيمائية ، فهي مدينة طيبة بقامة المملكة العربية السعودية وثقل حضارتها وإشراق سمعتها، وهي تمثل أحد الوجوه المضيئة لخدماتها الصحية التي ينتظرونها إيقاع خدماتها ويتسارع نحو مستقبل علمي ومهني زاهر ومتطور .. والحديث عنها يتبع للقارئ العربي إمكانية التعرف على نشأتها ومراحل تطورها، والوقوف على إمكاناتها وتجهيزاتها وما ترخر به من كفاءات ومهارات وخبرات تصاهي بها مثيلاتها في مختلف أنحاء العالم إن لم تتفوق عليها بجدارة.

النشأة والتطور:

لعلنا نعود إلى الوراء عقودًا قليلة، إلى بدايات الخدمات الطبية بالحرس الوطني والراحل التي توصلت إليها الآن، فهذا واجبنا نحو هذه القلعة الطبية عظيمة الأداء والعطاء . فمنذ نيف و ٤٠ عاماً كان تقديم هذه الخدمات قاصراً على عدد قليل من الأطباء العاملين ، يتبعونها مراجعاتهم في مركز صغير بمنطقة الشميسى لا يبعد كثيراً عن مستشفى الشميسى أو مجمع الرياض الطبي ، فقط ثلاثة أطباء عاملين شكلوا النواة الأولى للشوؤن الصحية بالحرس الوطني ، ثم بدأ هذا المركز ينمو ويكبر ، وتوسيع خدماته وتتنوع تخصصاته بزيادة عدد الأطباء وكوادر التمريض ، وأسهم ذلك بدوره في اتساع دائرة شهرته ، ولكن هذا التطور المحدود لم يكن مواكباً لطموحات قادة الحرس الوطني الذين كانوا يخططون لإنشاء منظومة صحية متكاملة تخدم منسوبي الحرس الوطني وذويهم والمواطنين عموماً، انطلقت مسيرة هذه المدينة الطبية عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) تحت مسمى مستشفى الملك فهد للحرس الوطني بسعة ٤٠٠ سرير،



جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية بـالرياض



خادم الحرمين الشريفين يطلع على مخطط منشآت الجامعة

ثم شهد هذا المستشفى - مع مرور الزمن - توسيعاً كبيراً وتطوراً هائلاً في إطار حركة التنمية الشاملة التي شهدتها المملكة في كل القطاعات لاسيما القطاع الصحي . وفي إطار هذا التوسيع أضيفت إلى المدينة عدة مراكز طبية وعلاجية وتأهيلية، مثل: العيادات الخارجية، القلب، زراعة الكبد، مبرة فهد بنت العاصي بن شريم للعناية المركزة، وحدة الحروق، الإقامة طويلة الأجل، الأسنان، الكلى وغيرها من المراكز المتخصصة، وتحولت الخدمات الطبية من عامة إلى متخصصة، وأهللها هذا النمو المطرد إلى أن تكون مرجعية على مستوى الوطن والمنطقة . ولذلك صدر قرار بإنشاء مستشفى الملك فهد للحرس الوطني بـالرياض، هذا الصرح الذي بدأ التخطيط له منذ أكثر من ٣٠ عاماً، وبالفعل خرج هذا الكيان الطبي إلى الوجود، وانطلقت دورة تشغيله قبل عقدين ونصف العقد من الزمان، وشكل بذلك الركيزة الأولى لهذه الدوحة الطبية السامية، وتتابعت مراحل ثوره تدريجياً؛ إذ بدأ مستشفى عاماً، ثم أخذ يتوجه إلى المتخصص . وكان إنشاؤه في منطقة المعزيزية التي تبعد حوالي ١٥ كيلومتر شرق الرياض، ورأى الجميع أنها تبعد - آنذاك - كثيراً عن المدينة.. ارتفع بناؤه في هذه المنطقة المتميزة بكتابتها الرملية الجاذبة والتي كان يقصدها أهل الرياض للتتنزه والترفيه، ورغم ما تداوله عام الناس حول بعد المستشفى عن الأحياء الأهلية؛ إلا أن قيادة الحرس الوطني - باستشرافها لمستقبل العاصمة العمراني - رأت أن المنطقة ستعمّر بمؤسسات الحرس الوطني وخدماتها ومنسوبيها، وستتمدد الأحياء نحوها، ولذلك اختاروها لتكون مركزاً للحرس الوطني، وخصصوا جزءاً متميزاً من مساحتها ليكون مقرًا لهذا المستشفى الذي أخذ ينمو ويتوسّع ويتحول من عام إلى متخصص، وكان يركّز نشاطه على خدمة الإصابات وحوادث السيارات التي تقع بالقرب منه على الخطوط السريعة المتجهة إلى مدن شرق المملكة العربية السعودية.

منظومة واحدة

وفي عام ١٩٩٥م رأى الحرس الوطني تجميع خدماته الطبية في منظومة واحدة هي الشؤون الصحية للحرس الوطني التي ضمت مستشفى الملك فهد بـالرياض ومستشفى الملك خالد بجدة إضافة إلى حوالي ٦٠ مركزاً صحياً منتشرة في أنحاء المملكة حيث يوجد الحرس الوطني . وبدأت هذه المنظومة تنمو وتطور بقيادة وإشراف أول مدير تنفيذي لها معالي الدكتور فهد العبد الجبار، والتحقت بها نائباً لمديرها العام التنفيذي بعد إنشائها بعامين مع استمراري في واجباتي العملية والمهنية بقسم الجراحة، ومثلت هذه الخطوة نواة العمل المزدوج بين الإدارة والجراحة، وكانت أتنقل بين مكتبي في الإدارة وغرفة العمليات، وشاركت معالي الدكتور العبد الجبار في وضع وتنفيذ الخطة الرامية إلى إنجاح هذه المؤسسة العاملة، وكان التركيز على مستشفى الملك فهد الذي بدأ بالفعل يتسع يوماً بعد يوم، ثم ألحق به مركز لأمراض وجراحة القلب، ومركز آخر لزراعة الأعضاء بجانب العيادات الخارجية ومركز الأسنان، وخلال سنوات قليلة اتخذ هذا المستشفى سمات مدينة صغيرة؛ مما حدا بقيادة الحرس الوطني ممثلة في رئيسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله أن يطلق عليها مسمى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بـالرياض لتشمل مستشفى الملك فهد إضافة إلى مراكز: أمراض وجراحة القلب، أمراض وزراعة الكبد، العيادات الخارجية، الأسنان، الإقامة طويلة، وأتاح هذا الدمج توافر تخصصات كثيرة متنوعة حولت هذه المدينة إلى مرجع طبي شهير . وفي موقع الإداري عولت على



مركز الملك عبدالله للأبحاث بالرياض



مستشفى الملك عبدالله التخصصي للأطفال بالرياض

مضاعفة جهودي من أجل تطويرها وترقية خدماتها، كما بدأت أعمل مع زملائي في المجالين الإداري والمهني على رفع سمعتها الطبية، وقد ساعدت جراحة التوائم السيمامية على نشر صيتها في العالم أجمع.

مشروعات ضخمة

تسلمت رئاسة الشؤون الصحية بالحرس الوطني في صيف عام ٢٠٠٣م لأصبح مديرًا تنفيذياً لها، وتنامت عمليات البناء والتطوير وتوسعت بشكل ملحوظ، متضمنة مشاريع ضخمة مثل جناح الجراحة المتخصص في الجراحة وإصابات المرضي، ومشروع توسيعة مركز القلب بنسبة ١٢٠٪، وعملت كذلك على وضع لبنيات المركز الوطني لزراعة الأعضاء، ومركز الأورام، ومركز أمراض السكري، علاوة على توسيعة قسم الطوارئ. ولذلك تميزت هذه المدينة بخدمات للطوارئ والإسعاف في أكبر قسم من نوعه على مستوى المملكة، ثم بدأت تواصل تحديث نفسها، وتستكمل بنياتها من خلال مشروعات عملاقة منها ما اكتمل الآن. كما أشرنا. ومنها ما هو قيد الإنشاء، ونأمل بإذن الله أن تشكل هذه المنشآت الضخمة نقلة نوعية في كل التخصصات والخدمات الصحية التي تقدمها المدينة من حيث كفاءة الأداء وسرعته وقيمة، وما زالت الخفط والبرامج المستقبلية ترتكز على زيادة الطاقة الاستيعابية للمدينة، إذ يجري التخطيط الآن لإنشاء مستشفى متكمال للأطفال بسعة ٣٠٠ سرير، وإنجمالاً فإن من المتوقع أن تصل سعة المدينة إلى ما يقارب ١٥٠٠ سرير خلال الستين القادمين بمشيئة الله. وأصبحت هذه المدينة، بالإضافة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بجدة ومستشفى الملك عبد العزيز بالأحساء ومستشفى الإمام عبد الرحمن الفيصل بالدمام، وحوالي ٦٠ مركزاً للرعاية الصحية الأولية المتتطور. تثلج المكونات الرئيسية لمنظومة الخدمات الصحية للحرس الوطني. وعموماً فإن هذه المشروعات تنشر الخير وتُبشر بصناعة مستقبل صحي وطبي يأمن فيه المواطن. إن شاء الله. من مضاعفات أمراض كثيرة أياً كان نوعها ومهما بلغت درجة التأثير.

المسيرة الأكاديمية والبحثية:

ولا شك أن هذه المدينة الطبية - بما تفرد به من مزايا وخدمات - تحرص دائماً على أن تكون في مستوى العصر، عصر المعلومة الحديثة والمستجدات والتقنيات الطبية المتقددة بكثافة في مراكز الأبحاث العالمية وفي المعامل والمخبرات داخل المؤسسات الأكاديمية العليا والجامعات، عصر التخصصات الدقيقة، والتدريب والتأهيل الكمي والنوعي، وانطلاقاً من كل ذلك فهي لم تغفل جانبين مهمين في مجال الرعاية الصحية، يتمثل أولهما في الجانب الأكاديمي الذيحظى بأهمية كبيرة كبرى استهله باستحداث برامج التدريب والتطوير والدراسات العليا التخصصية لطلاب كلية الطب، وبتخطيط برامج لابتعاث الداخلي والخارجي، واستكملت مرحلة التعليم الصحي الجامعي بإنشاء كلية التمريض، وتبعتها كلية الطب ثم برنامج الماجستير في المعلوماتية الصحية، وجمعت هذه المنجزات والجهود الأكاديمية تحت مظلة أطلق عليها: «أكاديمية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم الصحية» ولقد رأت قيادة الحرس الوطني وإدارة الشؤون الصحية ضرورة المضي قدماً في تطوير هذه المدينة وترقية خدماتها لتتصبّع



منظر جانبي للمدينة



وحدة غسيل الكلي

معلماً أكاديمياً ومرجعاً في التعليم الصحي. واستشرفت هذه الرؤية بعيدة النظر آفاق المستقبل واستقرأت متطلباته واحتياجاته وفق تخطيط علمي دقيق، ولذلك فقد توجت بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بإنشاء جامعة صحية متخصصة أطلق عليها: (جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية) لتكون صرحاً أكاديمياً وعلمياً ضمن منظومة الملك عبد العزيز للشؤون الصحية بالرياض، وتكون الأولى من نوعها على مستوى المنطقة والعالم العربي. وضمت هذه الجامعة - رغم حداثتها - 11 كلية صحية متخصصة خلال العامين الماضيين، منها: كلية للطب بالرياض وجدة، كلية للتمريض بالرياض وجدة والأحساء، كلية للعلوم الطبية التطبيقية بالرياض وجدة، كلية للعلوم الطبية التطبيقية بالمنطقة الشرقية، كلية للصحة العامة والمعلوماتية الصحية بالرياض.

تعليم إلكتروني نموذجي ومناهج حديثة

أصبحت هذه الجامعة نموذجاً للتعليم الإلكتروني وتطبيق مناهج حديثة للتعليم الصحي والدراسات العليا. وستضاف إلى هذه البنية الأكاديمية والعلمية قريباً بمشيئة الله كلية الصيدلة والأسنان. واستدعت حداثة النشأة هذه أن تحرص إدارة الجامعة على اختيار وتطبيق أفضل المناهج والخطط الدراسية والتدريبية مستنيرة بتجارب جامعات عالمية متقدمة ومرموقة، ولذلك فقد تهيأ لها هذا التميز من خلال اعتماد أحدث برامج التعليم الطبي والصحي منهاجاً لها، وترتكز هذه المناهج على استخدام أسلوب حل المشكلات والتعليم الإلكتروني، كما عمدت إلى تطبيق برامج القبول لحملة الشهادة الجامعية (إعادة التأهيل) المعول به الآن في مناهج التدريس بكلية الطب.

أما الجانب الآخر الذي أعطى أهمية ماثلة في البحث العلمي؛ فقد تمثل في إنشاء مركز للأبحاث الطبية تيز بأن يحمل إسم مركز الملك عبد الله العالمي للأبحاث الطبية، وذلك من منطلق الإيمان الراسخ والقناعة الكاملة بأن البحوث الطبية هي قاعدة الارتقاء بالجهود والخطط الرامية إلى الارتقاء بالرعاية الصحية وتطويرها حتى تبلغ المستوى المنشود وعيها وسلوكها وخدماتها. وفي الخامس من رمضان ١٤٢٨هـ نستطيع القول إن الجامعة تستطيع الآن تأكيد وجودها وذاتها العلمية والأكاديمية والبحثية بعد اعتماد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - قطعة أرض شمال مدينة الملك عبد العزيز الطبية لإقامة مقر لها تربو مساحتها على أربعة ملايين متر مربع ، وسيوفر هذا المقر بمشيئة الله لكل منسوبي الجامعة من طلبة وطالبات وأعضاء هيئة تدريس وموظفي الإمكانات الإدارية والعلمية المنظورة التي تهيئ إلى بيئة دراسية خصبة تساعده على مزيد من التحصيل والعطاء والإبداع في مختلف مجالات التخصصات الصحية والطبية.

مرجعية في الرعاية الصحية:

ذاع صيت مدينة الملك عبد العزيز الطبية داخل المملكة وفي الدول العربية والإسلامية ودول العالم أجمع بسبب خدماتها التخصصية والعلمية المتميزة. لذا ليس من المستغرب أن تتحول هذه المدينة المتميزة التي بدأت بين الرمال إلى منارة عالية تعانق



مركز العيادات الخارجية



مركز التدريب الظبي

السحاب بخدماتها، وأن تصبح بيئه خصبة لتنامي وازدهار خبرة جراحة التوائم السيمائية في المنطقة العربية والإسلامية، ولعل تاريخها وما حققته من تقدُّم وتطور وإبداع -بحسب معايير ومقاييس الوقت العالمية- يُعد إنجازاً باهراً؛ بل إعجازاً حقيقياً مائلاً للعالم؛ إذ انتقلت هذه الخدمات الطبية بالحرس الوطني خلال ٤٠ عاماً من أطباء عاملين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة إلى منظومة طيبةٍ ضخمةٍ ومتکاملةٍ عمِّت بخدماتها المملكة العربية السعودية، وأفاضت بها على الدول العربية والإسلامية والعالم أجمع . ولعلها الآن قد أصبحت علماً مرففاً وخفقاً على سارية الرعاية الصحية المرتفعة في سماء الوطن ، والساقمة عربياً وعالمياً، وقد أهلها هذا الشموخ لتكون مقصدًا ومرجعية لكثير من الدول المجاورة، واعترفت بها كل المؤسسات العالمية ذات الاعتماد والاختصاص في هذا المنحى استناداً على الدور الكبير والمقدَّر الذي ظلت تقدُّمه للوطن وللعالم أجمع . ولم يكن غريباً لمدينة طيبة تحوي هذه الإمكانيات الضخمة، وتضم كفاءات وكوادر وطنية على قدر عال من التأهيل والخبرة؛ أن تحقق سلسلة من الإبداعات والإنجازات الطبية المتعددة في مختلف فروع الطب وعلى رأسها الخبرة السعودية العالمية في فصل التوائم السيمائية.

شخصيات مرموقة في زيارة المدينة:

لا شك أن أي مؤسسة أو مدينة طيبة بهذا المستوى من التطور مهنياً وأكاديمياً وعلمياً وتقنياً؛ حريٌ بها أن تستقطب اهتمام القادة والدبلوماسيين ومشاهير الأطباء والعلماء على مستوى العالم، فقد استقبلت مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني على فترات مختلفة عدداً من رؤساء الدول والشخصيات المرموقة وبعض أعمدة السلك الدبلوماسي الذين يمثلون مختلف الدول، وأبدى جميع هؤلاء إعجابهم بما وصلت إليه هذه المدينة من تطور لافت للنظر، وأعربوا عن تقديرهم وإكبارهم لما حققته من تميز وإنجازات طيبة يُشار إليها بالبنان، ورفعتها إلى مصاف الخبرات العلمية العالمية المؤثرة في مسيرة المعرفة الطبية والصحية. وضمت قائمة الزوار:

- الرئيس الفنزويلي شافيز.
- الملك عبد الله الثاني ملك المملكة الأردنية الهاشمية.
- مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي السابق.
- بيتر هاري كارستنسين رئيس المجلس الاتحادي الألماني.
- عصمت عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية سابقاً.
- وزير الصحة الأمريكي والوفد المرافق له.
- وزير الصحة اليمني.
- سفراء دول: ماليزيا، مصر، السودان، اليمن، الفلبين، أمريكا، الصين، وغيرهم من الدبلوماسيين والمسؤولين.



الفصل الخامس عشر

قطبي مع الجراحة



توديع د.الريعة من زملائه بجامعة ألبرتا

قصتي مع الجراحة

في مكة ميلادي

في مكة المكرمة كان ميلادي .. هكذا تقول البيانات المدونة في بطاقي الشخصية، وهكذا شاء الله أن أخرج إلى الحياة في (القرية) التي أهدت البشرية النور والضياء، والعلم والحكمة، والهدي والرشاد، وعظيم المبادئ ولطيف الشمائل وسامي القيم ورفع الأمجاد.. وبحسب السجل الشفاهي لتاريخ الأسرة؛ فقد غادر والدي في فترة مبكرة من عمره مدينة (جلاجل) التي شهدت مولده ومراحل صباه وبدايات فورة شبابه، غادر مضارب الأهل ومراح العشيرة فاصلًا العاصمه الرياض طلباً للعيش وبحثاً عن وضع أفضل. وبعد أن حقق قدرًا من الاستقرار في مقامه الجديد؛ آثر مصاهرة إحدى الأسر الكريمة، وبالفعل تزوج والدتي -رحمها الله-. وعاشا سوياً حياة هانئة في بيت من اللّين (الطين) بحرارة جبرة.. وفي إحدى السنوات قرر أداء فريضة الحج، وكانت أمي في أواخر حملها فوضعتني في نهايات شهر ذي الحجة بعد أن أكملت جميع مناسكها، وفي تلك الفترة كانت الأسر تستدعي قابلات المدينة أو الحي إلى المنازل حين تحس الأمهات باللام المخاض واقتراب لحظة الولادة، والقابلات -وقد تذرعن- يفتقرن إلى الخلفية والمعرفة الطبية، وتتشكل خبراؤهن من خلال ممارسة المهنة في البيوت. جئت إلى الحياة في بيت صغير بمكة المكرمة، وكان لحظتها مكتظاً بالضيوف الذين اجتمعوا على مائدة غداء بدعوة كريمة من والدي. أكملت والدتي -عطر الله ثراها- الفتاة المحددة المتعارف عليها اجتماعياً آنذاك، ثم غادرت مع أبي إلى الرياض وهي تحمل على حجرها رضيعها ومولودها الجديد. نشأت وترعرعت في ذات الحرارة التي سبق أن استقرت بها الأسرة، ثم انتقلنا إلى حارة في أواسط الرياض حيث تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة (معن بن زائد) بشارع الخزان.

هروب من المدرسة

تقربن دراستي في المرحلة الابتدائية بقصة طريفة، فقد الحقني والدي بالدراسة في سن مبكرة، وكان يصطحبني إلى المدرسة، وعندما يقفل راجعاً أنسلاً على أثره وأتبعه كظلّه دون أن يشعر بي، ثم يفاجأ بوجودي خلفه أسباق خطواته في اجتياز باب البيت! وبالطبع لا يمكن أن تمر مواقف الهروب من المدرسة دون عقاب من الآباء، فكُرّ أبي في علاج لهذا الهروب، فاهتدى إلى حلٌّ ناجع رأى فيه إمكانية تحبيب الجو الدراسي إلى، إذ اتصل بأحد المدرسين من توسم فيهم روح التربية والقدرة على التعامل اللطيف مع الأطفال وأوكل إليه أمر مراقبتي وترغبي في الدراسة، وبالفعل كان الأستاذ عبد العزيز يحتضنني لحظة عبوري بباب المدرسة ويداعبني ويلاطفني ويناديوني بتقصير اسمي، وبراءة الأطفال كنت أرد عليه وأناديه أيضًا بتقصير اسمه، أحبّني هذا المدرس وعاملني معاملة متميزة، وحبب إلى الدراسة، وكان له الفضل -بعد الله-. في التكيف مع بيئة المدرسة والانسجام مع زملائي. ثم انتقلت منها وأكملت السنين الأخيرتين في مدرسة المحمدية بحرارة دخنة. أكملت الدراسة الابتدائية وكنت من المتفوقين والله الحمد، ثم انتقلت الأسرة إلى منزل آخر بحارة (عليشة) بجوار منزل عمّي، وهو أول منزل (مبني من الخرسانة)



بطاقة الجامعة (كلية الطب)



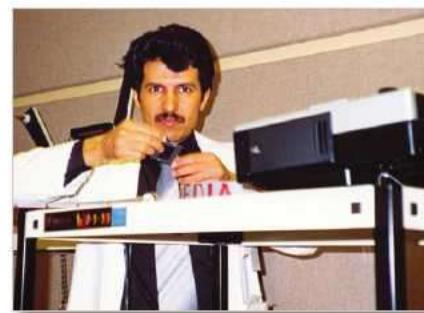
في المرحلة الابتدائية

نسكه. والتحقت بمدرسة فلسطين، وواصلت دراسة المرحلة المتوسطة محافظاً على تفوقها بعون الله وفضله. وفي هذه المدرسة حدثت قصة طريفة ظلت راسخة في الذاكرة حيث اشتهرت بين المدرسين مع بعض زملائي بالتفوق، وذات يوم كنا مع أستاذ مادة العلوم نجح في تجربة المولد الكهربائي، فأطفأ المعلم النور وطلب منا تشغيل المولد وإضاءة الغرفة، وفي أثناء الظاهرة صرخ طالب بجواري صرخة عالية، فتووجه إلى المعلم وطلب مني إخباره بمصدر الصرخة، فسكت ولم أخبره وفاءً لزميلي، فقرر المدرس ضربني مع زميلاً اللذين يجلسان بجواري على نفس المقعد أو الأريكة مستخدماً عصا طويلة، فتال كل واحد من زميلي ثلاثة (جلدات) إلا أنا فقد ضاعف لي الكيل لاعتقاده ويقينه بأنني محل ثقته، ولن أكتم شهادتي مهما كانت الظروف.. ولا زلت أذكر ذلك الموقف بوضوح.

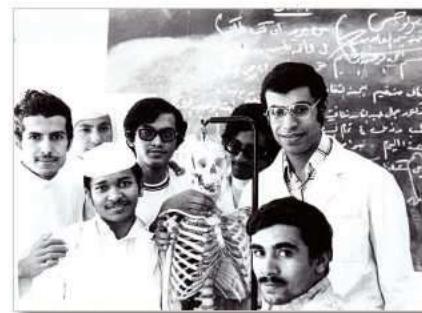
السقوط من الدراجة بداية الطب

انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانوية وهي أكثر جدية والتحقت بثانوية اليمامة، وكان مدير المدرسة حينها الأستاذ الفاضل عبد الرحمن الثاقب العجاجي الذي كان تعامله رأقياً مع جميع الطلاب، فحظيت عنده بتقدير و منزلة كبيرة لأنه كان يعامل جميع المتفوقين معاملة خاصة تحفّزهم على مزيد من التفوق. وفي السنة الثالثة كرسنا جهودنا واستثمرنا أوقاتنا في الاستذكار استعداداً لتحقيق معدلات عالية في شهادة الثانوية العامة، وأثناء الدراسة يحرص الأستاذ العجاجي على تنظيم زيارات لطلاب الصف الثالث إلى الجامعة للتعرف على أقسامها وكلياتها ونظمها الدراسية حتى يكونوا على دراية ومعرفة بالتخصصات التي يتطلعون إلى دراستها، ولم تغب زياراتنا إلى كلية الطب عن ذاكرتي؛ تلك الزيارة التي شكلت لي أهمية كبيرة في حياتي، لقد تضمن برنامجها جولة على فصولها الدراسية ومخابرها ومحفل وحداتها، ولا أنس على الإطلاق زياراتنا إلى المشرحة حيث يمكن مشاهدة تشريح الأجساد أمامك مباشرة، لم أشعر بصدمة أو أي نوع من التفاف أو التقزز كبقية زملائي؛ بل تقبّلت المشهد وبقيت مشدوداً إلى عملية التشريح، ومن حينها وجدت في نفسي ميلاً إلى دراسة الطب، وازداد حبها في قلبي أكثر فأكثر.

وأود هنا العودة إلى الوراء قليلاً إلى حيث بدايات قصتي مع الطب، بدأت هذه القصة في فترة مبكرة تعود إلى أول عيوب المرحلة الابتدائية، ففي ذات يوم كنت أقود دراجتي بسرعة كبيرة، فاصطدمت بشيء صلب على الأرض فاختلط توازني وسقطت، ونتج عن هذا السقوط إصابتي بجرح غائر في رأسي، فحملني والدي - متعه الله بالصحة والعافية - إلى مستشفى الشميسى الذي كان وقهاً في بدايات إنشائه ولم تتتطور خدماته بعد، فأسعفوني الأطباء وانكبوا على رتق الجراح بطريقة بدائية ودون مخدر، وحتى يخفف والدي من حدة صرافي كان يقول لي أنت شجاع يا بني، وسألهم لك هدية قيمة نظير شجاعتك هذه، وستكون طبيباً ناجحاً في المستقبل يجري مثل هذه العمليات بطريقة أفضل.. ورغم شدة الألم إلا أن كلماته هذه ظلت راسخة في مخيّلي إلى يومنا هذا، ولم يكتم بذلك بل زكي في داخلي حبّ الطب دراسة الطب، وظل يُنمّي هذا الحب حتى كبر وتعلّق واتسعت مساحته في نفسي، وأسهمت والدي بدورها - رحمها الله - في هذا التشجيع والتحفيز.



تقديم محاضرة أثناء التخصص بكلية



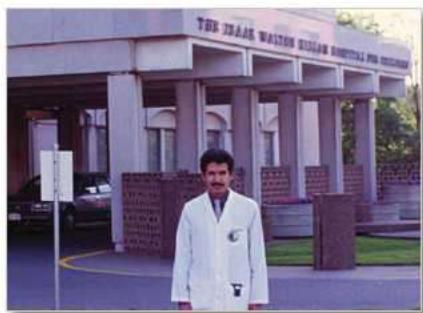
مع الزملاء بكلية الطب بجامعة الملك سعود

إفطار داخل المشرحة

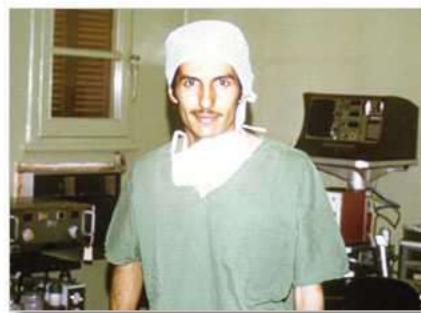
في المرحلة الثانوية تناهى حب الطب، وبلغ ذروته في نهايتها، ولذا كان قرارى النهائي الذى لا تراجع فيه هو الالتحاق بكلية الطب، ووجدت تشجيعاً كبيراً على هذا الطموح من مدير المدرسة.. وهكذا توجت رحلتي قبل الجامعة بتفوق ملحوظ في الثانوية العامة أهلاًنى بجدارة إلى تحقيق أمنيتي. التحقت بالكلية وكانت هذه أولى خطواتي في المرحلة الجامعية، هذه المرحلة الجادة التي تتغير فيها السلوكيات من الصبا إلى الرجولة، وتتفتح فيها ذهنية الطالب، وينمو عقله ويتجه إلى النضج والتفكير المتزن والسليم.. شكلت الستنان التحضيريتان - الأولى والثانية - بالكلية نقلة كبيرة في حياتي، ففيهما تحولت الدراسة من اللغة العربية إلى الإنجليزية، وكانت لغة علمية صعبة بالنسبة إلينا، ولذا كان تقضي ساعات طويلة بين القواميس للتعرف على المفردات والمصطلحات، وشكّل ذلك معضلة لبعضنا جعلتهم يتذمرون في موائل المشوار؛ إلا أن الطموح حرك في دواخلنا جميعاً روح الثابرة والإصرار على إكمال هذه المرحلة. وبحمد الله اجتزنا هذه السنوات الإعدادية بتفوق مشهود، ثم انتقلنا إلى مرحلة أكثر جديةً حيث بدايات التدريب على تشيريع أجساد البشر وما يقتربن بها من قصص طريفة.. ففي إحدى المحاضرات كنا ندرس مادة التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية وغيرها من المواد المتعلقة بجسد الإنسان وتركيبه، وهي ما قبل المرحلة السريرية. وأذكر من بين قصصي في المشرحة أن الجانب العملي من مادة التشريح تستغرق مدة أحياناً أكثر من أربع أو خمس ساعات، إذ يبتدئ عملنا في الساعة الثامنة صباحاً ويستمر حتى الواحدة من بعد الظهر، وفي بعض الأحيان ندخل المشرحة دون إفطار لأننا نستيقظ في الصباح الباكر خاصة في فصل الشتاء وننتقل مباشرة إلى الكلية، ولذلك نشعر بجوع شديد أثناء انهماكنا في العمل. كما في البداية نهدى جزءاً كبيراً من الوقت في الذهاب إلى المطعم، ولكن حرصاً منا على استثمار الوقت وتحقيق أعلى معدلات الفائدة آثرنا تناول (ستوديوتشات) خفيفة وقوارير مياه ومشروبات غازية بين الجثث والمواد الحافظة؛ بل التقاطنا صوراً تذكارية عديدة داخل المشرحة.

جمجمة تشير فرع أمي

بعد إكمال هذه المرحلة وقبل الامتحان بالتحديد كانت تلزمنا دراسة عظام جسد الإنسان، ومن أصعبها عظام الرأس، وأذكر أنها وردت إلينا ذات مرة بالشراء من خارج المملكة عن طريق البريد البحري، وكان نصبي منها كرتوناً به مجموعة عظام حملته معي إلى المنزل دون أن يعلم بها أحد من أعضاء أسرتي، وفي إحدى الليالي الشتوية الباردة والقارصة جلست على سريري أدرس ججمة الرأس، وعند منتصف الليل راودني النعاس وغلبني النوم؛ فتدرجت الججمة بجواري على السرير، وبعد أذان الفجر جاءت والدتي -رحمها الله- لتوقظني كعادتها لأداء الصلاة بلامسة رأسي كي لا أصحو متزعجاً أو فزعاً، وحين مدت يدها لامست رأسيين معاً، فانتابها خوف وهلع، وهرولت نحو مفتاح النور وأضاءت الغرفة على غير عادتها، ثم رفعت غطائي لتفاجأ بالجمجمة، فصرخت بأعلى صوتها، فاستيقظت على صراخها وطمأنتها بأن هذه الججمة للدراسة وأحضرت من خارج المملكة، وهي جزء من واجباتنا العملية. وبعد أن هدأ روعها عاتبتني برفق ووبختني راجية ألا أكرر ذلك مستقبلاً، وأن أستذكر



آخر يوم في كندا



إجراء أول عملية جراحية

واجتازتني جلوساً على طاولة الدراسة المخصصة، وأضع العظام عليها، وألا أحملها معي إلى مضجعي عند النوم أبداً، فاستجبت لعتابها باتخاذ قرار لا رجعة فيه بأن أضع متطلبات الدراسة في مكانها المخصص. أكملنا هذه المرحلة بتفوق لتحول إلى المرحلة السريرية، وتمثل أيام الدراسة أمعن وأجمل الفترات؛ لما يتخاللها من قصص طريفة ودعابات لطيفة بين الزملاء والأساتذة، إلى أن وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع الامتحانات النهائية التي توجتها بإكمال دراسة الطب بتفوق والله الحمد.

بعد تجاوز سنة التدريب التي تلي التخرج، وفي منتصفها كان اتخاذ القرار، ووقع على الاختيار معيناً بالكلية، وفي المقابلة الشخصية التي تسبق التعيين التقى رجلاً فاضلاً كان له دور كبير في توجيهي إلى التخصص في جراحة الأطفال، وهو الأستاذ الدكتور حسن كامل - رحمه الله - رئيس لجنة المقابلة وعميد كلية الطب آنذاك، وقال لي حينها إن تفوقك هو دافع اختيارنا لك للإعادة بالكلية، فسألني عن رغبتي عن المجال الذي أتمنى التخصص فيه، فأخبرته بحبي الشديد للجراحة وللأطفال، فبادرني بسؤال آخر قائلاً: يا عبد الله.. لماذا لا تخصص في جراحة الأطفال؟ ولم يكن هذا التخصص معروفاً في المملكة العربية السعودية، وربما في العالم العربي، وبالفعل لامست كلماته ميولي، ورنت كثيراً في ذهني، وانشغلت بها لحظتها، ولذلك اتخذت في المقابلة نفسها قراراً نهائياً في هذا التخصص. وبعد إكمال سنة الإعادة ابتعثت إلى كندا بنصيحة منه رحمه الله.

تخصص جراحة الأطفال في بلاد الثلوج

أعود مرة أخرى إلى مرحلة الامتياز، ففي تلك الفترة اكتملت مراسم خطوبتي على زوجتي هدى، وواكب تخرجي حفل زواجي، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن وهي تشاركتي قراراتي وتحمّل أعباء تخصصي، وقبل الابتعاث بشهرين أو ثلاثة أطل علينا ابننا خالد باكورة إنتاجنا هبة كريمة من الله جل وعلا ليُزِّين حياتنا ويؤنسنا في غربتنا، ثم شرعنا معاً في الإعداد للسفر إلى كندا، إلى بلاد غريبة نائية لا يعرف كلامنا عنها شيئاً سوى أنها بلاد الثلوج، وصلنا كندا، وزرنا ثلاثاً من مناطقها. البرتا وساسكاتشوا وكولومبيا البريطانية - بعرض التعرف عليها، فوقع اختيارنا على منطقة البرتا وأحبينا مدينة إدمونتون، ولم نكن نعلم أن البرتا من أشد مناطق كندا بروادة، اكتملت إجراءات قبولي في جامعة البرتا، واستأجرت شقة في عمارة بسيطة بوسط المدينة، وأحسست زوجتي من أول وهلة بوحشة الغربة لأنها ستعيش داخل بيئه غريبة بعيدة عن أهلها ومجتمعها، وفي جوًّ لم تعتد على مثله من قبل؛ ولكنها تفوقت على مشاعر الغربة، مضحية بشوقها وحنينها إلى أهلها وذويها من أجل مستقبلي. وبعد الاستقرار في الشقة انخرطت مباشرة في عمل طبي شاق مقترب بالدراسة، فكنت أذهب إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحاً للعمل في تخصص الجراحة وأعود في الساعة السابعة أو الثامنة مساءً، وبعد كل ثلاثة أيام يستمر عملي في المستشفى لمدة ستة وثلاثين ساعة متواصلة. وسبب ذلك معاناة حقيقة لزوجتي لأنها لا تعرف أحداً في المدينة، ولا تجد سلوى إلا مع ابنها خالد، وأحياناً تلازم نافذة الشقة في الدور الثاني عشر ترقب عودتي. في أواخر شهر نوفمبر من تلك السنة، وبينما كنا مستسلمين للنوم تساقطت الثلوج بغزاره، وحين صحوت في الصباح وتجهيت إلى المواقف المكسوفة في الأسفل وأنا في ملابسي الثقيلة استعداً للذهاب إلى المستشفى، لم أجد سيارتي، فقد كانت مغطاة تماماً بالثلوج، فاجتهدت في إزالتها بيدي، ثم أدرت مفتاح تشغيل السيارة



صورة حفل التخرج مع مدير الجامعة



آخر يوم في جامعة دالهاوسي بكندا

دون جدوى، فدخلت في حيرة من أمري بسبب جهلي بمتطلبات هذا الفصل القارص، أما أهل البلد فلهم مكانس خاصة يازالة الثلوج، ويعملون على تسخين سياراتهم بعد ربطها بالكهرباء، وأنا لا علم لي بكل ذلك.. وكفى بالتجربة الصعبة القاسية درساً مفيداً. ولذلك لم تكن بداية حياتنا في كندا سهلة ميسرة، فقد وجدنا أنفسنا داخل مجتمع غريب وعادات غير معهودة؛ ولكن إصرار المرء وحبه ووفاء لوطنه جعلتنا نضاعف جهودنا لإكمال هذا المشوار العلمي في البرتا خلال خمس سنوات، كنا نعمل نهاراً ونجلس ليلاً، نقدم الامتحانات كل عام حتى أكملت الجزء الأول من الماجستير والدكتوراه، وفي نهاية هذه السنوات الخمس أكملت الجراحة ونجحت في امتحان الزمالة الكندية التي تعادل الدكتوراه بتفوق والله الحمد. وتلت ذلك مرحلة جراحة الأطفال في البرتا على يد الدكتور فيشر وهو أستاذ قدوة له دور كبير في اختياري لجراحة الأطفال ومضاعفة اهتمامي بها، وبعد حصولي على الزمالة في البرتا كان لا بد لي من الذهاب إلى منطقة أكثر خبرة بها مستشفى للأطفال، فوق اختياري على مدينة هاليفاكس وجامعة (دالهاوسي) ومستشفى الأطفال بها، وبعد إجراء المقابلات صدر قرار قبولي، وعملت في تلك الجامعة مع مجموعة أساتذة أجلاء؛ ولكنني تأثرت كثيراً بالأستاذ الدكتور ألكمس جينس الذي كان معلماً ومربياً وقدوة حسنة في جراحة الأطفال وفن الإدارة، وقد تعلمت منه وجنت ثماراً علمية كثيرة على يديه.

بداية مرحلة في خدمة الوطن

أكملت جراحة الأطفال بهاليفاكس في نهاية عام ١٩٨٧م وعدت مع أفراد أسرتي الصغيرة -زوجتي وابني خالد وابنتي شذى التي ولدت في كندا - قافلاً إلى الرياض وأنا أحمل تخصص جراحة الأطفال، وبدأت مشواري العملي والتدرسي بجامعة الملك سعود بعد أن عينت أستاذًا مساعدًا بها.. وهكذا دخلت البيئة الأكademie بكلية الطب المستشفى الجامعي تعليمًا ومارسة لأرد الدين إلى وطني الذي أهلهني تأهيلاً علمياً عالياً. وبعد ثلاث سنوات شاء الله سبحانه وتعالى أن أنتقل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي بعد حرب الخليج الثانية مساهمًا في سد النقص الحاد الذي عانى منه المستشفى جراء مغادرة كوادر الأطباء الأجانب للمملكة. وشكل التحاقني بالمستشفى التخصصي بداية مرحلة أخرى لخدمة وطني الحبيب ، مرحلة اتسمت بالعمل الجاد الذي حفزني إلى التفكير في أن أكون أكثر فعاليًّاً ل وطني من خلال تقديم خدمة أو تحقيق إنجاز أعمق أثراً وأشمل فائدة، وأراد الله جل وعلا أن يكون هذا الإنجاز في مجال جراحة التوائم السيمائية التي بدأت مع توأم سيمامي عام ١٩٩٠م، ولم تكن الحالة معقدة على الإطلاق؛ بل كانت جراحتها بسيطة وسهلة. إلا أن التحول الحقيقى والتغير الكبير في حياتي المهنية بدأ في أواخر عام ١٩٩١م وبداية عام ١٩٩٢م مع التوأم السيمامي السوداني الذي وجّه خادم الحرمين الشريفين بخدمته ورعايته إلى أن يتمثل للشفاء، وبالفعل اتخذ مشواري في جراحة التوائم السيمائية منحي أكثر تركيزاً مع هذا التوأم الذي مثل لي تحدياً حقيقياً؛ لأن الحالة كانت في غاية التعقيد، وبقدرتنا على التعامل معه بمهنية عالية تشكلت نواة الخبرة السعودية الفعلية في هذا المضمار الإنساني الممتع ، واستلزم هذا التحدي الكبير تشكيل أول فريق طبي جراحي، والتقي الفريق مرات عديدة حتى توصل خلال شهرين كاملين إلى قرار بشأن التعامل الجراحي مع هذه الحالة التي أثبتت فيها بمحاجًا قاطعاً وباعثًا على الفخر. ولا شك أن هذا



مساعدة أعضاء التخدير



المناسبة التخرج حفل تكريم من السفارة السعودية بكندا

النجاح كان وقوتنا دافعنا إلى الاستمرار في مجال جراحة التوائم السيمائية خدمة لهذا الوطن الغالي ، ورفعه لسمعته العلمية والطبية والجراحية .. وبعد عامين ونصف استقبل المستشفى حالة أخرى صعبة ومعقدة استندت مثناً جهوداً كبيرة واستغرقت وقتاً طويلاً كذلك أخصضت فيه للدراسة والفحوصات الدقيقة والتي تكللت أيضاً بنجاح مُشرّف أضيف بدوره إلى الخبرة السعودية الوليدة. ثم استقبل المستشفى بعد ذلك حالتين لتوائم طفيلي استطعنا التعامل الجراحي معها بتفوق كبير والله الحمد.. وإلى هنا اكتمل مشواري في مستشفى الملك فيصل التخصصي لأخطو خطوات جديدة في مكان آخر.

من طريق جلاجل إلى إدارة الشؤون الصحية

في تلك الأثناء أنشئت الشؤون الصحية بالحرس الوطني ، وشرفني خادم الحرمين الشريفين - ولـ العهد آنذاك . بالانضمام إلى هذه المنظومة التي كان على رأس هرمها الإداري والتنفيذي معالي الدكتور فهد العبد الجبار .. وبدأت علاقتي بها وأنا في رحلة خارج مدينة الرياض ، حيث كنت بصحة والدي في زيارة إلى مسقط رأسه مدينة جلاجل ، ففي يوم جمعة مبارك تلقيت اتصالاً يدعوني لأتشرف بمقابلة خادم الحرمين الشريفين عقب صلاة الجمعة ، فأحسست حينها بتشريف كبير عبر هذه الدعوة الكريمة ، وبالفعل عدت إلى الرياض وأدّيت صلاة الجمعة معه بمسجده ، ثم تشرفت بلقائه لأول مرة في مكتبه بسكنه الخاص ، وكانت حينها مشدوداً ومرتبكاً إلا أنه - حفظه الله . استقبلني هاشماً باشـاً بعباراته الترحيبية اللطيفة الودودة غير المتتكلفة ، فتبعدت بذلك رهبة الموقف ، ثم أكرمني بالجلوس على مقعد بجواره وهو يتحدث معـي ببساطته المعهودة ، وكانت الجلسة أسرية خالية من السمات الرسمية والبروتوكولات ، فحدثـني حديث الوالد لابنه ، ثم بشـرني باختياري للعمل في إدارة الشؤون الصحية ، فعبرـت له بحفظه الله عن تشرـفي الكبير بهذا الاختيار ، ثم طلبت موافقته على السماح لي بالاستمرار في عملي ، فوافق معربـاً عن رغبـته هو نفسه في ذلك ، مبيـناً . حفظه الله . ضرورة الاستمرار في الممارسة بجانب العمل في الإدارة ، لأنـ الجمعـ بينهما ممكـ جداً ، وليس ثمة مبرـر للفصل بينهما . كانت إجابـته حكـيمة ، وأحسـستـ وكأنـه يقرأـ الإدارـة الحـكـيمـة في الطـبـ التي تـجمـعـ بينـ الـخـبرـاتـ الفـنـيـةـ والإـادـارـيـةـ ، وأـزـالـ بـذـلـكـ خـوـفـيـ منـ أـنـ يـتـغلـبـ العـمـلـ الإـادـارـيـ عـلـىـ المـارـسـةـ المـهـنـيـةـ وـيـقـضـيـ عـلـيـ تـمـاماًـ ، وـهـوـ مـاـ كـانـ يـشـغـلـ تـفـكـيرـيـ فـيـ تـلـكـ الـلحـظـةـ . وـأـنـتـهىـ الـلـقـاءـ بـهـذـاـ التـكـلـيفـ المـشـرفـ الـذـيـ أحـاطـنـيـ بـهـ حـفـظـهـ اللهـ .

كانت هذه بداية مرحلة أخرى جديدة في موقع وبناء آخر ، واستلزم هذا البناء اقتران العمل المهني بالإداري ، وأنـ أعملـ في مجالـيـ الجـراـحيـ بـجـانـبـ مـسـؤـلـيـاتـيـ الإـادـارـيـ ، وبـالتـالـيـ أـسـتـطـيعـ منـ خـالـلـهـمـاـ خـدـمـةـ وـطـنـيـ وـمـجـتمـعـيـ وـأـمـتـيـ .



إجهاض بعد عملية التوأم السيامي



مع الابن خالد في غرفة العمليات



آخر يوم لي في جراحة الأطفال مع الأسنانة جليس وجاكمنتوبي على يسارى ولاو على يمينى من مستشفى إيزاك ولتون بكندا



الفصل السادس عشر

مواقف من غرفة العمليات



مواقف من غرفة العمليات

تُعدُّ غرفة العمليات الجراحية إحدى أهم الأماكن في أي مستشفى على امتداد العالم، فعندما تُجهَّز لإجراء عملية ما؛ فإنها تتحول إلى خلية نحل، فكل أفراد الطاقم الطبي يتحركون بجد واجتهاد، ويُسخرون كل طاقاتهم وإمكاناتهم العلمية والمهنية لإنقاذ حياة المريض مستمددين هممهم وعزائمهم من الله سبحانه وتعالى. ولأن هذه الغرفة ترتبط بحياة المريض؛ فإن الاهتمام بها يشكل أولوية قصوى، إذ يُراعى في تصميمها الاتساع والتعميق والترتيب والهدوء، مع الحرص على وجود ترابط واتساق كامل بين أجزائها التي تتضمن: التخدير، التمريض، الجراحة، التخزين، الأجهزة، التعقيم، الإضاءة. ويراعي ذلك أيضاً عند الحاجة إلى إجراء عمليات المناظير والتصوير وغير ذلك، ولذا فهي مكان علمي دقيق ذو خصوصية فائقة، وبين جدرانها تتعلق قلوب من هم خارجها من ذوي المرضى يتربون بلهفة إطلاقة الطبيب؛ خاصة إذا كان مرضاه من أصحاب الحالات الحرجة. ومع هذا كله فإن غرف العمليات لا تخلو من موقف كثيرة؛ طريفة أحياناً ومحيرة وحزينة أحياناً أخرى بالنسبة للفريق الطبي. فمن أجل التغلب على طول الوقت والضغط الذي يصاحب العمليات الجراحية المعقدة؛ يعمد رئيس الفريق الجراحي إلى تخفيف الأحساس الضاغطة، وإلى إراحة الأعصاب المشدودة بفعل الانتباه والتركيز بإطلاق بعض أنواع الدعاية والمزاح اللطيف الذي يمكن أن يساعد في إضفاء جو مريح ومناسب لبقية زملائه، ولا مشاحة في ذلك إذا ارتحت الأعصاب وارتاحت النفوس وكست الابتسamas الوجه وانساب العمل بصورة سلسة ومنسجمة. ومن خلال تجربتي في فصل التوأم السيمائية فقد عشت بعض هذه المواقف الطريفة بغرفة العمليات، سأشرك القارئ فيها حتى يتواصل معى في مسيرة هذا الكتاب بعيداً عن أي حشد لمصطلحات طيبة أو تفاصيل علمية ثقيلة الوزن.

١- مؤشرات مقلقة أوقفت العملية

حظي التوأم الماليزي بوجود إعلامي عالمي وم المحلي كثيف، وكانت العملية منقولة على شبكة الإنترنت مما ضاعف إحساسنا بحجم التحدي، وفي إثنائها حدث موقف صعب تسبب في إحراج وضغطٍ نفسيٍّ هائل، وبعد ساعة من بداية عملية الفصل؛ ظهرت مؤشرات مقلقة على أحد التوائم تتمثل في انخفاض ضغط الدم وارتفاع النبض مصحوبين بارتفاع في درجة الحرارة، وذلك رغم عدم وجود أي مضاعفات جراحية أو نزيف أو غير ذلك، فاضطر الفريق إلى وقف العملية مؤقتاً، وكان هذا على مرأى وسمع المشاهدين والمتابعين في العالم أجمع، ونتيجة لهذا تمت تغطية الجراح بفوط معقمة، وعشنا لحظتها موقفاً صعباً للغاية. ربما كان من السهل مراقبة المؤشرات الحيوية للتتوأم والتعامل معها؛ ولكن لا علم لأحد بأن المؤشرات الحيوية لدى الفريق الجراحي كانت متذبذبة، وكانت مثل زملائي في حيرة وقلق، وازدادت نبضات قلبي، وارتفع النبض في شرائيني، وتسببت العرق ليبلل ملابستنا. ورغم هذه الحالة تمالكت نفسى وسيطرت على أعصابي؛ إذ كان من الواجب عليَّ بصفتي رئيساً للفريق أن أكون ثابتاً الجنان هادئاً، وألا أُظهر أيَّ نوع من القلق، وأن أطمئن الجميع ، وأشده من عزيمة زملائي، ولذلك تحدثت مع الإعلاميين والوالديِّ التوأم من داخل غرفة العمليات بهدوء شديد وثبات وكان شيئاً لم يكن؛ مستهدفاً من ذلك الاستمرار في العمل ضماناً



هيفاء وسارة وهناء



إجهاد وفرحة

لنجاح هذه العملية الحساسة. وفجأة شعرنا أن عنابة الله جل وعلا تتدخل لإنقاذ الموقف، فبعد ساعة من التوقف والتعامل مع الحدث مهنياً وعلمياً؛ عادت الحالة للاستقرار، ولم نعرف سبباً طبياً علمياً لذلك حتى الآن، واكتملت مراحل العملية بنجاح كبير محققة إنجازاً طبياً غير مسبوق للوطن وللعالم العربي والإسلامي.. وكان فضل الله علينا عظيماً وكرمه واسعاً.

٢- صاحت هيفاء: اخرجوه من غرفة العمليات

سقطت ابنتي هيفاء ذات الأعوام الثلاثة من العمر حين كانت تتبعي مع أفراد أسرتي عملية فصل التوأم السيامي المصري الأول وأصيبت بكسر في رجلها اليسرى، فنقلتها زوجتي وأختها على عجل إلى المستشفى الذي كانت تُجرى فيه العملية من أجل إسعافها، لم يجرؤ أحدٌ على إخباري خوفاً من تسبب القلق إلى نفسي فيتعكس ذلك سلباً على مجريات العملية. وفي غرفة الطوارئ طلبت ابنتي هيفاء كما علمت لاحقاً حضوري لأكون بجانبها، ولما رأت تلکؤ الفريق الذي كان يتولى معالجتها صرخت: «اخرجوه من غرفة العمليات لإسعافي».. إنها براءة طفلة يافعة، ولقد نجحت عملية الفصل كما شُفيت هيفاء والله الحمد والمنة.

٣- أم خالد شاهدت الموقف.. ابق خارج المنزل!

كانت عملية التوأم البولندي صعبة ودقيقة للغاية نظراً لاشتراك العمود الفقري والخليل الشوكي، إضافة إلى وجود شريان كبير مشترك أيضاً بين التوأم، وشهدت غرفة العمليات حدوث موقفين، أولهما كان مقلقاً من الناحية الفنية الجراحية، وثانيهما من حيث التقاليد الاجتماعية.

أولاً: كان هناك شريان كبير مشترك بين التوأم في موقع مختلف تماماً لم تكشفه الفحوصات الطبية، وكانت العملية منقولة على الهواء ويتابعها الملايين في أنحاء العالم، واثنان قص عظمة الخوض المشتركة كان هذا الشريان موجوداً على بعد مليمترات، ولو تعمقَ منشار العظم ٤ ملم حدث نزيف قد يفقد التوأم حياته؛ ولكن توفيق الله ثم خبرة الفريق الطبي كشفت موقع الشريان وتعاملت معه بدقة وعناية رغم ما واكتب الحدث من قلق وضغط نفسي كبيرين.

ثانياً: استغرقت العملية ١٨ ساعة ونصف الساعة، وشعر جميع أفراد الفريق الطبي بإعياء شديد نتيجة الإرهاق والتعب والضغط النفسي؛ لا سيما وكميرات وسائل الإعلام تركز عدساتها على حركة الأيدي مهمماً كانت دقتها، وبعد اكتمال كل مراحل العملية طغى الفرح على الوجه، وبدأ تبادل التهاني بهذا النجاح والإنجاز، وعلمت أم التوأم بذلك فلم تتمكن نفسها واقتحمت الغرفة رغم القيود ليفاجأ بها أعضاء الفريق الطبي أمامهم، نظرت إلى ابنتها، وبعد أن تأكدت من فصلهما بسلام اتجهت نحوّي وعانتني رغم السريري تراجعي السريع إلى الخلف لتفادي محاولاتها في التعبير عن شكرها بهذه الطريقة التي تعد عرفاً غريباً في المعاملات والعلاقات الاجتماعية؛ بعكس ما لدينا في المملكة والعالم الإسلامي، وبالطبع فقد حدث هذا المشهد أمام أعين ملايين المشاهدين في شتى بقاع العالم لأن النقل المباشر لحظتها كان ما يزال مستمراً.. وبعد قليل تلقيت اتصالاً عاجلاً من شخصية أُكِن لها قدرًا كبيراً من المعرفة والاحترام، كان المتصل صاحب السمو الملكي الأمير متّعب بن عبد الله بن عبد العزيز



عمل متواصل ومتباينة



مصور إحدى القنوات الفضائية داخل غرفة العمليات

الذي داعبني بمنزلة خفيفة أنسنتني إرهاق العملية حين قال: «لقد جهزت لك غرفة وسريرًا لتنام فيها الليلة؛ لأن زوجتك أم خالد شاهدت الحدث مثل بقية المشاهدين في العالم، والأفضل لك ألا تذهب إلى منزلك»، بالفعل كانت مداعبة لطيفة من رجل فاضل جعلتني أضحك من قلبي قبل مغادرة غرفة العمليات.. لم يكن الدافع الأساسي من اتصال سموه فقط لأجل هذه المداعبة؛ وإنما لتهنئة أسرة التوأم والفريق الطبي على هذا الإنجاز الباهر، فقد اعتدنا من سموه على مثل هذه المبادرات الطيبة.

الشاهد في الحدث أن الأم دفعتها شدة الفرح إلى الخروج عن كل المعايير، وأنسنتها أنها في بيته إسلامية لها تقاليدها، وأعادتها إلى بيته الاجتماعية، ولذا كانت ردّ فعلها هذه بمثابة إعراب عفو عن شكرها وتقديرها للفريق الطبي مثلاً في رئيسه، وهكذا يفعلون في الغرب للتعبير عن شكرهم لمن يزجي إليهم خدمة جليلة.

٤- دوار أثناء العملية

«غرفة العمليات» مسمى يجمع بين مفردات وأحاسيس عديدة: الأمل، الرجاء، التطلع ، الخوف ، القلق ، النجاح ، الفشل .. وهي من أهم الواقع في أي مستشفى ، بها تتعلق قلوب المرضى وذويهم ، وترتفع داخلها درجة الإحساس بالرهبة؛ خاصة للمبتدئين من الجراحين والأطباء ، وغيرهم من الراغبين في حضور العمليات من أقرباء المرضى والإعلاميين والصحفيين والمصورين ، ومن ثم فهي (كبسولة) يتطلب دخولها تهيئة نفسية وصلابة في الشخصية وقدرة على التحمل تغْيِّب الاهتزاز العاطفي وتحمُّل من التأثيرات الوجدانية والنظارات المشفقة .. ولا شك في أن مؤشر الرهبة يرتفع إلى أعلى مستوىاته كلما ازدادت المواقف صعوبة؛ لاسيما تلك التي تحيط بجراحات التوائم السيمائية؛ نظراً لضخامة العمليات وحجم الجراح والدماء ومنظر أعضاء الجسم خارج الجسد.

وقد شهدت غرفة العمليات موقفين لا يمكن نسيانهما أو محوهما من الذاكرة:

- أولهما: كان مصور إحدى القنوات التلفزيونية يتابع بكاميراه مراحل إحدى العمليات ، وفجأة بدأ يتمايل ونحن في مرحلة حاسمة من الجراحة وأوشك على السقوط مغشياً عليه، فلاحظ أحد الزملاء ذلك فهرع إليه وأستدنه قبل أن يقع ويرتطم بأرضية الغرفة، فأنقذته عناية الله من إصابة كان يمكن أن تكون لها مضاعفات خطيرة، وتُقلل فوراً إلى غرفة الإفاقة، فزرته واطمأننت على حاله ووجهتُ بنقله إلى غرفة الطوارئ حيث مكث بضعة ساعات حتى استقرت حالته ثم غادرها بسلام والحمد لله. ورغم أن هذا الموقف أحدث نوعاً من الإرباك وتشتيت الانتباه لل الفريق الطبي؛ إلا أن المرحلة النهائية من العملية تكللت بنجاح تام بفضل الله وتوفيقه.

- ثانيهما: تشجيعاً للكوادر الجديدة، واستهدافاً لإكسابها خبرات عملية؛ أشركتنا ذات مرة ممرضة حديثة التخرج في إحدى جراحات فصل توأم سيمامي ، وكانت مستعدة ومستوفية لكل متطلبات المشاركة بغرفة العمليات من تعقيم وزي وخلافه، وفجأة لاحظتُ أن جسدها بدأ يفقد الاتزان ، واتسعت عيناتها وارتقتها إلى أعلى ، فألمأتُ إلى إحدى زميلاتها التي سارعت إليها وساعدتها في الجلوس على مقعد قريب، ثم نقلت إلى سرير لتسدلقي عليه إلى أن يزول الدوار والصدمة التي باعثتها أثناء وجودها مع الطاقم الطبي، وستر الله أن لحقتها زميلتها قبل أن تسقط وتصاب بأذى .. وبالطبع لم يؤثر ذلك على سير العملية سوى التوقف لعدة دقائق ، وعادت زميلتنا إلى عملها من جديد حتى اكتملت مراحل العملية بنجاح والحمد لله.



مذيع إحدى القنوات الفضائية



المصور الطبي أثناء عملية فصل التوأم

وفي عملية أخرى أصيب المصور الطبي المختص بتصوير عمليات فصل التوائم السيمامية بضيق مفاجئ في التنفس ثم اتبعه بإغماءة فوجأة بينما نتيجة الإرهاق الشديد، وتم بعدها نقله مباشرة إلى قسم الطوارئ حيث استعاد عافيته من جديد ومالبثنا أن وجدها يلتقط لنا الصورة الجماعية للفريق الطبي بعد انتهاء العملية.

٥- بين الملعب وغرفة العمليات

سبقت إحدى عمليات فصل التوائم السيمامية مباراة في كرة القدم، ويبدو أنها كانت مهمة؛ لأن المذيع الذي جاء لتغطية العملية حية على الهواء كان مشاركاً في تغطية المباراة، ولذلك فقد كانت مجرياتها وأحداثها مسيطرة على ذهنه ولم تفارقه حتى داخل غرفة العمليات، وكان مرتبكًا ومشدوداً إلى جو المباراة، فاقترب مني وأنا مستغرق في فصل الأمعاء بعد نجاح سابقتها مرحلة فصل الكبد، فطرح عليّ سؤالاً على الهواء مباشرة: «بعد انتهاء الشوط الأول؛ كيف يكون الوضع في الشوط الثاني؟» ضحكت؛ ولكن أسفني (كمام الجراحة) الذي حجب هذه الضحكة عن المذيع السائل والمشاهدين، ومع ذلك أجبته بأننا في مرحلة فصل الأمعاء، وقد صدّت من ذلك فصل الأمعاء بطريقة غير محرجة!!! ولم أثأر الإجابة على طريقة السؤال المطروح بأننا سندخل بعض اللاعبين المهاجمين من (دكة الاحتياطي)!! وبعد نهاية اللقاء ومخادرة المذيع أحاط بي الزملاء يرّوحون عن أنفسهم بشيء من الدعاية ويسألونني عن أخبار خطة المباراة التي لعبتها في فصل التوأم: هل كانت دفاعية أم هجومية؟ ومن سجل الهدف؟ وغير ذلك من المداعبات اللطيفة التي تحدث عادة بين الجراحين لتخفييف التوترات التي قد تصاحب بعض أعضاء الفريق الطبي في العمليات الجراحية الخرجية.

٦- علمت زوجته على الهواء

تعودنا على التقاط صورة جماعية للفريق الطبي في نهاية كل عملية لفصل توأم سيمامي بهدف الذكرى وتوثيقاً للنجاح في مثل هذه الجراحات المعقدة التي تشارك فيها مجموعة من مختلف أطياف الأقسام الطبية المعنية، وبعد إحدى العمليات أحدثت الصورة أثراً معاكساً، وأقصد تداعيات أسرية لم نحسب حسابها... !! فيبينما كنا نستعد ونتهي للصورة جاءت إحدى المرضات الأجنبية واتخذت بصورة عفوية موقعًا ملاصقاً لأحد الزملاء، وعلى سبيل الترويج أيضاً بدأ الزملاء يداعبونه مهددين بإخبار زوجته بعد تزويدها بالصورة، واتهموه بأنه هو الذي اختار لها هذا الموقع ودعاهما للوقوف بجانبه.. استمرت هذه الدعاية والجميع يجهلون أن كل فتشاتهم وحيثيات هذا الموقف بكمالها كانت تبث على الهواء عبر شاشة التلفاز، ولم يخبرهم المذيع بأن المشهد يُنقل حياً.. !! ولو سوء حظ الرجل فقد شاهدت زوجته كل التفاصيل وسمعت كل الاتهامات، وصدقها، ولم تقنع بأن الأمر كان مجرد دعاية للتسلية والترويج بعد جهد مضى وعملية شاقة.. ولا أعلم حتى اليوم ما نوع العقاب الذي وقع عليه في البيت!!! وهو آثر الصمت ولم يبح على الإطلاق بما ناله من عقاب !!



تبقي خمس دقائق على نهاية العملية



الفريق الطبي





الفصل السابع عشر

طرائف من حياة السياميين



التوأم بنكاي

طرائف من حياة السياميين

لا تخلو حياة التوائم السيامية من الطرائف رغم صعوبتها وغرابتها والتحدي الذي يلازم أصحابها مع المجتمع ، فعلى مر التاريخ كانت هناك طرائف وموافق لطيفة تخللت مسيرة حياتهم، ووجدنا فيها ما يستحق التسجيل والنشر لإشراك القارئ في متعتها. وسأاستعراض هنا بعضًا منها.

• التوأم السيامي بنكر (١٨١١م)، ولد هذا التوأم في سiam ، وعاش ملـ ٦٣ سنة قضى معظمها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن نُقلـ إليها بواسطة أحد البحارة العسكريين الأمريكيـين كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، وكانت حياتـهما غنية بالطرائف نقتطف منها:

- عندما بلغا سن الرشد نشـا بينـهما خلاف عنيـف تحـول إلى قضـية استـدعت أحـدهـما إلى رفع شـكوى في المحـكمة ضد أخيـه التـوأم لأنـه يـتعاطـي مشـروـبات روـحـية وـهو لا يـرغـب في ذلك؛ بل يـزعـجه إلى أقصـى الحـدودـ. وتـضـمـنـتـ حـيـثـياتـ شـكـوـتهـ أنـ أخيـه يـشـربـ الخـمـرـ بـيـنـماـ هوـ الـذـيـ يـسـكـرـ وـيـتـأـثـرـ عـقـليـاـ دـوـنـ أـخـيهـ!!ـ وـبـالـطـبعـ كـانـ إـصـدـارـ حـكـمـ لـصـالـحـ فـيـ مجـتمـعـ بـيـعـ تعـاطـيـ المشـروـباتـ؛ـ مـسـأـلةـ صـعـبةـ وـغـيرـ مـكـنـةـ،ـ وـلـذـلـكـ اـكـتـفـتـ المـحـكـمـةـ بـنـصـحـ أـخـيهـ وـحـثـهـ عـلـىـ التـوازنـ فـيـ تـنـاوـلـ الـمـسـكـراتــ.

- في أـواـخـرـ العـشـرـيـنـيـاتـ مـنـ عمرـهـماـ وـبـادـيـةـ التـلـاثـيـنـياتـ قـرـرـاـ الزـوـاجـ؛ـ وـمـنـ الطـرـيفـ أـنـهـماـ أـلـحـقاـهـاـ هـذـاـ القرـارـ بـآـخـرـ هـوـ أـنـ يـسـتـقـلـ كلـ مـنـهـماـ فـيـ مـنـزـلـ مـنـفـصـلـ مـعـ زـوـجـتـهـ لـتـكـونـ لـهـمـاـ خـصـوـصـيـتـهـماـ!!ـ فـكـيـفـ يـتـسـنىـ لـهـمـاـ ذـلـكـ وـجـسـداـهـماـ مـلـتصـقـانـ؟ـ لـذـلـكـ اـخـتـلـفـ،ـ وـبـعـدـ نقـاشـ طـوـيلـ وـحـوارـ وـتـداـولـ فـيـ الـكـيـفـيـةـ؛ـ اـسـتـقـرـ رـأـيـهـمـاـ عـلـىـ تقـسـيمـ أـيـامـ الـأـسـبـوعـ بـيـنـهـمـاـ،ـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ فـيـ مـنـزـلـ أـحـدـهـمـاـ وـالـثـلـاثـةـ الـأـخـرـىـ فـيـ مـنـزـلـ الـأـخـرـ؛ـ بـيـنـمـاـ يـخـصـصـ الـيـوـمـ السـابـعـ للـنـزـهـةـ خـارـجـ الـمـنـزـلـ أـوـ لـلـتـسـوـقـ أـوـ الـرـياـضـةـ أـوـ زـيـاراتـ الـأـقـرـبـاءـ وـالـأـصـدـقاءـ وـمـاـ إـلـيـ ذـلـكـ!ـ أـلـاـ تـرـوـنـ مـعـيـ أـنـ قـرـارـ مـنـاسـبـ وـيـجـعـلـهـمـاـ يـتـجـاـزوـانـ مـشـكـلـهـمـاـ وـيـعـيشـانـ دـوـنـ خـلـافـاتـ؟ـ

• التـوـأمـ الإـيطـالـيـ توـسيـ (١٨٧٧م)،ـ وـهـوـ توـأمـ غـرـيبـ حقـاـ!!ـ رـأسـانـ فـيـ جـسـدـ وـاحـدـ وـطـرـفـانـ سـفـلـيـانـ فـقـطـ (أـيـ رـجـلـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـاـ)،ـ وجـهـاـزـ تـنـاسـلـيـ ذـكـريـ وـاحـدـ.ـ اـسـتـغـلـتـ الـأـسـرـةـ وـضـعـهـمـاـ السـيـامـيـ هـذـاـ باـسـتـخـدـامـهـمـاـ فـيـ الـعـرـوضـ لـكـسبـ الـمـالـ.ـ ثـمـ أـرـسـلـاـ إـلـىـ الـوـلـايـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ حـيـثـ كـانـ يـتـقـاضـيـانـ أـجـرـاـ مـنـ كـلـ رـاغـبـ فـيـ مـشـاهـدـهـمـاـ أـوـ التـقـاطـ صـورـ مـعـهـمـاـ،ـ وـلـذـلـكـ ثـمـكـنـتـ أـسـرـهـمـاـ مـنـ تـحـقـيقـ قـدـرـ عـالـ مـنـ الثـرـاءـ.ـ وـلـكـنـ عـنـدـمـاـ بـلـغـاـ مـنـ الـعـمـرـ ٢٢ـ عـامـاـ رـفـضـاـ هـذـهـ الـعـرـوضـ وـامـتـنـاعـ عـنـ تـقـديـمـهـاـ،ـ وـاستـهـجـنـاـ لـجـوـءـ الـأـسـرـةـ إـلـىـ اـسـتـغـلـالـهـمـاـ بـهـذـهـ الصـورـةـ المـمـعـنـةـ فـيـ الـإـذـالـلـ،ـ وـاعـتـبـرـاـ ذـلـكـ إـهـانـةـ بـالـغـةـ لـأـدـمـيـتـهـمـاـ،ـ وـلـهـذـاـ عـادـاـ إـلـىـ وـطـنـهـمـاـ إـيطـالـيـاـ،ـ وـسـكـنـاـ فـيـ مـنـزـلـ يـحـوـطـهـ سـورـ طـوـيلـ وـعـالـ جـدـاـ يـحـمـيـهـمـاـ مـنـ مـضـايـقـاتـ الـفـضـولـيـنـ.ـ وـعـنـدـمـاـ بـلـغـاـ ٢٧ـ سـنـةـ مـنـ الـعـمـرـ قـرـرـاـ الزـوـاجـ مـنـ اـمـرـأـتـيـنـ رـغـمـ أـنـهـمـاـ يـمـلـكـانـ جـهـاـزـاـ تـنـاسـلـيـاـ ذـكـريـاـ وـاحـدـاـ،ـ وـتـحـقـقـ لـهـمـاـ ذـلـكـ بـالـفـعـلـ وـأـكـمـلـاـ مـرـاسـمـ زـوـاجـهـمـاـ بـعـيـدـاـ عـنـ أـعـيـنـ النـاسـ!!ـ وـنـتـيـجـةـ لـذـلـكـ بـرـزـتـ إـشـكـالـيـاتـ عـدـدـ،ـ وـبـدـأـتـ الـاسـتـفـهـامـاتـ تـدـورـ فـيـ أـذـهـانـ الـقـضـاءـ وـالـقـانـونـيـنـ وـرـجـالـ الـدـينـ حـولـ:



التوأم البولندي في سعادة



التوأم الماليزي يلعبان بالكرة

أـ. كيف تُعرف الأبوة؟ أو إلى من ينتسب الأبناء؟

بـ .كيف يُقسم الإرث عند الوفاة؟

جـ. من يتحكم في العلاقة الزوجية؟

إلى غير ذلك من الأسئلة، ولكن التوأم لم يأبهما بكل ذلك، وواصلَا حيانهما في ذات الدرجة من الغموض التي اختاراها بالنأي بأنفسهما عن المجتمع ، ولا أحد يعلم ما حدث لهما بعد ذلك !

• التوأم السيامي الماليزي الذي فُصل هنا بعدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عام ٢٠٠٢ م ، أحاطت به أيضاً قصستان طريفتان:

الأولى: عندما قرر الفريق الطبي فصل التوأم؛ شرحت للتتوأم ووالديه تفاصيل مراحل العملية وكيفيتها، ولدهشتني سألبني أحدهما ببراءة الأطفال: «أريد رؤية السكين التي سوف تستخدمها لفصلي عن أخي» ! فطمأنته بأننا نستخدم مُخدرًا ومشرطاً صغيراً جداً ولا يمكن له أن يحسّ بأي ألم، فابتسم وقال: «هل أنت متأكد من أنني لن أحس بألم؟» فأجبته: «نعم إن شاء الله تعالى».

الثانية: بعد أسبوع من نجاح العملية الجراحية . وبينما نحن نواصل عمليات تأهيل التوأم . طلب أحدهما ألا يكون قريباً من أخيه !! وكان هذا الطلب غريباً، فسألناه: لماذا؟ أجاب ببراءة: أخاف أنزلتحق مرة أخرى !!.



غراك بالأيدي والأسنان بين عبدالله وعبد الرحمن



التوأم البولندي في سعادة



التوأم الماليزي يلعبان بالكرة

أـ. كيف تُعرف الأبوة؟ أو إلى من ينتسب الأبناء؟

بـ .كيف يُقسم الإرث عند الوفاة؟

جـ. من يتحكم في العلاقة الزوجية؟

إلى غير ذلك من الأسئلة، ولكن التوأم لم يأبهما بكل ذلك، وواصلَا حيانهما في ذات الدرجة من الغموض التي اختاراها بالنأي بأنفسهما عن المجتمع ، ولا أحد يعلم ما حدث لهما بعد ذلك !

• التوأم السيامي الماليزي الذي فُصل هنا بجدة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض عام ٢٠٠٢ م، أحاطت به أيضاً قصستان طريفتان:

الأولى: عندما قرر الفريق الطبي فصل التوأم؛ شرحت للتتوأم ووالديه تفاصيل مراحل العملية وكيفيتها، ولدهشتني سألبني أحدهما ببراءة الأطفال: «أريد رؤية السكين التي سوف تستخدمها لفصلي عن أخي» ! فطمأنته بأننا نستخدم مُخدرًا ومشرطاً صغيراً جداً ولا يمكن له أن يحسّ بأي ألم، فابتسم وقال: «هل أنت متأكد من أنني لن أحس بالألم؟» فأجبته: «نعم إن شاء الله تعالى».

الثانية: بعد أسبوع من نجاح العملية الجراحية . وبينما نحن نواصل عمليات تأهيل التوأم . طلب أحدهما ألا يكون قريباً من أخيه !! وكان هذا الطلب غريباً، فسألناه: لماذا؟ أجاب ببراءة: أخاف أنزلتحق مرة أخرى !!.



عراك بالأيدي والأسنان بين عبدالله وعبد الرحمن



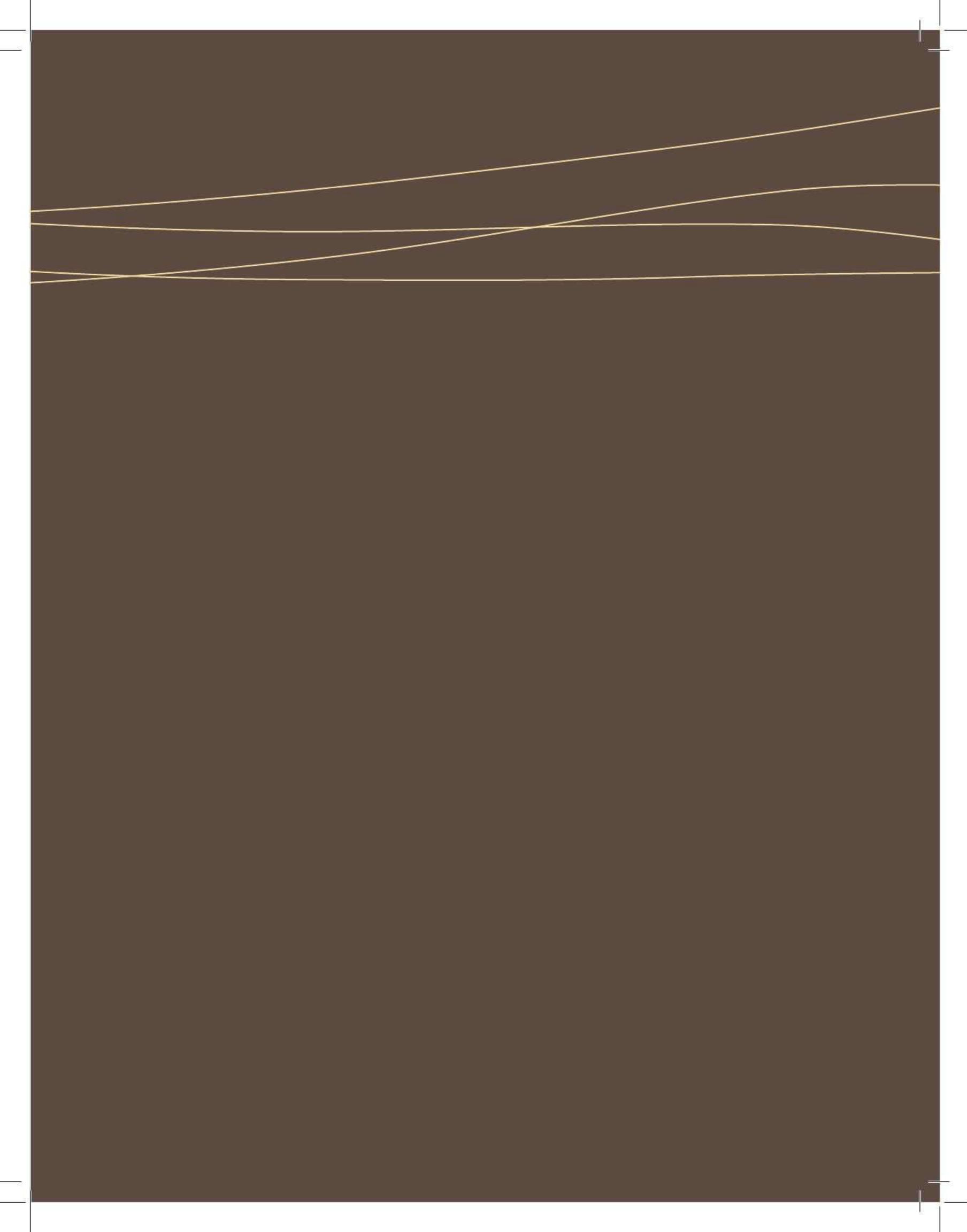
مداعبة بين التوأم المصري تاليا وتالين



التوأم العراقي فاطمة والزهراء مع أخيهما



التوأم الماليزي بالزي السعودي



الفصل الثامن عشر
التوائم السيامية في
عيون الشعر

يا رائد الطب

هذه القصيدة مهداة إلى الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الريبيعة.

شقق الجزيرة سهلاها وذرها
بل صار فيها ماءها ووها
وحوى العلوم جميعها في رأسه
حتى مضى بعلمه تيأها
أطبيتنا يا ابن الريبيعة هل ترى؟
تلد البسيطة مثلكم وكفاحها
يارائد الطب الحديث تحية
ملء الجراح بما بذلت شفاتها
من كل طفل قد ضممت جراحه
من كل أم قد أزاحت عنها
من كل شيخ أو أب أشفقته
وأعدت في عينيه نور ضيافها
ماذا أقول وكل قولي لا يفي
بمقامكم حتى سموت سماها
لنراك في هذه البلاد هلالها
وعلى الجزيرة قد غدت لوها
يكفي العلوم بأن رفعت منارها
يكفيك من شرف القلوب منازلاً
أطبيتنا لك قد كتب قصيدي
ونقشت إسمك في كتابي معلماً
وتكون تاريخاً يشار له غداً
ذلك التحية ما حييت بأرضنا

شعر: عبدالجبار عبد الواحد الواثلي

غرس كم العلمي

كلنا ندرك أن حكومتنا الرشيدة تجني من ذر عقود ثمار ما بذلته وتبذله في سبيل رفعتنا بين الأمم بما نناله من تحصيل علمي وفكري وأدبي وغير ذلك مما نفرض به مكانتنا في العالم المتحضر. وبما أن المجال الطبي يعد ثمرة من ثمار غرس حكومتنا، فيها نحن نرى المستشفى تعج بأطباء سعوديين يعملون في مختلف التخصصات الطبية. واللافت للنظر في الآونة الأخيرة هو تميز أطبائنا في جراحة الأطفال وفصل التوائم على غيرهم من أطباء الجراحة في العالم. فقد قاد الدكتور عبدالله ابن عبدالعزيز الربيعة المولود عام ١٣٧٤ هـ بمدينة الرياض فريقاً في هذا المجال؛ حيث بلغ عدد التوائم التي فصلها ثمانية توائم، جيء بها من مختلف أنحاء العالم.

وكان آخرها فصل التوأم السيامي الفلبيني، وذلك يوم الخميس ... الخ

يا أميرًا حرق الله مناه برضى الشعب وتوفيق الإله
أنت لامهـ ولـيـاـ باـذاـ فيـ شـفـاءـ النـاسـ جـهـداـ لاـ يـضـاهـ
غرـسـ كـمـ أـثـمـ رـيـاـ سـيـدـنـاـ
فـاـنـظـرـوـهـ لـافـتـالـلـانـتـبـاهـ
منـهـ مـنـ تـفـرـيـ المـتـاهـاتـ خـطـاهـ
مـثـلـ نـجـمـ يـعـتـلـيـ أـوـجـ سـمـاهـ
عـربـيـ مـسـلـمـ مـسـتـرـشـدـ
بـهـدـىـ إـسـلامـ فـيـ كـلـ اـتـجـاهـ
فـاجـتـاـتـهـ أـعـيـنـ ذاتـ روـيـ
إـنـهـ الحـادـقـ فـيـ صـنـعـتـهـ
حـائـزـ فـيـ عـلـمـهـ لـ (الـدـكـتـورـah)
فـيـ مـجـالـ قـلـ مـنـ يـحرـزـهـ
وـيـكـونـ مـبـدـعـاـ فـيـ مـبـتـغـاهـ
ماـهـرـ فـيـ فـصـلـ كـلـ تـوـأـمـ
عـالـيـ جـلـ قـدـراـ مـسـتـوـاهـ
فـرـقـ الـتـوـأـمـ لـاـ تـبـغـيـ سـواـهـ
(الـرـبـيـعـةـ) الـذـيـ تـأـتـيـ لـهـ
ذـاعـ صـيـتاـ فـيـ الـجـراـحـاتـ اـسـمـهـ
مـنـ بـلـادـيـ.. وـبـلـادـيـ مـنـبـتـ
لـذـوـيـ الـفـكـرـ وـهـمـ أـصـحـابـ جـاهـ
هـمـ أـطـبـاءـ وـتـجـارـ وـهـمـ
أـهـلـ أـقـلـامـ وـسـيـفـ وـقـضـاءـ

شعر الدكتور: أحمد عبدالله الدامغ

فخر الوطن

هو حديث أخذنا إلى العالمية ونحن في مملكة الإنسانية، تحت قيادة ملك عظيم أراد أن يعيده مجد التاريخ العربي عبر بوابة الطب وفي عمل الخير، تقدم وأثقاً من أبنائه ويدل كل ما في وسعه لتحقيق الإنجازات الواحد تلو الآخر، وكان للأطباء السعوديين نجاح متميز في ذلك، كان أقربها إلى قلوبنا جميعاً هو دعمك اللاحدود يا ملك الإنسانية لعمليات فصل التوائم السيمامين أيديك الله أيها الملك وجعل من أبنائك مفخرة لوطنك.

أفعالهم إشراقة وعطاء
في العالمين فهم العظاماء
في طبهم في علمهم علماء
رفعوا فوق رؤوسهم نبلاء
للغرب هم إطلالة وضياء
وريادة آفاقها غراء
أبكي الشعوب فكان لهم سعداء
محبوبة من صورة شماء
في الطب في الخلق الكريم صفاء
وضياء لبلادنا حسناً
في كل يوم لبنة وبناء
أمجادها خفاقة عالياء
أنتم منار مشرق للاء
ويكفهم ما يرتدي الوجهاء
ما خاب قوم أصلهم علماء
الداء يُرِضُّون والدواء شفاء
ما ساد قوم فيهم جهلاً
مجد البلاد وللفقير سخاء
وعطاؤه لا يعتريه رباء
ولشعبه يوم الفداء فداء
هو كوكب أرضٌ وآوه بشراءٌ
أيامه موفورة ورخاءٌ
أنت الرؤوف بنا وأنت عطا

وطني لفخركم وفيك رجال
شرف لعزك أن ينادي عالياً
زرعوا بذور الخير في أفق العلا
بذلك الأجل كل شيء يقتدى
أضحووا صبوراً في سماء الجزيزة
الطب أصبح في بلادي ملتقي
فصل التوائم ذلك الحدث الذي
قد سطر التاريخ أن بلادنا
أبناءنا نحن من انتخبة
هانحن فوق سماء غرب نجمة
ابن الربيعة والفريق وفخرنا
أبناءنا في الطب نلتزم سمعة
إني لأفخر والجميع مهمل
فستترتقون المجد أعلى ذروة
سنعيid مجد جدونا قدواتنا
يا صحوة في الطب أنت بداية
لا بد من رجل ينير طريقنا
من كان يدعم كل علم صانعاً
من كان يسري الخير في أعراقه
من كان خلف نجاحنا ورقينا
هذا لك الملك الحليم بطبعه
هذا لك الملك الجليل سماحة
يا قائد الخيرات أنت منارنا

يحدوك في حب الإله رجاءً
 للمبصرين وللضريري ضياءً
 فحكمت عدلاً هكذا الحكماه
 أفعالهم في غيهم غوغاء
 ساكوا الضلال لأنهم بلهاء
 حرب على أعدائنا وبلاه
 صحراؤنا في ظله غناء
 أفعالهم إبراقه وسماء
 ها أنت ترحم من أصيبي بعاهة
 أنت العطوف على التوائم دائمًا
 أنت الذي أعطاك ربك حنكة
 للخارجين عن المسار وعدتهم
 إرهابهم كهشيم نار في العرا
 أنت المهند نحن شعبك في الوعي
 أكرم به فماليكنا عازلنا
 آل سعود سليل عرق شامخ

شعر: د. سالم المالك

شكر وعرفان لملك الإنسانية

بمناسبة رجوع صفاء ومرأة إلى وطنهما سلطنة عمان
إلقاء: أميمة بنت سعيد بن ناصر الجرданى

يا إلهي لك شكري
 دونه ساعده وحصري
 أنت توليننا جميلاً
 أنست تنهدي أنت تبرى
 كم وكم بدلت عصراً
 فمضى علينا بيسري
 هذه مرورة تبدو
 وصفا في حال خير
 في ابتسام وسرور
 وشفاء بعده ضر
 بعد أن منت عليها
 يداها على ما وبر
 بسادرت في خير أمر
 دأبهما الجود دواماً
 في كل مكان بحر
 أيها العامل منا
 لك مثل البدر يسري
 وسلام من عمان

يلهج لهم بالشكر (تاليا وتألين)

الله يعز المملكه للمسالمين ويرفع مقام ملوكها ويحمها
الدولة اللي حكمها الشرع والدين ومن صكته سود الليالي نصاها
يشهد لها الاقدسين من قبل الانبياء في كل بقعة ناس تشكر عطاها
إنجازها وافية بكل الميادين في ظل من لا قصرروا في بناتها
يلهج لهم بالشكر (تاليا وتألين) حكامنا ماما فيه شاك بوفاها
ولا قصرت يمنا مغيث القابلين فزعه من حباليه قصير مداها
عبد الله اللي مد من دون تقدير زيزومنا اللي فيه دوم انتباها
ما قصده الامداح نسل الكريمين لكن من المعبد يطلب جزاها
يجزاه مولى الناس عدل الموازين في جنة الفردوس يسكن ثراها
واذكر بقولي ماسح الجرح باللين اللي عرف وين الجروح ودواها
ذاك الربيعة كون المجد تكوين جهوده عسى ربى يسد خطاها
واللي معه لهم التحيات وأفيف ومن يزرع الحسن بالآخرى جناها
حنا فرحة بفعلكم بما يمليه ونفوسنا تشكر وتُظهر سناها
بلادنا مفتوحة لكل عانيين ولا نعترف باللي يقوله عداها
في ظل حكام على الطيب ضارين نطلب من الخلاق يبقى رخاها
وختام قوله عند نبت الرياحين صلوا على خير المخلائق طاها

شعر: سلامة بن عواد الجضيعي العنزي

سيد المشرط

لأننا نؤمن هنا في مدارات بأن أبناء الوطن المبدعين لهم حق علينا وأنها قصيدة تبتعد عن مدح الذات... وبعد إنجازات معالي الدكتور الريبيعة المتتالية في عمليات فصل التوائم ننشر مشاعر أبناء الوطن وهم يرون العالم كله يصفق لأحد أخوانهم.

إلى الفخر بالمستشار الريبيعة اللي رفع رأس السعودية صنيعه
جراح ماهر واعتلى كل قمة ودكتور فاهم والمعاني رفيقه
يا سيد المشرط كسبت التحدي وجعلت اسم المملكة فالطابيعه
شرفت أبوك وجده وجده جدك وشرفت شعب المملكة فالواسيعه
بشرتك يفخر لامسكته بيمناك يفرح بأبو عبد العزيز ويطعيه
اللي تعلى قمة المجد مره تصير له عادة وتصبح طبيعه
يدين لك بالفضل طفل سيمامي خرج على الدنيا بصورة فظيعه
وحط الله أسباب الشفا في يدينك والله ليأ أراد الأمر يستطعه
عز الله أنك تستحق القصيدة لو قصرت في مدح نفس شجيعه
رفعت رأسك والثنا تستحقه بإنجازك اللي كل الأرجاء تذيعه
حزت الرجال بالشهادة و فعلك والمرجلة ماجت لنفس وضيعه
ويحقق لك يا مملكة لوفخرتي بابن الوطن عبد الله بن الريبيعة

شعر: محمد نجر العتيبي

بأمر نائب فهدنا

هذه القصيدة بمناسبة نجاح العملية التي أجريت للفتاتين السيماميتين ، في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني ، ذلك الصرح الطبي الشامخ على نفقة سمو سيدى ولـي العهد الأمـير عبدالله بن عبد العزيـز - حفـظه الله ، ولا يفوـتني أن أشـيد بالجهـود التي قـام بها الفـريق الطـبـي وعلى رأسـهم الدـكتـور عبدالله الـريـعة .

في نهار السبت أشهد يا زمان لثامن شهور السنة قصة بديعه
شفتها بالعين في نفس المكان شفت أنا الإنجاز في همه رفيـعـه
بأمر نائب فـهدـنا شـوفـ العـيـانـ تـالـيـهـ وـتـالـيـنـ وـعـبـدـ اللهـ الرـبـيـعـهـ
في مـديـنـةـ طـبـ تـشـمـرـكـ بـأـمـانـ تـرـتفـعـ هـقـوـاـكـ لـوـكـانـتـ وـضـيـعـهـ
يـدرـيـ اـنـكـ يـالـرـبـيـعـهـ بـكـ حـنـانـ وـيـدـريـ اـنـكـ تـمـتـلـكـ كـاسـ الطـلـيـعـهـ
تـالـيـهـ يـاـ سـيـديـ تـشـعـرـ بـأـمـانـ تـفـتـخـرـ فـعـلـكـ لـوـهـيـ رـضـيـعـهـ
واـخـتـهـاـتـالـيـنـ تـاهـجـ بـأـمـتـنـانـ لـعـطـكـمـ يـاـ سـيـديـ تـشـكـرـ صـنـيـعـهـ
مـكـرـمـهـ مـنـ سـيـديـ طـلـقـ الـيـمانـ اـبـوـمـتـعـبـ لـلـوـطـنـ طـبـيـهـ طـبـيـعـهـ
كـلـمـةـ تـنـقـالـ فيـ سـرـ وـبـيـانـ فيـ سـلاـيلـ شـيـخـ منـهـجـ الشـرـيـعـهـ
أـبـوـمـتـعـبـ مـاـ خـسـرـ فـيـهـ الرـهـانـ يـوـمـ جـابـ السـيـامـيـتـيـنـ بـسـرـيـعـهـ
يـاـ عـسـىـ مـنـ وـرـثـهـ يـسـكـنـ جـنـانـ بـعـالـيـ الـفـرـدـوـسـ فيـ دـارـ رـفـيـعـهـ
وـيـنـهـارـ السـبـتـ أـشـهـدـ يـاـ زـمـانـ لـثـامـنـ شـهـورـ السـنـةـ قـصـهـ بـدـيـعـهـ

شعر: بدرية العطا الله السعيد الرياض

الدكتور عبدالله الربيعة

إلى الدكتور عبدالله الربيعة وإنجازاته الطبية المتلاحقة.

إيه أفتخر بك شاهد ورمز للدار
واسمه يزيد الدار عز وطليعه
وبإنجازك اللي هز كل الوسيعه
حتى احتويت من التميز بديعه
فمالك نقشته بالذهب بأرض محار
يوم الولي نزل عليها فجيئه
تدعي لك قلوب بها جرحها ثار
سخر لك المولى من العلم واختار
لحظة تقدم من على الأرض بأعذار
وإن العمل يأخذ من الجيب دولار
ومعاليه ذيكر النفوس الرضيعه
معالجة نادى لهم واف الأشبار
هذاك أبو متعب لي قال ما اختار
واباسم الوطن نادى لهم واف الأشبار
له أخضعت كل النواخذ مطيبة
وطمن قلوب ضاية بالوسيعه
هذاك أبو متعب لي قال ما اختار
وتباشروا في وقوفه عبر الأخبار
وكيف سعادتكم على خوض الأغماد
وجئت الإجابة من طرفكم سريعة
متحيرة بين الرجال والقطيعة
وأفرحت قلوب بها واهج النار
ويزيدكم بالعلم فوز وطليعه
ندعي لك التوفيق من وال الأقدار
وإيه أفتخر بك شاهد ورمز للدار
بابن الوطن دكتور نجل الربيعة

شعر الدكتور: مرتضى الخمعلي



شعر خاص



السعودية مملكة الإنسانية

Saudi Arabia Kingdom of Humanity

شكر خاص

كم يمتليء قلب الإنسان بالفرح وتغمر حنایاه مشاعر السعادة كإشعاع لطيف من الضياء حين يرى نجاحاً وإنجازاً وتطوراً يتحقق في المملكة العربية السعودية أو العالم العربي أو الإسلامي، ويُسجّل بأحرف من نور في لوحة الإبداع العالمية التي تُوثق عطاءات الشعوب.

الفخر جبلاً إنسانية، واعتماداً على هذه البدهية يحقُّ لنا أن نباهي ونفاخر بما ننجز، فما الأوطان إلا صناعة بنيها، فإن تميزوا تميَّزت بلدانهم، وبنت لها اسمًا في سجلات الإبداع والابتكار العلمي والمعرفي، وإن تخلَّفوا نقلوها إلى دائرة الظلام حتى تضحي نسيًا منسيًا. ولكن نحمد الله كثيراً في مملكتنا التي حرصت قيادتها على رعاية العلم والعلماء، وهيأت لهم تربة خصبة وبيئات غنية تزالت فيها قيم العمل وارتفع مؤشر الأداء، وتزايدت معدلات العطاء، وتعددت وتنوعت ساحات الإبداع حتى صعدت المملكة عتبات التطور بثقة وثبات، وتبوأت موقعًا رفيعاً في القمة بجانب دول العالم المتقدم. ولا مشاحة في أن أعتبر عن اعتزازي بأي نجاح يتحقق في بلادي وأفاخر به، فالنجاح لا يُنسب إلى صاحبه، فرداً كان أو فتاة أو مجموعة أو مؤسسة؛ بل إلى الوطن والشعب السعودي والأمة الإسلامية قاطبة. وكم نحن بحاجة إلى دعم ومؤازرة بعضاً، وإلى شحذ الهمم وتركيز الجهد وتوسيع آفاق التعاون ومجالاته على المستوى العربي والإسلامي من أجل إنشاء مراكز مرجعية تميَّزنا وتوهتنا إلى موقع الريادة العالمية؛ بدلاً من التنافس غير المرشد، أو المغلق بدروافع وإملاءات ذاتية، لأن مثل هذا التنافس غالباً ما يتسبب في إهار الجهد وتشتيت الخبرات وإضعاف مؤشرات النجاح.

هذه مقدمة اكتسبت ملمحًا فلسفياً، وحاولت إلابسها حلة الآمال والأمانى رغم أنها حقيقة تعبُّر تعبيرًا صادقاً عمَا يمور في داخلي من مشاعر حب وغيرة متاججة على وطني وأمي، وأطممح بالفعل إلى أن نستفيد منها لغدنا ومستقبلنا للتبني على إنجازنا وإنجازات وإنجازات، وتتحقق بنجاحنا نجاحات ونجاحات إن شاء الله تعالى.

وأرى لزاماً عليًّا التأكيد هنا على أن هذا الإنجاز والنجاح الذي حققناه في مجال جراحة التوائم السيمائية ما كان ليخرج إلى النور، ويكتسب هذه الشهرة لو لا توفيق الله جل وعلا، ثم جهود ومثابرة وطموحات وعزائم زملاء وزميلات ضحوا بوقتهم، وأخلصوا في مهماتهم، وسخروا لها عصارة فكرهم وخلاصة علمهم بقدر كبير من الإخلاص والتفاني ونكران الذات، ولا غرو أن يؤثِّر العالم أو العارف وطنه وأمته بما يملك من معلومة ومهارة وخبرة. وأعني هنا الزملاء والزميلات وجميع من كان لهم - أو لهن - فضلُّ مشاركتي وملازمتني باستمرار في هذا المصمار منذ بداياته في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض، ثم واصلوا المشوار معي في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني إلى يومنا هذا، مجموعة متاجنة ومتمسقة تعمل بروح الفريق وتتحرك بهمة وفعالية كخلية نحل، لا يرکتون إلى تكاسل ولا يعمدون إلى تخاذل مهما كانت المهمة صعبة وشاقة وحساسة، وبهذه العزائم الصادقة والصبر الدؤوب استطاعوا أن يشكلوا أنموذجاً في الأداء الجماعي، ويبرهنوا للعالم أن النجاح لا يبني بدوافع انفرادية، ولا تصنعه تطلعات ذاتية محضة؛ بل تحكمه روح التعاون والتكاتف والشمولية والشفافية التي تُشكِّل مجتمعة أدوات بناء وركيزة عطاء.



الفريق الطبي لعملية التوأم السعودي (حسن وحسين)



الفريق الطبي لعملية التوأم السوداني (سماح وهبة)

ولعل أقسى ما يمكن أن يفت في العزائم، ويُثبط الهمم أن تنمو بين زملاء العمل الواحد وتضطرّم في قلوبهم مشاعر الكراهة والحسد، كما أن الجحود والقدح في عطاءات الآخرين أو نكرانها لا تعدو أن تكون جميعها معاول هدم تعطل مسيرة الإنجاير وتضرُّ بالأوطان.

لا تسعفي الكلمات، ولا يتكرّم قاموس المفردات ليزودني بقطرات من معينه الدافق كي أُعبر لأعضاء هذا الفريق عن مدى شكري وامتناني لجهودهم وتحصياتهم في هذا الميدان العلمي، ولا أملك إلا أن أقول .. الله دركم من فريق يفخر به الوطن وتفاخر به الأمة، فريق يقف مرفعاً العنق، مشرقاً الوجه ليرسل قبساً أو إشعاعات من ضيائه لإنارة هذا الدرب للمعاصرين واللاحقين من زملاء المهنة؛ جراحين كانوا أو أطباء أو مرضين أو فنيين - رجالاً ونساءً - أو طلاباً. وكم كنت أتوق إلى ذكرهم بأسمائهم كاملة في هذه (التجربة الورقية) - وأعني كتابي هذا - توثيقاً للتاريخ، وتسجيلاً لعطاء إنساني متميز؛ غير أن خوفي وخشيتي من نسيان أحدهم عن غير قصد؛ أعاد هذه الرغبة، ولكتهم - وإن حُجبت أسماؤهم هنا - باقون جمياً في حدقات العيون، ومعزتهم منقوشة في سويدة القلب، ولن أنسى جهودهم وتفانيهم مهما طال بنا الزمان، أو تقلّبت صروفه، أو تبدّلت بيئاته ومناخاته... فلهم مني جميعاً الشكر والثناء والعرفان. ولا يسعني إلا أن أخلص الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يُلزّمهم دائمًا وأبداً جانب التوفيق، ويُثبت خطوهם في مسارات النجاح.. فبجهدهم وبذلهم تُقطف الثمرات، وتعلو وتسمو بناجات مملكتنا لترتسم غرة بيضاء ناصعة في جبين المعارف والعلوم محلياً وإقليمياً وعربياً وعالمياً.

وأقرُّ هنا الشكر بالشكر والثناء بالثناء لهم جميعاً، ولكل من شدَّ من أزرهم، وساهم في رفع درجات تفانيهم وإسهاماتهم، وساعدهم في أن يبرهنوا للعالم بالدليل العلمي القاطع ، وبالجهد والأداء المهني الساطع أن أمّة الإسلام مكتنزة بالكفاءات والخبرات، وأنّ أبناءها وبناتها أهل محبة وتسامح وعطاء، ولا يقبحون أيديهم عن مساعدة محتاج أو متضرر، ولا يشبحون بوجوههم عن مريض فقير أو منقطع سبيل، أو كان على ذمة غير ذمّتهم، أو مذهب مغایر لمذهبهم.. ولكل هؤلاء الزملاء الأحباب أقول مؤكدًا: لقد رسمتم بأناملكم الدقيقة الماهرة شعاراً شفيفاً مُشعّاً تنداح دائرته وتسع كهالة دائرية شفافة تُطوق القمر حين يكون بدراً، إنه شعار الإنسانية الذي احتضنته وجسدَته: (ملكة الخير، مملكة العطاء، مملكة الوفاء، مملكة المحبة، مملكة الإنسانية).



الفريق الطبي لعملية التوأم السوداني (نجلا ونسمة)



الفريق الطبي لعملية التوأم الماليزي (أحمد ومحمد)



الفريق الطبي لعملية التوأم الفلبيني (آن وماي)



الفريق الطبي لعملية التوأم المصري (تاليا وتالين)



الفريق الطبي لعملية التوأم المصري (آلاء وولاء)



الفريق الطبي لعملية التوأم البولندي (داريا وأولغا)



الفريق الطبي لعملية التوأم العراقي (فاطمة والزهراء)



الفريق الطبي لعملية التوأم المغربي (إلهام وحفيصة)

شكر خاص



الفريق الطبي لعملية التوأم السعودي (عبدالله وعبدالرحمن)



الفريق الطبي لعملية التوأم الكاميروني (شويفو وفيفوم)



الفريق الطبي لعملية التوأم العماني (صفا وعمروة)



الفريق الطبي لعملية التوأم الطقطقيي السعودي (ابتهاج)



الفريق الطبي لعملية التوأم العراقي الثاني (إياد وزياد)



الفريق الطبي لعملية التوأم المغربي الثاني (الصفا والمروة)

شكر و عرفة

بجهود المخلصين من الزملاء الذين شاركوا بوقتهم وعطائهم على مدى سنتين لإخراج هذا الكتاب بصورة النهاية
أتوجه لهم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان وهم:

- عبدالعزيز محمد العواد
- إبراهيم الصافي محمد
- حمد منصور المساعد
- محمد محمود التوبه
- فريد صالح بهنس
- عمرو الشربيني طلحة
- شمس الدين آدم بشاره
- محمد إبراهيم الإمام



الخاتمة

وصلنا - بحمد الله وتوفيقه - إلى الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب الذي استهدفنا منه توثيق إنجازات وطن يجري حبه في دماننا، وأمة ننتهي إليها ونغار عليها ونطلع إلى أن تلامس الثريا رفعة ومكانة عزّاً ومجدًا، وذلك في وقت نحس فيه بحاجة ملحة إلى بيان حجم إمكاناتنا وقدراتنا ومقوماتنا العلمية والحضارية للعالم أجمع، ونكشف له مدى حرصنا على الإسهام في مسيرة التطور وصناعة السلم والأمن العالميين، ونطلع على عزمنا وإصرارنا على إبراز الوجه المشرق لعقيدتنا وبرتها من كل ما سبق في حفها من بهتان وافتئات وقول زور، وما دمغت به من وحشية وهمجية وفظاظة، ونبّر له كذلك قدرنا على الدفاع عن أمّة الإسلام بالعمل الجاد المتواصل، والإنجاز العلمي المدروس، وبالموافق الإنسانية وبقيم التوادد والتراحم والتسامح التي تعد من مكونات الشخصية المسلمة، بكل ذلك نستطيع إقناعه بدورنا في صناعة الحضارة، وبأدبارنا وإدارة ظهورنا للشعارات الزائفة والأقوال البراقة والنقاشات الفارغة والحوارات الطنانة الجارحة التي يتعالى ضجيجها وصخبها ولا تخرج بشمرة أو إضافة نافعة. لو فعلنا ذلك؛ لتحدثت أعمالنا عنّا، ولأضاءات شعلة إنجازاتنا وعَمَّ ضيّواها الكون، ولنُقشت المواقف والشواهد في أذهان الشعوب والأجيال وبقيت محفوررة فيها أزماناً وقرنناً عديدة، وبالتالي يمكن أن نستعيد أمجادنا وفترات زهونا وازدهارنا التي حزنا بها قصب السبق على العالم وبهرناه وسُدّناه ثقافةً وعلمًا وقيمةً، وأن ننشر رسالة شعارها السلم والسلام، والأمن والأمان، والحب والإخاء، ونهدم في الوقت نفسه حواجز الحقد والحسد والكرهية، ونبذ النظرة القاصرة والفتكة الضحلة التي مالها دائمًا الإلحاد والفشل والتخلّف عن مسيرة التطور والتحديث.

ويقيناً؛ فإن ما تضمنه هذا الكتاب لا يعدو أن يكون جهداً متواضعًا، ومحاولة محدودة لإبراز إنجازات فريق عمل مثابر تحلى بمبادئ الإسلام السمحنة، وميزّته خاصيّة العمل الجماعي، وميزّته روح التفاني والعطاء المتجلّس والمتكامل داخل المجموعة الواحدة، واستحقّت فيه إنسانيته ومشاعره الوطنية الغيورة، وحفّزت رغبته في الإنجاز والإبداع إلى أن يضع لبنة فوق لبنة من أجل بناء هذه الخبرة التي يفخر بها الوطن ويفاخر بها المواطن. ولعل هذه المبادئ التبليغية تكون مرتكزاً انطلاق وياًناً ودافعاً لتحقيق ملايين الأعمال والإنجازات المماثلة في مملكتنا الحبيبة والعالم العربي والإسلامي إن شاء الله تعالى.

آمالنا وطموحاتنا معقودة على أبناء وبنات مملكة الخير الراغبين في الصعود إلى المعالي، ورجاؤنا في أن يستمر العطاء ويتدافع إلى أعلى كموج النهر الذي يقذف الحصب إلى التربة المستزرعة، رجاؤنا من حملة مشاعل المعرفة لبناء مستقبلنا لا توقف قافلة (التوائم السيامية) عند شخص أو شخصين أو حتى فريق واحد، وأن تتصدى أجيالنا للمشاركة في رفع يارق هذه الجراحات من أجل أن يتتابع إيقاع المسيرة وتبقى شامخة راسخة، ومثلاً حيًّا لقوافل قادمة أكثر إبداعاً وسموًّا ورقة، وإبرازًا لسمعة هذا الوطن الغالي في المحافل العلمية الدولية، وتفعيلاً لإسهاماته في خدمة البشرية.

و قبل أن أُعيد غطاء قلمي إلى موقعه وأحكِم قفله؛ أود الاعتراف صادقاً بأن ما أورده في طيات هذه التجربة ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر؛ ذلك أن مسيرة العطاء في وطننا هذا لن ينضب معينها بإذن الله، ولن يغور ما ذهاباً دامت تربتها خصبة وغنية بكفاءات ومهارات قادرة على العطاء تحت ظل الرعاية والعناية المستمرة من قيادتنا الحكيمـة.

وأخيراً.. إن شاب عملي هذا تقصير أو ضعف؛ فلا أملك إلا أن التمس العذر من القاريء الكريم، وإنما هذا جهد المُقل.. والله أَسْأَلُ أَن يجعل ما قدمته خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أبناء الإسلام، فهو سبحانه وتعالى أهلٌ لذلك وال قادر عليه وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

المصادر الأجنبية

- 1- Conjoined Twins, British Journal of Surgery 1996, 83, 1028 – 1030.
- 2- Dicphalus Conjoined Twins: a historical review with emphasis on viability, Jan Bodeson – London/England – Pediatr Surg 2001 Sep, 36(9): 1435 – 44. (Entrez- PubMed)
- 3- Experience in the management of Conjoined Twins, L. Spitz and E. M. Kiely. British Journal of Surgery 2002,89,1188 – 1192. (www.bis.co.uk)
- 4- Conjoined twins separated after long legal battle – Clare Dyer (bmj.com)
- 5- Surgical Separation of Conjoined Twins:Jodie and Mary by Kathleen Minutaglio (<http://www.molloy.edu/academic/philosphy/SOPHIA/ethics/bioforum/twins.htm>)
- 6- A social History of Conjoined Twins, (<http://zygote.Swarthmore.edu/cleave4b.html>).
- 7- Conjoined Twins: Definition and Much More From Answers.com (<http://www.answers.com/topic/conjoined-twins>)
- Freak Animals. (<File:///D:/Flea%20Circuses!.htm>)

المصادر العربية

- ١- الأصبهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / المجلد التاسع - دار الكتاب العربي ، دار الريان للتراث / الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، مصر الجديدة - الإسكندرية / ص ١٢٧ ، ١٢٨
- ٢- الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة / بيروت - الطبعات من ١ إلى ٦ / ١٤٠١هـ إلى ١٤٠٩هـ / ص ٩٠
- ٣- ابن هذيل ، علي بن عبد الرحمن ، مقالات الأدباء ومناظرات النجباء - الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ص ١٢٢ ، ١٢٩
- ٤- الجوزية ، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .. ترتيب وتبويب صالح الشامي / المكتبة الإسلامية .
- ٥- البرهان فوري ، علاء الدين علي المتقي - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة ضبط وتفسير الشيخ بكري حيان وتصحيح الشيخ صفوة السقا / مؤسسة الرسالة .
- ٦- التستري ، محمد تقى - قضايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / المطبعة الخيدرية .
- ٧- الحمد ، علي بن عبد الله - أحكام التوائم الملتصقة في الفقه الإسلامي - (رسالة ماجستير بإشراف د. خالد بن زيد الوذيني).
- ٨- النجار ، الدكتور عامر - في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية / دار الصحوة للنشر والتوزيع .
- ٩- الزهراوي ، أبو القاسم خلف بن عباس - الجراحة (المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف - تحقيق وتعليق: د. عبد العزيز الناصر ، د. علي التويجري / مطابع الفرزدق التجارية / الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م / ص ٧٢)
- ١٠- الطنطاوى ، الشيخ علي - فصول في الشفاعة والأدب / دار المنارة - جدة ٢٠٠٧ / جدة / ص ٤٢
- ١١- الطهطاوى ، د. محمد - الدعوة إلى الإسلام
- ١٢- النجار ، زغلول راغب محمد - الذين هدى الله
- ١٣- زقرزق ، د. محمود حمدي - الإسلام والغرب / مكتبة الشروق الدولية / الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م الصفحات: ١٧٩ - ١٩١ ، ١٩٣ - ١٩٥
- ١٤- عبد الصمد ، محمد كامل - الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء (الجزء الثاني) / الدار المصرية اللبنانية / الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ١٥- مجلة المختار الإسلامي - العدد رقم ٤١ / رجب ١٤٠٦هـ



الأوسمة:

- ٢٠٠٣ م - وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة
- ٢٠٠٢ م - وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى
- ٢٠٠٢ م - وسام الاستحقاق العسكري الطبي من الجيش الأمريكي
- ٢٠٠٥ م - وسام استحقاق جمهورية بولندا من الدرجة الأولى (درجة قائد)

الجوائز:

- ٢٠٠٦ م - جائزة التميز الجراحي على مستوى المملكة العربية السعودية
- ٢٠٠٥ م - جائزة فلكس العالمية من صحيفة بولندا اليومية (جازيت وبروكوا)
- ٢٠٠٥ م - جائزة الإنجاز من جمعية الأطفال البولنديين
- ٢٠٠٥ م - جائزة الإنجاز من السفارة البولندية بالرياض - المملكة العربية السعودية
- ٢٠٠٤ م - جائزة الفضل خريج (سابقاً) جامعة الملك سعود بالرياض
- ٢٠٠٤ م - جائزة الإنجاز من السفارة المصرية بالرياض - المملكة العربية السعودية
- ٢٠٠٤ م - جائزة الإنجاز من السفارة الفلبينية بالرياض - المملكة العربية السعودية
- ٢٠٠٢ م - جائزة الإنجاز من السفارة الماليزية بالرياض - المملكة العربية السعودية
- ١٩٧٩ م - الترتيب الأول في درجة بكالوريوس الطب والجراحة - جامعة الملك سعود بالرياض
- ١٩٨٠ م - درجة التمييز خلال فترة التدريب كطبيب امتياز - جامعة الملك سعود بالرياض
- ١٩٨٥ م - جائزة أفضل بحث بجامعة البرتا بكندا
- ١٩٨٦ م - أفضل رئيس مقيم في التدريس في الجراحة بجامعة البرتا بكندا
- ١٩٨٩ م - جائزة السنة لأفضل أستاذ بكلية الطب بجامعة الملك سعود بالرياض

البحوث والمؤلفات:

- أكثر من ٥٠ ورقة عمل قدمت في ندوات وورش عمل وحلقات نقاش طبية.
- تأليف والمشاركة في تأليف وكتابه أكثر من ٥٥ ورقة عمل وبحوث في مجالات علمية محكمة وكتاب.

هذا الكتاب

نه هذا الكتاب بفتح الدُّسُرِ حبَّ الله الرَّبِيعي الْبَابِ
ربِّي خلقَ نَعْلَمُ الْكَلَامَ السَّيِّدِي ، هَذَا الْكَلَامُ الْمَجْوُلُ ،
الْمَدْحُوُّ بِالنَّارِيَّةِ وَالْمَجَابِ .

حَمَدَكَ الْمَسْوَرُ الرَّبِيعي ، بِاسْلَمَ بِسْرَلَ مَلَى ، نَعْلَمُ
حَمَادَةَ الدَّالِلِيَّةِ تَبَدِّي اَهْرَاجَيَّ وَلَبَدَّوْ ، وَصَانَةَ التَّرَاثِ ،
وَحَمَدَتَكَ نَعْلَمُ اَجْهَدَهُ الْجَهَادِ اَنَّهُ يَنْذَلُهُ الْفَرِيقِ ، وَنَعْلَمُ
الْكَلَامَيَّ الْبَصَرَيَّ اَنَّهُ تَحْمَلَتَ لِنَبْشِلَ اللَّهَ ثُمَّ مَهْرَأَةَ الْمَرَاضِيَّ
الْمَاصِيَّةِ تَحْتَ تَيَارَةَ الْمَاسِرَةِ الْوَصَبِّ .

صَنَعَ سَلَمَهُ صَدِيقُ نَجَاحِهِ ، تَسْتَغْفِي اَنْ تَجْلِي ،
تَسْتَغْفِي اَنْ تَقْدِي ، سَلَمَهُ نَجَاحُ الْمَدْطَبِهِ ، وَلَمَرْدَمَهُ ،
سَلَمَهُ نَجَاحُ يَجِيَّ اَنَّهُ يَنْفَرُ بِهِ كُلُّ مَا اَخْدَهُ .

ذَكَرٌ لِلْمُؤْمِنِ
خَاتِمِ الْبَرِّ حَمَدَ اللَّهِ